منبر الإسلام

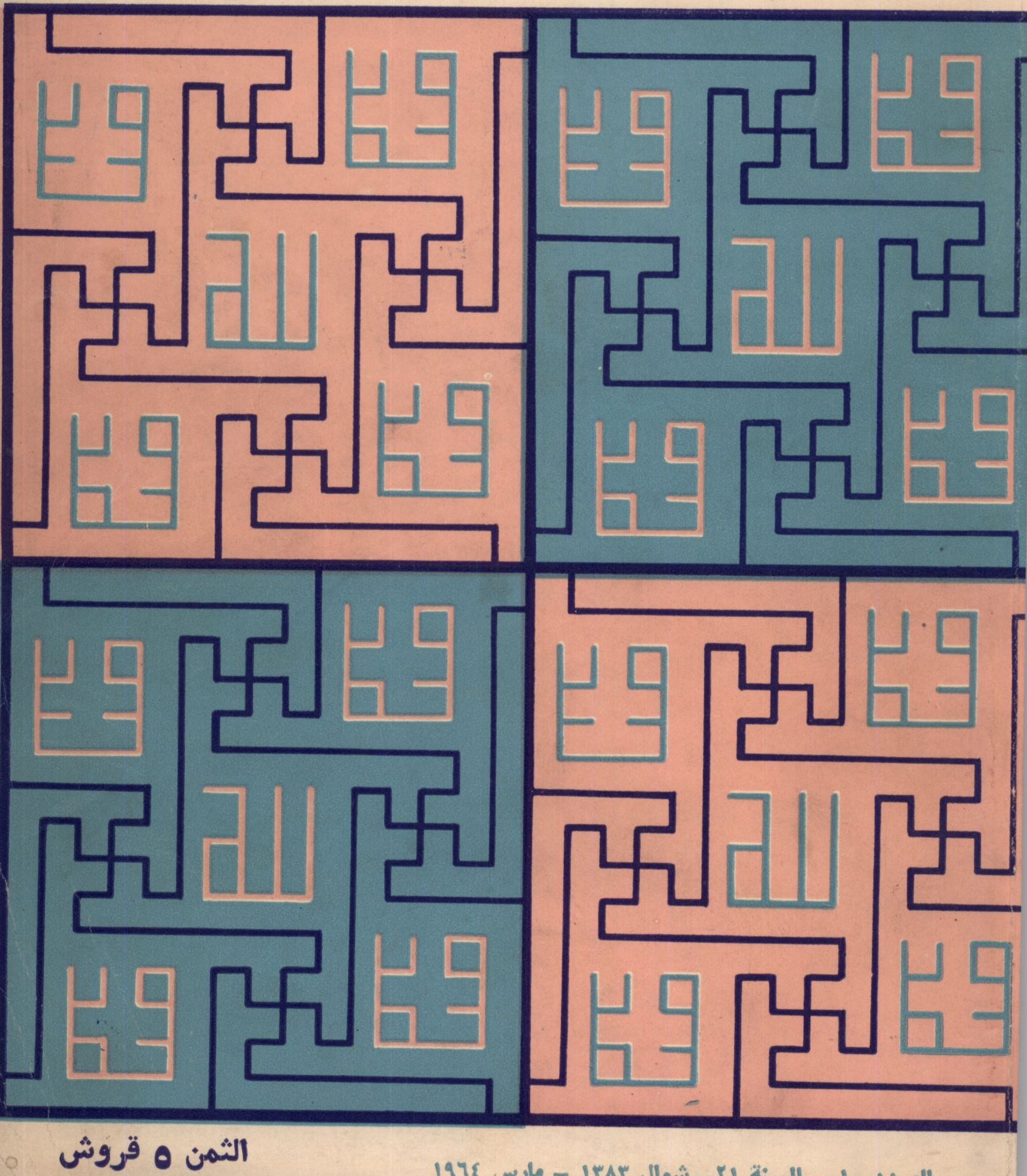

الثمن ٥ قروش

العدد ١٠ - السنة ٢١ - شوال ١٣٨٣ - مارس ١٩٦٤

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

شوال ١٣٨٣
مارس ١٩٦٤
العدد ١٠ السنة ٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

* معالم الطريق ... ...

* زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ... ...

* الحرية أساس الديمقراطية ـ السيد الأستاذ حسين الشافعى ـ نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرياسة ... ...

* حديث مع سفير مالى ... ...

* الامام المسلم ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

* حديث القرآن ـ فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى

* اشتراكيون مسلمون ـ الدكتور أحمد الحوفى ...
* خواطر مستشار ـ المستشار على على منصور ...

* نحن بين الخير والشر ـ الأستاذ البهى الخولى

* مؤتمر القمة العربى محققا لآمال العرب ـ تحقيق صحفى كبير تحدث فيه السيد الأستاذ عبدالخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية والسيد الأستاذ أحمد الشقيرى ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية ـ والسيد الأستاذ عدنان الحكيم زعيم حزب النجادة بلبنان والسيد الأستاذ رمضان اللاوند رئيس تحرير صوت العروبة اللبنانية ...

* مظاهر الأعياد عند المسلمين فى العالم ـ تحقيق صحفى يطوف بك فى البلاد الاسلامية : باكستان ـ اندونيسيا ـ مالى ـ الملايو ... ...

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
هذه العملة من البلاد الاخرى
وما يساوى

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

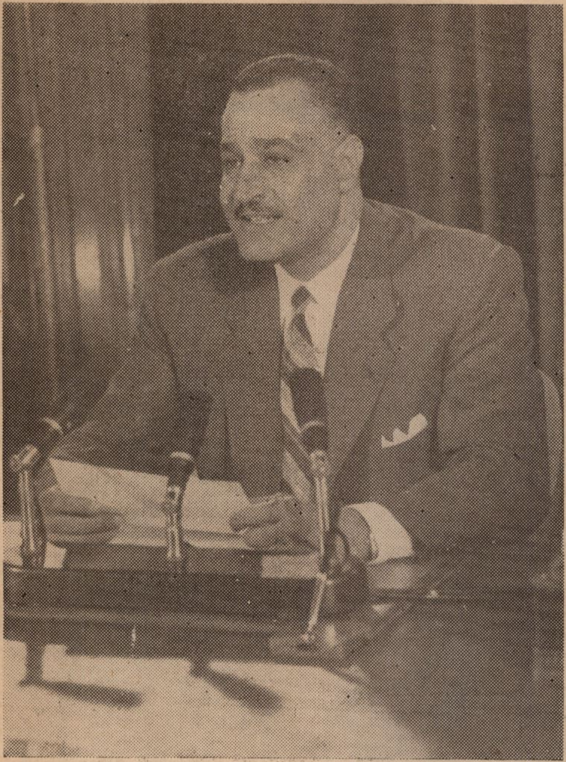

معالم الطريق .....

نص خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في مؤتمر وزراء العمل الأفريقي

- القوى العاملة في أفريقيا طلائع العمل من أجل التحرر ..
- التمييز العنصري ليس إلا عملية نهب لموارد القارة
- أفريقيا تتحرك بانتظام وثبات على طريق المستقبل ..

القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى حفل افتتاح مؤتمر وزراء العمل الافريقيين . قال الرئيس : ان ارادة الحياة فى القارة الافريقية أكدت قوتها وعمقها ، حين ارتبطت الدعوة الى الحرية الافريقية بمحاولة استكشاف الشخصية الافريقية والانطلاق الى العمل الافريقى الواحد الذى عبر عن نفسه اخيرا بميثاق الوحدة الافريقية .

وقال الرئيس ان مصر العربية حتى من قبل أن يتحقق جلاء قوات الاحتلال عن أراضيها استطاعت بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أن تعلن انتماءها الطبيعى الى أفريقيا وأن تربط قدرها بأقدار الكفاح فى قلب القارة . وهذا هو نص خطاب الرئيس :

أيها الاصدقاء :

بالمحبة والمسئولية .. رحبت بهذه الفرصة التى مكنتنى اليوم من أن أحضر معكم الجلسة الافتتاحية لمؤتمر وزراء العمل فى الدول الافريقية ..

ان اجتماعكم هذا اليوم هو شاهد جديد على رؤية قديمة تحققت رغم الضباب الذى فرض علينا وهى تتأكد كل يوم وتتخطى مرحلة الاحساس الوجدانى الى مرتبة الوجود الفعلى وأعنى بها الوحدة الافريقية أملا ونضالا ومصيرا

ولست فى حاجة الى أن أبدأ معكم كتاب التاريخ منذ بدايته لكى أدلل على أننا كنا نشعر به .. احساسا وجدانيا لم يكن مجرد خيال وانما كان انعكاسا صادقا للايمان بالحقيقة فى أعماقنا وبمواجهة محاولات ضخمة ومتنوعة الوسائل لحجبها وتغطية جوهرها .

ان القوى التى سيطرت على القارة الافريقية لم تكتف باستغلالها ، وانما أرادت لضمان الاستغلال تمزيقها ماديا وفكريا وتضييع شخصيتها كلية لتبقى أسيرة الظلام الى الابد.. لكن ارادة الحياة الى القارة كانت أقوى من كل سيطرة حاولت اخضاعها بالسلاح ، وأعمق من كل استغلال رسم الخطط لتحويلها الى مجرد مزرعة ومنجم ومخزن للمواد الخام .

الشخصية الافريقية

أيها الاصدقاء !!

ان ارادة الحياة فى القارة الافريقية أكدت قوتها وعمقها حين ارتضت الدعوة الى الحرية الافريقية بمحاولة استكشاف الشخصية الافريقية والانطلاق الى العمل الافريقى الواحد الذى عبر عن نفسه أخيرا بميثاق الوحدة الافريقية .. ميثاق أديس أبابا الذى أعلن فى شهر مايو الماضى من عاصمة أثيوبيا بحضور رؤساء الدول الافريقية المستقلة .

ولقد كانت مثل هذه النتيجة تبدو منذ سنين قليلة نوعا من مغالبة المستحيل وأن الوصول اليها برغم ذلك دليل على سلامة الطريق وصحة الهدف ، وقبل ذلك كله شاهد على الحيوية الخلاقة لهذه القارة العظيمة ، وانه لمما يستوقف النظر أن مصر العربية حتى من قبل أن يتحقق جلاء قوات الاحتلال عن أراضيها استطاعت بعد ثورة ٢٣ يوليو عام ٥٢ أن تعلن انتماءها الطبيعى الى أفريقيا وأن تربط قدرها بأقدار الكفاح فى قلب القارة وتمكنت من أن تسجل ذلك فى الخطوط الفكرية الاولى لمنهاجها الثورى .

ولما حققت نصرها التاريخى فى السويس كانت واعية لآثار ذلك النصر على النظام الاستعمارى كله فى القارة وكانت تدرك أنها تتحمل من مسئولية المستقبل الافريقى نصيبها الذى يجب أن تقوم به ولم تكن مصر فى ذلك وحدها وانما كانت هناك شعوب أخرى ملء القارة تقدمت هى الاخرى الى مسئولية المستقبل الافريقى ولم تتغافل عنه فى الظروف البيضاء ثم الى اجتماع أقطاب أفريقيا فى الوطنية أو تحقيق وحدتها القومية .. ولقد كان التقدم الى مسئولية المستقبل الافريقى هو الذى قاد مصر الى الدار البيضاء ثم الى اجتماع كل أفريقيا فى أديس أبابا .. لقاء مع كل الذين تقدموا بشجاعة وشرف الى مسئولية المستقبل الافريقى ..

أيها الاصدقاء :

ان مؤتمركم اليـــوم اشارة الى الجهود المبذولة للوفاء بمسئولية المستقبل الافريقى لكن فيه الى جانب هذه الاشارة ايحاءات بالغة الاهمية ٠٠ ان القوى العاملة فى أفريقيا كانت فى مناطق كثيرة من القـارة طلائع العمل من أجل التحرير وان الايدى العاملة التى تصورت قوى الاستغلال انها جمعتها للسخرة ما لبثت أن نظمت جهدها لضمان أفضـل الشروط للعمل ثم نقلت جهدها فى نفس الوقت وبسرعة مذهلة الى النضال الوطنى فى مجالات أرحب وأشمل ٠٠ كذلك فان أقسى ما نعانى منه الآن فى أفريقيا هو التمييز العنصرى ٠٠ ليس فى حقيقة أمره الا البقية الباقية من هذه السخرة التى تريد الى جانب اغتصاب الثروة الافريقية أن تغتصب قدرة العمل الافريقى ، وليس هذا التمييز الـذى نرى آثاره فى بعض أجزاء أفريقيا الا بقية من عملية النهب المنظمة لموارد القارة الطبيعية والبشرية ٠

واذا كنا نتطلع الى الوفاء بمسئولية المستقبل فان العمل الافريقى وحـده هو القـادر على استخلاصها من آثار التخلف ودفعها الى آفاق التقدم الحديثة لكى تلحق بما فاتها قبل أن يزداد تخلفها قياسا الى غيرها بسبب السرعة المتزايدة بخطى العلوم والتكنولوجيا ٠

لهذا فان القوى العـاملة فى أفريقيـا التى أدت دورها فى المرحلة الحاضرة وكانت بين الطلائع فى العمل من أجل التحـرر الوطنى مدعـوة الآن الى استكمال دورها فى اجتيـاز المستقبل نحو التقدم الاقتصادى والاجتماعى

قارتنـــا تتحرك

أيها الاصدقاء :

انكم الآن فى وطن تمكنت فيه قوى شعبه العاملة من أن تصنع نفسها ٠٠ بالثورة ومن أجلها فى طليعة النضال من أجـل المستقبل ، ولسـوف يسـعد هـذا الوطن أن تتـاح لكم الفرصة لدراسة تجربته فى هـذا المجال عن قرب وبالاتصال المباشر ٠ وليس يخالجنا شك أن دراستكم للتجربة وظروفها سوف تزيد من غناها وفى النهاية فان حصيلة تجاربنا جميعا ثروة مشتركة لقارتنا العـاملة فى اخلاص من أجل التقـدم الانسـانى ٠٠ طريق السـلام الحقيقى والدائم ٠٠

أيها الاصدقاء :

ليست الصدفة أنه فى الوقت الذى نلتقى فيه هنا الآن تخطو بلدان افريقيا الى عتبات الحرية بالجدارة والتضحية ، وترتفع أعلام الاستقلال هذه اللحظات فوق كينيا وزنجبار

ان قارتنا تتحرك بانتظام وثبات على طريق المستقبل ومشاعل الامل ترتفع أمامنا على كل آفاقها تكشف للتاريخ المعـاصر وتضيف اليه فصـلا جديدا رائعـا من نضـال الانسان واستبساله فى الدفاع عن الحياة وعن كرامة الحياة ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

زعماء العالم الإسلامي .. في القاهرة

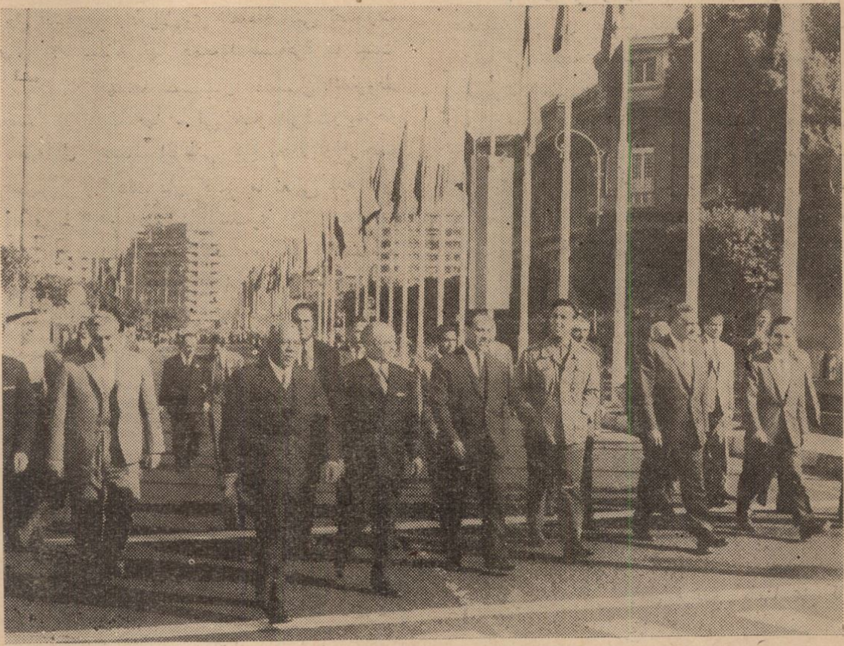

مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية في القاهرة

من ١٣ إلى ١٧ يناير سنة ١٩٦٤

- العرب سينظمون علاقاتهم بالدول على أساس موقفها من الصهيونية ..
- إنهاء الخلافات وتصفية الجو العربي من جميع الشوائب ..
- خطوات عملية لدفع عدوان إسرائيل واستثمار المياه العربية ..
- في أغسطس القادم يجتمع الملوك والرؤساء في الإسكندرية ..

تابع العالم كله باهتمام بالغ ما كان يجرى فى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة طوال أيام المؤتمر ..

فمنذ اللحظة التى وصل فيها الملوك والرؤساء العرب الى القاهرة فى لقائهم التاريخى واجتماعهم الكبير فى الجامعة العربية وانظار العالم تتطلع الى المؤتمر الكبير .

ففى هذا المؤتمر اتفق الرؤساء العرب وتوحدت كلمتهم وتأكد عزمهم وتصميمهم على قضية من أخطر قضايا الأمة العربية ، قضية تؤرق الضمير العربى وتهز كيانه منذ خمسة عشر عاما .. انها القضية الفلسطينية التى آن لها أن تحل لمصلحة عرب فلسطين ، وآن لأهل فلسطين أن يعودوا الى أرضهم .. وكان هذا الاجتماع التاريخى الكبير خطوة حاسمة فى طريق شعب فلسطين الى تحقيق وجوده وتأمين كيانه والمحافظة على مستقبل كل فرد فيه .

واستمع العالم كله الى كلمة العرب عالية مدوية ، وشاهد تكاتف الأمة العربية وايمانها بالأهداف العليا ، وخرجت كلمة العرب من قلب القاهرة لتعلن اجماع الملوك والرؤساء على انهاء الخلافات وتصفية الجو العربى ، وتوثيق العلاقات بين الدول العربية الشقيقة ضمانا للتعاون ودرءا للمطامع التوسعية العدوانية التى تهدد العرب جميعا .

وكانت القرارات السرية والقرارات العلنية التى اصدرها مؤتمر الملوك والرؤساء العرب خطوة واسعة فى طريق تحقيق أهداف الشعب العربى ..

وهذا هو نص البيان الذى ألقاه السيد عبد الخالق حسونة ، أمين عام الجامعة العربية فى نهاية المؤتمر :

الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس عبد السلام عارف يودعان الرئيس أحمد بن بيللا عند سفره لبلاده بعد حضوره مؤتمر القمة العربى

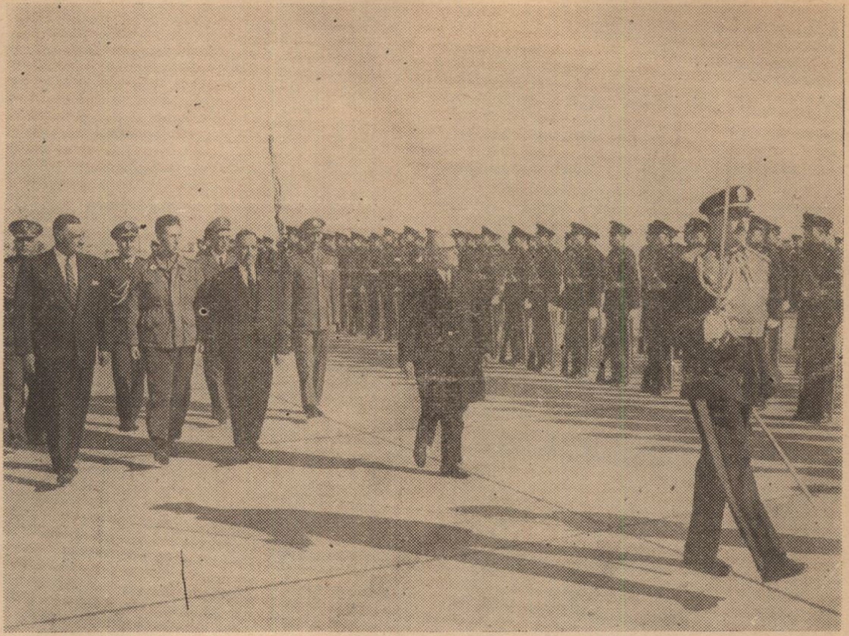

الرؤساء : جمال عبد الناصر وبن بيللا وعبد السلام عارف يودعون الرئيس الحبيب بورقيبة بمطار القاهرة

« ان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة في دورته الاولى المنعقدة بمقر الجامعة في القاهرة منذ الثالث عشر حتى السادس عشر من يناير (كانون الثانى) عام ١٩٦٤ بناء على اقتراح السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة . وقد تدارس التهديدات وأعمال العدوان المتصلة التى مارستها اسرائيل منذ اخراجها الشعب العربى الفلسطينى من وطنه وقيامها قوة احتلال استعمارية لأراضيه تمارس التمييز العنصرى ضد الاقلية العربية وتتخذ سياسة العدوان والامر الواقع قاعدة لها وتصر على التنكر لقرارات الأمم المتحدة المؤكدة لحق هذا الشعب الطبيعى فى العودة الى وطنه وتستهين بالادانات المتكررة التى سجلتها عليها أجهزة المنظمة العالمية ..

وبعد أن بحث ما اوشكت عليه اسرائيل من القيام بعدوان خطير جديد على المياه العربية بتحويل مجرى نهر الاردن والاضرار البالغة بحقوق العرب المنتفعين بهذه المياه استهدافا منها لتحقيق المطامع الصهيونية التوسعية بجلب المزيد من قوى العدوان واقامة مراكز تهديد أخرى لأمن البلاد العربية وتقدمها وسلام العالم . وقياما بواجب الدفاع المشروع وايمانا بحق الشعب العربى الفلسطينى المقدس فى تقرير مصيره والتحرر من الاستعمار الصهيونى لوطنه وبأن التضامن العربى هو السبيل الى درء المطامع الاستعمارية وتحقيق المصالح العربية العادلة المشتركة ورفع مستوى العيش للسواد الاعظم وتنفيذ برامج الانشاء والاعمار .

قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيونى الماثل سواء فى الميدان الدفاعى أو الميدان الفنى أو ميدان تنظيم الشعب الفلسطينى وتمكينه من القيام بدوره فى تحرير وطنه وتقرير مصيره .

كما أسفرت اجتماعاته عن اجماع الملوك والرؤساء العرب على أنهاء الخلافات وتصفية الجو العربى من جميع الشوائب ، وايقاف جميع حملات أجهزة الاعلام وتوثيق العلاقات بين الدول العربية الشقيقة ضمانا للتعاون الجماعى ودرءا للمطامع العدوانية التى تتهدد العرب جميعا على السواء .

ورأى أن عقد مزيد من هذه الاجتماعات على أعلى المستويات أمر تقتضيه المصلحة العربية العليا .

وقرر أن يجتمع الملوك والرؤساء مرة فى السنة على الأقل على أن يكون الاجتماع المقبل بالاسكندرية فى أغسطس (آب) ١٩٦٤ ، ويعلن الملوك والرؤساء العرب أن الأمة العربية تهيب بدول العالم وشعوبها التى تقدس حقوق الأفراد فى أوطانها والشعوب فى الانتفاع بمواردها وتقرير مصيرها ان تكون خير عون لها فى دفع العدوان الاسرائيلى الجديد ، وهم يؤكدون ان العرب فى موقفهم الدفاعى العادل سينظمون علاقاتهم السياسية والاقتصادية بالدول على أساس موقفها من كفاح العرب المشروع ضد المطامع الصهيونية

ويأملون ان الدول الافريقية التى آمنت بمبادىء باندونج وارتبطت بميثاق أديس أبابا وضحت بالكثير فى محاربة الاستعمار ، وكافحت التمييز العنصرى وتعرضت ولاتزال تتعرض للاخطار والمطامع الاستعمارية الصهيونية وخاصة فى افريقيا - هذه الدول جميعا ستقدم صادق التأييد والعون للعرب فى نضالهم العادل .

كما يأملون تأييد جميع الدول الحرة المؤمنة بالسلام القائم على العدل .

كذلك يؤمنون بعدالة الكفاح العربى ووجوب تأييده ضد الاستعمار فى الجنوب اليمنى المحتل وعمان وبعدالة الكفاح الوطنى فى أنجولا وجنوب افريقيا وكل مكان بالعالم قضايا الحرية والعدل وحدة لاتتجزأ .

ويؤكدون الايمان بحل المشاكل الدولية بالوسائل السلمية طبقا لميثاق الامم المتحدة وبالتعايش السلمى بين الدول .

وبوحى من هذا الايمان كان ترحيب الدول العربية باتفاقية موسكو للخطر الجزئى للتجارب النووية ومبادرتها الى التوقيع عليها وتأييدها السعى الحثيث للوصول الى نزع السلاح نزعا شاملا كاملا بالطرق التى تحفظ السلام الدولى .

كذلك استوحت الدول العربية من وفائها للسلام المبنى على الحق والعدل وتصميمها على المساهمة فى تقدم اقتصاد العالم والقضاء على التخلف الاقتصادى والاجتماعى أن قامت بدور رئيسى فى مؤتمر التنمية الاقتصادية الذى عقد بالقاهرة فى ربيع سنة ١٩٦٣ زيادة على أنها مقبلة بنفس الروح والعزم على مؤتمر التنمية والتجارة العالمى الذى سينعقد فى هذا العام .

ويرحب الملوك والرؤساء العرب بميثاق الوحدة الافريقية ويرون فيه أملا جديدا السلام والحرية والمساواة فى افريقيا والعالم ويؤكدون تصميمهم على تدعيم التعاون الآسيوى الافريقى الذى بدأ خاصة منذ مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ .

ويعبر الملوك والرؤساء العرب فى كل هذا عن وفائهم لواجبهم نحو أمتهم العربية ونحو كرامة الاسرة البشرية وخدمة السلام والرفاهية فى العالم . »

حديث مع

سفير مالى

موديبو دياللو

سفير مالى بالقاهرة

يتحدث عن

تاريخ الاسلام فى مالى

جمهورية مالى تقع فى غرب افريقيا تحدها من الغرب جمهورية السنغال وغينيا ، ومن الشرق جمهورية فولتا العليا والنيجر ، ومن الشمال موريتانيا والجزائر ، ومن الجنوب ساحل العاج .

تبلغ مساحة مالى حوالى مليون و٣٣٠ ألف كيلومتر . وعدد السكان حوالى ٤ر٧٠٠ر٠٠٠ نسمة .

والعاصمة (بامكو) ، ونسبة المسلمين ٩٠ ٪ .

عاش الاستعمار الفرنسى فى مالى ٦٥ عاما، وبدأ نضال أبناء افريقيا العربية بعد الحرب العالمية الثانية فتكونت الاحزاب والمنظمات السياسية والنقابية وكلها تهدف وتناضل فى سبيل الاستقلال وعلى رأسها (حزب التجمع الديموقراطى الافريقى) .

كانت مالى قبل الاستقلال تسمى (السودان الفرنسى) وكان هناك اتحاد فيدرالى يضمها مع السنغال وقد أعلن استقلال هذا الاتحاد فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٠ .

وبعد حوادث داكار الدامية والتى أدت الى انفصال السنغال من الاتحاد انعقد مؤتمر حزب الاتحاد السودانى فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٦٠ واتخذ قرارا باستقلال السودان الفرنسى واطلاق اسم جمهورية مالى عليه ..

ففى القرون الوسطى كانت توجد امبراطورية اسلامية فى غرب افريقيا تسمى امبراطورية مالى ، وكانت مدينة تومبوكتو عاصمة لها وكان بها جامعة اسلامية لتدريس اللغة العربية وعلوم الاسلام وقضى عليها الاستعمار الفرنسى .

ويحدثنا موديبو دياللو سفير مالى بالقاهرة عن تاريخ الاسلام فى مالى فيقول :

- بدأ ظهور الاسلام فى مالى حوالى سنة ١٠٥٤ عندما اعتنق الدين الاسلامى أحد أمراء مالى (برماندا كيتا) . ووصل الاسلام الى الجنوب عندما اعتنقه (تاسيتا) الحاكم العسكرى لمدينة (اجداووس) .. وكانت

مالى تتبع غانا فى ذلك الوقت وكان لاعتناق هاتين الشخصيتين المهمتين الاسلام صدى كبير تسبب فى نشر العقيدة الاسلامية ومهد غزو المجاهدين للبلد فى سنة ١٠٧٨ـ وهكذا أصبحت مالى بعد ١١ سنة امبراطورية كبيرة عاصمتها (نيامى) وتضم غانا وما حولها .. وتعتبر هذه الفترة فترة نهضة دينية ضخمة ..

وكان من التقاليد المالية أنه يجب على جميع الامراء أن يحفظوا القرآن وأصبح الاسلام الدين الرسمى للدولة ، وتوجه كثير من هؤلاء الامراء لزيارة الاماكن المقدسة الاسلامية وانشئت المساجد والكليات الدينية فى جميع انحاء الامبراطورية . فكانت مدينة (كومبى صالح) تضم ١٢ مسجدا يفد اليها الطلبة المسلمون وكذلك مدن (وجنه . تومبكتو . ماراكد . جوبا . نيامنا . سيجو . جار) .

وفى اثناء حكم الملك (كومبوموس) الذى أقام فى القاهرة حوالى سنة ١٣١٤ استحضر هذا الملك عددا من الخبراء للاستعانة بهم فى جامعات مالى وعهد الى (أبو السحيلى) انشاء جامعة تومبكتو ، وكان لتلك الجامعة ازدهار عظيم ساعد على تقوية الروابط بين امبراطورية مالى وبين البلاد الاسلامية فى المغرب والشرق الاوسط .

وأقيمت علاقات ديبلوماسية بين مالى و (اكبنى ماريند) بالمغرب وبين مالى والمماليك بمصر من جهة أخرى . وأثرت اللغة العربية على اللهجات فى مالى وتدخلت بنسبة ٢٥ ٪ فى اللغات التى كانت سائدة فى مالى ..

وفى أثناء الهجوم الاسبانى المغربى ضد تمبكتو رحل (جدوير باشا) مع ٧٠ من مشايخ تمبكتو وكان من بينهم الامام (احمد بابا باجابوجو) الذى كتب عددا كبيرا من المؤلفات منها (تذييل ديباج فى علماء المذهب) . وأصبح عميدا لجامعة (القراوين حافظ) بمدينة (فيز) بالمغرب أثناء اعتقاله .. « انظر حضر علم الاسلام للامير شكيب أرسلان » ..

وكتب تاريخ مالى باللغة العربية المؤلفون الماليون (كالساعدى) الذى كتب (تاريخ السودان) . و (محمد القوتى) الذى كتب (تاريخ الفتاش) و (محمد عبد الله) الذى كتب (تاريخ النسيان فى تاريخ ملوك السودان) وحسن محمد الكونتى ، الذى كتب (الطرائف والتلائد) ..

وكان لهؤلاء الكتاب علاقات صداقة مع العلماء العرب كعلاقة أسقيا محمد بالامام الأسيوطى بالقاهرة .. وغيره .

ومنذ سنة ١٨٢٠ أحس المسلمون بضرورة اتحادهم ضد الغزو الاوربى وعقد فى (هدلاى) عاصمة (ماسيما) مؤتمر ضم أصدقاء (بوارو وسمبورو) لدراسة موقف الاسلام ازاء تدخل المكتشفين الاوربيين فى المناطق الاسلامية ..

وتكرر هذا الحدث سنة ١٨٣٠ فى مدينة (ونسجداى) حيث قام الامام الحاج (عمر الفوتى) الذى كان قد وصل أخيرا من الحج بحركة اسلامية واسعة النطاق تهدف الى اعتناق الدين الاسلامى ومواجهة الغزو الأجنبى .

وهكذا احتل (نيورو) عاصمة (مملكة كارتا) فى سنة ١٨٥٤ وهاجم الحصن الفرنسى سنة ١٨٥٥ فى (مدين) وحاصره الفرنسيون بعد ذلك لمدة ستة أشهر .

وقاوم المسلمون مقاومة عنيفة على جميع حدود مالى . ففى الجنوب ظل (ساموری) يكافح لمدة ١٨ عاما .. وفى المنطقة الوسطى كافح (أمادوسيكو) وفى الشرق (سيدى بكاى كونتا) وفى الشمال (الحاج بونى) .

ولم يكن للفرنسيين السيطرة على المسلمين الا فى عام ١٩٢٠ ولكنهم لم يستطيعوا مع ذلك حفظ السلام فى البلاد .

ولم يحاول الغزو الفرنسى تبشير المسلمين فى مالى بل خشى مواجهة عقيدة الشعب الدينية ..

وهكذا انتشر الاسلام فى جميع انحاء البلاد وتغلغل فى المناطق البعيدة بفضل

التسهيلات الجديدة التى حققها انشاء الطرق والمواصلات المتعددة .

وللاسلام تأثير واضح على القوانين الاجتماعية فى جمهورية مالى المستقلة وقد استمدت من تعالميه مواد تلك القوانين .

الجمعيات الإسلامية :

وفى جمهورية مالى الآن عدة جمعيات اسلامية تعمل على نشر الثقافة الاسلامية والتعريف بتعاليم الدين الحنيف وتعليم القرآن . .فتوجد (جمعية المرشدين) التى اشتركنا فى تأسيسها وكنا أعضاء عاملين بها .. وقد انشأت هذه الجمعية مدارس دينية فى (سكاسو) و (كاى) و (سيجو) و (موبتى) و (باماكو) .

وجمعية الشبان المسلمين التى أنشأت مدرسة دينية كبيرة فى باماكو .

والاتحاد الثقافى الاسلامى ، والجمعية الدينية للخضرى التى ينتمى اليها الشيخ محمد عبد الله سهاد ، الشاعر المتصوف الذى اشتهر فى مالى .

وجمعية البنديانى ، فى سيجو .. وأبرز أعضائها : مدنى طل ، العلامة والاستاذالعربى الكبير ..

وتوجد أيضا مراكز ثقافية فى (باراوش) وبها معهد اسلامى مهم وفى تمبوكتو . وجنه ..

موقف الاسلام فى مالى
أمام التطور الحديث

وقد استطاع المسلمون فى مالى أن يهضموا الأفكار الحديثة دون أن يخالفوا تعاليم القرآن فتلك التعاليم ليست عقبة فى طريق التقدم ..

ويعطى السيد الرئيس (موديبوكيتا) **رئيس جمهورية مالى مثلا ظاهرا فى هذا الموضوع فهو مسلم تقى متمسك بدينه ويؤمن** فى الوقت نفسه بنظريات التطور الحديث . **وتوجد فى مالى مطبوعات دينية كثيرة .. وتعليم القرآن الكريم عام للجميع ويقرأ جميع المسلمين الماليين القرآن الكريم .**

„نؤمن برباط روحى وثيق
يشدنا إلى العالم الاسلامى“
الميثاق

الحرية أساس الديمقراطية

السيد / حسين الشافعى

نائب رئيس الجمهورية
وعضو مجلس الرياسة

- حينما تقوم العدالة الإجتماعية تنتفى عوامل الحقد والكراهية
- لم يكن التفضيل فى الإسلام على أساس الطبقة وانما على أساس الدرجة
- لا يمكن أن تقوم الديمقراطية السليمة إلا إذا تحرر الشعب

كيف استهدف الاسلام الحرية ؟ وكيف طبق الحرية ؟ انه حينما اعلن شعاره « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » انما كان يريد ان يقول لكل من أعلن هذا الشعار انني لا أعبد الا الله .. أى أنني سيد الموقف، أى انني خليفة الله فى الأرض .. أى انني لم أخلق لأكون عبدا لمال و أكون عبدا لجاه أو أكون عبدا لسلطان أو أكون عبدا لتقاليد بالية .. ولكنني برىء من كل ذلك متحرر تحررا كاملا لا أعبد فى هذا المجال غير شعار الحرية الخالد الذى يتمثل فى أنني أعبد الله .

وحينما قامت الثورة كانت تستهدف الحرية ، حينما قام الضباط الأحرار ينادون بالحرية ويتجمعون تحت شعار الأحراركانوا ينادون بأول مبدأ من المبادىء وهو **القضاء على الاستعمار** ، لأنه لاحرية لمن يستقر الاستعمار فى أرضه ، ثم كان المبدأ الثانى وهو **القضاء على الاقطاع** لأنه لاحرية مع بقاء الاقطاع ، ثم المبدأ الثالث وهو **القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم** ، لأنه لاحرية مع سيطرة رأس المال على الحكم .

كانت هذه هى العقبات الأولى التى يجبأن يتخلص منها الوطن حتى يستشعر أفراده الحرية الحقيقية ، لأن الحرية هى المصدر الأساسى للحركة ، والحرية هى المجال الطبيعى للانطلاق .

اننا منذ أن تحررنا من الاستعمار ، ومن الاقطاع ، ومن سيطرة رأس المال أقمنا الجيش القوى الذى يذود عن البلاد لا فى أرض مصر فقط ، بل فى نطاق العالم العربى . **وهاهى ثورة اليمن المباركة التى قامت لتحرر ارادة الشعب الذى غلب على أمره ، مئات السنين تحت ظلم الطغيان وظلم الجهل .. فكان لزاما على جيش الجمهورية العربية المتحدة وهو الجيش الوطنى القوى الذى كان قيامه مبدأ من مبادىء الثورة ليكون خادما للأمة العربية كلها ... انه يخوض اليوم أشرف معركة فى أشرف أرض .. وان يذود عن حمى العروبة فى كل مكان من أرض العرب .**

هذه هى الحرية التى كانت تستهدفها الثورة حينما قامت ، ولقد أقامت الجيش الوطنى القوى لأنه الدعامة التى تجعل من الحرية حقيقة والتى تجعل من الانطلاق والتحرر واقعا ملموسا وهذا هو المبدأ الرابع من مبادىء الثورة .

والمبدأ الذى يليه هو **اقامة عدالة اجتماعية** ثم **اقامة حياة ديمقراطية سليمة .**

لا يمكن أبدا أن تقوم الحياة الديمقراطية السليمة الا اذا تحرر الشعب وقضى على كل عناصر التسلط من استعمار واقطاعوسيطرة لرأس المال . وبهذا يتحرر الوطن . ثم تقوم القوة لتجعل العقيدة حقيقة ولتجعل الحرية **واقعا ملموسا . ثم تأتى بعد ذلك العدالة الاجتماعية بعد أن أزيلت العقبات .. حينما** تقوم العدالة الاجتماعيةتوجد الاخوةالحقيقية وتوجد المحبة الحقيقية ، وتنتفى كل عوامل الحقد والكراهية ، وبذلك تبدأ الديمقراطية السليمة ، من حيث يجب أن تبدأ ، فلا يمكن أبدا أن تقوم ديمقراطية سليمة وهناك استعمار رابض ، ولا يمكن أن تقوم ديمقراطيه سليمة وهناك اقطاع متحكم ، ولا يمكن أن تقوم ديمقراطية سليمة وهناك سيطرة لراس المال تستبد وتتحكم .

وبعد أن يتم القضاء على هذه العقبات جميعا تقوم العدالة الاجتماعية ، ويقوم جيش الوطن القوى ليرعى هذه الأمة ويحافظ على تراثها ، ويحافظ على مكاسبها وعلى كل مقوماتها ، ويذود عن الوطن . كل الوطن ، ويحمى ثورات الشعوب المتحررة ، هذه الشعوب التى تتطلع الى مستقبل أفضل .. وعندئذ يكون قد آن الأوان لان نتكلم عن الديمقراطية السليمة .

ان الحرية كما ينص الميثاق ، لها جناحان : الجناح الأول هو الاشتراكية والجناح الثانى هو الديمقراطية .. لايمكن أبدا أن نحلق فى آفاق الرخاء ولا يمكن أبدا أن تنطلق الحرية الى الآفاق التى ليست لها حدود الا اذا انطلق هذان الجناحان بدون توقف وبدون قيد .

فالاشتراكية لتجعل كل فرد فى هذه الأمة يستشعر أنه جزء من هذا الوطن.، شريك فى

هذا الوطن .. فى خير هذا الوطن .. وفى خير هذه الأمة .

والديمقراطية ، ليستشعر كل فرد – بعد ان أحس بكيانه وبوجوده وبذاتيته – انه فى امكانه أن يعبر عن ارادته ويعبر عن رأيه .. هذا التعبير هو الجناح الثانى لهذه الحرية فيجب أن تنطلق ويجب أن نفسح لها الطريق حتى يسعد كل مواطن فى هذه الأمة باحساس الحرية الكامل والعزة الكاملة والقوة الكاملة .

ولكى نجعل الديمقراطية السليمة واقعا حيا ملموسا كان لابد أن يكون هناك أناس يؤمنون بهذه المبادىء .. فقد توجد الأفكار الجميلة.. غير أنه مالم يكن هناك أناس يتبنون هذه الأفكار ويؤمنون بها فلا يمكن أن تبنى أمة .. ان الأفكار موجودة وكانت موجودة فى كل زمان وفى كل مكان ، ولكن لم يكن ذلك دليلا على قيام النهضة ولا على قيام الأمة ، انما يجب أن يكون هناك أناس يؤمنون بهذه المبادىء ، ويحملونها وينفعلون بها ،ويتحركون بها نحو الأهداف الكبرى، **واذا وجدت الأفكار ووجد الناس الذين يؤمنون بهذه الأفكار ، فلابد أن توجد بينهم علاقات تربط الفرد بأخيه وتربط الفرد بالجماعة ،** وبهذا يمكن عن طريق العلاقات .. طريق الترابط ... طريق الاخوة الحقيقية بين كل فرد وأخيه أن يتكون التنظيم السياسى الذى يمكن أن ينطلق بالأمة وينطلق بأفكارها وينطلق بامكانياتها ومقوماتها الى الأهداف المرجوة ... **ولذلك كان واجب الاتحاد الاشتراكى العربى واجبا كبيرا وضخما ..**

اننا حينما نبدأ هذه البداية بقيام الاتحاد الاشتراكى العربى انما نفكر فى هذا الاتحاد على أنه طليعة قوى الشعب العاملة ... من العمال والفلاحين والمثقفين والجنود ، والرأسمالية الوطنية .. **هذه الطليعة هى التى تندفع بالشعب الى أهدافه الكبار التى تحددت بالميثاق ..**

ان الميثاق فى العمل الثورى هو دليل عمل، وهو مجموعة مبادىء ، وهو مجموعة الأهداف التى نستهدفها فى العشر سنوات القادمة .. **هذا الميثاق يجب أن يكون دستورنا فى كل عمل من الأعمال .. نحتكم به على كل عمل .. ونحتكم اليه كدليل عمل فى المرحلة القادمة . هذه المرحلة التى تحددت بوضوح والتى تحددت** نتيجة للتجارب الثورية التى مررنا بها نتيجة للدروس التى استفدناها ونتيجة لما استفدناه فى مرحلة التجربة وفى مرحلة العمل منذ قيام الثورة . واننا نرى من الأعمال ونرى من المبادىء ، ونرى من الأهداف ما انبثق فى النهاية عنه هذا الميثاق الذى اصبح دليل العمل فى المرحلة القادمة . **وان الاتحاد الاشتراكى العربى يجب ان يكون كل فرد فيه أمينا على هذا الميثاق يجعله نصب عينيه فى كل مجال من المجالات .**

يجب أن نحتكم فى مجال التطبيق الى مايقوله الميثاق حتى يكون عملنا فى هذا انما يعبر عما انفعلنا به ، وعما عقدنا العزم على أن يكون لنا دليلا وهاديا فى هذه المرحلة من العمل الثورى ولذلك كان قيام الاتحاد الاشتراكى العربى كطليعة للتحالف الجديد ، تحالف قوى الشعب العاملة التى أسقطت الى غير رجعة، تحالف الرجعية والاقطاع ورأس المال المستغل .

ان تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل ، الذى كنا نعيش فى كنفه قبل قيام الثورة قد خلق حكم الطبقة التى كانت تتحكم فى عباد الله .. **فمن لم يكن لديه قرش لم يكن ليساوى قرشا** .. هذه الصورة التى كنا نعيشها فى الماضى يجب أن تتغير بالتحالف الجديد .. **تحالف الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية .**

اننا نذكر برلمانات الماضى حينما لم تكن تفكر فى يوم من الأيام فى صالح جماهير الشعب العامل ، حينما لم يكن من المتيسر ولا من الممكن أن يقوم فى يوم من الأيام من ينادى بأن يقوم قانون للاصلاح الزراعى ، أو يقوم قانون بفرض الضرائب من أجل صالح جموع الشعب أو الطبقة العاملة .

لقد جاء الوقت وآن الأوان لأن يسقط هذا التحالف سقوطا لارجعة فيه ، وأن يقوم مكانه التحالف الطبيعى .. تحالف قوى الشعب

العاملة من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية . هذا التحالف هو التحالف الطبيعى . هذه هى الفئة التى ظلت فى الماضى ولم يكن من المتيسر أن يسمع لها صوت،وأن يكون لها مالها من قوة ومالها من فاعلية .. لم يكن أبدا فى مجالس الامة التى كانت تشرع ، عامل او فلاح او شخص لايملك.

هذه الصورة سقطت وسقطت الى الأبد ، وسيقوم مكانها حارس جديد يمثل القوى الحقيقية . وبذلك تتوفر الضمانات لتثبيت هذه الديمقراطية .

الضمان الأول هو ضمان ٥٠ فى المائة للعمال والفلاحين ، وهذا الضمان انما يعبر عن قيام التحالف الجديد الذى يقضى على حكم الطبقة ، واننى اقول ونحن هنا فى مجال العلم وفى مجال الفهم الحقيقى للأسس الاسلامية ، ان الاسلام لم يكن فيه حكم طبقة على الاطلاق **.. ان التفضيل فى الاسلام لم يكن الا على أساس الدرجة .. الدرجة فى العلم ، أو الدرجة فى الجهاد .. هذا هو الأساس فى الاسلام .. لم يكن هناك حكم للطبقة أبدا ..** ان الدرجة لم تكن الا للجهاد ولم تكن الا للعلم **« فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة »**

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

ان ميثاق العمل الوطنى وهو ينطلق الى أهدافه يقضى على حكم الطبقة ويعمل على اذابة الفوارق بين الطبقات **« كلكم لآدم وآدم من تراب »** يجب أن نستشعر هذه المعانى ، ويجب أن نعمل لها ونعمل بها .. **هذه هى روح الاسلام .. وهذا ماينص عليه الميثاق انه يسعى الى ازالة الفوارق بين الطبقات .. انه يسقط تحالف الرجعية .. يسقط تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل ، ويقيم مقامه التحالف الطبيعى لقوى الشعب العاملة .. العمال .. الفلاحين .. الجنود والمثقفين .. الرأسمالية الوطنية .**

هذا التحالف يجب أن يثبت وجوده فى ضمانات الديمقراطية الجديدة ، ٥٠ فى المائة للعمال والفلاحين على الأقل .. واذا توفرت هذه النسبة فى كل المجالس الشعبية وفى كل منظمات الاتحاد الاشتراكى من قاعدته الى قمته ، يكون الضمان ضمانا حقيقيا .. ضمانا فعالا لتثبيت الديمقراطية السليمة .

أما الضمان الثانى فهو جماعية القيادة حتى لاينفرد فرد بالسلطة .. وحتى يكون هناك تجدد مستمر وفعال وسبحان من له الدوام .. اننا بذلك نؤكد أن القيادة الجماعية هى استمرار دائم متجدد ليكون هناك مجال لتجديد القيادة وتجديد الدم والاستمرار الدائم المتجدد الذى يشعر كل فرد فيه أنه جزء من هذه القيادة الجماعية ، وهذه القيادة الجماعية هى التى يمكن أن تؤكد مبدأ الشورى والتى يمكن أن تؤكد مبدأ الديمقراطية السليم وهى التى تؤكد دائما أن الأمر شورى ، وأن الأمر يتجدد بين الناس .. هذه هى الصورة وهذا هو الضمان الثانى للديمقراطية .

أما الضمان الثالث للديمقراطية ، فهو أن تخضع الأقلية لرأى الأغلبية .

فاذا ما آمنا بهذه الضمانات كان هذا الايمان هو الأساس السليم لتنظيم الاتحاد الاشتراكى الجديد .

وبهذا فقط يمكن للاتحاد الاشتراكى أن يكون معبرا عن واقع الميثاق وعن حقيقة العمل الثورى الذى نندفع اليه بكل طاقاتنا نحو تحقيق الأهداف الكبار . التى أوضحها ميثاق العمل الوطنى لكى نكون جميعا على الموجة المناسبة للعمل الثورى الجبار الذى يحملنا مسئولية العالم العربى كله فى عمل متواصل جاد لاهازل على طول الطريق .

الإمام مسلم

(إمام لا يلحقه من بعد عصره ، وقل من يساويه ، بل يدانيه ، من أهل دهره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم)
(الأمام النووى)

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى .

اسمه : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى .

كنيته : أبو الحسن .

نسبته : قبيلته التى ينسب اليها هى قبيلة عربية تسمى قبيلة « قشير » باسم جدها الأول « قشير بن كعب بن ربيعة »

بلده : أما بلده التى ولد ومات فيها ، فهى « نيسابور » من بلاد خراسان

مولده : ولد سنة ٢٠٦ هـ (فهو من رجال القرن الثالث)

وفاته : توفى سنة ٢٦١ هـ (فعمره ٥٥ سنة) .

تاريخ حياته

*** كان يهوى علم الحديث منذ صغره ، حتى قالوا انه ابتدأ سماعه فى سنة ٢١٨ هـ قبل أن يبلغ الثانية عشرة من عمره .**

*** وكان يرحل فى سبيل العلم والرواية كثيرا ، وكانت أهم مراكز العلم ورواية الحديث فى العالم الاسلامى أربعة :**

الحجاز ــ والعراق ــ والشام ــ ومصر

فرحل الى هذه الأقطار جميعا ، وعاش فى كل منها فترة يأخذ العلم عن علمائها ، ويروى عمن يوثق به من رواتها .

ومن المعروف أن أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد تفرقوا فى هذه الأقطار ، وان كلا منهم كان له علم يبثه فيها ، وان علماء كل قطر سمعوا ممن نزل فيهم من الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ وورثوا روايتهم وعلمهم ، واستمر فيهم ما رووا يتناقلونه سماعا وكتابة .

وبذلك استفاد الامام مسلم من رحلاته الى هذه الأقطار ، فوائد عظمى ، واستوعب الآثار التى يحتفظ بها أهلها ، وفحصها فحصا علميا دقيقا على أساس منهج وضعه فى النقد والفحص والزم به نفسه ، فأدى بذلك خدمة كبرى لعلم الحديث ، ما زال فضله فيها معروفا مشكورا بين المسلمين وكل من اهتم بدراسة علوم السنة

ولما كانت بغداد هى عاصمة الخلافة ، وموطن العلماء ، قدم اليها الامام مسلم عدة مرات ، باحثا عن العلم ، ومنقبا ، ومحققا ، ومستمعا الى كبار رواتها وعلمائها .

وكانت آخر مرة قدم فيها الى بغداد فى سنة ٢٥٩ هـ أى قبل وفاته بسنتين .

أما اقامته الدائمة ، فكانت فى بلدة « نيسابور » التى كانت موطنا وموئلا لكثير من العلماء والرواة ، والتى كان له بها تلاميذ وشيوخ يحبهم ويحبونه ، ويجلهم ويجلونه ، فكان اليها مآله بعد كل رحلة من رحلاته .

* وقد التقى الامام مسلم فى رحلاته ، وفى بلده ، بعشرات من الرجال المبرزين ، واطلع على كثير من المؤلفات فى علم الحديث ، وتوفر على التأمل فى كل ما يسمع أو يقرأ ، فلم يكن لديه ما يشغله عن ذلك ، أو يصرفه عن اصغائه أكرم جهوده ، وأعظم عنايته .

* وقد أثمرت هذه الدراسات الدائبة عددا كبيرا من الكتب ألفها هذا الامام ، أشهرها كتابه « الجامع الصحيح » الذى هو احد الكتابين المعتمدين فى الحديث الصحيح من الأمة الاسلامية منذ ألفا فى النصف الأول من القرن الثالث ، وأولهما هو « الجامع الصحيح » للامام محمد بن أسماعيل البخارى ومنها :

ــ كتاب الأسماء والكنى (وهو تحقيق وضبط لأسماء رواة الحديث)

ــ وكتاب العلل (وهو بيان لما يكون سببا فى اعلان الحديث)

ــ وكتاب الأقران (وفيه يذكر النظراء من الرواة والمحدثين)

ــ وكتاب من ليس له الا راو واحد .

وغير ذلك من الكتب التى تدل على أنه لم يكن مجرد جامع لما يروى من الحديث ، ولكن كان ذا بصيرة فى تمييزه ونقده .

القرن الثالث الهجرى
هو عصر الموسوعات الحديثة المحررة

*** عاش الامام مسلم ــ رضى الله عنه ــ حياته فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، لم يتجاوز هذا النصف الا ببضع سنوات .**

وهذا القرن كان مباركا جدا بالنسبة لعلم الحديث ، ففيه جمعت الموسوعات المعتمدة التى تمتاز بالدقة والفحص ، لا بمجرد الجمع كما كان الأمر قبل ذلك .

والواقع أن الأمر كان يقتضى اولا جمع السنة ، والمحافظة على ما يعثر عليه منها مسندا وغير مسند ، خوفا من ضياع شىء منها . فاذا كان لعلماء القرن الثانى فضل الجمع والحفظ ، فقد كان لعلماء القرن الثالث فضل النقد والتمحيص والتمييز بين الصحيح والسقيم ، وما به ضعف أو علة .

ولقد ربط الله على قلوب فريق من علماء هذا القرن فسهروا الليالى ، وتجافت جنوبهم عن المضاجع ، وارتحلوا الى مختلف الأمصار ، وبذلوا كرائم الجهود فى سبيل تحقيق مهمتهم الصعبة ، والوصول الى استخلاص الأحاديث الصحيحة الصالحة للاحتجاج بها .

وكان هناك رجلان متميزان نذرا نفسيهما لهذه الغاية النبيلة ، ووقفا جهودهما عليها ، احتسابا لله تعالى ، والتماسا لمرضاته ، أحدهما : **الامام محمد بن اسماعيل البخارى**، والآخر : **الامام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى** .

انهما يمثلان الطراز الأول من العلماء المحققين المثابرين المحتسبين الذين لا يرجون الا رضاء ربهم ، ولا يبتغون بعلمهم حظا من حظوظ الدنيا ، ولا شيئا مما فى ايدى الناس بل كان كل منهما يرتفع بعلمه وما آتاه الله من قوة وفضل وموهبة فى الرواية والدراية عن أى مطلب ، ويرفضان اى عرض يتنافى مع اعزازهما لعلم الحديث ، وما ينبغى له من كرامة وسمو .

ولو أن باحثا اتصل بهذا القرن الثالث ، وراجع تاريخ علمائه ، لراعه هذا النشاط العلمى الكبير الذى يمتاز به هذا القرن ، ولرأى مظاهر التنافس والتسابق الشريفين على خدمة هذا الجانب الهام من جوانب العلم الاسلامى ،وهو جانب تمحيص السنة وتمييزها ونقدها ، ثم لرأى مظاهر هذا النشاط فى الرحلات التى كان يقوم بها العلماء الى الأمصار والعواصم الكبرى للأمة الاسلامية ، بحثا وراء الحقيقة فى هذا الشأن ، ولرأى أيضا حلقات العلم والرواية تعقد فى المساجد والأندية والمجالس الخاصة والعامة ، ويحرص عليها العلماء المتعلمون فى نهم عجيب .

ومن ذلك ما يروى من تاريخ الامام مسلم من أنه كان يرحل فى طلب الحديث ، على ما يكلفه ذلك من مشاق ونفقات ، وكلما سمع بامام من أئمته سافر اليه قاطعا المسافات الشاسعة ليسمع منه ويروى عنه :

❊ فسمع بخراسان من يحيى بن يحيى ، واسحق بن راهويه ، وغيرهم ، واسحق بن راهويه هو شيخ الامام البخارى وكان يلقب بأمير المؤمنين فى الحديث .

❊ وسمع بالرى من محمد بن مهران ، وأبى عنان

❊ وسمع بالعراق من أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن مسلمة

❊ وسمع بالحجاز من سعيد بن منصور وأبى مصعب

❊ وسمع بمصر من عمرو بن سواد وحرملة ابن يحيى .

ولم يكن هؤلاء هم الذين سمع منهم فقط ، ولكن كان هناك كثيرون التقى بهم فى رحلاته، وروى عنهم ورووا عنه .

كما انه التقى فى بلده « **نيسابور** » بكثير من أعلام المحدثين ، وفى مقدمتهم الامام البخارى .

وروى عنه كثير من العلماء ــ وبعضهم من اقرانه ــ ومنهم **أبو حاتم الرازى ، وأبو بكر بن خزيمة ، ويحيى بن صاعد ، وأبو عيسى الترمذى** .

وله تلاميذ كثيرون عاونوه ورووا عنه ، وفى مقدمتهم ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد ، وهو من أبرز من روى عنه كتابه « الجامع الصحيح » .

❊ وكان من عادة الامام مسلم حين يلتقى بالعلماء أن يسألهم عن بعض علوم الحديث ودقائقه ويناقشهم فى ادب ولباقة ليستكشف ما عندهم ، ويمتحن صدقهم ودقتهم وضبطهم ومعرفتهم بعلل الحديث حتى انه لما التقى بالبخارى نفسه ــ وهو امام هذا العلم وقدوته فى الدقة والتحرى سأله عن بعض الأحاديث سؤال مستكشف لعلمه . مختبر لما عنده من ميزان فى الفحص والتمييز .

وفى ذلك يروى الخطيب البغدادى بسنده عن أبى حامد بن حمدان القصار قال : « سمعت

مسلم بن الحجاج ـ وجاء الى محمد بن اسماعيل البخارى ، أى حين قدم الى نيسابور ـ فقبل بين عينيه وقال : دعنى حتى أقبل رجليك ياأستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث فى علله ، حدثك محمد بن سلام ، حدثنا مخلد بن يزيد الحرانى ، حدثنا ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن سهيل عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كفارة المجلس ، فما علته ؟ فقال البخارى : هذا حديث مليح ، ولا أعلم فى الدنيا فى هذا الباب غير هذا الحديث ، الا انه معلول حدثنا به موسى بن اسماعيل ، حدثنا وهب عن سهيل ، عن عون بن عبد الله ، قوله قال البخارى ، وهذا أولى ، فانه لا يعرف لموسى ابن عقبة سماع من سهيل »

والشاهد فى هذا أن مسلما ـ رضى الله عنه ـ تنبه الى حديث حدث به البخارى محمد ابن سلام ، وان فى سلسلة هذا الحديث ان موسى بن عقبة رواه عن سهيل ، مع ان موسى ابن عقبة لا يعرف له سماع من سهيل ، فكيف ذلك ؟

فاعترف البخارى بذلك ، وقرر أن هذا الحديث معلول بتلك العلة التى تقدح فى الرواية ، ولكنه روى من طريق آخر برواية وهب عن سهيل ، وهى أولى ، فان وهبا سمع من سهيل .

وهذه مناقشة تدل على قوة الشيخين الجليلين ودقتهما وبصرهما بتاريخ الرجال ، وعلل الحديث ، كما تدل على أن مسلما ـ رضى الله عنه ـ كان لبقا فى سؤاله ، حيث قدم له بما يعتقده من امامة البخارى فى علم الحديث ، وأنه سيد المحدثين ، ثم سأله عما أراد ، فعلم أنه جدير بتلك الثقة .

* ولم تكن الرحلات فقط هى التى يتوسل بها الامام مسلم الى غايته السامية ، ولكنه كان يسهر الليالى ، مجتمعا أحيانا بتلاميذه ، وأحيانا بالشيوخ الكبار من أقرانه ، فيستعين بهؤلاء وهؤلاء فى سماحة علمية ، وصدق فى التماس الحقيقة ، دون تكبر على صغير ، او تحفظ من كبير أو زميل .

وقد مكث هو وبعض تلاميذه يكتبون ويحررون كتابه الجامع الصحيح متعاونين عليه ، حتى تم تأليفه فى خمس عشرة سنة وفى ذلك يقول تلميذه أحمد بن سلمة « كتبت مع مسلم فى تأليف صحيحه خمس عشرة سنة ، وهو اثنا عشر ألف حديث » .

ولما فرغ من تأليفه عرضه على أئمة هذا العلم وجهابذته وفى مقدمتهم الامام أبو زرعة الرازى ، وفى ذلك يروى الخطيب باسناده عن مكى بن عبدان أحد حفاظ نيسابور ، قال : سمعت مسلما يقول « عرضت كتابى هذا على ابى زرعة الرازى» فكل ما اشار الى أن له علة تركته ، وكل ما قال انه صحيح وليس له علة خرجته ـ أى أثبته مخرجا فى كتابى » .

* ولما قدم الامام البخارى الى نيسابور سنة ٢٥٠ تلقاه علماء هذا البلد أحسن لقاء ، وكان ممن استقبلوه الامام مسلم ، ومحمد بن يحيى الذهلى ، وغيرهما ، وفى ذلك يقول مسلم « لما قدم محمد بن اسماعيل البخارى نيسابور ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به ، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث » .

وكان محمد بن يحيى الذهلى يوصى الناس بالاستماع الى البخارى ويقول : « اذهبوا الى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه » .

غير أنه حدث بين البخارى والذهلى بعد ذلك جفوة بسبب رأى نسب الى البخارى ظلما ، فاشتد الذهلى فى مقاطعة البخارى وصار ينهى الناس عنه بعد أن كان يحثهم على الانتفاع به ، فانقطع الناس عنه الا مسلم وأحمد بن سلمة ، فكان مسلم يكثر من التردد عليه ، ولا يأبه بما يتهم به زورا وكذبا ، ولا بنهى الذهلى عنه ، وذات يوم كان الذهلى يجلس الى اهل العلم ، فقال : ألا من قال بمثل ما قاله البخارى فلا يحل له أن يحضر مجلسنا ، فعلم مسلم أنه يشير اليه لتردده على البخارى ، فأخذ رداءه ، وقام على ملأ من الناس تاركا مجلس الذهلى ، ثم بعث اليه بجميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمال .

ويتبين من هذا الحادث مقدار وفاء مسلم للبخارى ، وانه كان ذا شخصية مستقلة فلم يتأثر برأى محمد بن يحيى الذهلى ، ولم ير أن يأخذ صاحبه بنبأ لم تثبت لديه صحته .

ولكنه مع ذلك وفى للحديث نفسه ، فسما به فوق التنازع ، فلم يرو فى صحيحه شيئا عن محمد بن يحيى الذهلى ، ولا عن الامام البخارى ، وذلك حتى يبقى كتابه الصحيح بمنأى عن كل ما يتوهم أنه شائبة .

اما ما نراه احيانا من اتفاق البخارى ومسلم على رواية بعض الأحاديث ، فان لكل منهما طريقه وسلسلة رواته ، طريق للبخارى ، وطريق لمسلم ، وهذا هو ما اصطلحوا على تسميته « بالمتفق عليه » .

* والبخارى ومسلم هما فارسا الحديث ، أحدهما السابق الأول ، والثانى هو الذى يليه ، لكن الناس يختلفون فى تقديم أحدهما على الآخر ، وأكثر العلماء على تفضيل البخارى وكتابه ، ومن الناس من يقدم مسلما ويراه أول الرجلين علما وفضلا ، وذلك هو رأى المشارقة .

فكان ابو زرعة ، وابو حاتم ، يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفته الصحيح على كل من عداه .

وكان أبو على الحسين بن على النيسابورى يقول : ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم بن الحجاج فى علم الحديث .

وكان مسلم نفسه يدرك قيمة كتابه ، ويتحدث بنعمة الله عليه فيه فيقول : صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة ، ولو أن أهل الأرض يكتبون الحديث مائتى سنة ما كان مدارهم الا على هذا المسند » .

ويقول الامام النووى شارح هذا الكتاب :

« من حقق نظره فى صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ واطلع على ما أودعه فى اسناده وترتيبه وحسن سياقه وبديع طريقه ، من نفائس التحقيق ، وجواهر التدقيق ـ وأنواع الورع والاحتياط والتحرى فى الروايات ، وتلخيص [illegible] وكثرة اطلاعه واتساع روايته وغير ذلك مما فيه من المحاسن والأعجوبات واللطائف الظاهرات والخفيات ، علم أنه امام لا يلحقه من بعد عصره ، وقل من يساويه ، بل يدانيه ، من أهل دهره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

ومما امتاز به مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ « اعتناؤه بضبط اختلاف لفظ الرواة ، كقوله حدثنا فلان وفلان ، واللفظ لفلان قال أو قالا حدثنا فلان ، وكما اذا كان بينهما اختلاف فى حرف من متن الحديث أو صفة الراوى أو نسبه أو نحو ذلك فانه يبينه » .

« ومن تحريه اعتناؤه بالتمييز بين حدثنا وأخبرنا .. وان حدثنا لا يجوز اطلاقه الا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة ، اما أخبرنا ، فلما قرىء على الشيخ » .

« ومن ذلك انه يفرق بين « حدثنى » و « حدثنا » فالأول يقوله فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ والثانى يقوله فيما سمعه مع غيره من لفظ الشيخ .

وكذلك يفرق بين « اخبرنى » و « اخبرنا » فالاول لما قراه وحده على الشيخ ، والثانى لما قرىء بحضرته فى جماعة على الشيخ » الى غير ذلك مما يدل على الدقة وكمال التحرى .

* ونحن نثبت هنا أول حديث رواه مسلم فى كتابه الجامع الصحيح ، فان طريقة روايته تدل على عناية هذا الامام الجليل بكل ما من شأنه أن يفيد قارئه والمنتفع به :

كتاب الايمان : قال أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى رحمه الله : بعون الله جل جلاله « حدثنى أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس ، عن عبد الله بن بريدة ، عن يحيى بن يعمر ، ح ـ وحدثنا عبد الله بن معاذ العنبرى ـ وهذا حديثه ـ حدثنا أبى ، حدثنا كهمس عن ابن بريدة ، عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فانطلقت

انا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين، فقلنا : لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد ، فاكتنفته انا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام الى ، فقلت : أبا عبد الرحمن : انه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ، ويتقفرون العلم – أى يطلبونه ويتتبعونه ويجمعونه – وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الامر انف – اى لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى – قال فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم ، وأنهم براء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثنى أبى ، عمر بن الخطاب ، قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد . أخبرنى عن الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال : صدقت ، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه ! قال فاخبرنى عن الايمان . قال : ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت ، قال : فأخبرنى عن الاحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . قال فاخبرنى عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ! قال فاخبرنى عن أمارتها ، قال : ان تلد الامة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت مليا ، ثم قال يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

هذا هو الحديث الاول من صحيح مسلم ، ويبدو فيه حرصه على أن يثبت كل مقدمات الحديث . من ظهور المتكلمين فى القدر بالبصرة ومن أولهم معبد الجهنى . ومن ذهاب يحيى ابن يعمر ، وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين ، ومن تشاورهما فى سؤال أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن، ومن التقائهما على سبيل المصادفة بعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهو داخل الى المسجد، وسؤاله عما يقوله أصحاب القدر ، وما أجابهما ، ثم ما رواه لهما عن أبيه عمر بن الخطاب .

كل ذلك دليل على التحقيق والحرص على ذكر الظروف المحيطة بالرواية ، ولا شك أن فيه من الفوائد ما ينتفع به من جهات متعددة .

وقد أعقب الامام مسلم هذه الرواية بعدة روايات أخرى يزيد بعضها عن بعض شيئا أو ينقص شيئا ، وبعضها عن صحابى غير عمر بن الخطاب ، وهو أبو هريرة ، وذلك لكى تكمل عناصر الموازنة بين الروايات لمن ارادها .

رحم الله الامام مسلما ، وجزاه عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن المسلمين خير الجزاء .

حديث القرآن عن الأزواج والزوجات

> "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا"
> آية ٣٥ - سورة البقرة

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

١ - كما يطلق الزوج فى الاعداد على مجموع الأثنين : يطلق على الواحد منهما ، باعتباره مكملا لصاحبه زوجا ، فلم يعدفردا واحدا .

وقد انبثقت الجماعة الانسانية من زوج وزوجة كما نعلم ، ثم امتد هذا الأصل حتى كان محلقا فى الدنيا بالقبائل ، والشعوب وبالوان الحياة وهذا مايجمعه القرآن فى قوله تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر ، وأنثى وجعلناكم شعوبا ، وقبائل »

فان تكن هذه الشعوب والقبائل فروعا ممدودة هنا وهناك ، فالاصل فيها زوجية بين ذكر وأنثى .

والقرآن الكريم يتجه نحو هذه الزوجية بشىء ، غير قليل من عنايته ، ويتحدث عنها فى تصرفات متنوعة ، حتى ذكر لفظ الزوجية فى الجانب الأنسانى أكثر منخمسين مرة .. وسلك بنا فى شأنها مسالك عدة : لنقف على وجهة الأسلام فى شان الزوجية من كل ناحية ، ونكون على تمام المعرفة بهذه القاعدة العمرانية التى اقيم عليها البناء الضخم فى تكوين المجتمع البشرى عامة .

ويسير بنا حديث القرآن فى اتجاهات أصيلة ، لايقل أحدها عن الآخر .

٢ - فهو يذكرها - أولا - فى سياق الامتنان بما فيها من بهجة واطمئنان ، منذ انعقدت الزوجية فى صدر التاريخ بين آدم وحواء .. ومنذ اعتبر هذا الارتباط عيدا شخصيا للزوجين .. حتى جعل الله الوئام بينهما - فى ظلال الجنة : بين طيبات من الرزق ، وألوان من المتاع ، والغبطة « وقلنا ياآدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما »

.. وفى هذا التعبير اثارة للمسرة فى نفس آدم بأول متعة جنسية يصادفها .. وفيه اشعار له ولزوجه بأن الهناءة لاتكون فى وحشة الانفراد ، وانما تكون توافقا بين الزوجين : فى استقبال الحياة المشتركة ، وتبادل البهجة ، والامتزاج فى أنس الاجتماع

والمجانسة فى الميول ، حتى ولو فى رحاب الجنة .

وذلك مايصرح به القرآن فى قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ، لتسكنوا اليها ـ هو الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، ليسكن اليها »
فالسكون : هو الهدوء من الحركة ..
والسكن الزوجى هو الاطمئنان الى الزوجة وهدوء الخاطر بجانبها من شواغل الحياة فى مجال الأعمال ، والكفاح .

وذلك سكون يلتمسه الزوج فى مأواه الخاص به وبزوجته .

وفى ظلال هذا السكون يتوثق الرباط الزوجى ، وتأتلف العواطف ، وتنشأ المودة ، والتراحم بين الحليلين « وجعل بينكم مودة ورحمة »

٣ ـ ثم يذكر ـ ثانيا ـ زوجية الانسان فى معرض الامتنان بأننا نتاج لزوجية معقودة بين اثنين ، وأن نسبنا فى الأنسانية غير مدخول بما يشينه من سفاح ، وليس نتيجة لمجرد نزوات جنسية خاطفة ، كما يحصل بين الحيوان ، والطير والحشرات الدنيئة .. يأيها الناس ، اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .

فالاب واحد ، والزوجة مشتقة منه فى اول وجودها ، ثم هى ثانية اثنين معه وفى هذا تزكية ثانية للانسان بتأكيد نسبه من طريقها المشروع .

ولعل هذا تلميح فى قوة التصريح بأن العلاقة بين الجنسين ينبغى أن تكون على النمط المشروع من بدء الخليقة .

أما العلاقة الناجمة عن دوافع الغريزة وحدها : دون ضبطها بما يعتبر توثيقا ففيها انحراف عن الأصل .. وهى اندماج فى الهمجية البهيمية .. وبعثرة للانساب التى يراد الحفاظ عليها ، لتكون بذورا صالحة لتنشئة مجتمع قوى البناء « والله جعل لكم من انفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين ، وحفدة »

فالزوجية الصحيحة هى التربة الخصبة لأنبات البنين والحفدة ، وهؤلاء هم السلسلة الانسابية فى نظمها الصحيح .

وهم الذين يتشعبون الى فروع شامخة فى الآدمية الكريمة : لايغض منها وضاعة النسب الملفق على غير تنسيق مشروع « وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا ،وصهرا » واذا كان هذا كله تعزيزا للانسان .. وتكريما له على سواه فى العالم الأرضى ، فكيف لايكرم الناس أنفسهم فى تكوين أسرهم ،ومجتمعهم وكيف يبنون الأنساب على شبه من الباطل : بعد أن عاهد الله خلقه بتشريعه للزوجية أن يبنوها على حق صراح »

٤ ـ ان الزوجية فى نظر الدين ، وفى نظر الواقع من حياتنا كمال ضرورى للانسان :رجلا أو امراة .. فان الانفراد شقوة كما نشهد ، او هو على الأقل نقصان فى المتاع حتى ولو كان فى الجنة .

وأن الزوجية حصانة من مطاوعة الغريزة فى جموحها .. وفيها درء للشبهة وفيها وقاية للسمعة من قالة السوء .

واذا كان جسم الأنسان بحاجة قصوى الى لباس يقيه البرد ، والحر ، وعاديات الهوام ويضفى عليه جمال المنظر ، حتى لايكون شبيها بالحيوان فى ابتذاله ، وتكشف سوءاته . فان القرآن يعتبر الزيجة وقاية للانسان من وساوس الشيطان فى حياة العزلة ، ويحفظ عليه ثقة الناس من ناحية العفة ، والصيانة ، والاعتصام بالكرامة .

وهذا ما عناه القرآن فيما نفهم من قوله تعالى عن الزوجات : « هن لباس لكم » ومن قوله تعالى عن الأزواج : « وانتم لباس لهن »

فكل من الزوجين وقاية للآخر من نقائص كثيرة ، كما يقيه اللباس من أضرار حسية وكل من الزوجين حلية وجمال للآخر ، كما يكون اللباس حلية ، وجمالا للانسان

ومما يشير الى ذلك قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تزوج منكم فقد حفظ

نصف دينه . فليتق الله فى النصف الآخر. يريد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان نصف الدين فى صيانة العرض بالعفة الجنسية .

وهذا جانب انسانى يستوى فيه الأنبياء وغير الأنبياء : على ماهو مفروض من عصمة الأنبياء عن الزلل : ولكن الطبيعة البشرية لا تقى انسانا عن قضاء الوطر : الا لسبب مانع

واذا كان فى الزيجة كمال شخصى ، فمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أولى بأوفر نصيب من الكمال .. وهو لم يكن بدعا من الرسل فى هذا ، ولا فى غيره .

وكانت شرائع الانبياء قبله تجيز الجمع بين عشرات من الزوجات ، ومحمد لم يبلغ فى هذا مبلغ أحدهم ـ كداود ، وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام .

« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ،وجعلنا لهم أزواجا وذرية » .

هذا ـ ولم تكن العزوبة كمالا فى رسول غير يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم ـ عليها السلام ـ وطبعا ذلك لحكمة تلائم ظروفهما عند الله .

وفرق مابين الأثنين أن يحيى من أبوين ..

وأما عيسى فمن غير طريق الزوجية البشرية المعهودة

وكان الله ـ سبحانه ـ أراد أن يربا بعبده ورسوله عيسى عن تقاليد اليهود : فى تكالبهم المسرف على المفاسد الجنسية وارخاصهم للاعراض فى اسفاف ، فجعل تكوين عيسى ، وحياته على غير النمط الشائع فى الناس تكريما لعبده عيسى ، كما شاءت حكمته تعالى

٥ ـ ومع ما وضح من مباهج الزوجية فى الحياة الدنيا فانك تجد الكتاب العزيز يشيد بها فى اليوم الآخر

فان الله سبحانه ـ يسوق الى عباده المؤمنين ، بشراهم بتحقيق ما وعدهم فى قوله يوم القيامة « ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون وليس هذا فحسب .

بل يعد الله عباده المتقين بزوجات من نساء الجنة ـ الحور العين ـ

« للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .. خالدين فيها ..وأزواج مطهرة .. ورضوان من الله .. وزوجناهم بحور عين . وعندهم قاصرات الطرف، اتراب .. وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون .. كأنهن الياقوت ، والمرجان الخ .. »

.. واذا ربطنا أول الحديث بما وصلنا اليه وجدنا نعمة الزوجية ومتاعها مبدوءة فى الجنة بين آدم وحواء .

ثم تمتد ، وترافق الأنسان فى دنياه ، حتى تكون واصلة الى نعيم الجنة ان كان مؤمنا فى حياته .

٦ ـ وحديثنا عن الزوجية فى الدنيا انما نعنى به الزوجية البريئة من الزيف ، ومن كل خسيسة يأباها الدين .. والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة للزوجية .

والزوجية على هذا النحو مرجوة بين الزوجات الطيبات ، والأزواج الطيبين ، ولا مطمع فيها بين الزوجات الخبيثات والأزواج الخبيثين

وما ينبغى لمن عرف شأن الزوجية وخطرها أن يتجه رجل طيب الى زوجة خبيثة فان الله يقول « الخبيثات للخبيثين » فكلاهما أشبه ببعضهما .

وكذلك ماينبغى أن تتجه امرأة طيبة الى زوج خبيث .. فان الله يقول « والطيبات للطيبين » وكلاهما أولى ببعضهما .

٧ ـ والزوجية مع الحيطة فى الاختيار تتعرض لهزات قد يثيرها اختلاف الميول ، أو يثيرها تعثر اللسان

لذلك وضع الله لنا وقاية من سهام الشيطان فأوصانا بحسن العشرة والترفق بالزوجات وأن نحتكم الى عدول نختارهم من الاقارب، أو من فى حكمهم لاصلاح ذات البين ، حتى لا تتهدم الحياة الزوجية لأى نفخة ينفخها الشيطان فى عقدة الزواج بعد أن وثقها الله بين الحليلين .

فان لم يكن للاصلاح أثره المنشود فى الامساك بالمعروف ، فليكن تسريح باحسان والفرقة خير من العيش على كراهية وعناد ، « وأن يتفرقا يغن الله كلا من سعته »

٨ – ونحن نرى فى سياق الحديث ان القرآن يترفق كثيرا بالمرأة ، ويحمل الرجل على الترفق بها حتى فى ساعة الكره ، واحتدام الخلاف فيصرفه عن الشطط فى كرهها ،ويبعث فى نفسه الأمل من جانبها ليرضى بها ، ويصبر على مايكون منها « فان كرهتموهن ، فعسى ان تكرهوا شيئا ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا»

ثم يوصيه حين الفرقة بألا يحيف عليها فى حق من حقوقها « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا ، فلا تأخذوا منه شيئا ٠٠ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ، وأخذن منكم ميثاقا غليظا ، عهدا قويا وهذه توصيات مسبوقة بمثلها فى صدر التعاقد الزوجى ، لا يدخل الزوج فى عهدة الزواج الا على ترفق بالمرأة ، وتحفظ من ظلمها فى شيء « فانكحوهن ، باذن أهلهن ، وآتوهن اجورهن بالمعروف – الصداق – محصنات ٠٠ غير مسافحات ٠٠ ولامتخذات أخذان » فذلك كله حفاظ على المرأة أن يخدعها الرجل ، فيستبيحها فى مراد ، من غير زواج مأذون فيه من الأهل ، أو يستغل سذاجتها فى هضم صداقها » أو يكون ٠٠ عقده عليها فى مواربة واحتيال ، فذلك أشبه بالمخادنة أو السفاح ».

وحيطة لهذا : اشترط الاسلام علانية الزواج ولو أمام اثنين فقط من الشهود والعدول

ونرى القرآن ينعطف بالحنو نحو الزوجة كثيرا فيصرح بانها سكن للزوج وبانها منبت الأولاد ، وبأنها متعة له ، حتى فى الجنة الخ

٩ – هذا موجز من القول عن الأزواج والزوجات ٠٠ وعن تقدير الاسلام للمرأة واشادته بما لها من شأن فى بناء المجتمع ،وفى الحياة الخاصة وما يجب لها على الرجل من رعاية ومن هذا الايجاز تكون المرأة سامية فى الاسلام ، وفوق المكانة التى يفرضها الزاعمون الذين يخطئون فى فهم الوضع الصحيح للمرأة فى القرآن .

وانت ترى مزاعم كثيرة يرددها من لايعرفون أو يعرفون ويتجاهلون هداهم الله ، وزادنا ايمانا ، وحسن تطبيق .

اشتراكيون مسلمون

الدكتور احمد الحوفى

- ١ -

منذ زمن قديم ، موغل فى القدم ، والأخيار مبتلون بتنقص الاشرار لأعمالهم ، لأنها فوق طاقتهم من ناحية ، ولأن الحسد يأكل قلوبهم من ناحية ثانية، ثم لأن أعمال الاخيار تناهض الشر والأشرار ، اذ تقضى على كثير من المغانم التى استلبوها ، وتطوح بالجاه الذى نالوه فى معرفة الزمن ، وغفلة الناس .

فلسنا نعرف مصلحا سلم من ضروب الأذى والاتهام ، بالغا ما بلغ من نبل الوسيلة وسمو الغرض ، والشغف بالحق والخير لوطنه أو لجميع الناس .

لكن النصر دائما للحق والخير ، طال النضال ام قصر .

لا عجب - اذن - فى أن يزعم خصوم القومية العربية أن مصر باشتراكيتها تحللت من الاسلام .. ولا غرابة فى أن يمتد بهم البهتان الى الافتراء بأنها صارت شيوعية العقيدة والنظام .

وهم يريدون بذلك أن ينفروا الشعب العربى من التعلق بالقومية العربية التى تتزعمها مصر برضاه ، وأن يحذروه عواقب الوحدة التى يشرئب اليها ، غافلين أو متغافلين عن حصافة هذا الشعب وذكائه وخبرته ومقدرته على التمييز والاختيار .

ولم يغب عن اولئك الخصوم الأدعياء أننا فى مصر شعبا وجيشا وحكومة أشد حرصا على الاسلام ، ورعاية لتعاليمه ، واعتزازا به منهم أنفسهم ، وممن يشايعونهم من أذناب الاستعمار والانحلال ، بل ان اسلامنا ليرجح اسلامهم مئات المرات ..

والعجب أنهم قد سمعوا وقرأوا قول الرئيس جمال عبد الناصر :

(ليست الاشتراكية العربية فى حاجة الى أن تستعير مبادىء او وسائل ، لكنها فى حاجة الى أن تهضم كل زاد تحصل عليه ، وان تمزجه بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية .. انها تحتاج الى معرفة ما يجرى حولها ، ولكن حاجتها الكبرى الى ممارسة الحياة على أرضها) ..

ولكنهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم، ووضعوا أكفهم على عيونهم ، وأصروا على كذبهم ، وجعلوا يشيعونه فى الناس .

والحق أننا مسلمون مخلصون للاسلام فى عهدنا الاشتراكى ، كما كنا مسلمين مخلصين للاسلام قبل عهدنا الاشتراكى .. وليس فى نظامنا الاشتراكى الديموقراطى التعاونى ما ينكره ديننا الحنيف ، أو يخدش عقيدتنا الصافية الوطيدة .. وسأوضح فى هذا المقال وما يتلوه ما بين اشتراكيتنا والاسلام من ملاءمة ووفاق .

الديـن

١ - قامت الشيوعية الماركسية على عدائها للاديان كلها ، زاعمة أنها تخدر الشعوب ، وتغريها بالكسل والهوان والفقر والتعلق بالأوهام .

وزعم كارل ماركس وأتباعه أن الناس يتدينون ، لأنهم يجدون فى الدين مخدرا يلهيهم عما يقاسون فى الحياة من حرمان وشقاء ، ويجدون فى ايمانهم بالله واليوم الآخر عزاء عن الحرمان ، اوأملا فى حياة أخرى تكفل لهم الانصاف والنعماء .

وبهذا تلغى الشيوعية ما تعمر به نفس المؤمن من سعادة واطمئنان ، اذ يؤمن بأن للكون خالقا قديرا عليما حكيما مطلعا على ما يظهر الانسان وما يخفيه ، وتلغى خشية الانسان من ربه فى سره وعلانيته ، وتبطل محاسبة الضمير ولوم النفس ، وتهمل الندم

على الخطايا والتوبة من الذنوب والآثام ، وتقوض الدعائم التى يقوم عليها صرح الأخلاق الفاضلة ..

وهى الى هذا كله تجرد النفس البشرية من نزوع فطرى فى أعماقها لا يمكن أن يغيض معينه وهو التدين .

ولقد تنبهت الشيوعية الى اخفاقها فى محاربة الاديان ، لانها بعد أن أنكرتها جميعا ، وحاربت معتنقيها ، تبينت آثارها العظيمة فى تربية الاخلاق ، وبعث العزمات ، وارتخاص الحياة فى الدفاع عن الوطن والعقيدة ، فاضطرت الى مهادنتها فى الحرب العالمية الثانية ..

ولكنها بعد أن انفرجت الازمة الطاحنة ، وجدت الشعب الروسى مقبلا على التدين ، فعادت الى محاربة الاديان بوسائل ماكرة .

على ان عداء الشيوعية للاسلام أشد من عدائها للمسيحية واليهودية ، لان للاسلام من نظمه الاجتماعية والاقتصادية ، ما يبطل نظمها ويكشف عن أخطائها وعجزها ، ويحقق للفقراء حياة ارغد واكرم وأسمى ، ولان أصوله تغاير أصول الشيوعية وتنقضها نقضا .

واذا كانت الشيوعية تعالج بعض مشكلات الفرد ، فان علاجها مبتور ، لانه محصور فى الناحية المادية المتصلة بالمطعم والمسكن والملبس ، أما ما يتصل بحياة الانسان العالية وسموه الخلقى ، وهناءته النفسية ، ومطالبه الروحية ، فان الشيوعية تهمله اهمالا شنيعا مقصودا .

وما من شك فى ان هذا الاهمال يفقد الانسان انسانيته ، ويغيض من نفسه ينابيع الخير والبر والحنان ، والتعاطف والتآلف ، فيقبل على محاربة أخيه الانسان ، كما يقبل الوحش الضارى على عراك وحش آخر .

٢ ـ والذى يعرف الاسلام معرفة عابرة ، يتبين له أن الشيوعية آثمة فى اتهامها له بانه يدعو الى الضعف والتواكل والتعلق بالأوهام

ذلك أن الاسلام برىء من هذه المفتريات وأشباهها ، لأنه قائم على التفكير والعمل والعزة والمجد والتنافس فى الخير ، والدفاع عن العقيدة والوطن بالدماء والارواح والاموال ، والعناية بشئون الحياة الدنيا كالعناية بشئون الحياة الآخرة .

ولهذا أوصى الاسلام بأن يأخذ المسلم من الحياة نصيبه المباح ، قال تعالى :

(يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض » .. وقال :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) .

وقال : (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

وقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

(ان لنفسك عليك حقا ، وان لجسدك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا) .

وكثيرا ماحض الاسلام على العمل والكسب والجهاد ، للدفاع عن العقيدة والوطن والروح والعرض ، وحسبنا فى هذا قوله تعالى :

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله »

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) .

وقوله : (لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب به على ظهره فيبيعه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) .

وقوله : (اليد العليا خير من اليد السفلى)

وقول عمر بن الخطاب : **(لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) .**

وقد أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل من الأنصار فسأله فقال له النبى :

(أما فى بيتك شىء؟ قال : بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء .. قال النبى : ائتنى بهما ، فلما أتاه بهما أخذهما بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين . فأعطاهما اياه،

وأخذ الدرهمين وأعطاهما الانصارى ، وقال له ٠٠ اشتر بأحدهما طعاما لاهلك ، واشتر بالآخر قدوما فائتنى به ٠ فأتاه بالقدوم فشد فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عودا بيده ، ثم قال اذهب فاحتطب وبع ٠

وبعد خمسة عشر يوما جاء الأنصارى الى رسول الله ، وقد كسب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما ، فقال له رسول الله : هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ٠

ويؤثر عن عمر قوله :

(يا معشر الفقراء ، ارفعوا رءوسكم ، فقد وضح الطريق، فاستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالا على المسلمين) ٠

على أن الاسلام أقام معالم واضحة ، وسن تشريعا حكيما للعمل والمعاملات من بيع وشراء ومزارعة ، ومضاربة ، واجارة وحرف وصناعات ، وهو بهذا وأشباهه دين يدعو الى العمل والانتاج ، والأخذ بأسباب القوة والرقى ٠

٣ - فاذا ما نظر خصومنا الى مجتمعنا حكومة وشعبا ، وجدوه مجتمعا يدين بالاسلام ويعتز به ، ويدعو اليه ، وينافح عنه ٠

فدستورنا ينص على أن الدين الرسمى لجمهوريتنا الاسلام ، مدارسنا تدرس الاسلام لأبنائنا فى مراحل التعليم الثلاث ، وبعض كلياتنا الجامعية تتعمق فى دراسة الاسلام وتقارن بينه وبين الشرائع سماوية ووضعية ٠

ومساجدنا والحمد لله حافلة بالمصلين فى الأوقات الخمسة ، وحكومتنا وشعبنا يحتفلون بالاعياد والمواسم الدينية ، ولنا مجلات دينية تشجعها الحكومة ، وعندنا مكاتب خاصة لتحفيظ القرآن الكريم تشرف عليها الحكومة وتمدها بالمال ، والأحوال الشخصية فى وطننا قائمة على أحكام الاسلام واجلالها ٠

وهكذا تتعدد النظائر والأمثال ٠

٤ - واذا ما رجعنا الى ميثاقنا وجدناه يشيد بالأديان السماوية جميعا ، وبآثارها العظيمة فى تربية الضمير ، وتقوية العزيمة، والسمو بالأخلاق ، كقوله :

(ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة) ٠

(ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته) ٠

(ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحرية والحياة ، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان) ٠

(ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها اعماله باختياره الحر ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس، وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم) ٠

(يتعين علينا أن نذكر دائما ان الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات »

(اذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل وأشرف الغايات والمقاصد) ٠

(مصر لم تعش فى عزلة عن المنطقة المحيطة بها بل كانت دائما تؤثر فيما حولها وتتأثر به كما يتفاعل الجزء مع الكل ، وكان الفتح الاسلامى ضوءا أبرز هذه الحقيقة ، وأنار معالمها ، وصنع لها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى ، وفى اطار التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار ، دفاعا عن الحضارة والانسانية ، ان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه) ٠

للحديث بقية

مظاهر غريبة من ..

التحقيق القضائى

الدكتور على عبد الواحد وافى

تقصد المجتمعات الانسانية من العقوبات التى تقررها لمختلف الجرائم والمخالفات أن تسلم لها حياتها ، وتظل حدودها بمأمن من الاعتداء ، وتصان نظمها ، ويتوطد ما لها فى النفوس من قدسية وجلال ، ويزول من طريقها كل ما يعوق سيرها الطبيعى من عقبات .

ويشتد الحرص على تحقيق هذه الأغراض كلما كان الجرم خطيرا فى نظر المجتمع . ولذلك اتسع نطاق المسئولية والجزاء فى هذا النوع من الجرائم كل الاتساع . فكثير من الأمم لا تقتصر فى هذا النوع من الجرائم على عقاب الانسان الحى العاقل الرشيد الذى ارتكب الجرم عن قصد ، بل تعاقب كذلك من أجلها الحيوان والجماد والنبات والميت والمجنون والطفل ، وتعاقب فيها على مجرد النية وعلى مجرد الحدث بدون قصد وعلى مجرد الملابسة للجريمة ، وكثيرا ما تأخذ فيها بالظنة والشبهة بل كثيرا ما تتحايل على اثباتها بطرق غريبة لا تدل فى ذاتها على شىء ، ولكنها تعيد للمجتمع هدوءه ، وتشعره بزوال ما يتهدد حياته من خطر .

فمن ذلك مثلا ما يسمونه بطريقة «الأورداليا» ordalie أى الامتحان الالاهى ، التى أخذ بها فى تحقيق الجرائم الخطيرة كثير من الشعوب المتحضرة فى العصور القديمة ، ومن بينهما الشعب اليونانى نفسه فى أرقى عصور نهضته ، وأخذت بها الأمم الأوروبية المسيحية فى العصور الوسطى وصدر العصور الحديثة حيال جرائم السحر والالحاد وما اليهما من الأمور التى كانت تعد من كبار الذنوب . وذلك انه كان يؤتى بقطعة من حديد فتحمى حتى تصير نارا ، ويكلف المتهم أن يقبض عليها بيده أو يكلف المشى على جمر الفحم الحجرى ، أو يضع يده فى الماء وهو فى درجة الغليان : فان أصابه ضرر من هذه الأمور دل ذلك على ادانته ، وان نجاه الله منها فأصبحت النار بردا وسلاما عليه كان ذلك آية على براءته ، ولكن هيهات كان يحدث هذا الاعجاز ! وأحيانا كانت تلف يده بعد ذلك بضماد ، وتختبر بعد ثلاثة أيام : فان قام فى أذهان المحققين أن الحرق فى طريق البرء دل ذلك على براءة المتهم ، والا ثبتت ادا

هذا ، ولاتزال لطريقة الأورداليا آثار كثيرة فى العصر الحاضر • فمن ذلك مثلا طريقة «البشعة» التى تسير عليها بعض القبائل العربية فى الشام ومصر وخاصة من يسكن منهم محافظة الشرقية (قبائل المعاذة والدراجين والعيايدة والحويطات الخ ٠٠) فى تحقيق الجرائم الخطيرة كالقتل وما اليه • وذلك أنه يؤتى بطاس من حديد ، ويحمى حتى يحمر ، ويكلف المتهم أن يلعقه بلسانه ، ويتناول جرعة ماء يتمضمض بها بعد ذلك ، فان أحجم عن لعق الاناء أو لعقه واصابه منه ضرر اعتبر مدينا • وفى كلتا هاتين الحالتين يعرض أمره على المحكمين ليقضوا فى شأنه بما يرون وفقا لعرفهم القضائى • وأما اذا لعق الاناء ولم يصبه ضرر فانه يعد بريئا •

وتسمى هذه الطريقة لديهم طريقة «البشعة» (بضم الباء أو بكسرها) • ويشرف على اجراءاتها (أى على عملية التبشيع كما يسمونها) اخصائى يسمى المبشع (بكسر الشين المشددة) • ويعتقدون أنه لا يوجد الا مبشع واحد فى مصر ، وأن هذه الوظيفة قد آلت اليه بطريق الوراثة ، وأنها تنتقل منه الى أكبر أفراد أسرته سنا ٠٠ وهكذا ، وأن بجسمه حصانة وراثية تجعل النار بردا وسلاما عليه : حتى لقد جرت العادة أن يمسح المبشع نفسه الطاس المحمية بيده قبل أن يقدمها الى المتهم بدون أن يناله أى ضرر من هذا المسح •

ويجرى «التبشيع» عادة فى حفل يشهده المبشع والمحكون وطرفا الدعوى (المتهم والمجنى عليه) وعدد من أقربائهما • ويحضره كذلك شاهد للطرفين يسمى «سامعة» • ويتقاضى هذا الشاهد أجرا على شهادته ، كما يتقاضى المبشع نفسه أجرا على عمله (يقدر أجر المبشع عادة لدى قبائل العرب فى الشرقية بخمسة جنيهات على كل متهم) •

ويظهر ان هذه الطريقة قد دخلها الآن كثير من الغش والحيلة ، حتى انه ليقال ان فى امكان المبشع أن يدبر لمن يتحيز اليه من المتهمين لسبب ما بعض وسائل للنجاة من أضرارها •

ومن ذلك أيضا طريقة القرعة التى أخذت بها طائفة من الأمم فى بعض الجرائم الخطيرة ، ففى حالة الاشتباه فى المجرم ، وعدم استطاعة الاهتداء اليه بالذات ، كانت تضرب القرعة بين طائفة من المشتبه فيهم ، فمن أصابته منه وقع عليه الجزاء •

ومن ذلك أيضا طريقة «التعذيب» التى سار عليها فى تحقيق بعض الجرائم الخطيرة عدد كبير من الأمم فى مختلف العصور ، ومن بينها الأمم الأوروبية المسيحية فى العصور الوسطى والحديثة ، وخاصة فى «محاكم التفتيش» الشهيرة التى أنشئت فى مختلف الممالك الاوربية لمحاربة جرائم الالحاد والسحر وما اليهما من جرائم العقيدة ، وظلت قائمة حتى أوائل القرن التاسع عشر • وتقضى طريقة التعذيب هذه أن يسام المتهم مختلف أنواع العذاب حتى يعترف بالجرم • وكان القضاة أنفسهم هم الذين يشرفون على ذلك • وكان الأمر ينتهى بالمتهم فى الغالب الى الاعتراف صادقا أو كاذبا ليتخلص مما يسامه من عذاب • وفى بعض الأحوال ما كان ينتظر اعترافه الصريح لاثبات ادانته ، بل كان يكتفى فى ذلك بعلامات تافهة كتلجلج صوته أو تقطع نبراته أو اضطراب حديثه أو تفكك عباراته أو احجامه عن الكلام • وقد بقى لهذا النظام بعد الغائه رواسب كثيرة فى عدة شعوب ، بل ان نظم التحقيق فى البوليس لاتزال تسير فى الجرائم الخطيرة على شىء عند كثير من الأمم الراقية فى العصر الحاضر •

فالجرائم الخطيرة يزلزل من وقعها الضمير الجمعى ، وتستفز المجتمع ، وتجعله يحس أن ناحية هامة من حياته قد أصبحت فى خطر داهم ، فلا يحتمل حدوثها بدون عقاب ، ويأبى الا أن يزيلها من طريقه بأية صورة ، فيعمل جاهدا على اقامة رمز لها كيفما اتفق ، ويحاول أن يصيبها فى هذا الرمز ، وان أعوزته السبل لاقامة رمز يمت اليها برابط قطعى ، اكتفى برمز يمت اليها برابط محتمل أو ظنى ، كما يستفز الفرد خوف شديد من خطر يتهدد حياته ، فيبطش كيفما كان بكل ما يتوهم ،

وهو فى سورة رعبه وغضبه ، أن له دخلا فيما حاق به ٠

بل انه ليس بلازم فى هذا النوع من الجرائم أن يكون قد حدث شيء فى الواقع ونفس الأمر ، وانما يكفى أحيانا أن يكون قد خيل الى المجتمع أن شيئا من هذا قد حدث ، وأن حياته يتهددها بعض الأخطار ، وانه فى حاجة الى أن يستعيد هدوءه وطمأنينته على نفسه ٠ ففى مثل هذه الأحوال لا يهدأ روع المجتمع الا اذا تحققت الوظيفة الاجتماعية للمسئولية والجزاء فيندفع مطالبا بالقضاء على من تحوم حولهم الشبهات ، أو من يكونون موضع سخطه واشمئزازه ٠٠ كالفرد تنبعث حركاته المنعكسة فى الخوف كلما خيل اليه أن خطرا يتهدده ، ولو لم يكن هناك أى خطر فى الواقع ٠ فكثيرا ما يخيل الى الشعب أن ثمة خيانة وطنية أو استغلالا سيئا للسلطان ، فيندفع مطالبا برءوس الخونة والجواسيس والطغاة ، وتجد محاكمه كثيرا من كباش الفداء ، مع أنه لا يكون هناك تجسس ولا خيانة ولا طغيان ٠

ومن هذا القبيل ما حدث فى أوروبا المسيحية ، اذ خيل الى رجال الدين فى صدر العصور الحديثة أن السحر قد نشط من عقاله وأن خطرا داهما يتهدد الدين من جراء ذلك ، مع أنه قد ثبت فيما بعد بالتحقيق التاريخى أن هذا كان مجرد وهم ومحض خيال ولكن ذلك كان كافيا فى اثارة المجتمع وخوفه على دينه ، فنشأت تلك القضايا التى اشتهرت فى التاريخ باسم قضايا السر ، والتى استأثرت أمدا طويلا ، يزيد على قرنين (من منتصف القرن الخامس عشر الى أواخر السابع عشر) ، بنشاط رجال الدين الذين كانوا مسيطرين حينئذ على جميع شئون الحياة وقد ذهب ضحية هذا الوهم آلاف معظمهم من النساء ، لأنه كان يظن أن جنسهن أكثر استعدادا لارتكاب هذه الجرائم من جنس الرجال ٠

خواطر مستشار

مقارنات بين .. الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية

بقلم الأستاذ المستشار علي منصور

مقارنة بين الاشتراكية فى الاسلام وبين القوانين الاشتراكية لسنة ١٩٦١ وماتلاها

هذه القوانين الوضعية لاتتنافى مع قواعد ديننا بل هى أقل ما يفرضه علينا النظام الاقتصادى الاسلامى من تكافل اجتماعى ورعاية لحق الفقير وتقريب للفوارق بين الطبقات .

اشتراكية أبى ذر الغفارى

يحلو لبعض الناس من دعاة الشيوعية أن **يدعوا على أبى ذر أنه كان يحارب الملكية الفردية ولا يقربها ويتخذون ذلك وسيلة للقول بأن الشيوعية لاتتنافى مع الاسلام .**

وهذا اما جهل أو مغالطة ولا بأس من المامة سريعة فى هذا الصدد .. « فالشيوعية تحرم الملكية الفردية وهى لاتعترف بالاديان وتحاربها وتقول انها أكبر مخدر للشعوب وتنكر وجود الله وتهدر حرية الفرد وكرامته .

فابو ذر كان يملك على مارواه الطبرى قطيعا من الابل بلغ الاربعين وغنما كثيرة ودارا ومتاعا وحميرا وخدما ولم يؤثر عنه انه نهى عن تملك اكثر من ذلك . ولكنه كان زاهدا يرضى من الدنيا بحد الكفاية للضرورات وما زاد عنه يرده الى الفقراء والى المجتمع طلبا للآخرة ومما أثر عنه قوله « اجعل المال درهمين . درهما تنفقه على عيالك من حله ودرهما تقدمه لآخرتك والثالث يضرك ولا ينفعك »

وحاصل مذهبه فى المال « **انه ملك لصاحبه فى حدود سد الضرورات وفوق ذلك فهو وظيفة اجتماعية للمواساة وهو اساسا وظيفة روحية لتحقيق أهداف الآخرة** » .

وكان يطبق مذهبه الاشتراكى على النحو الآتى .

١ ـ يخرج الزكاة من مجموع رأس المال وما طرأ عليه من زيادة .

٢ ـ يفرز رأس المال بعد ذلك ثم يحصى الزيادة أى الربح والدخل فيحتفظ بمايكفى نفقته ونفقة عياله سنة كاملة .

٣ ـ يوجه مافاض بعد ذلك من الدخل الى مصلحة المجتمع مستدلا بالآية « والذين يكنزون الذهب والفضة ... »

٤ ـ كان يقول لاترضوا من الاغنياء باخراج الزكاة حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا الى الجيران والاخوان ويصلون القرابات

وكان أخشى ما يخشاه وقد فتح الله على المسلمين الكثير من البلاد وكثرت الغنائم واثرى الناس كان يخشى من نشوء طبقات مسرفة فى الغنى والاستعلاء على الناس الى جوار الفقراء (٥) قيل له يوما الا تدخر دخلك وتتخذ منه ضيعة قال وما يفيدنى ذلك وانا يكفينى كل يوم شربة لبن وفى الجمعة قفيز من قمح .

الاسوة الحسنة

لم ينتشر الاسلام فى جميع ارجاء المعمورة فى أقل من قرن من الزمان بالسيف كما يرجف المرجفون وانما انتشر بالاسوة الحسنة ولقد سمعت من وكيل مجلس الشيوخ بالملايو السيد احمد ألنتوفى محاضرة ألقاها بالأزهر ان الاسلام دخل هذه البلاد اول مادخل منذ ثلثمائة عام على يد ثلاثة من التجار الاتقياء فكان صدقهم وحسن معاملاتهم وعدم الغش منهم والتزامهم أرفع المثل الخلقية من طهر واستقامة سببا فى دخول الناس فى دين هؤلاء الثلاثة وبلغ عدد المسلمين الآن بالملايو ثلاثة ملايين .

وكذلك الشأن بالنسبة لرسول الله فقد كان الأسوة الحسنة لجميع من حوله ما دعا الناس الى شيء وآثر نفسه عليهم فكان اذا دعا داعى الجهاد تراه فى مقدمة الصفوف لم يتخلف عن غزوة وكان اذا دعا الى الزهد والعبادة يأخذ نفسه بما لاطاقة لمن حوله به ـ حتى نزلت الآيات ((الآن خفف الله عنكم)) ((علم ان سيكون منكم مرضى ..)) وكان يشرك الناس فى فقرهم وفى عملهم .

وهكذا سار الصحابة والخلفاء من بعده اتباعا لقول ربهم ((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر))

ماشبع أحد منهم يوما قط ولا آثر نفسه على أفراد الرعية وما استعلى عليهم بجاه أو سلطان وما استغل ضعفهم وعملهم ليثرى على حسابهم . ويبقى فى عنقى للقراء ان اشير الى بعض روائع الحوادث والآثار التى رويت عنهم فيما نحن بصدده من الاشتراكية فى الاسلام . وما سأذكره لايعدو ان يكون نقطة من بحر فضائلهم وقد يكفى للذكرى « فذكر ان نفعت الذكرى »

« الرسول الكريم خير اسوة »

سئلت عائشة عما كان يعمل الرسول فى بيته « فقالت كان واحدا من البشر يخصف نعله . ويرقع ثوبه . ويحلب شاته ويعمل مايعمل الرجل فى بيته وفى حديث آخر لعائشة قالت : « كنا نرى الهلال ثلاث مرات وما توقد فى أبيات رسول الله نار فسالها الزبير وماذا كان يعيشكم قالت الاسودان الماء والتمر »

وكان خارج البيت يشرك أصحابه فى كل عمل ولا يؤثر نفسه عليهم .

١ ـ لما هاجر الى المدينة ولقيه الناس خارجها فى قباء دعا لبناء مسجد وشاركهم فى العمل

٢ ـ لما وصل المدينة شارك فى بناء مسجدها

٣ ـ شارك صلوات الله عليه فى حفر الخندق حول المدينة فى غزوة الاحزاب وخص نفسه بقسم منه حجرى صلب

٤ ـ شارك أصحابه فى اعداد الطعام وذلك انهم كانوا معه على سفر وهموا باعداد شاة للطعام فقال احدهم على ذبحها وقال الثانى على سلخها وقال الثالث على طبخها فقال النبى وعلى جمع الحطب فقالوا يارسول الله نحن نكفيك العمل . فقال اعلم انكم تكفوننى . ولكنى اكره أن أتميز عليكم ولان الله يكره ان يرى العبد مميزا بين أصحابه »

٥ ـ وفى غزوة بدر قصرت الركائب فخص كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه فاراد صاحباه ان يكفيانه نوبته فى السير فابى وقال ليس منكم من هو أحوج منى الى رحمة الله وابتغاء الأجر .

٦ ـ طلبت اليه فاطمة الزهراء ان يعطيها واحدة من الاسرى تعينها على اعمال بيتها وبسطت له كفها لتريه كيف اثرت الرحى فيها فقال عليه الصلاة والسلام لا اعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم جوعا ».

وطلبت اليه نفس الطلب ابنتا اخت عائشة أم الحكم بنت الزبير واختها فاطمة فقال لهما سبقتكما بها فى بدر

ابو بكر الخليفة الأول •

١ ـ كان له عند اسلامه مال كثير قيل خمسين الف درهم انفقه كله مشاركة للمسلمين الضعفاء حتى أنه اشترى الارقاء حين اسلموا من أسيادهم واعتقهم لوجه الله ومنهم بلال بن رباح مؤذن الرسول ».

٢ ـ وفى غزوة مؤتة حث الرسول الصحابة والمقتدرين منهم على الانفاق فجاءه ابو بكر بكل ما يملك فقال له « ماذا أبقيت لاهلك يا أبا بكر قال ابقيت لهم الله ورسوله »

٣ ـ وخرج ابو بكر غداة توليه الخلافة الى السوق ليتاجر ويكسب قوت عياله فرده عمر وبعض الصحابة واتفقوا على ان يفرضوا له فى بيت المال عطاء حتى يتفرغ لشئون المسلمين •

٤ ـ حروب الردة : وكفى ابا بكر فخرا انه أول رئيس دولة حارب من اجل حقوق الفقراء حارب من أجل التكافل الاجتماعى حارب من أجل تثبيت قواعد الاشتراكية السليمة حين منع بعض القبائل الزكاة فقال « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه »

وكان ذلك ردا على من طلب اليه من الصحابة أن يتألف الناس بترك الزكاة مؤقتا ».

عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء :

١ ـ كان عطاؤه من بيت المال لايزيد عن الكفاف حتى ان زوجته اشتهت التمر وطلبت له ان يزيد من العطاء فابى فادخرت افلاسا على ايام واشترت تمرا فسألها عنه فحدثته بالخبر فاقتطع من عطائه بمقدار ما ادخرت وقال لها ليس لنا فى بيت مال المسلمين أكثر مما لأفقر واحد منهم •

٢ ـ قدم عمر نصف ماله عند تجهيز جيش العروة « غزوة مؤتة »

٣ ـ كان يطوف بالمدينة فوجد رجلا يأكل بشماله فقال له « ياعبد الله كل بيمينك فقال ـ انها مشغولة وتكرر الحديث بينهما ثلاثا فسأله عمر ومايشغلها قال اصيبت يوم مؤتة «قطعت» فجلس عمر الى جواره واخذ يسأله من يوضئك ؟ ومن يغسل رأسك وثيابك ؟ ومن يصنع لك كذا وكذا واخذ عمر يبكى وأمر للرجل المجاهد بخادم ودابة وطعام وقرر له من بيت المال ما يصلح شأنه ويكفيه حوائج الحياة •

٤ ـ وعن أبى عمر قال « لقد أتى علينا زمان وما احد احق بديناره ودرهمه من اخيه المسلم » ولعله يقصد عام المجاعة •

٥ ـ خطب عمر بن الخطاب يوم الجمعة فقال « أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فرد عليه رجل من آخر المسجد وقال لاسمع ولا طاعة فسأله عمر ولم هذا يارجل فقال لقد أتتك ابراد يمانية خصصت كل واحد منا بثوب واحد وأراك تلبس قميصا منها وانت رجل طويل عريض لا يكفيك الثوب الواحد قميصا فلم آثرت نفسك علينا فالتفت عمر الى ابنه عبد الله وقال له أجبه فقال أعطيته ثوبى فأكمل منه قميصه فقال الاعرابى أما الآن فالسمع والطاعة

عثمان بن عفان ثالث الخلفاء •

أخرج من ماله الكثير فى الغزوات والمناسبات حتى أن رسول الله رفع يده الى السماء وقال اللهم ارض عن عثمان فانى راض عنه ».

على بن ابى طالب •

١ ـ كان قليل ذات اليد ولكنه كان كثير الانفاق وفيه وفى زوجته فاطمة نزل قول الله « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا »

٢ ـ كان فى حرب فمنع عنه خصومه الماء فلما كر عليهم وأصبح البئر فى حوزته سقاهم ودوابهم منه ».

نحن .. بين الخير والشر

الأستاذ البهي الخولي

١

للخير والشر مفهومان :

المفهوم الأول حسى ـ كالمال والبنين ـ فاذا وسع على الانسان فى ذلك فقد ناله الخير .. واذا ابتلى بنقص فى شىء منه ، فقد ناله الشر على مثل مافى قوله تعالى : « ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا » .

والمفهوم الثانى معنوى ، كالايمان وما انزل الله من وحى ، على مثل مافى قوله تعالى : « وقيل للذين اتقوا : ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا خيرا » ، فالخير هنا هو الوحى ، وما يتضمن من علم وحكمة ، وتوجيه صالح .. فاذا يسر الانسان الى شىء منه ، فقد يسر الى خير ، كقوله تعالى : « وماتقدموا لأنفسكم من خير، تجدوه عند الله » واذا يسر الى ضد ذلك ، فقد يسر الى شر ، كقوله تعالى : « ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم » .

وقد ذكرنا ذلك فى المقال السابق ، كما قررنا على ضوء كتاب الله تعالى وأقوال الائمة ان الكون والانسان يتماثلان فى ان لكل منهما ظاهرا وباطنا ، وان ظاهر الانسان يتفاعل مع ظاهر الكون على نحو من التجاوب او الانفعال أسماه الأئمة العارفون : « الحياة الدنيا » من الدنو ، لقرب ظاهر الانسان من ظاهر الكون ، وسرعة تأثر الادراك الغريزى بذلك .. وان باطن الانسان يتفاعل مع باطن الوجود على نحو من التجاوب أو الانفعال أسموه « الحياة الاخرة » ، فى تفصيل أسلفناه لامعنى لاعادته .. وكذلك قررنا فى المقال المذكور : ان الخير الروحى يتعلق بباطن الانسان ، وان الخير الحسى يتعلق بظاهره .. وان الخير الروحى افضل من الخير الحسى ..

٢

ولكن هل يؤثر الناس ـ فى حياتهم العلمية ـ الخير المعنوى على الخير الحسى ؟ .. هل

يؤثرون – عمليا – مجالس الحكمة والتفقه ؟ على مجالسة من بأيديهم مغانم القرب ، وموازين الرفع والخفض ؟!..

انك لاتجد فيهم من يعارضك فى ان الخير الروحى فى صفقات الايمان ، أفضل من الحس فى صفقات العرض الأدنى ، فاذا وازنت – مثلا – بين الخيرين فى قوله تعالى : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وقوله « قل متاع الدنيا قليل » الفيت كل من يستمع اليك – من غير المجاهرين بالالحاد – يذهب فى قبول ماتقول وتأييده الى ابعد حد .. ولكنه قبول أو تأييد نظرى، لانصيب له من الترجيح الفعلى فى واقع الحياة ، وميادين التجربة – فى الغالب – فانك لاتلبث أن تراهم فى تلك الميادين نماذج اخرى ترخص النفيس الذى بالغت فى موافقتك على نفاسته ، وتغلى الرخيص الذى لم تتردد معك فى الحكم على تفاهته وخسته .. بل انك لاتخلو من أن ترى فيهم من يهدر دينه وخلقه ، ومثل ايمانه لقاء نفع محرم ، عاجل أو مؤمل ، أو فى غير نفع على الاطلاق الا مجرد الزلفى والتضعضع لذى سلطان أو ذى مال ، دون أن يحس فى شىء من ذلك انه فى صفقة خاسرة قاصمة .

ذلك لأن الانسان – غالبا – انما يعيش فى توجيه غرائز حيوانية ، وانفعال حياته الظاهرة أو « حياته الدنيا » التى يستوى فيها هو والطفل ، والحيوان ..

والغرائز – كما عرفنا – ليست معدنا للمثل ، ولا مصدرا للمبادىء ، انما هى ميول ورغبات وقوى تنفعل بما يثيرها فى الخارج من ظاهر الحياة .. فالذى يعيش فى هيمنتها والاستجابة لأمرها ونهيها ، انما يعيش فى سوق القيم الحسية وحدها ، أو فى وصاية عمياء ، لاتدرى ما المبادىء ولا الايمان .. فاذا آثر القيم الحسية على القيم الروحية ، فذلك منطق مايعيش فيه ، واذا أهدر مثله ومبادئه فلأنها « عملة » مردودة فيما يتداوله الناس من حساب المغانم والأرباح ..

ويجب أن نقرر الى ذلك أن العقل الطبيعى – الذى نعمل به فى خصائص الطبيعة وقوانينها – لاعلاقة له بالمبادىء والعقائد ، فلا هو منهض لها ، ولا مبدع لمثلها وصورها ، ولا مدرك لحقيقتها على وجه من الوجوه ، فان المثل والمبادىء وحقائق الصفات ، وأصول الخلق ، وجوهر قوانين العدالة التى تنتظم بها كافة الأوضاع والعلاقات ، مستكنة فى فطرة الانسان أو فى وجوده الباطن العميق – كما قررنا فى المقال السابق – وهذا الوجود الباطن روحى ، لا طبيعى .. له عقله الروحى الخاص به ، كما للوجود الظاهر عقله الطبيعى المستقل بشأنه .. واذا كان كلا العقلين يعمل فى محيطه : فيدرك كائناته ، وخصائصه ، وقوانينه ، ويبرز خفايا كنوزه ومواهبه وثماره ، فبينهما من الفروق فى كيفية الادراك وأداء الوظيفة مثل مابين عالم الطبيعة ، وافق الروح ... فاذا ادركنا الفرق بين عروق الحديد فى جوف الأرض ، وجوهر الصدق فى ضمير المؤمن ، تبين لنا الفرق بين الادراك الروحى فى حب الفضيلة وبغض الرذيلة ، وبين الادراك الآخر فى قوانين الرياضة ومعادلات الحساب .

لهذا قلنا : ان العقل الطبيعى – الذى نعمل به فى خصائص الطبيعة وقوانينها – لا علاقة له بالمبادىء والعقائد .. وعلى هذا فاذا كان المرء فى وصاية اهوائه ورغبات حسه ، اى فى وصاية غرائزه التى لاتدرى ما المبادىء ولا الايمان ، فان عقله ذاك الذى يأتى بالعجب فى افقه ، اعجز من أن يمده فى ظلمته تلك بأيسر نفحة من نور المبادىء والقدرة على تحقيقها ، لأن ذلك ليس من شأنه .. بل قد لايكون غريبا اذا قلنا : ان ذلك العقل نفسه مع صاحبه داخل فى سيطرة تلك الغرائز ، يدبر لها الحيل ويصنع مايرضيها أو يطفيها من أسلحة الدمار والافناء .. لأنه موهبة كشف وتنظيم ، وليس انفعالا بروعة حق أو جمال فضيلة .. وقانون أرقام ومعادلات ، وليس رغبة مثالية حاملة خصائص الأمر والتوجيه .. أو هو ملكة تنظر فيما تجد ، لافى اختيار مايجب أن

يكون .. أو اداة طيعة لصاحبه ، لاتعصيه فى اثم ، ولا تزعه عن خطيئة .

٣

ذلك هو واقع الانسانية الذى نشهدصوره ـ مع الأسف ـ أو تأتينا انباؤه من كل مكان .. وهو واقع نرى فيه لونا من طفولة الانسان يابى فيه ان يبلغ رشده .. فاذا كانت حقيقة الطفولة انها مجموعة غرائز تتولى تصريف الطفل منذ ولادته على غير وعى منه ، حتى يبلغ من رشده مايدبر به مطالبها وينظم اتجاهها ، فتلك الحقيقة باقية مع ذلك الرشد لم تنسلخ عنه ، ولم يطرأ عليها الا انه سلحها بملكة التنظيم والتدبير ، بعد أن كانت غريزة لاتدبير لها ولا تنظيم .. وأوسع لها فى مدى المطالب ، فتطورت به من سذاجة الكفاية الى طموح لاتقف فيه الكفاية عند حد .. ولا تتكلم عما يتبع ذلك من تنافس وتحاسد وصدام وحقد ، بل نقف عند ذلك الرشد الساذج الذى لم يخرج به الانسان من وصاية غريزته الى وصاية مبادئه ، فظل طفلا على ماكان : ينفر من الشىء ـ دون روية ـ لاللشىء الا لأن غرائزه تنفر منه ، ويقبل على الشىء لا لفضيلة فيه ، بل لأن غرائزه تقبل عليه. فالغريزة هى الآمرة والناهية فى حياته على رغم ماأدرك من عقل ، وما حصل من علم ، وماعرف من مبادىء ومثل .. وقد يكون فيما تنفر منه الفريزة خير غير منظور ، اى خير معنوى ، وقد يكون فيما تقبل عليه شر غير محسوس ، أى شر معنوى ، فيفوت بذلك من المصالح ، ويحل من المضار مالا يندر قدره ، والقرآن الكريم يلم بدقائق تلك الحقيقة فى قوله تعالى : ((**كتب عليكم القتال ، وهو كره لكم .. وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم .. وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم**)) فالحب والكره هنا ـ فى الحقيقة ـ هماماتكره الغرائز وتحب .. وفى الآية تنبيه الى قصور الانسان عن تبين حقيقة الخير والشر حين يكون فى توجيه غرائزه ...

وقد ضربت الآية الكريمة القتال مثلا لذلك فان غريزة حب البقاء ، أو حفظ الذات تنفر منه ، وتلوذ بالجبن طلبا للسلامة ، وذلك منطق وظيفتها ، وليس عليها بعده أن تنظر فيما يصون للأمة مقوماتها الروحية والاقتصادية فذلك شان البصائر التى تدرك ماوراء أهداف الغريزة .. فاذا استجاب المرء لنداء السلامة المحبب ، كان الشر المدمر لنفسه ولأمته فيما أحب ، واذا حمل نفسه على ما تكره ، فبرز للدفاع عن قيمه ومقدساته ، كان فيما ركب من الكره حياة جديدة له ولأمته فى افق المثل ، وعالم الوجود الحق .. قال الفخر الرازى فى تفسير الآية : ((وذلك لأن ترك الجهاد وان كان يفيد فى الحال صون النفس عن خطر القتل ، وصون المال عن الانفاق ، ولكن فيه أنواع من المضار ، منها ان العدو اذا علم ميلكم الى الدعة والسكون ، قصد بلادكم وحاول قتلكم ، فاما ان يأخذكم رقيقا ويستبيح دماءكم وأموالكم ، واما أن تحتاجوا الى قتله من غير اعداد آلة وسلاح . والحاصل أن القتال سبب لحصول الأمن ، وذلك خير من الانتفاع بسلامة الوقت)) .

والآية بهذا تتضمن الحقائق الآتية :

* **أن ميول الفرائز ليست بصائر فى الخير والشر ، فهى مجرد احساس برغبة أو ضرورة خال من خصائص الاستبصار والتمييز ، اذا أصاب خيرا أو شرا ، أصابه على غير روية او قصد ..**

* **ان الانسان بالتزامه مدى الفرائز يكون محدود الرؤية لمفهوم الخير والشر ، فلا يدرك منه الا مدلوله الحسى .. أما حقيقته المعنوية فبعيدة عنه ، يتألق سناها خلف ظلمة مداه المحدود .**

* **ان العجز عن الرؤية البعيدة لمفهوم الخير والشر ، ضرب من القصور يشترك فيه الرجل والطفل ، أو ضرب من الطفولة ينتظم كليهما فى وصف القصور عن ادراك الحقائق ، فكلاهما**

فى وصاية الغرائز ، وكلاهما فى عماية المدى المحدود ، قد ياتى ما يضره وهو لايشعر ، ويابى ماينفعه وهو لايدرى ، مع فارق بين طفولة لاتملك مواهب الترشيد ، وطفولة لا ارادة لها فى رشد على مابلغت من مدارك . ولن يرجو عاقل لفرد او أمة صلاحا على قصور الأطفال أو طفولة القاصرين من الرجال

٤

ولاشك ان تقرير الخير المعنوى ليكون «قيمة» للتعامل الى جنب مايتعامل به الناس من قيم الخير الحسى ، انما هو اعداد لنهج تطورى رائع ، لايتطور به فى الانسان عضو او ظاهرة بدنية ، انما يتطور به نظره الى الحياة فيتقدم من النظرة الناقصة المحدودة الى النظر الكامل المحيط .. يتقدم من النظر الذى لايبصر من الأشياء سوى دلالتها الحسية على نفسها ، الى النظر الذى يبصر ما وراء ذلك من دلالتها الروحية على صانعها ... وذلك وحده ـ لا غيره ، ولاشىء معه ـ مفتاح التطور الحق .. فان العقل فطر على ان ينظر فى الأشياء دلالتها الروحية ، كما فطر على أن يبصر دلالتها الحسية ، فقانون السببية الذى يربط فى الذهن بين السبب والمسبب ، والصنعة والصانع احد قوانين العقل الفطرية العتيدة ، فاذا لم يبصر المرء سوى الدلالة الحسية ، فهى النظرة القاصرة التى تتعطل معها احدى وظائف العقل ، واذا أبصر الدلالتين كلتيهما ، فقد ارسل عقله على سجيته ، واضاف الى قيمه الحسية مافى الدلالة الروحية من قيم المبادىء والمثل ، وصار له ضربا من قيم التعامل ياخذ ويعطى عليهما فى الحياة ، وهو عنوان كمال الانسانية ، ومظهر تطورها الذى نعنى ، بخلاف الحياة التى لاتتسع لغير التعامل بقيم الحس ومنافع العرض الادنى ، فانها مظهر الجمود ، وعنوان التخلف عن مدارك الكمال الحق .

واذ كان الربط بين الصنعة والصانع هو مفتاح افق الصفات والمثل فى الكون الكبير ، فهو فى الوقت ذاته مفتاح فطرة الانسان ، التى هى أفق الصفات والمثل فى الكون الصغير ، وبافتتاح هذين الأفقين ، تبدأ نواميس الكمال عملها فى تطوير النظرة الى الحياة ، وتطوير الكيان الباطن للنفس جميعا .

وقد راينا الاسلام لايقف عند تقرير «مبدأ التعامل» بالقيم الروحية ، الى جانب التعامل بقيم المادة ، بل جاوزه الى محاولة ادخاله على ضمائر الناس وواقع حياتهم ، فانه اذ قال : «**كتب عليكم القتال وهو كره لكم**» ، جاوزه الى تلك المحاولة بقوله «**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم**» وهى محاولة تتألف على مانرى من عناصر ثلاثة :

الأول : استبعاد رغبات الغرائز ان تكون اساسا للتمييز بين ماهو خير ، وماهو شر فعسى «**ان تحبوا شيئا ، وهو شر لكم**» .

والثانى : ارشاد الى ان وراء رغبات الغرائز قيما غير منظورة ، يجب استبانتها ، وعدم الاكتفاء بمادونها .

والثالث : الاغراء بموازنة مايبدو من رغبات الغرائز ، وما يخفى وراءها ، وهو اغراء يثير الى ماهو متوقع او متحقق من رجحان محاسن الطرف الخفى «**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**» .

* * *

فهى محاولة تتضمن كل الحوافز الايجابية لاثارة الريبة فى احكام الغرائز ، واستحثاث الشوق الى مايتبينه العقل من خير مكفول لامحالة ، فى الدلالات القريبة والبعيدة ، أو هى محاولة تتضمن كل الحوافز الايجابية لهجرة روحية يتخلص بها الانسان من وصاية الغرائز الى الحرية التى يتبين بها الخير والحق فى أصدق معادنه .. وتلك الهجرة هى واجب الانسان ، أو وسيلته فى تطوير نفسه .

وقد بينا ان مفتاح ذلك التطوير هو تبين دلالة الكائنات على الله جل شانه ، فصفاته سبحانه

هى روح المثل كلها ،ومعدن القيم واصل كل ما نعرف من مبادىء وفضائل .. وهى هى حياة كل ماتنطوى عليه الفطرة من بذور المبادىء والمثل وملكات الوجود الروحى للانسان ، فاذا أدرك الانسان مالصفاته جل شانه من جمال وجلال ، انبعث ما فى جوهر انسانيته من سعادات وخيرات ، وبرزت ملكات ذاته العليا تسمع وترى ، فاذا هو كائن جديد غير الذى كان مستكنا فى طينة بشرية لا شان له .. كائن يرى حياته ، وبناء كيانه وتمام بصائره وحواسه فى قيم الحق ، يرجوها اينما كانت، ويحب أهلها ويصلهم أنى وجدوا .. ويرى فى صفحات الكائنات من جمال معرفة الله ، وحقيقة علمه المقدس ، سعادة وثروة ، تفض من أثر كل نعيم حسى ، وتطفىء رواء كل غنى عرفه الناس .. فتنشأ له أذواق جديدة ، ومفاهيم لم تكن له من قبل .. ويغدو من اثر ذلك فى عالم الواقع اتخاذ مثل الحق غاية الحياة ، تسخر لها قيم المادة ، وتجعل مطمح أنظار المرء ومبدأ سعيه ومنتهاه .. وذلك خلاصة مانتصوره لمفهوم التطور فى كل تفصيل واجمال .

ولعلنا ندرك بذلك مدى مايسىء الانسان الى نفسه ، الى كل معنى قيم ، وكل حقيقة ثمينة ، اذا هو عطل نواميس التطور فى نفسه ، فلم يستعمل عقله على ماينبغى ، فى ادراك الوجود على ماهو عليه .. انه لايريد ان يلتقى بنفسه ، ولا يفكر فيما اريد له من مناهج الترشيد ومحاولات التكمل ، ولا يعبأ بواجب لتطوير ذاته ، ولا لادراك صفة لله يكرم بها نفسه ويذوق بها معنى الجمال ... ويؤثر اندساس مواهبه وملكاته فى طينة بشرية على ان يكون له بصائر فى عالم الحق وملكوت القيم ..

* * *

اننا لانستطيع فى هذا المقام ان نعدد مايحل المرء بنفسه - بذلك - من وكس وبوار وخزى ، ويكفى أن نتصور الوضع فى انسان قائم على ابادة نفسه - نفسه الناطقة المدبرة التى هى معقد أمره كله - واتلاف مواهبها وحواسها التى ذكرها الله فى القرآن الكريم فان أعدى أعداء ذلك الانسان لايستطيع أن يلحق به من السوء أشد مما يلحق هو بنفسه، اذ يتلف سمعه الحق فلا يسمع ، وبصره الحق فلا يبصر ، فاذا هى نفس صماء ، بكماء ، عمياء ، فاذا كان ذلك هو الوجود الحق للانسان الذى لايحفل الله بسواه فيه ، فماذا يبقى له من حقيقته ؟

ان الأمر ليس على مايتصوره السذج من صفقة يفوت بها ربح ، أو يتحقق بها غبن ، وراس المال باق ، فالخطب أفدح ، والكارثة هى ابادة الذات العليا للمرء نفسه ، فلو قدر لنا ملكة نبصر بها المعانى لرأينا من شناعة الاستئصال والمسخ مايهولنا رعبا واستعاذة بالله الحق ..

واذا كان المجال لايتسع لايراد آيات القرآن التى وردت فى الذين يهلكون أنفسهم وما يشعرون ، وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فان ماأوردناه على ضوء النصوص السابقة كاف لدعم ماقررنا وايضاح الاسلوب الذى يسىء به المرء الى نفسه ، قبل ان يسىء به الى سواه .

٥

ووضح أن الانسان فى المحيط الحسى قد بلغ رشده الذى يؤمن معه تعمد الاساءة ، فهو لايقذف دراهمه فى البحر ، ولايلقى بملابسه فى النار ، ولايأخذ ثلاثة على انها ثلاثون ، الا أن يكون عن عته أو قلة تجربة ، وانه لم يبلغ رشده فى محيطه الروحى ، اى فى محيط القيم المعنوية ، فلا يندر ان تراه يستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير .. اى انه فى محيطه الحسى لا يعمد الى ضرر نفسه البته ، اما فى المحيط المعنوى ، فهو دائم الاساءة والاضرار بها .. ومن عجيب أمره أنه يسىء اليها وهو بين أمرين متناقضين :

الأول : أنه يسىء اليها وهو يدرى أنه يسىء لأنه يعرف الخير والشر ، ولا يجهل الحلال ولا الحرام ، ولكنها دراية نظرية ..

والثانى : أنه اذ يسىء اليها لا يشعر أنه يلحق بها ضررا ما ، لأنه لا يشعر بآلامه المبرحة وآثاره المخربة فى عالم النفس .. لا يشعر لأنها آلام معنوية لا تحس الا فى الروح ، وآثار معنوية لا ترى بعين ، ولا تدرك بحاسة من الحواس

فهو يدرى الاساءة من حيث هى مدركات نظرية ، ولايدريها من حيث هى حقائق تتعلق بأفق الروح ، وهو انما يعيش - على ما عرفنا - فى وجوده الحسى ، لا فى وجوده الروحى ، فلا ادراك له ولا احساس الا بما كان فى عالم الحس ، ولو أنه كان يحيا فى عالم روحه وأفق قيمه ، لأحس من الآلام المبرحة ، ما يصغر الى جانبه كل عذاب تذوقه الحواس المعروفة ..

فمحنته واقعة بين الرضا بما يعمل ، وعدم الشعور بآثاره .

* * *

وقد يبدو أن علاج هذه المحنة واضح وضوح ما قررنا من شأنها ، أو بعبارة أولى ، واضح فيما قدمنا ، وقررنا من شأنها ، ولكنا نوجزه ، أو نبرزه فى العناصر الآتية :

أولا : أن ننصف الغرائز ، فلا نظنها عدوا متربصا بالشر والأذى ، جديرا بالحذر والبغض والمخالفة او بالاستئصال والكبت ، كما ظن بعض نساك القدامى ، فكانت الرهبانية والانعزال .. كلا .. ان الغرائز ليست فى شىء من ذلك قليل أو كثير ..

ان الغرائز ليست شرا فى ذاتها ، بل هى خير محض .. فهى قوانين نفسية ، أرادها الخالق سبحانه لتؤدى للجسم والعمران ، وظائف معينة ، لا يتسنى صلاح الفرد أو الجماعة بدونها ، فمن الخطأ ، بل من الاثم مناهضة تلك القوانين ، لأنها مناهضة لسنن الخلق ، وتعطيل لما أراد الله أن يتحقق من الخير ..

والثانى : أن الخير هو فى الوقوف بتلك الغرائز عند أداء وظيفتها الطبيعية ، فاذا جاوز المرء حدود تلك الوظيفة الى أغراض أخرى ، فقد جاوزها الى أمر غير مشروع .. ونقطة التجاوز هى مبدأ الانحراف الذى يبدأ منه الشر ويستشرى الى ما لانهاية .. فوظيفة الطعام الذى ندعو اليه غريزة « حفظ الذات » هى اعادة التوازن الى الجسم بعد أن فقد ما فقد من خلاياه فى العمل المجهد ، فاذا جاوز الانسان بذهنه وارادته ذلك الحد الى اتخاذ الطعام شهوة ولذة ، فقد جاوز فى تقدير علماء النفس والاجتماع والشريعة - الحد الصالح للبدن ، الحافظ لتوازن المجتمع ، الى ما نعلم وما لا نعلم من شرور السرف والترف وحب الدنيا ، وكراهية الموت ، والتضعضع والتملق لمن بيدهم مال أو سلطان .. الى غير ذلك من الانحرافات الخسيسة ..

* * *

وغريزة التملك - فى رأى من يعتبرونها غريزة قائمة بذاتها - جعلها الله أساسا - وظيفة أو وسيلة للتعمير والتثمير ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من احيا أرضا ميتة فهى له** » فهو يثير فى الناس غريزة التملك بغية أن يضيف الى العمران رصيدا جديدا من العمارة .. فاذا انحرف بها المرء عن أنها « وظيفة » الى مجرد التملك وحب الجمع ، فقد جاوز الحد الطبيعى الى رذيلتين أساسيتين : الأولى ، البخل لأنه يوافق حب الجمع ، وكلنا يعرف حال قارون حين دعاه قومه الى الانفاق فأبى .. والرذيلة الثانية : هى الرغبة فى الاستكثار بأيسر جهد ، ومن هنا تنشأ المظالم الاجتماعية ، والاحتكارات ، واستغلال النفوذ وحاجة الضعفاء .. الخ ..

والعنصر الثالث : انه اذا كانت صفات الله سبحانه مصدر الخير المعنوى ـ على ما قدمنا وكان الشر مصدره انحراف النفس بالغرائز عن وظيفتها ، على ما جاء فى قوله سبحانه : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » فتمام القول فى العلاج أن يحرص المرء على استمرار تذكر الخواطر والصور الوجدانية التى تنشئها صفات الله فى الضمير ، وهو معنى الذكر حين يرد فى مثل قوله تعالى : « واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة » . واستمرار تلك الخواطر والصور يتم بأمرين :

الأول : دوام التفكير فى خلق السموات والأرض ، وما يداول سبحانه بين عباده من شأن .. وداعية الذكر فى ذلك واضحة ..

والثانى : تحرى صياغة الأعمال ـ من قول وفعل ـ على مثل الخير والفضيلة التى تبدو للضمير من صفاته جل شانه ، وذلك هو الخير المأمور به فى قوله تعالى : « وافعلوا الخير » ، فان معدن الخير صفات الله فتحقيقها نماذج هو الفعل المطلوب .. وداعية الذكر فى ذلك واضحة ، فاشتغال الخاطر بالصفة التى يكون العمل على مثالها ، ذكر لله ، وتعلق بجماله جل شأنه .. وتسخير الجوارح بتحقيق ما يشتغل به الضمير ، كذلك ذكر ..

واذ يتحقق للمرء ـ بهذين العاملين ـ دوام شغل ضميره بتلك الصور والخواطر القدسية يتحقق له كل ما ذكرنا فيما مضى من أذواق جديدة ، ومفاهيم لم تكن له ، وتقف غرائزه عند وظائفها بل تستشرف للاستمداد من الذوق الجديد فتكون عونا له على ماهو فيه ، وتغدو قيمه التى كان يحبها لذاته محبوبة لمعنى آخر .. هو مكانها من تأييد مبادئه وتحقيق مايريد من مثل الخير ، وذلك أقصى ما يرجى للنفس من عافية ، وأفضل ما يؤمل للمجتمعات من ترابط وسلم .

نفوذ الصهيونية في ...

دعتنى جامعة « هارفارد » بامريكا الى الاشتراك فى « حلقة الدراسات الدولية للعلوم الانسانية » ، وهى حلقة بحث نظمتها تلك الجامعة فى شهر يوليو وأغسطس سنة ١٩٥٥ ، واشترك فيها خمسة واربعون عضوا يمثلون نحو عشرين قطرا من الأقطار الأوربية والأسيوية .

وقد رحبت بالدعوة لانى وجدت فيها فرصة يمكن الانتفاع بها اثناء العطلة الدراسية ورجوت فى هذه الرحلة القصيرة أن أعطى ممثلى الرأى العالمى صورة صحيحة عن مصادر الفكر الاسلامى الحديث . ودعائم النهضة المصرية الحاضرة ، وأن أقف فى الوقت نفسه على المسارب التحتانية المتشعبة للحياة الأمريكية المعاصرة .

وصلنا نيويورك صباح اليوم الخامس من يولية الماضى . ولم نستطع مغادرة الباخرة الا بعد أن اجتزنا على ظهرها امتحانا دقيقا عسيرا استمر ساعات فى جو رطب حار لا يطاق . وقد كان علينا أن نجيب فى هذا الامتحان اجابات « تحريرية » واخرى « شفوية » عن اسئلة منوعة كثيرة ، تتصل

الجامعات الأمريكية

بقلم

الدكتور عثمان أمين

فى جملتها بأخص أمورنا الشخصية ،وتتناول مواردنا المادية واحوالنا الصحية ، الى جانب معتقداتنا الدينية وميولنا السياسية • وكان لابد لاجاباتنا من أن تكون سريعة واضحة مدعمة بالوثائق والمستندات والأرقام •

ولست أبالغ حين اقول اننا قد أدينا امتحانا شاقا ، قبل نزولنا الى ميناء نيويورك • فالحقيقة أن هذا التحقيق على ظهر الباخرة لم يكن مراجعة لأوراقنا وجوازات سفرنا ، بل كان بمثابة امتحان « الدور الثانى » الذى يعقد عندنا للراسبين فى المعاهد والجامعات وقد تبين لى حينئذ اننى رسبت فى امتحان « الدور الأول » الذى عقد لى فى القنصلية الأمريكية بالقاهرة ، والذى لم يقنعوا فيه بتوقيعى على اوراق الاجابة ، ولا بتقديمى عددا من صورى الفتوغرافية بل رأوا ضرورة الاحتفاظ عندهم بصور من بصمات اصابعى !

والانصاف يقتضينى هنا أن أقرر اننى لم اكن العضو الوحيد الذى رسب فى دوريونية فقد تبينت أن هذا الرسوب قد شمل غالبية الأعضاء الذين يمثلون عشرين دولة فلم ينج من « الدور الثانى » الا اقلية من المحظوظين ،أعنى ممثلى انجلترا وتركيا والباكستان واسرائيل•

لكن مهما يكن الباعث على هذا التحقيق الدقيق، فقد خيل الى بعد نجاحى فى الدورين أن الأمريكيين ينظرون الى « غير الأمريكى » نظرتهم الى مخلوق شاذ ، واذن فينبغى عليه، اذ اراد ان يعتبر انسانا ، ان يثبت اولا انه « نسخة » من الأمريكيين ، يحيا حياتهم ويفكر على غرارهم !

وبلغنا « هارفارد » فى المساء ، وأوينا الى مضاجعنا بعد العشاء فقد كنا فيما يبدو متعبين مكدودين • ولكن كان لابد ، قبل ان ننام ، من أن نطلع على التعليمات العديدة وأن نملأ الاستمارات الكثيرة المتعلقة بنظام اقامتنا فى مساكن الجامعة •

وفى الصباح ذهبنا الى مقر ادارة الحلقة وبعد ان اثبتنا اسماءنا وقدمنا استماراتنا ، وقرأنا التعليمات الجديدة ، أخبرونا بأنهم قد رتبوا لنا زيارة الجامعة فى صحبة دليل من خريجيها الشبان ، ليحدثنا عن تاريخها وآثارها •

وقد كنا نعلم قبل زيارة « هارفارد » انها أقدم الجامعات الأمريكية وانها انشئت منذ نحو ثلاثة قرون ، ولكنا لم نكن نعلم أن بعض خريجيها يتحدثون عنها وينظرون اليها وكأنها أقدم جامعات الدنيا • •فقد لاحظنا ، فى حديث دليلنا الشاب عن الجامعة الأمريكية العتيدة ، نغمة افتخار واضحة رنانة ولعل هذه النغمة كانت جديدة على أذنى ، بعد أن عشت السنين الطوال فى أقدم الجامعات الأوربية • فأخذت اسرح الفكر فى مصر وفى تاريخها الثقافى العريق ، وجعلت اسائل نفسى وأنا أستمع الى الدليل الأمريكى •

« ترى لو أتيح للغربيين ان يكون لهم من معاهد العلم والتعليم مثل جامعتنا الأزهرية فما عساهم كانوا يصنعون ، وماعساهم كانوا يقولون ؟

وأمر آخر استرعى انتباهى ، فجعلنى أفكر فى مصائر بعض البلاد اذا ألقيت مقاليد الرأى والتوجيه فيها الى طوائف من الناس ، يستخفون بالقيم الأخلاقية ، ولا يرعون فى علاقاتهم مع الناس ذمة ولا عهدا ، ويدأبون على هدم الأركان الثابتة التى يقوم عليها المجتمع الانسانى الفاضل • فقد لاحظت من ملامح الدليل ولهجة كلامه ماجعلنى اشك فى أنه أمريكى « اصيل » ، حتى على المعنى النسبى للفظ « الأصالة » وسألت عن اسم الشاب ، فأنبئت بما أكد ظنى ، فهو من يهود أوروبا ، هاجر الى أمريكا ، عندما استفحلت الحركة النازية فى ألمانيا • •

ولعلنى ، وأنا مسترسل فى هذه الخواطر عن تصوير الامريكيين للتاريخ المصرى الحافل وعن أثر اليهود فى تكوين تلك الصورة الشوهاء ، وفرضها على الرأى العام هناك ، لعلنى كنت أبدو وعلى وجهى علامات القلق والتفكير والاهتمام • ولعل الدليل اذ رآنى على تلك الصورة ظننى مأخوذا مبهورا مما اسمع ومما ارى • فاقترب منى قليلا ، وسألنى همسا :

« أهذه زيارتك الأولى للولايات المتحدة ؟

« فقلت : نعم • قال :

« ومن أى البلاد جئت ؟

قلت : من مصر »

فسكت الدليل لحظة ، وكأنه يستعيد ما قد حفظه فى الجامعة أو مالقنه من منشورات الدعاية الاسرائيلية عن التاريخ المصرى القديم، ثم رفع صوته قليلا ، موجها حديثه الى ،وقال على مسمع من الحاضرين ،« اننا معشر الأمريكيين ، لانستطيع بالطبع أن نجارى بلادكم فى آثارها التى ترجع الى الاف السنين والتى سخر الشعب فى بنائها تمجيدا للملوك والحكام والفاتحين • ولكنى ارى أن جامعة كهذه ـ انشئت منذ نحو ثلاثمائة سنة خدمة للشعب وتثقيفا له ، أعظم قيمة من ابى الهول والأهرام بل من وادى الملوك كله ؟ انا ارى ان اقدم هذه الجامعة يجعل امريكا اعرق فى الديمقراطية والحرية من بلادكم •

ألقى دليلنا هذا الكلام ، وسارع الى استئناف حديثه عن « هارفارد » كأنه ظن انى سأتلقى احكامه قضية مسلمة لاتقبل مناقشة أو معارضة •

فضبطت عواطفى ، واستأذنت الحاضرين فى مقاطعته وقلت له : « اسمع يامستر ، ان كلامك الخاطف عن تاريخ مصر وعن معنى الحرية والديمقراطية هو عندى أقرب الاشياء الى الخطب الذرية أوالتصريحات الهيدروجينية التى تلقى فى حملات الدعاية الانتخابية ،التى تنفق فيها الدولارات الأمريكية ،تأييدا لاغراض العصابات الصهيونية »

فلما ضحك الحاضرون ، استأنفت كلامى قائلا :

« لا أحب ان الجأ فى مناقشتك الى سلاحكم الجديد هذا • ولا يجمل بى أن أحاسبك الآن كيلا اصرفك عن مهمتك المحدودة وهى التحدث عن هارفارد لا عن مصر •ولكنى أود أن تعلم أنت وأعضاء هذه الحلقة أن مصر الحديثة الثائرة تشيد كل يوم ما هو أعظم من الأهرام ومن أبى الهول • هل سمعت عن مديرية مصرية برزت الى الوجود فى قلب الصحراء وكانت فى طى العدم منذ ثلاث سنين •؟ وهل سمعت عن تجميل القاهرة واصلاح القرى والثغور المصرية • وهل عرفت ان سبعين مليونا من الجنيهات قد أخذت من ثروة فاروق وأسرته لتنفق فى مشروعات وأعمال يعود خيرها على الشعب كله ؟ واذا كان الهرم الأكبر معروفا باسم خوفو ، فالمديرية الجديدة تعرف باسم مديرية التحرير • والتحرير عندنا ليس كلمة رخيصة خداعة تدور على كل لسان ، بل معناه خدمة الشعب وتخليصه من طغيان الملوك وعدوان الطامعين ، أن مصر الثائرة لاتعيش على ماضيها المجيد ، بل ترنو وتعمل لمستقبل أزهر وأمجد»

وتوقفت عن الكلام لحظة ، اذ سمعته يقول همسا « هذا مجرد كلام عام »

فأجبته على الفور : « لا يامستر .. ليس هذا كلاما مجردا بل وقائع حية ناطقة . والآن هل تسمح بان اوجه اليك سؤالا أو سؤالين محددين متصلين بمعرفتك بوقائع التاريخ . هل تعلم أن الاسكندرية مدينة مصرية ..وانها كانت تسمى « مدينة النور » فى العصرالقديم وان جامعتها كانت أزهر الجامعات قبل ميلاد المسيح بعدة قرون ؟ وهل تعلم أنه لايزال عندنا فى القاهرة جامعة يزيد عمرها الآن على الف سنة ؟ وهل تعلم اخيرا ان الفكر الاسلامى قد حمل الى الانسانية رسالة الحرية والديمقراطية قبل اكتشاف القارة الامريكية بمئات السنين ؟

ثم توقفت قليلا ونظرت اليه متصفحا أسارير وجهه المنقبضة المكفهرة . فتصنع الابتسام . ثم ضحك ضحكة هستيرية ليوهم الحاضرين اننى أسأله مازحا . فلما ذكرت له اننى جاد فى كلامى قال :

« نترك التاريخ القديم ... ولكن هل تستطيع أن تذكر لى اسم تلك الجامعة المصرية التى تقول بأن عمرها الف سنة ؟

فقلت له : « نعم استطيع أن أذكراسمها باعتزاز وفخار ، انها الجامعة الأزهرية ، واذا شئت أن تتحقق من صحة كلامى ، فما عليك الا أن تراجع تاريخ الازهر . فى الموسوعة الاسلامية التى يحررها علماء غربيون متخصصون أكثرهم من اليهود والمسيحيين .

عندئذ نظر الدليل الى ساعته وقال : «اظن أنه قد حان وقت الغداء .. »

فهم « الأعضاء بالانصراف ، وهممت معهم ولكنى حرصت على أن القى فى أذن الدليل كلمة قبل مفارقته ، فقلت له :

« اننى أشكرك شكرا جزيلا يامستر ... لأنك فى الحقيقة قد هديتنى من حيث لاتريد الى موضوعات المحاضرات التى يجب ان القيها على جمهور الأمريكيين فى هارفارد ، ان كان فيها أمريكيون . »

فما كدت أقول هذا حتى وجدت الشاب يتودد الى ، وتشبث بى ويلح على فى أن اقبل دعوته الى قضاء ساعة معه فى المقهى المواجه للجامعة ليعرفنى بصفوة المفكرين والعلماء فى هارفارد .

ولما كنت طلعة بطبعى ، فقد لبيت دعوته وذهبت فى الموعد الى المقهى .. وهناك قدمنى الى عدد من الشبان والكهول ، رحبوا بى ترحيبا مبالغا فيه ، ووجدتهم متلهفين على معرفة الموضوعات التى سأتحدث عنها فى محاضراتى القادمة .. فأجبتهم بأنى ساتحدث عن مصر وعن الاسلام .. ولكنى لما كنت أكره السياسة ، فلن اتحدث الا من ناحية الفلسفة والعلم ».

ودارت بيننا بعد القهوة المثلجة مناقشة أردت أن تكون هادئة حول العرب واسرائيل ، ونوايا اليهودية العالمية ، فقلت لهم فى آخرها

« يظهر انكم بعد ان دابتم باساليبكم على تضليل الرأى العالمى قد وجدتم فى أمريكا أرضا صالحة وفرصا سانحة ، لتنفيذ السياسة التى رسمها لكم حكماء صهيون ».

فبهتوا جميعا . وسأل واحد منهم متجاهلا أو متظاهرا بأنه لم يفهم : « من هم حكماء صهيون ؟ وما هى هذه السياسة التى رسموها »

فقلت : « أنك رجل جامعى . فهل ترضى أن تلقن قضايا تعيدها دون ان تفهمها ، ودون أن ترجع الى أصولها ؟ أما قرأت أو سمعت عن كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » قال: لم أسمع بشىء من ذلك »

قلت : « اننى قرأت هذا الكتاب الذى لا يوجد طبعا فى المكتبات العامة لأن اليهود قد تخطفوه من الاسواق ، وأعدموا نسخه المطبوعة . قال : « فكيف وصلت اليه اذن ؟ قلت : قرأته بالفرنسية مطبوعا على الآلة الكاتبة ، ابان حرب فلسطين ، ثم قرأت ترجمة عربية له نشرها احد ادباء العرب سنة ١٩٥١ »

ماكدت انتهى من كلامى حتى سارع الجميع متلهفين على رؤية هذه الترجمة العربية ، ومع انى كنت فى الحقيقة قد حملت هذه الترجمة معى الى أمريكا الا اننى خفت ان يختلسوها منى ، فقلت لهم أننى تركتها فى مصر ،وسأل أحدهم عن المترجم العربى فادعيت أنى نسيت أسمه ، مع أنى كنت أعلم أنه الاستاذ محمد خليفة التونسى .

وسأل آخر عن مضمون الكتاب فقلت : « يحضرنى منه أشياء ، استوقف نظرى مثلا ما جاء فى البروتوكول الأول من قول حكماء صهيون ، لقد أقمنا على اطلال الارستقراطية الطبيعية والوراثية ارستقراطية من عندنا على أساس بلوقراطى « أى على اساس حكومة الاقلية الغنية التى تملك معظم الثروة » . ولقد أقمنا الارستقراطية الجديدة على الثروة التى نتسلط عليها وعلى العلم الذى يروجه علماؤنا وقد عاد النصر أيسر فى الواقع ، فاننا فى صلاتنا بالناس كنا دائما نستثير مرضى ضحايانا من أجل المنافع ، ونحسرك شرهم ونهمهم وحاجاتهم المادية . وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده أن يحطم قادة الشعب وزعمائه » وظاهر من هذا أن حكماء اليهود يوصون قومهم بان يسددوا ضرباتهم الى القادة الذين هم فى الطليعة . فاذا حطموهم تحطمت الأمم والطوائف التى تتبعهم فى غير عناء . . »

ثم توقفت وساد الصمت لحظات ، ولكن واحدا منهم قطعه بقوله « ليس المسلمون هم المقصودون بهذا ، بل المسيحيون »

فقلت له : « ولكنى اذكر ايضا قول حكماء صهيون فى البروتوكول الخامس فقد جاء فيه « لضمان الرى العام ، يجب أولا ان نحيره كل الحيرة بتعبيرات من كل النواحى لكل أساليب الآراء المتناقضة ، حتى يضيع الأمميون « أى غير اليهود » فى متاههم . وعندئذ سيفهمون أن خير مايسلكون من طرق هو ألا يكون لهم رأى فى المسائل السياسية : هذه المسائل لايقصد بها أن يدركها الشعب، بل يجب ان تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب . . »

عندئذ التفت أحدهم الى زملائه وقال : « لابد ان يكون هذا الاستاذ المصرى مبعوثا سياسيا من قبل حكومته ولا بد ان محاضراته ستكون سياسية « وان كان يتظاهر بانه يكره السياسة . »

فقلت له : « صدقني يامستر اننى دعيت الى حلقة هارفارد بصفة شخصية . ولم اكن مبعوثا من حكومتنا ولا من جامعتنا — وكل ما فى الأمر اننى باعتبارى استاذا جامعيا لا أحب ان أحاضر فى موضوع الا اذا كنت درسته دراسة وافية »

قال : وهل درست الصهيونية ؟ : قلت :— لا ولكنى انما ناقشتكم فيها لأتعلم منكم ،

ماذكرته حتى الآن ليس الا جزءا يسيرا من مشاهداتى فى يوم واحد هو أول يوم قضيته فى هارفارد . ولا يتسع المقام لذكر شىء عن مشاهداتى فى الأيام التالية ولا عن الموضوعات التى درسناها فى الحلقة ، وجملة ما أقول اننى وجدتنى مضطرا هناك الى استمرار القيام بوظيفة المعلم والاستاذ ، بعد أن خيل الى انى تركتها ورائى حين ركبت الطائرة — ووجدتنى منذ اليوم الأول مضطرا الى العكوف على اعداد محاضرات أربعة ألقيتها خلال أربعة أسابيع : الأولى عن « لمحة الى مجد الاسكندرية « والثانية عن » أنوار من الجامعة الأزهرية ، والثالثة عن « رسالة الفكر الاسلامى » والرابعة عن « مصر الثائرة الواعية » وقد حرصت فى محاضراتى واحاديثى على أن اتجنب المجاملة بقدر مافى الامكان وأن أرسم صورة ايجابية متوخيا تصحيح الاخطاء وتقوم الاعوجاج وخيل الى انى كنت أعطيهم دائما دون أن آخذ عنهم شيئا . استغفر الله لقد أخذت عنهم درسا هاما جدا لن أنساه ابدا : وهو أن واجبنا فى هذا العالم الباغى هو أن نمضى فى طريقنا دون ان نبالى وأن نعمل ، وأن نعمل وأن نعمل ، والله معنا . .

تعريف التصوف

الدكتور عبد الحليم محمود

(٢)

وكلمة اخيرة قبل ان نفرغ الى تعريف التصوف . ان الذين يربطون بين التصوف من جانب والكرامات ، وخوارق العادات من جانب آخر كثيرون ، ولكن التصوف ليس كرامات ، ولا خوارق عادات ، انه شيء يتجاوز الكرامات ، ويتجاوز خوارق العادات . ان هذه الكرامات مسألة لايابه بها الصوفية كثيرا . بل يعتبرونها من الأشياء البسيطة البدائية ، التى تبعث السرور فى قلب من يجريها الله على يديه ، ولكنه . اذا فرح بها واكتفى ، تدل على أنه لم يبلغ بعد فى التصوف قدما ثابتا ، ولا درجات ممتازة .

ماهو اذن التعريف الصحيح للتصوف ؟

نذكر الآن بعض التعريفات التى تتجه الوجهة الصحيحة فيما يتعلق بالمعنى الحقيقى لهذا الموضوع .

١ ـ ابو سعيد الخزاز المتوفى سنة ٢٦٨هـ .

سئل عن الصوفى فقال :

« من صفى ربه قلبه ، فامتلأ قلبه نورا ، ومن دخل فى عين اللذة بذكر الله » .

٢ ـ الجنيد البغدادى المتوفى سنة ٢٩٧ هـ

التصوف هو : ان يميتك الحق عنك ، ويحييك به

٣ ـ ابو بكر الكتانى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ

التصوف : صفاء ومشاهدة

٤ ـ جعفر الخلدى المتوفى سنة ٣٤٨ هـ

التصوف : طرح النفس فى العبودية ، والخروج من البشرية ، والنظر الى الحق بالكلية .

وسئل الشبلى عن التصوف فقال :

بدؤه معرفة الله ، ونهايته توحيده .

واذا نظرنا الى تعريف الكتانى فاننا نجد ان عبارته المختصرة قد جمعت بين جانبين : هما اللذان فيما نرى يكونان ـ فى وحدة متكاملة ـ تعريف التصوف .

احدهما . وسيلة . والثانى . غاية . اما الوسيلة فهى الصفاء وأما الغاية فهى المشاهدة .

والتصوف من هذا التعريف طريق وغاية .

وطريقه يتضمن نواح كثيرة تشير اليها تسميته نفسها ولعل ذلك من الأسرار التى كانت السبب فى هذه التسمية واتخاذها عنوانا على هذه الطائفة :

لقد قال جماعة : انما سميت « صوفية » لصفاء اسرارها ، ونقاء آثارها .

وقال بشر بن الحارث : الصوفى : من صفا قلبه لله .

وقال بعضهم : الصوفى : من صفت لله معاملته وصفت له من الله عز وجل كرامته .

وهؤلاء يهدفون الى ان كلمة : «الصوفية» انما تشير الى الصفاء ، وهذه الاشارة لاتخضع لمقاييس اللغة ، وما دامت « اشارة » فانه من التعسف ، أن يجادل انسان فى أمر انسجامها مع اللغة وعدم انسجامها .

ويقول قوم انهم انما سموا «صوفية» لأنهم فى الصف الأول بين يدى الله عز وجل بارتفاع هممهم اليه واقبالهم بقلوبهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه .

وهؤلاء انما يعبرون عن اشارة الصوفية الى الصف ، اى الصف الأول فى العمل على الوصول الى الله .

اما اشارة الكلمة الى « أهل الصفة » ، الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانما تشير الى أوصافهم من العبادة ، والتهجد ، وعدم الطمع فى الدنيا ، واستعدادهم الدائم للجهاد فى سبيل الله .

وتشير الكلمة للصفة : اى الصفة الكريمة ، التى لايتعلق فيها القلب بالمادة ، وانما يتعلق بالله تعالى .

وكل ذلك انما هو حديث عن الوسائل .

على أن هذه الوسائل التى تشير اليها الكلمة لها وسائل اخرى هذه الوسائل الأخرى منها ما يعبرون عنه بقولهم : « لايملك ولا يملك » ويعنون بذلك أنه : « لايسترق الطمع » .

وهذه الكلمة لها مدلول واسع ، هو أن يتحرر الانسان من الدنيا ، حتى ولو ملكها عريضة طويلة ، يتحرر

من الجاه ، من الانغماس فى الملذات ، من الجرى وراء المال ، من حب السلطان ، من حب الترف ، من الصفات التى تتنافى مع الفضيلة .

وخاتمة المطاف فى هذه الوسائل : أنها تؤدى الى الصفاء فاذا ماحل الصفاء كان عند الانسان استعداد كامل للمشاهدة ، فيجود الله عليه بها ان شاء .

هذه المشاهدة هى أسمى درجات المعرفة ، وهى الغاية النهائية التى يسعى وراءها ذوو الشعور المرهف ، والفطر الملائكية ، والشخصيات الربانية . فالتصوف اذن معرفة أسمى درجة من درجات المعرفة ، انه مشاهدة وهو طريقة الى المشاهدة .

واذا أردنا أن نلجأ الى الامام الغزالى فى تلخيص الطريق والغاية ، فاننا نجده يقول فى كتابه الخالد :احياء علوم الدين :

« الطريق تقديم المجاهدة ، ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده ، والمتكفل له بتنويره بانوار العلم .

واذا تولى الله أمر القلب ، فاضت عليه الرحمة ، واشرق النور فى القلب وانشرح الصدر ، وانكشف له سر الملكوت ، وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة ، وتلألأت فيه حقائق الأمور الالهية » .

فاذا ماحصل ذلك كانت المشاهدة .

ومن القصص اللطيفة التى تصور الوسيلة الى المشاهدة فى سهولة ويسر القصة التالية :

قال ذو النون :

رأيت امرأة ببعض سواحل الشام .

فقلت لها :

من أين أقبلت رحمك الله .

قالت :

من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا .

قلت :

وأين تريدين ؟

قالت :

الى رجال ، لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

قلت :

صفيهم لى ..

فانشأت تقول :

قوم همومهم بالله قد علقت
فما لهم همم تسمو الى احد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف
من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق
ولا لروح سرور حل فى بلد
الا مسارعة فى أثر منزلة
قد قارت الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية
وفى الشوامخ تلقاهم مع العدد

والمشاهدة التى هى الغاية « للصوفية » ، هى أيضا تحقيق واقعى للتعبير الذى ننطق به فى كل آونة حينما نقول :

« أشهد أن لا اله الا الله »

فالشهادة التى هى غاية الصوفى انما يسعى جاهدا اليها بشتى الوسائل ليحقق بالفعل مضمون ما يتلفظ به قولا ، أو مايقوله حروفا .

وما من شك فى أن تعاريف التصوف الكثيرة التى نجدها منثورة هنا وهناك ، والتى تكاد تبلغ الألف ، انما تعبر فى أغلب الاحايين عن زاوية من زوايا التصوف ، تتصل بالوسيلة ، أو تتصل بالغاية ، فلا يمكن أن يقال عنها اذا ماكانت كذلك ، انها خطأ تام ، ولكن الخطأ ، انما هو فى أخذها على أنها تعبر عن الحقيقة الكاملة . أما مايعبر عن الحقيقة الكاملة ، فانما هو تعريف الكتانى :

التصوف : « صفاء ومشاهدة » .

وبالله التوفيق .

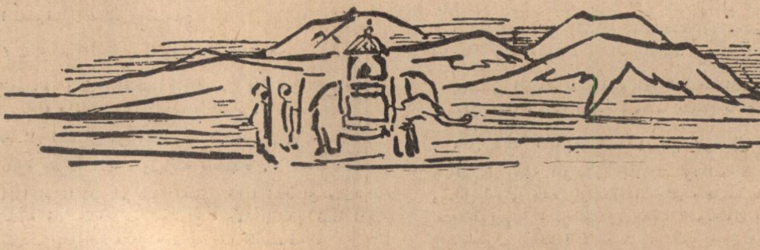

عناصر الحيوية في الدين الإسلامي

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

قواعد التشريع وطرق الاستنباط

وعدتك فى المقال السابق ببيان القواعد الكليـة التى جاءت فى الدين الاسلامى ، واستطاع بواسطتها أن يكون الدين المرن المتطور المتحرك الذى لا يقف بنصه عند حادثة جزئية أو حكم مؤقت ، وهذه القواعد كثيرة وقد عنى الفقهاء بحصرها ولكن اختلفت انظارهم فى هذا المجال ، ووقفت جهود بعضهم عند حد معين منها . وقد وصـل بعضهم بها الى خمسمائة وخمسين قاعدة ، وهى على كثرتها ترجع الى القواعد الاساسية الثلاثة التى تقدم ذكرها فى المقال السابق ، وهى رعاية المصلحة والعدالة والتيسير .

وهذه القواعد التى بنى عليها التشريع . اما مستقاة رأسا من نصوص دينية فى الكتاب والسنة ، واما مفرعة على هذه القواعد المستنبطة أو من الروح العامة للدين ، واليك بعض هذه القواعد :

١ ـ الضرورات تبيح المحظورات ، وتعنى ان الشىء المحرم قد لا يكون تحريمه مؤبدا فى جميع الاوقات وعاما فى جميع المجالات بل قد يرفع عنه الحظـر فى بعض الاحيان كوجود ضرورة تقتضيه ، وهذه القاعدة مأخوذة من قوله تعالى فى تحريم الميتة والدم ولحم الخنـزير وما ورد فى الآية من محرمات « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وقد فرع الفقهاء على هذا الاصل عدة فروع ، منها اجازتهم لاساغة الغصة بالخمر اذا لم يوجد غيرها ، واكل الميتة لمن لم يجد غيرها واشرف على الهلاك .

٢ ـ الضرورة تقدر بقدرها ، وهى مستمدة من الآية السابقة التى قيدت الاضطرار المبيح لتناول المحرم بان يكون فى غير بغى ولا عدوان ، اى فى غير معصية وتجاوز للحد الذى يدفع الضرر ، وقال الفقهاء بناء على هذا يجوز نظر الطبيب الاجنبى الى عورة المرأة عند الاحتجاج اليه فى مداواة هذا المرض الذى لايوجـد من الجنس الآخر من يستطيع علاجه ، كما قالوا ان الذى يتناول المأكول المحرم لانقاذ حياته لا يجوز له أن يتناول فوق ما يسد به رمقه فقط .

٣ ـ الضرر يزال ، بمعنى انه ينبغى أن يـكون التصرف فيه اضرارا بالنفس او الغير ، واذا حدث الضرر يجب أن يعمل على ازالته ، ولا يقر صاحبه عليه ، وهذه القاعدة مستمدة من قول النبى صلى الله عليه وسـلم « لا ضرر ولا ضرار » وقد فرع الفقهاء على هذه القاعدة تقرير الشفعة للجار الذى يبيـع جاره ما يتضرر به لو خرج عن ملكه ، وكذلك بنوا عليها قاعـدة القصاص .

٤ ـ ارتـكاب اخف الضررين بمعنى انـه اذا تعين للوصول الى غرض شرعى أن يسلك الانسان طريقا فيه ضرر ينهى الشارع عنه ، وكانت الطرق الاخرى لا تخلو من ضرر أيضا ، فان العقل يحكم بالنظر فى هـذه الاضرار وأيها أيسر وأخف وطأة فيرتكبه الانسان ، والاصل فى هذه القاعدة هو قول النبى صلى الله عليه وسلم « ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين ، فينمى خيرا أو يقول خيرا » اى أن المتشاحنين اذا تركا على حالهما كانت من وراء خصامهما آثار غير طيبة ، والاسلام يريد من الامة أن تتقارب نفوس ابنائها للتعاون على الخير وتلافى ما ينجم عن التشاحن من اضرار تهـدد المجتمع ، والطريق الى التقريب بين المتخاصمين يكون بتوسيط أولى الخيـر لتلطيف الجو وتهدئة الثائرة وقد يكون من وجود هذا التلطيف اختلاق أوصاف أو أقوال أو ضرب وعود واعطاء ضمانات ليس لها وجـود من حقيقتها ولكنها تفيد فى هذا المجال ، وهى التى تسمى فى عرف الناس بالكذبة البيضاء اى التى تنفع ولا تضر فالشارع يبيح هذا الكذب للمصلحة فان ضرره اخف من ضرر التشاحن والتخاصم .

وقد فرع عليه الفقهاء جواز التسعير للحاكم اذا ترتب على تركه الاضرار بالناس ، فان حجر الحرية فى التصرف فى البيع والشراء على فرد أو أفراد يدفع ضررا كبيرا يمس الآلاف والملايين من الناس ، وكذلك فرغ الفقهاء على هذه القاعدة ما سار عليه قانون الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية فى التشريع المصرى بعد ثورة يولية ١٩٥٢ فان الاقطاع الذى كان يمثله افراد قلائل يتحكمون به فى الآلاف من الكادحين الذين كانوا لا يجدون ما يحققون به انسانيتهم كبشر وكمواطنين ، ترتب عليه آثار غير كريمة زلزلت اركان المجتمع ، وخلقت الطبقة المستغلة والتحكم فى مصير الامة وتلوين السياسة العامة بما تمليه الاهواء والمصالح الشخصية . فكان من السداد أن يوضع حد لهذه الفوضى وأن يحدد القدر الذى يمتلكه الفرد من هؤلاء ليفك القيد عن الجوعى وترد اليهم انسانيتهم ويشعروا بشىء من نعمة الكرامة .

٥ ـ ومن القواعد الكلية قاعدة سد الذرائع ، وتعنى سد الطرق الموصلة الى الفساد ، واعطاء الطريق حكم ما ينتهى اليه ، وهذه القاعدة مستمدة من قول النبى صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات » وقوله « الا ان حمى الله معاصيه » وقوله « فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه » وقوله «دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وقد فرغ الفقهاء على هذا الاصل تحريم الخلوة بالاجنبية وأكدوا بهما قوة الاحاديث الواردة فى ذلك . ذلك أن الخلوة طريق لارتكاب الفاحشة ، ضرورة عدم اهمال الطبيعةالانسانية ووجود الدواعى المثيرة للغريزة ، وتقرب الخطر فى الخلوة نظرا لانبعاث الغرائز عبر عنه النبى فى بعض الاحاديث بقوله « ماخلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » وكذلك من تفريعات الفقهاء على هذه القاعدة تحريمهم لسفر المراة وحدها بدون محرم أو رفقة مضمونه .

٦ ـ ومن القواعد الكلية « لا اجتهاد معالنص » اى اذا كان هناك نص على حكم معين ، لا يجوز الانصراف عن النص لاستنباط حكم لحادثة جاء فيها النص ، والاصل فيها قول الله سبحانه « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

وقد جاءت هذه الآية فى حادثة تزويج النبى صلى الله عليه وسلم لزينب بنت جحش من زيد بن حارثة مولاه حين عرض عليهـا ذلك فلم تقطع برأى حتى تنظر مع وجود باعث داخلى للانصراف عن هذا الموضوع ، ولكن حكم الله قطع عليها التفكير وما كانت لترفض وقد أمر رسول الله بذلك . فلا مجال للرأى اذن بعد وجود النص على الحكم فيما يجول فيه الرأى . ومن هنـا قال الفقهاء ، لايجوز أبدا أن يختط الانسان لنفسه سلوكا يسير عليه ، ويضع أحكاما يقوم بها تصرفاته ، اعتمادا علىهدى او استنادا علىتخطيط أجنبىلا ضرورة تدعو اليه ، لوجود السياسة الاسلامية واضحة فى وفائها بخير الفرد والمجتمع فى احكامها وتخطيطاتها ، ودليلهم فى ذلك قول الله سبحانه « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » وهو دليل على هـذه القاعدة التى تمنع الاجتهاد مع وجود النص .

ومن تفريعات هذه القاعدة ماورد أن رجلا من ثقيف أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسأله عن امراة حاضت وقد زارت البيت يوم النحر ، هل يجوز لهـا أن تنفر ؟ فقال عمر : لا ، ولكن الرجل قال له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتانى فى مثل هـذه بغير ما أفتيت ، فضربه بالدرة وقال له : لم تسألنى فى شىء قد أفتى فيه رسول الله ؟ ومن هنـــا قال الامام الشافعى رضى الله عنه : اذا صح الحديث فاضربوابقولى عرض الحائط .

٧ ـ ومن القواعد قولهم « العادة محكمة » وهى فى معنى قولهم : المعروف عرفا كالمشروط شرطا ، وقولهم : الثابت بالعرف كالثابت بالنص ، وأصل هذه القاعدة مأخوذا منالقول المأثور عن ابن مسعود ـ وقيـل انه مرفوع الى النبى ـ « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » وقد فرع الفقهاء على ذلك تحديد سنالبلوغ للغلام والفتاة ، لاختلافه بحسب الاقاليم ، وكذلك بناء الفاظ الحالفين والناذرين على عرفهم ، ومراعاة الكفاءة فى النكاح ، وتحديد التبرج والطواف بالبيت مع العرى بما كان يفعله أهل الجاهليةوجاء الاسلام بتحريمه ، وقد شرط العلماء لاعتبار العرف أصلا من أصول التشريع شروطا تطلب فى نطاقها ، كقولهم يجب أن لا يخالف نصا صريحا ، وأن يكون عاما .

وهناك غير ذلك قواعد كثيرة كقولهم : الحكم يتبع المصلحة الراجحة ، تقديم الاهم على المهم ، الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد ، حكم الحاكم فى مسائل الاجتهاد يرفع الخلاف . الحدود تدرأ بالشبهات .

وقد أخصب الفقه الاسلامى نظرا لاعتماده على هـذه القواعد الكلية ، وامكنه أن يوجد حلا اسلاميا لـكل مشكلة وحكما لكل حادثة ، ولم يعجز الفقه أبدا فى عصر من العصور عن الوفاء بحاجات البشر ، واستطاع بهـذه الخصوبة وهذه الحيوية أن ينتزع اعجاب الكثيرين من فقهاء التشريع الغربى ، الذين نظروا اليه بعين بصيرة وروح منصفة .

ومما ساعد على استمرار حيوية الاسلام فى مجـال التشريع وبقائه صالحا لكل العصور والبيئات حفظ القرآن الكريم طيلة هذه القرون العديدة دون تغيير او تحريف كما قال سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » كما أن النبى صلى الله عليه وسـلم امر المسلمين أن يلجأوا فى كل عصر الى الكتاب والسنة وان يعتصموا بهما عند الاختلاف حتى لايضلوا : ففى الحديث « انى تركت فيكم ماان تمسكتم به لنتضلوا ابدا، كتاب الله وسنتى » وجاء أيضا قوله صلى الله عليه وسلم « وانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيـرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ،عضوا عليها بالنواجذ »

وهذه القواعد هى أساس من الاسس التى وضعهـا فلاسفة العصر للديانةالطبيعية التىيريدونها لملء الفراغ بعد الافلاس من الديانات التى لم تشف لهم غليلا على ضوء بحثهم فى كتب الاديان التى لعبت فيها الشروحدورا كبيـرا ، يقول كانط فى هـذا الشأن : الديانة الحقة الوحيدة هى التى لاتحتوى الا على قوانين ، أعنىقواعد صالحة للجرى عليها ، نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة وتكون مجردة عن الاساطير والتعاليم الكهنوتية .

انها هى الاسلام فى قواعده الكلية الجامعة التىتنادى بها العقول الناضجة وتتقبلها الفطر السليمة وقد قرر صلاحيته لبناء التشريع عليه مؤتمر لاهاى للقانونالمقارن الذى عقد فى أغسطس ١٩٣٨ .

ولعل فى مثل ذلك ما يزيد تمسكنا بشريعتنا وايماننا بصدقها ووفائها لحاجات الانسانية والله هو الموفق .

نحو ميثاق التوعية القومية ..

بقلم

الدكتور أحمد الخشاب

ان الطبيعة الحتمية للبعد الثورى الذى تقطعه الآن الطليعة العربية الصاعدة تقتضى ميثاقا للعمل القومى الحر الوحدوى الاشتراكى الذى يكتل ويجمع وينظم طاقاتنا البناءة ويصبها فى قوالب متواثبة تتجه نحو تدعيم الوحدة الهدفية وقد يتبادر الى الذهن كفاية الميثاق الوطنى ، غير أن خط التوعية يستلزم دليلا للعمل على مستوى القوى الترشيدية فى شتى قطاعات الأمة العربية طولا وعرضا ويقوم فى الوقت نفسه بتوضيح الأهداف التى احتواها دليل العمل الوطنى وارتآها الشعب سبيلا لتحقيق أمانيه وما كان يمكن أن يقوم هذا الميثاق عقب قيام الثورة والا كان نوعا من النظريات المعقدة المنسلخة عن واقعها ولكنه اليوم بعد أن تلمس الشعب خطوطه الرئيسية ضرورة تفرض نفسها فقوته الالزامية ليست بغريبة لأنها مستمدة من ارادة الشعب ، وليس من شك فى أن العالم المعاصر قدشهد تطورا جذريا ايجابيا فى فاعلية التوعية وعملياتها الأساسية ولقد لمسنا بالتجربة فاعلية هذه القوى فى توجه الخط الاعلامى واستنهاض الوعى القومى واستنبات منميات النهوض الاقتصادى والتقدم الاجتماعى والتجاوب المعنوى والتحرر الفكرى .

لذلك تزداد الضرورة الزاما فى الحاجة الى مثل هذا الميثاق القومى الاعلامى لمقابلة الاحتياجات المتجددة والوضعيات الديناميكية المتحركة لجمهوريتنا العربية النامية خاصة وان وضعنا فى الاعتبار أن لكل حركة تقدمية العناصر الرجعية بالنسبة لها ولكل ثورة قومية خصومها الراغبون فى تفكك الوحدة الوطنية ، كما أن لكل ثورة اشتراكية أعداءها الذين يهمهم الابقاء على أوضاع السيطرة من جانب القلة دون النظر الى المصلحةالجماعية متذرعين بمختلف الأساليب الفكرية والنماذج الثقافية التخلفية .

فيجب أن يكون متاصلا فى الأذهان هذا الاعتبار فى وضع سياستنا الاعلامية الترشيدية ولا شك أن جمهورنا ما زال بحاجة الى ارشاد صادق وتوجيه قويم بمحو آثار التخريب الاجتماعى والاحتكار الثقافى والاقطاع الفكرى والوهن الخلقى الذى خلقه الاستعمار الأجنبى والبناء الاقطاعى .

ومن الحقائق الموضوعية التى ترتبط بالتجربة الاجتماعية والضرورة الحياتية للجمهورية العربية أن الوضعية الراهنة تستلزم اعادة تقييم وسائلنا الثقافية والتثقيفية على هدى حصيلة المناقشة الحياديةلمقتضيات المرحلة القيادية التى تحتلها بالنسبة للأمة العربية وفى ضوء المواجهة المستنيرة لما تتمخض عنه اتجاهات التوعية القومية فى المجتمعات الآسيو افريقية وما من شك فى أن احتدام التصادم بين السياسات التوجيهية والترشيدية المختلفة هو أبرز ما يجابهنا فى هذه المرحلة التطويرية ، وفى تقديرنا أن ثورتنا المعاصرة قد ادخلت بعدا جديدا من أبعادها الكفاحية ألا وهو تحدى الاستعمار الثقافى والاقطاع الفكرى والاكراه الحضارى ، وغنى عن البيان أن هذا البعد يتطلب هذا الميثاق الاعلامى الذى يعمل على تطهيرنا من أدران وشوائب القيم الاجتماعية البالية التى غرسها الاستعمار وظاهرها الاقطاع واعتمدت عليها الرجعية والانتهازية والوصولية فى العمل على كسب الامتيازات الطائفية والطبقية وتعويق وتطوير المستويات الاجتماعية والمادية والقاعدة الشعبية قبل انبثاق وانطلاق ثورتنا الاشتراكية ولنسجل فى هذا المقام ما ورد فى الميثاق الوطنى عن ضرورة تطوير الأجهزة الترشيدية للجمهورية العربية لمواجهة خطتها الكفاحية لتحقيق الوحدة القومية والاشتراكية والحرية اذ يقول :

« ان الثورة العربية وهى تواجه هذا العالم لا بد لها ان تواجه بفكر جديد لا يحبس نفسه فى نظريات مغلقة يقيد بها طاقته » .

وجاء فى مجال آخر فى الميثاق الوطنى :

« ان فلسفة العمل الوطنى يجب أن تصل الى جميع العاملين فى الوطن فى كافة المجالات بل ويجب أن تصل اليهم بالطريقة الأكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم ، وان ذلك يكفل دائما أن يكون الفكر على اتصال بالتجربة وأن يكون الرأى النظرى على اتصال بالتطبيق التجريبى » .

ويجب علينا أن نقدر ما تمليه المنجزات الدولية الخارجية والمناشط الاجتماعية الداخلية التى أصبحت من السمات الجوهرية للجمهورية العربية ، فلا مراء فى أنها تحتل فى الوقت الحاضر مركز الصدارة بين مجموعة قطاعات الأمة العربية المتحررة ، كما أنها تحمل لواء الدعوة لسياسة دولية ترتكز على عدم التحيز والحياد الايجابى المنبثق من وضعيتها العالمية وفلسفتها الاشتراكية والانسانية ، وفضلا عن هذا وذاك فان الجمهورية العربية تتزعم مجموعة الدول الآسيوية الافريقية الأمر الذى يستلزم بالضرورة التوعية التحررية لشعوب الدول المتطلعة الى استكمال مقومات الاستقلال السياسى .

هذا فى المحيط الخارجى ..

اما فى المحيط الداخلى ، فان الجمهورية العربية المتحدة قد اخذت على عاتقها اجراء تجربة اجتماعية ، « وهى الاشتراكية الديموقراطية التعاونية » وهذه الايديولوجية تعتبر فى تصورنا حصيلة المراجعة التاريخية التى مرت بها الأمة العربية وفى تصورنا ان هذه الانجازات العملاقة على الصعيد الدولى وفى الحقل الداخلى يجب أن ترتكز فى اطار سياستنا الاعلامية على أساس تعميق الفهم بالأمور الآتية كاشاعة التدابير الوقائية ضد عوامل تفكك الوحدة الوطنية عن طريق التصدى الايجابى للأفكار والاتجاهات المستوردة والأوهام الباطلة التى تخدم الشعارات الفكرية والاقطاعية ، وابراز فاعلية القيم الروحية ، وغرس منميات النظرات التحليلية والمفاهيم التبريرية لمناشطنا الانشائية والبنائية وكذلك مناهضة النزعات اللا انمائية والسلبية من جانب القاعدة الشعبية وأيضا الترويج لفكرة القيادة الجماعية والمشاركة الديموقراطية فى التنظيمات الشعبية واخيرا مناهضة الانحرافات الفكرية المضللة .

ويجب أن يراعى فى عمليات الاتصال الجماهيرى مسئولية ابراز الهدف على مستوى قدرات الجماهير وامكانياتهم بشكل واضح وبطريقة منظمة ومبسطة .

وكذلك اثارة حمية حماس الجماهير للتجمع عن طريق صياغة الدعوة بصورة متجددة واظهار الاهتمامات التى تمس الحاجات وحل المشكلات المتصلة بالجماهير المجمعة واشعار الجماهير بانهم يساهمون فى صنع مقدراتهم واستنهاض الامكانيات والاستعدادات وتوجيه الجهود لجعل مجتمعنا متطورا متحركا فى المجال الثقافى والاجتماعى بما يلائم تطوره فى النطاق الصناعى . وما دمنا نهدف الى تحقيق وحدة فكرية وهدفية فلا بد من ان نغرس فى نفوس النشء منذ نعومة أظفارهم فضيلة الجهود التعاونية عن طريق العمل المشترك والجهد الجماعى وذلك من الناحية العملية التطبيقية فى كل المجالات التثقيفية ولا بد من أن تسهم أجهزة التوعية القومية فى تحقيق هذه الغاية التربوية ولا شك ان هذه الخطة الترشيدية ستساعد فى القضاء على مساوىء نزعات الأنانية والانتهازية والوصولية . وفى اطار من التوعية القومية تتصارع الأفكار وتتفاعل الآراء وتتفجر الطاقات فى كافة المستويات مسترشدة بالميثاق متخذة من نظرياته وتطبيقاته دليلا للعمل الوطنى والقومى على المستوى الاقليمى والمحلى .

ولكى نضمن التجاوب الفردى والجماعى فلا بد للايديولوجى كقوة للتوجيه الاجتماعى أن تتوافر فيه شروط معينة أن يكون الهدف مرغوبا فيه متفقا مع المثل والغايات العليا التى يتطلع اليها الرأى العام الجماعى وأيا كانت طبيعة نوعية الوسائل التى تتبع للوصول الى هذا الهدف فان الفرد يشعر أن لكفاحه قيمة معنوية مقدسة تبرر تضحياته ومنها كذلك أن تستهوى الايديولوجية أفئدة الأفراد والجماعات بطريقة صوفية روحية عن طريق الشعارات الرمزية التى تلهب الحماس العاطفى ، والى جانب ذلك أيضا أن يكتب للايديولوجية الذيوع والانتشار بالطريق التقليدى العرفى بمعنى أن يستمد فاعليته من التراث الروحى .

وهناك قواعد عامة يجب أن يحتويها دليل الاعلام ، ان صح هذا التعبير فهى مبادىء للسياسة الترشيدية منها : انه يجب تكييف جهازنا الارشادى وتزويده بالصلاحيات التى تكفل له العمل الايجابى وان يرتكز جهازنا الارشادى على القواعد التى تعطى مزيدا من العناية للعلاقات الانسانية والهندسة البشرية فى شتى صورها ومجالاتها وأن يتصدى ايجابيا وحركيا لدحض الأفكار المغرضة والاتجاهات المستوردة والأوهام الباطلة التى تعمل على ترويجها المنظمات والهيئات التى تخدم وتروج للفكرة الاقطاعية ـ كذلك يجدر أن يقوم جهازنا الارشادى بمهمة حماية جيلنا من أساليب التضليل الايحائى والتغرير الاجتماعى وذلك بتخطيط وتنظيم ثقافى رشيد للتوجيه المعنوى والوعى الوطنى والقومى عن طريق رقابة ترشيدية لأجهزة التواصل الفكرى .

وغنى عن البيان أن نقطة الانطلاق فى تطوير قيمنا الاجتماعية لا تتأتى الا عن طريق جهاز الترشيد الاجتماعى الذى يعنى بتشكيل ووضع المعايير والمفاهيم الجديدة التى تمثل الاطار الفكرى للبناء التربوى التعليمى وعليه أن يعمل على خلاص المجتمع من التردد والحيرة بين النماذج والانماط الاجتماعية المتباينة عن طريق غرس الوحدة التفكيرية المتجانسة .

وعلى عاتق المنظمات والهيئات الجماعية مسئولية كبرى فى تطوير الآداب الاجتماعية باعتبار أنها طرق شعبية تتميز بقوة الزامية خلقية ويعتمد عليها الى حد كبير فى دعم المقومات الذاتية للمنظمات والهيئات الاجتماعية .

والسبيل الى ذلك أن ينبثق من داخل كل منظمة اجتماعية مجموعة من التقاليد والآداب الاجتماعية المتطورة بمعنى أن تبلور كل منظمة لائحة للآداب التى يلتزم أعضاؤها باتباعها والسير وفقها فى أدائهم لوظيفتهم الاجتماعية ولا نعتقد أننا نبالغ اذا اقترحنا على المسئولين ضرورة انشاء جهاز فنى فى مستوى المجلس الأعلى يتولى الرقابة الفعلية على أجهزة الثقافة الموجهة للرأى العام وذلك للعمل على تطوير قيمنا الاجتماعية وتزويدها بالمناعة الواقية للنماذج الدخيلة المستوردة ولسنا فى حاجة الى أن نعيد تأكيد أهمية وسائل الترشيد والتواصل الثقافى من تعويد وغرس منميات القيادة الجماعية فى مختلف المستويات وكافة المجالات .

على أن أهم ركيزة بنائية بعد تصفية مرحلة التبعية الثقافية هى أن نأخذ خط « الحياد الايجابى فى المجالين الثقافى والارشادى » لأن الثقافة تتمشى فى كل مجتمع مع طبيعة النظام السياسى والاقتصادى ، فاذا كانت بالنسبة للمجتمعات الغربية الرأسمالية والاحتكارية ترتكز على مبررات تسلطية واستغلالية للتدخل فى شئون الجماعات المتخلفة والنامية ، وهى بالنسبة للمعسكر الشرقى الاشتراكى لا تنفصل عن فكرة الصراع والصدام الطبقى ، فانها بالنسبة لنا لا بد أن يرتكز مخططنا الثقافى والارشادى على الحياد الفكرى والثقافى ، فنخلص برامجنا من عوامل ومظاهر التبعية الثقافية التى كانت تصور أن الثقافة الحقة هى تلك التى تأخذ مظهر ما يسود المجتمعات الغربية وأن ما دونها لا يعتبر ذا قيمة حضارية أو ثقافية .

وتهدف سياستنا الارشادية فى هذه الآونة الى تحقيق هدفين أساسيين متلازمين .

الهدف الأول : هو اشاعة الثقافة الاشتراكية على أساس اننا نمر الآن بتجربة اشتراكية رائدة تقتلع الموروثات الثقافية الرجعية والاقطاعية والطبقية ، وتحل محلها ثقافة شعبية وانسانية ترتكز على القيم والاخلاقيات الاشتراكية ، وتتيح الفرص المتكافئة لتعبئة ثقافية شاملة لجميع مكونات القوى الشعبية المناضلة والمكافحة والعاملة ، فما دمنا نجرى تلك التجربة الاشتراكية العربية الفذة ، فانه ينبغى أن تتكون لدى جميع المستويات والفئات الشعبية ثقافة اشتراكية كاملة ليعوا مفاهيمها وأهدافها وأساليبها ومعاييرها وقيمها ، وخاصة اذا نحن استرجعنا الى الأذهان أن القطاع الريفى فى مجتمعنا يمر بتطورات جوهرية من ناحية التنظيم الاجتماعى والتكوين الفكرى ، بعد تخلصه من الوضع الاقطاعى التحكمى ، وكان هذا القطاع محروما من الاستمتاع بالتنوير التثقيفى الذى كان وقفا على الطبقة التى تتوافر لديها امكانيات العمل الفنى ووسائل النشاط الثقافى .

اما عن الهدف الثانى فهو تحقيق «اشتراكية الثقافة» فعلا واسلوبا ونعنى بذلك ان تتاح المتع الثقافية ، وجميع المعلومات الأساسية والضرورية اللازمة لتكوين رأى سليم مستنير لجميع المواطنين على قدم المساواة ، وذلك عن طريق ضمان وصول الترشيدات والاستنارات فى مختلف المجالات الى كافة المستويات فى أنسب الظروف والملابسات والأوقات ، حتى تتهيأ لجميع المواطنين الفرصة لزيادة معلوماتهم وتنمية قدراتهم وصقل آرائهم وأحكامهم وتنوير أذهانهم ، على نحو يسمح باستمرارية التقدم فى طريق الهدف الاشتراكى من الكفاية والعدل ، فالثقافة فى المجتمع الاشتراكى ليست ترفا وانما هى ضرورة حيوية ، والتثقيف والارشاد واجب على الدولة تجاه شعبها ، ولذلك أصبح الشعار الترشيدى فى هذا العهد الاشتراكى البنائى « الثقافة للشعب » .

ويجدر بالقيادات التوجيهية أن تعنى بتفهم الوضعية الحالية للتوعية القومية على مستوى الأمة العربية التى تجابه الآن مرحلة التحدى للفكرية الاستعمارية والرجعية ونحن نعلم أن التوعية وسيلة فذة للترضية والسكينة النفسية للمشاعر الجماعية وهى وسيلة لسد بعض المنافذ والثغرات التى تنفذ منها العناصر الزيفة للشعارات ولا شك أن الايمان العقائدى بالحتمية الهدفية للحركة العربية باعتبارها حركة وحدوية اشتراكية ديموقراطية تعاونية خير سند للتعميق والاشعاع الحركي على أساس أن الهدف نابع ومنبثق بالضرورة عن الحاجة الى مقابلة المتناقضات التى سادت الأنظمة البالية التى لم تعد تفى بحاجات الأمة العربية فى ديناميتها وتطورها وحركتها الواعية الصاعدة وفى نفس الوقت يستمد الهدف حتميته من كونه محط الادراك الكلى للصورة المثالية التى يستهدفها الخط التطورى للفئات الصاعدة ذات الانطلاقات الواعية بابعاد القوى الكامنة فى التفجير العقائدى حين يبلغ مده ومداه .

وفى اطار من التوعية العقائدية والعملية وايمان بالحتمية الهدفية يمكن أن تزدهر الآراء وتتنوع الافكار وتنمو الاستعدادات وتستغل الامكانيات وتكفل الحقوق والحريات وتتحقق الحتمية الهدفية بالوحدة فى ظل الكفاية والعدالة والحرية .

ونحن نحس احساسا عميقا – فى جمهوريتنا العربية المتحدة وهى تمارس تجربة اشتراكية كبرى – بضرورة انشاء معهد توجيهى ترشيدى على المستوى القومى أو القطرى يحقق متطلبات مرحلة التوعية بالايديولوجية العربية ومقتضيات التطبيق العملى للتجربة الاشتراكية والديموقراطية الجارية فى الآونة الحاضرة .

طبيعة السيادة في المفهوم العربي الاسلامي

الدكتور عز الدين فودة

السيادة الشخصية على المسلمين فى جميع أنحاء العالم :

من الشائع أنه كان لدولة الخلافة حق السيادة على جميع المسلمين فى جميع أنحاء المعمورة ، يأتمرون بأمر الخليفة وينتهون بنواهيه ، مثلهم فى هذا مثل من يقيمون داخل دار الاسلام ، أى المقيمين على أرض الدولة الاسلامية نفسها .

وحقيقة الأمر أن هذا قول لا أساس له من الصحة ، لأن رعاية الدولة الاسلامية واهتمامها بالمسلمين فى جميع أنحاء المعمورة لم تكن الا فيما يتعلق بالعبادات فحسب ، أو بمعنى أصح لا تعدو أن تكون نوعا من الرباط الأخوى والعلاقة الوثيقة بين جميع المسلمين الذين أخى الاسلام بينهم فى الدين . فالمسلمون فى جميع أنحاء المعمورة يتجهون بعواطفهم وولائهم الدينى نحو دولة الخلافة ونحو الخليفة كحارس للشرع ومقيم لشعائر الاسلام لا أكثر ولا أقل .

هذا وان كانت الدولة الاسلامية فى اتجاهاتها العالمية وسعيها لنشر الاسلام كدين عالمى ، قد استخدمت هذا الرباط الوثيق بينها وبين هؤلاء المسلمين خارج دار الاسلام الى تحقيق نوع من المصلحة السياسية ، فى الوقت الذى لم تكن لهم فيه حقوق تجاه هذه الدولة ، اللهم الا حق نصرتهم فى الدين بمعنى حق نصرتهم اذا اضطهدوا فى دينهم ، وفى الوقت الذى لم تكن عليهم فيه كذلك التزامات قبلها أسوة بما كان يقع على عاتق مسلمى دار الاسلام ، ما لم يهاجروا الى دار الاسلام مصداقا لقوله تعالى : **« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعلمون بصير »** .

كذلك ورد فى الحديث الشريف **« ثم ادعهم الى التحول الى دار المهاجرين فان أبوا فأخبرهم أنهم كأعراب المسلمين ، وليس لهم فى الفيء ولا فى الغنيمة نصيب »**

وهكذا لا يقيم المصدران الأعليان للشرع الاسلامى سلطة سياسية أو زمنية للدولة الاسلامية على المسلمين من غير رعاياها المقيمين فى دار الحرب . فالآية الكريمة واضحة المعنى فى شأن السلطة السياسية ذات العلاقة بحقوق وواجبات الانسان تجاه مجتمعه وتجاه الدولة الاسلامية . ومعنى هذا انهم يخضعون فيما يتعلق بالسلطة الزمنية لولاية الدولة التى يقيمون فيها ، مع حقهم فى نصرة الدولة الاسلامية لهم اذا اضطهدوا فى دينهم .

وفى هذا الصدد يأتى الامام الأعظم أبو حنيفة على تفصيل بعض الأحكام التى تجرى على المسلمين فى دار الحرب ، كما لو ارتكب المسلم فى دار الحرب ما يستوجب حدا من الحدود (**كأن زنا أو سرق أو شرب الخمر أو قذف مسلما محصنا**) فانه لا يجب عليه الحد ، ولا يؤخذ به قبل عودته الى دار الاسلام ولا بعدها ، الا فى حالة واحدة ، هى حالة ما اذا كان جيش المسلمين فى دار الحرب وارتكب أحد الجنود فى محيط العسكر ما يستوجب الحد . وكان القائد هو الامام العام للمسلمين أو لمصر من الأمصار . واستند الحنيفية فى هذا الى ان اقامة الحدود تستند الى الولاية العامة ، فهى فى الشريعة الاسلامية من حق امام أو نائبه لا يقيمها فى دار الاسلام الا هو . وبديهى هنا أن سيادة الدولة لا تمتد الى خارج الاقليم ، وولاية الامام لا تشمل كل الرعايا فى هذه الأمور التى تستند فى تنفيذها الى الولاية العامة على دار الاسلام ، لأن الولاية العامة وكذلك الولاية المحلية على

بجزء من دار الاسلام كلاهما منعدم فى هذه الحالة (٥) ومتى انعدمت الولاية والسيادة لا يمكن اقامة الحد ولا تطبيقه ، وان كان مقتضى هذا أن يقام الحد بعدالرجوع الى دار الاسلام لوجود السيادة حينئذ . أما فى حالة الجيش فقد وجدت الولاية الضرورية لاقامة الحد ، لان موضع الجيش يعتبر قطعة من أرض الدولة صاحبة الجيش ، تتمثل فيها مظاهر سيادتها الكاملة ، وتسرى أحكام قوانينها على أفراد قواتها الموجودة هناك . ولاغرو ان قررت القوانين الحديثة مثل هذا الحكم ، واعفت الجيوش الاجنبية من قضاء الدولة المقيمة على أراضيها وأحكام قوانينها بشروط خاصة . وقد قيل فى هذا الشأن أن القانون يتبع العلم أو كما هو شائع فى قول نابليون « حيثما يوجد العلم توجد فرنسا » .

كذلك فصل الامام الأعظم فيما يتعلق بالقصاص ، فقيل انه اذا قتل مسلم مسلما فى دار الحرب ، فأما ان يكون المقتول قد دخل هذه الدار مستأمنا للتجارة أو لأية مصلحة أخرى ، أو يكون أسيرا فى يد الأعداء هناك ، أو يكون قد اسلم هنـاك ولم يهاجر الى دار الاسلام . واجمع علماء الحنفية على عدم القصاص فى العمد ، وذلك لأن استيفاء القصاص يستند الى الولاية العامة ، ولا ولاية لدولة فى أرض دولة أخرى . ولهذا حكموا بعدم وجوب القصاص ، واكتفوا باحتساب الدية فى مال القاتل لان نفس المسلم ودمه معصوم .

وهكذا نرى ان تعاليم الشريعة الاسلامية فى تقنينها للعلاقات بين الدارين وانتفاء العصمة بينهما ، تعترف فى وضوح بسيادة الدولة الاسلامية وسلطانها الزمنى على من يقيمون على أرضها ، كماتعترف بالسلطة الزمنية للدول غير الاسلامية علـى من يقيمون على أراضيها ، مسلمين وغير مسلمين . بل ان المصدر الاعلى للشرع الاسلامى قد وضع فى شأن تقنين هذه القاعدة حكمـا أكثر وضوحا وجلاء فى شأن نصر المسلمين المضطهدين فى عقيدتهم داخل دار الحـرب ، حيث لم يبح للدولة الاسلامية أن تقوم بمثل هذا الواجب اذا كانت هناك ثمة علاقة عهدية تربط بينها وبين الدولة الأخرى غير الاسلامية مصداقا للآية الكريمة : « **وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** »

هذا بينما تقوم الدولة الاسلامية بواجب الحماية والدفاع كاملا عن رعاياها ، مسـلمين كانوا أو غير مسلمين ، ما داموا يقيمون على أرض الدولة الاسلامية بموجب سلطتها الزمنية وسيادتها التامة عـلى هذا الاقليم .

السيادة على غير المسلمين المقيمين فى دار الاسلام

مما تقدم يبين أن حكم المسلمين المقيمين داخل دار الاسلام هو حكم المواطنين الذين يتمتعون بكافة الحقوق ويقومون بأداء الواجبات التى يفرضها عليهـم تمتعهم بجنسية الدولة الاسلامية ، بينما لا يعدو المسلمون المقيمون فى دار الحرب أن يكونوا بمثابة أخوة لهم فى العقيدة والدين . فلو أننـا أردنا التكييف القانونى الصحيح لمثل هذه الحالة لاستطعنا القول أن حكم هؤلاء الأخيرين هو حكم الاجانب بالنسبة للدولة الاسلامية . وعلى خلاف كل ذلك بينما يعتبر مسلمو دار الاسلام بمثابة المواطنين ويعتبر مسلمو دار الحرب بمثـابة الاجانب فان غير المسلمين المقيمين بدار الاسلام (أهل الذمة) هم بمثابة الرعاية الذين يشتركون مع مسلمى دار الاسلام فى التمتع بجنسية الدولة الاسلامية وحقهم فى حمايتها لهم ، وان كان تمتعهم بالحقوق عامة لم يصل بهم الى درجة تمتع مسلمى دار الاسلام بها . فالدولة الاسلامية تباشر عليهم سلطانها السياسى والزمنى كاملا ، كما يحكم القانون الاسـلامى جميع أحوالهم ومعاملاتهم شخصية كانت ام تجارية أو مدنيةوجنائية . ذلك أن الشريعة الاسلامية هى مصدر الحكم فيما يتعلق بمعاملات غير المسلمين بين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين المسلمين ، على أساس القاعدة الشرعية التى جاء بها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **لهم مالنـا وعليهم ما علينا** » . وعلى أساس هذا المبدأ الصريح تتأسس نظرية السيادة الاقليميـة للدولة الاسلامية على دار الاسلام ومن عليها .

ومع ذلك فلم يوجب الاسلام لغير المسلمين تولى الوظائف العامة فى الدولة ، وهى المراكز الرئيسية ذات العلاقة بأعمال التوجيه والتى تمس الى حد ما شعائر الدين وقواعد العبادات ، كوظيفة الحاكم والقاضى وقائد الجيش . ومرد ذلك ان الاسلام فى أوائل عهده كان محاطا من الخارج بأعداء يتربصون به الدوائر ، والمسلمـون ينظرون اليهم نظرة ريبة وحذر . كما كانت الدولـة الاسلامية فى تلك الآونة مهددة بالهجوم عليها من الخارج أو بالانتكاس من الداخل . ومثل هذا الموقف لم يكن ليمكن للدولة الاسلامية من أن تولى الوظائف والمراكز الرئيسية غير المسلمين . فهى فى ذلك الوقت كانت تضع كافة القيود على غير المسلمين من رعايا دار الحرب فى دخولهم الى أراضيها ، فلا تبيح لهم « المستأمنين » أن يقيموا على أرضها أكثر من سنة واحدة . فان أقام غير المسلم على أرض الدولة الاسلامية أكثر من سنة ، ولو يوما واحدا ، أصبح فى حكم الذمى ، ووجبت عليه الجزيه

حتى اذا ما استقرت الأحوال فى الدولة الاسلامية ، وسعى اليها بالسلم جيرانها ، ودخلوا معها فى عهـود ومواثيق ، تغيرت الأحوال فيما يتعلق بوضع غيرالمسلمين من رعاياها الذين أصبحوا يتمتعون بكافة الحقوق وتولى المراكز العامة . وقد جرى على هذا التقليد كثير من الخلفاء أمثال المعز لدين الله الفاطمى والعزيز بالله ، وغيرهم ممن اعتادوا أن يولوا غير المسلمين مناصب الادارة والوزارة وجباية الضرائب ، الأمر الذى استدعته الضرورات العملية وعوامل الثقة فى اخلاصهم وكفايتهم وان خالف ذلك الأحكام والتقاليد الشرعية الأصلية .

ومن المعروف أن غير المسلمين كانوا يدفعون الجزية للدولة الاسلامية كمقابل للحماية التى تقوم بها الدولة الاسلامية على أنفسهم وأموالهم ، فاذا لم تستطع الدولة الاسلامية أن تقوم بواجب الحماية هذا ، كان عليها أن ترد الجزية لأصحابها . وهذا هو ماحدث بالفعل عندما تراجعت الجيوش الاسلامية بقيادة خالد بن الوليد من حمص ، اذ أعاد خالد الجزية الى من دفعـوها من أصحابها . وفى مقابل أداء الجزية أعفى الاسلام أهـل الذمة من واجب الجهاد ومن ضريبة الزكاة ، علما بأن الجزية كانت الضريبة الوحيدة المفروضة على الذميين فى ذلك الوقت بين ضرائب اخرى كانت مفروضة عـلى المسلمين كالزكاة وخراج الأراضى .

أما فيما يتعلق بعلاقات غير المسلمين ، فمن المعروف أن الخليفة عمر بن الخطاب قد وضع أصول الأحكام الشرعية فيما يتعلق بمعاملتهم عند فتح بيت المقدس ، اذ أجاز لهم أن يحكموا فيما بينهم بما أنزل الله فيهم فيما يتعلق بمسائل العبادات والأحوال الشخصية . فكان لزعماء غير المسلمين ورؤسائهم الدينيين أن يقوموا بالتحكيم بينهم فى الخلافات التى تتعلق بمسائل العبادات كالزواج والطلاق والارث وغيرها من المسائل المتعلقة بدينهم وأحوالهم الشخصية . كذلك أبيح لغير المسلمين حق ادارة كنائسهم ومعابدهم وأديرتهم ، وهى كلها أمور تتعلق بالعبادات كما نرى (٦)

ولم يكن هذا الاتجاه في حكم غير المسلمين لبعض علاقتهم يتناقض واحكام الشرع الاسلامي ، وانما قامت الاجازة في هذا الشأن تأسيسا على قوله تعالى « **وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه** » . وقوله تعالى « **فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم** » . وهكذا كان الشرع الاسلامى هو مصدر الاختصاص بالنسبة لتولى غير المسلمين الفصل فى منازعاتهم ذات العلاقة بالعبادات والأحوال الشخصية على أرض الدولة الاسلامية ، وأن يقوموا فى هذا الشأن بتطبيق قوانينهم التى يختلف فيها أحكام دينهم عن أحكام الشريعة الاسلامية ، ومن ثم فقد كان على القاضى المسلم أن يتنازل عن الاختصاص فى مثل هذه المسائل المتعلقة بعبادات أهل الذمة وامور دينهم . مالم يختلفوا فى شأن من يحكم فيها ، أو يأتوا اليه من طواعية ليكون هو قاضيهم فى شأنها .

غير أن هذا التسامح من جانب الشريعة الاسلامية لم يكن مطلقا كل الاطلاق وانما كان مقيدا بحدود وقواعد النظام العام الاسلامى ، ذلك أن تطبيق الشرائع غير الاسلامية على غير المسلمين فى دار الاسلام كان يجب الا يخالف القواعد الأساسية للشرع الاسلامى ، كأن يبيح تطبيق القواعد غير الاسلامية زواجا على درجة من القرابة لاتبيحها احكام الشرع الاسلامى ، لان مثل هذا الحكم هو من قواعد النظام العام الاسلامى التى تطبق على المسلمين وغير المسلمين على السواء .

أما فيما يتعلق بالخلافات التى تثار بين غير المسلمين من أديان مختلفة كنزاع بين يهودى ومسيحى ، فان القاضى المسلم وحده يكون هو صاحب الاختصاص ، وقواعد الشريعة الاسلامية وحدها تصبح هى الواجبة التطبيق .

وكذلك الأمر فيما يتعلق بقواعد المعاملات على وجه العموم – وهى القواعد التى تعتبر فى الوقت الحاضر الى جانب أحكام القوانين الجنائية صلب التشريعات المدنية والتجارية الوضعية المعاصرة – فان قواعد الشريعة الاسلامية تكون وحدها هى القانون الواجب التطبيق بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء ، لأنها قواعد موضوعة بالنسبة للجميع ، فلايفرق فى شأنها بين مسلم وغير مسلم . فاذا ثار نزاع بين ذميين من دين واحد ، فى شأن أمر من الأمور المتعلقة بالمعاملات والتى لاعلاقة له بالعبادات بأى حال من الأحوال ، فانه يصبح من حق القاضى المسلم أن يتولى الفصل فيها . وان كان من حقه أن يحيل مثل هذا النزاع عن رضا وطواعية الى حكم من ملة المتنازعين كى يقوم بالتحكيم فيه . ولما كان هذا الحكم لايعتبر فى نظر الشريعة الاسلامية قاضيا ، فان قيامه بالتحكيم فى مثل هذه الحالات لا يعتبر فيه انتقاصا لسيادة الدولة الاسلامية وسريان تشريعها الاقليمى على كامل أراضيها وجميع من يسكنونها ، فهو فى حقيقة الأمر يقوم بتحكيم اختيارى ، وفى منازعات لاتتعلق بمصالح الدولة ونظامها العام . ومن ثم فاننا نستطيع أن نشبه وظيفته فى طبيعتها بوظيفة التوفيق ، حيث كان التحكيم نظاما مختلطا بنظام التوفيق فى تلك الآونة ، ولاسيما فيما يتعلق بطبيعته غير الملزمة ، وحيث تصدر هيئة التوفيق قرارا يحدد شروط حل النزاع ولا يكون ملزما لطرفى الخصومة، ولكنهم قد يقبلونه [illegible] الحكم من ملته ، فانه لايكون قد خرق قاعدة من قواعد القانون الداخلى فيما يتعلق بتنفيذ الأحكام ، وانما يحال الأمر الى القاضى المسلم ليقضى فيه حكما نافذا وملزما ◘

الأعياد الإسلامية

الاعياد فترات تختارها الاديان أو يختارها الانسان لتكون مجالا للفرح والابتهاج واللهو البرىء ومجالا للاجتماع وتجديد المودات والذكريات بين الاهل والاصدقاء .

والاعياد ظاهرة بشرية قديمة قلما تخلو منها امة من الامم وكأنما هى من وحى الفطرة ، فرتابة العيش واطراد نظام العمل على نسق واحد مسئم وممل فلابد للعقل من راحة ولابد للجسم من سكون ولابد من تغيير لنظام الحياة ليتجدد النشاط وتستجم النفوس .

وكانت الاعياد فى الامم القديمة مقصورة على المناسبات الطبيعية أو الحربية وقد لمستها الحضارة والقت ظلالها عليها وأثرت فيها وتأثرت بها واكثرت من مناسباتها فاصبح للامم أعياد للتحرر والاستقلال واعياد للعلم والفن واعياد للطفولة والامومة واعياد غير ذلك اوحت بها الحضارة واخذت كل أمة نصيبها منها .

وللامم تقاليد شتى فى اختيار أمكنة الاحتفال بالاعياد ومظاهره ، فمن الامم من يرى أن تكون الاحتفالات فى المعابد فى قمم الجبال أو فى الكهوف فى بطون الاودية ومنهم من يرى أن تكون الاحتفالات فى الرياض النضرة والحقول المعشبة ، ومن الاثرياء فى بعض الامم من يختار لاعياده متون البحار على ظهور الباخرات أو عنان السماء فى الطائرات كما تختلف مظاهر الاحتفال فى الامم اختلافا توحى به البيئة الدينية او الاجتماعية أو الطبيعية ، فالامم المتدينة تحاول الا تخرج فى نظام احتفالاتها عما ترسمه الاديان فى لهوها وطعامها وشرابها ، وامم اخرى لاتقف عند حدود فى ذلك ، وترى أن هذه الفرصة تبيح لها ماكان محظورا وترخص فيما كان ممنوعا .

مجال للتكامل الاجتماعي

الأستاذ أبو الوفا المراغي

ولعل من اكثر الامم شهرة فى الاعياد فى العصور القديمة امة الفرس ، ومن اعيادها التى ماتزال كالعهد بها عيدا النيروز والمهرجان .. ومن عاداتهم فى النيروز أن يوقدوا النيران فى ليله وينثروا الماء فى صباحه وكان من عاداتهم فى المهرجان أن يدهنوا بالأطيبة الزكية ويلبسوا الالبسة الفاخرة ، كما كان من عادة ملوكهم فيه أن يخرجوا ما فى خزائنهم من الملابس والفرش ويوزعوه على العامة ويقولوا : ان الملوك تستغنى عن كسوة الصيف فى الشتاء وعن كسوة الشتاء فى الصيف ، كما كانوا يتهادون المسك والعنبر وانواعا اخرى من العطور .

ومن اعياد العرب القديمة الجديرة بالتنويه والتنبيه ماكانوا يفعلونه فى سوق عكاظ مما يشبه عيد العلم الحديث فقد كانت قبائل العرب تتوافد اليه فى ذى القعدة من كل عام من سائر الانحاء ويتناشد شعراؤهم الاشعار فى هذه المجتمعات كاشبه ماتكون المسابقات فى هذا العصر وكان لهذه المسابقات حكام من الادباء ذوى البصر بمراتب الشعر والدراية بأسباب الاجادة والتقصير ، فاذا فرغ الشعراء من انشادهم قضوا فيهم بالسبق أو التخلف واحتفلت كل قبيلة بمن فاز من شعرائها فاقامت الولائم وغنت النساء بالمزاهر واستكملت مظاهر الابتهاج السائدة حينئذ واحتشدت القبائل لتهنئتها على نجاحها فى هذا السباق الادبى .

ولما جاء الاسلام لم يشأ ان يبطل ماكان للعرب من اعياد حتى لايجذبهم الحنين الى اعيادهم الجاهلية فيعودوا الى ماكان يسودها من مآثم العادات ومايجرى فيها من المفاخرات التى كانت تحيى بينهم العصبية والنخوة القبلية وابدلهم باعيادهم المختلفة عيدين يوحدان بينهم ويجمعانهم على شعار واحد لامجال فيه لمفاضلة أومفاخرة فقد قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وللعرب يومان يلعبان فيهما فقال : ماهذان اليومان ؟ فقالوا: هذان يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال : لقد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر، وبهذين العيدين توحدت اعياد العرب واعياد المسلمين عامة وقضى الاسلام على هذه الاعياد المتكاثرة المتفرقة فى البلدان والقبائل التى كانت مجالا للفجور ولما لايحمد من الامور كشرب الخمر ولعب القمار واثارة الاحقاد والضغائن ، وقد ارشد الاسلام الى الاحتفال بهذين العيدين وجعل من رسومها سبلا لطاعة الله والبر بالمجتمع واشاعة المحبة والتعاون بين المسلمين .

جعل الله هذين العيدين للدين وللدنيا ، ولله ولحظوظ النفوس ، فما لله منهما انه امر المسلمين أن يبدأوا كل يوم من يومى العيدين بصلاة زائدة على الصلوات المعتادة فى غيرهما من الايام تسمى صلاة العيد لتكون فاتحة اليوم بركة وطاعة وشكرا لله على ما أسدى فيهما من النعم على أن يشهد تلك الصلاة صبيان المسلمين ومن يمكن من نسائهم ليكثروا فى أعين اعدائهم وتستبين لهم شوكتهم وقوتهم ، كما أمر بالاكثار من الاذكار فيهما ليلا ونهارا وسرا وجهارا . وما للمجتمع فيهما أن الله أمر بالانفاق على الفقراء والمساكين بقدر محدود على الفرد وهو زكاة الفطر فى عيد الفطر وبقدر محدود على رب الاسرة من لحوم الاضاحى فى عيد الاضحى واستحب اظهار الفرح والبشر والبشاشة فى وجوه الاخوان ، والتغاضى عن الهفوات والاكثار من الخير والمعروف على ذوى الفاقه من المسلمين، حتى لا تكون الافراح بالاعياد انانية عارمة يستبد الاغنياء بمظاهر البهجة والسعة فيها ويتلظى غيرهم بنيران الحاجة والحرمان .

وبهذه الوصايا تصبح الاعياد أعيادا اجتماعية يشترك فى الابتهاج بها الاغنياء والفقراء فى جو محتشم يسوده الايثار وتحقق فيه رغبات الافراد ومصلحة الجماعات .

وان منهج المسلمين اليوم فى الاحتفال بالاعياد فى نواحيها الدينية والاجتماعية لايلتقى بكثير من وصايا الاسلام فى هذا الشان ولا يحقق شيئا من مصالح الجماعات وان حقق للافراد كل الرغبات .

هذا وان فرص الاعياد داعية لبعث عوامل البذل والسخاء فى نفوس الافراد ومن الخير ان تستغل هذه الفرص فى عمل اكتتابات لمشروعات وطنية مفيدة تسمى مشروعات الاعياد ويقينا انها ستكون مشروعات ناجحة ، ولقد استغل النبى صلى الله عليه وسلم هذه الفرصة فدعا النسوة فى يوم العيد الى الاشتراك فى مثل هذه المشروعات فلبين دعوته وحققن رغبته وكن يتصدقن بالقرط والقلائد والخواتم حتى جمع فى ذلك اليوم أموالا كثيرة انفقها فى حاجة الجماعة الاسلامية حينذاك ، روى البخارى عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس قيل له : اشهدت العيد مع النبى صلى الله عليه وسلم قال : نعم ولولا مكانى من الصغر ماشهدته حتى أتى العلم الذى عند دار كثير بن الصلت فصلى ثم خطب ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن وامرهن بالصدقة فرايتهن يهدين ما بأيديهن يقذفنه فى ثوب بلال ثم انطلق هو وبلال الى بيته .

مشكلة اللاجئين العرب ..

الدكتور محمود دياب

لقد زرت اليونان وتركيا وسوريا ولبنان وبيت المقدس وعمان وكان همى ان ادرس علاقة هذه البلاد بمصر الفرعونية والعربية والاسلامية على حد سواء ووجدت ان فى كل مكان مررت به اثرا من آثار مصر ووجدت اننا نشترك فى السراء والضراء وانه اذا تقدمت مصر تقدم بالتبعة اهل هذه البلاد ولقد نمت ليلة فى بيت المقدس فى لوكاندة تقع على الحدود اليهودية وسمعت هوجهم ومرجهم وحالتهم المعنوية ومررت بفلسطين العربية حتى الخليل ورأيت الاهالى القائمين هناك ولقد مررت على اللاجئين فى حلب ودمشق وبعلبك ودهيشة فراعنى حالتهم السيئة .

اللاجئون فى حلب

عددهم حوالى ٥٠٠٠ ويسكنون فى منطقة كلها اكواخ بجوار مطار التيرب وياخذون رواتب من لجنة الاغاثة الدولية وقليل جدا منهم يتمكن من أن يعمل اعمالا حرة ولقد منعوهم من العمل حتى لا يمتنع راتب الاغاثة لهم وعدد العائلات هو عبارة عن ٥٠٠ عائلة كلهم مرضى بفقر الدم وقال لى الطبيب (ان عددالمرضى يوميا هو ٦٠مريضا وان منهم ١٢ مريضافقط مصابين بالسل وان بهم تراكوما ٥٪ وان حالتهم حسنة) وتبين لى بعد ذلك عكس هذا على خط مستقيم .

ورأيت مدرسة الحضانة ولقد درست حالتهم الثقافية اللجنة الثقافية للجامعة العربية ، ومررت بجميع المساكن تقريبا ورايت فى الغرفة ٨ اشخاص ووجدت ١٦ خيمة فى العراء والكبار ضعاف جدا لانهم يعطون الصغار اكلهم ولانهم فقدوا روحهم المعنوية .

مهجع رقم ١٨ :

لقد استلفت نظرى هذا المهجع ومافيه ومن فيه فلقد رأيت فيه منظرا يفتتت الاكباد فهو عبارة عن ستائر ممزقة ويعيشون كالسائمة تماما لايفصل عن العائلة والاخرى الا بعض الخرق المهلهلة التى لاتستر عورة او حركة .

ولقد تالمت جدا اذ قارنت بين اخوانى العرب وبين الارمن الذين هاجروا فقابلتهم فرنسا واسكنتهم سوريا ولبنان حتى اصبحوا ملاك الصناعة فيها .

وبين اليهود الذين يحضرون بمئات الالوف والملايين من مختلف الاقطار لينشئوا دولة جديدة على مسافة امتار منهم ولقد ناقشت كثيرا من اللاجئين فى طلباتهم وهى تتلخص فيما يلى :

١ - الرجوع الى بلادهم .

٢ - يطلبون مؤقتا الرجوع الى حياتهم كما كانوا فى بلادهم .

٣ - المدارس غير كافية ويطلبون زيادتها وهم يقسمون أولادهم الى ثلاثة اقسام أو أربعة :

١ - قسم مهمل لايتعلم ولا يعطى اكلا او ملبسا .

٢ - قسم متوسط يتعلم تعليما بسيطا ويعطى بعض الماكولات .

٣ - قسم كان طالبا بالمدارس ولم يمكنوه من الدخول فى سنته الدراسية او الدخول اطلاقا فى المدارس السورية .

٤ - قسم بسيط جدا تمكن من دخول المدارس •

الحالة الصحية :

١ - التغذية غير كافية :

١٠ كيلو دقيق فى الشهر
٦٠٠ جم فى الشهر سكر
٢٥٠ جم زبدة
٥٠٠ جم حبوب عدس وحمص فى الشهر
٥٠٠ جم ارز فى الشهر
١٠٠ جم صابون فى الشهر

وهذه كميات لا تكفى ان وصلت فما بال الانسان كيف يعيش اذا كانت لاتصل كلها ويعيش هؤلاء البؤساء على هذه الكميات التافهة التى لا تغنى ولا تسمن من جوع ولا تعطيهم الحكومة او الاغاثة غير ذلك •

٢ - المستشفى

ضمن البناء الموجود به اللاجئون وهذا خطر عليهم اذ ان به مرضى السل ومرضى التيفود . ويوجد به طبيب وممرضات لايعملون شيئا ويقال انه ليس به ادوية واذا وجدت لا تعطى لأحد .

٣ - نظافة المسكن :

كان المهجع نظيفا ايام كان تابعا للحكومة السورية اما الآن فقد اصبح مرتعا للحشرات كالبق والبراغيث والصراصير وماشابهها حين أصبح تابعا لهيئة الاغاثة .

٤ - وجدت كثيرا من الاطفال مرضى بالقراع •

ولقد راجع المشرف على اللاجئين هيئة الامم مرارا ولم يحدث أى افادة او اهتمام •

٥ - الاطفال فى حالة من السوء ليس لها مثيل •

الطفل من ٠-١ اقل من سنة لايعطى اعانة

الطفل من ١ - ٧ يعطى نصف اعانة ثم انقصوها •

ولقد قال لى للاجئون فى مرارة اننا لا نريد أن نأخذ من هيئة الامم شيئا ولكننا نريد مساعدة اخواننا العرب بتمكيننا من •

١ - اخذ ارض للعمل بها •

٢ - ايجاد عمل وقتى •

٣ - تجنيد الشبان جميعا لخدمة وطنهم •

٤ - عدم تحقيرهم بتشغيل كبارهم فى احقر الاعمال واثقلها وفيهم من يفضل الموت على هذه الحال .

ولقد طلبوا منى الكشف على مرضاهم فما هو الا ان تبين لى حقيقة سوء حالهم وماكشفت على مريض الا وجدته مصابا بالسل ، ولقد قال لى احد المتعلمين منهم أن حقيقتهم ان بهم مالا يقل عن ١٦٠ مصابا بالسل •

وهناك بعض الاسماء وامراضها التى لايلتفت لها احد •

١ - وفيق مصطفى المصرى - مريض بالسل ولا يقبله المستشفى مطلقا •

٢ - محمود خضر المستور - سل فى العظم ولا يلتفت اليه أحد •

٣ - أحمد محمد شبكى - هبوط فى القلب

٤ - حسن محمود وحرمه - سل فى الرئتين

٥ - مفيدة محمد محمود الضباع - مرض جلدى

٦ - راغب مسعود

٧ - سعيد قاسم

٨ - جميل مرسى ابو سنويد

٩ - عبد الله احمد خضر

وعشرات غيرهم ••

واما المستوى الاخلاقى فيمكن ان يتصوره الانسان بسهولة وان يتصور مدى ماوصل اليه حالهم • ولقد اتضح لى بعد البحث الدقيق :

١ - ان الاغاثة غير كافية وهى التى تسبب جميع الامراض •

٢ - ان توزيعات الاغاثة غير عادلة ايضا •

٣ - قضية تشغيل اللاجئين لاتبحث الآن وتسير الامور سيرة مضطربة ولو عرف القائمون المخلصون حقيقة اللاجئين السيئة لبحثوها جيدا ونفذوها فورا •

٤ - افكار اللاجئين المخلصين لاتتجه الا الى الرجوع الى بلادهم وهم مستعدون أن يموتوا فهذا اهون لهم من حالتهم الحاضرة •

٥ - يوجد بين اللاجئين اشخاص ماجورون يمدحون الاغاثة فى عملها وهم فى الحقيقة دعاة أجانب أعماهم بريق المال واضلهم سواء السبيل •

اما بقية اللاجئين فهؤلاء فقدوا روحهم المعنوية لما يحدونه من تخاذل العرب ازاءهم .

والشبان متحمسون وأذكياء ومن دخل المدارس كان الاول فى فصله ولقد تقدم للامتحان ٢٣ طالبا نجحوا جميعا بالرغم من عدم وجود أى وسائل للراحة لهم ولكنهم أذكياء بالفطرة •

الصحة العامة :

مهملة بشكل مزرى ولا يعطى الدواء المناسب بل يعطى ما ليس له صلة بالمرض والطبيب الذى لا يود أن يساير الاغاثة فانها تستغنى عنه بناء على العقد الموجود بينها وبينه هذا حدث فعلا للدكتور عارف حكمت بحلب وبالرغم من انى لم أتشرف بمعرفة حضرته فلقد سمعت عنه ثناء مستطابا ولقد استغنت عنه الاغاثةلانه كان يغيث الملهوفين ولقد اشتكى للحكومة السورية فكان رد الاغاثة (أنه لم يكن موظفا مثبتا والغى عقده لان عمله لم يكن بالمستوى المطلوب)

لقد الغوا عقده فعلا للاسباب الآتية :

١ - كان يخدم اللاجئين وكان يساعدهم من جيبه الخاص •

٢ -كان يذهب لاسعافهم ليل نهار •

٣ - طلبوا منه ألا يدقق فى العلاج فابى عليه ضميره العربى والوطنى والطبى أن يستمع الى هذه النصيحة ويسمع الى رغباتهم التى لا تتفق مع الانسانية •

٤ ـ كان يعالج ٢٠٠ مريض يوميا .

لقد طلب اللاجئون جميعا رجوعه بالشكاوى المختلفة ولكن دون فائدة ولم يكن لي بد من زيارة كثير من المخيمات والاشخاص والعائلات واجلس اليهم حتى اتعرف نفسيتهم واشعر بحقيقتهم وقد تبين لي بعد ذلك :

اولا : ان حياة اللاجئين في جميع المخيمات على شكل واحد .

ثانيا : ان امكنة سكن اللاجئين ضمن الابنية وضمن المخيمات لاتتوفر فيها المياه النقية .

ثالثا : ان عدد المراحيض قليلة جدا بالنسبة لعدد السكان وان وجدت فليست مستوفية الشروط الصحية

رابعا : على قلة المراحيض فان اكثر اللاجئين يقضون حاجاتهم الضرورية حول المخيم وقد شاهدت البول يسيل ضمن ممرات بناء الالباس .

خامسا : النظافة مفقودة تماما بين اللاجئين مثل الغرف ومثل الخيام .

سادسا : ان الحالة الصحية بين اللاجئين ليست حسنة تماما .

سابعا : شاهدت في بعض الغرف وبعض الخيام التي لاتزيد مساحتها عن ١٦ مترا مربعا عن ١٥ شخصا يعيشون سويا كالسائمة في هذا المكان الضيق .

ثامنا : لقح اللاجئون بلقاح الجدري ولقاح ضد التيفويد ويتضح من المشاهدات المسرودة أن الحالة الصحية بين اللاجئين لاتدعوالى الارتياح وان تكاثرالسكان يؤدي الى انتشار الامراض التي لا تضر بصحة اللاجئين فقط انما تضر بالسكان المجاورين في المدن والقرى .

ولقد بحثت في الدوائر المسئولة عن اهمال الاغاثة للاجئين هذا الاهمال في الوجهة الصحية فقيل لي انالاغاثة لم تات الى البلاد العربية لتبذل المعونة الصحية الكاملة للاجئين وانما هي اتت لتبذل المساعدة الاولية فيما يختص بالعلاج والعناية المستعجلة .

ولقد لوحظ بعد التجربة ان صيدليات الاغاثة لاتحوى الا النذر اليسير من الادوية البسيطة ولا تمنحالادوية الغالية الثمن مثل البنسلين او الاستربتوميسين الا في احوال نادرة خاصة . وبناء على توجيه خاص من رئيس اطباء الوكالة والعناية الصحية باللاجئين في سوريا لا تقتصر على الوكالة وحدها وانما تساهم الحكومة السورية في المناطق الجنوبية كحوران وجبل الدروز والحدود السورية الفلسطينية التي لايوجد فيها فروع للاغاثة .

وقد وضعت الحكومة السورية ٥ أسرة من ١٧٠ في مصح السل الموجود بدمشق ، و ٥ أسرة أخرى في مصح حلب وهناك مساع تبذل في سبيل زيادة الاسرة والذى ينظر الى هذا العدد البسيط في الاسرة يجد انه غير كاف أبدا لعلاج المرضى غير المسلولين والذين يزدادون بكثرة مخيفة اخشى أن تقضى عليهم جميعا .

وكثيرا مايذهب اللاجئون الى مؤسسة اللاجئين في سوريا لاخذ ثمن دواء وقد وضعت الحكومة السورية ٣٠٠٠ ليرة في الشهر بالاضافة الى ماتبذله وزارة الصحة في حدود طاقتها في العناية باللاجئين ومايبذله الهلال الاحمر السوري في حدود كفايته ايضا .

وهذه الطاقة ليست كافية بلا شك اذ انه يوجد ١٠٠٠ مريض بالسل بين ٢٥٠٠ لاجيء في سوريا واحسن علاج لهذه المشكلة الطبية ان يحول القسم الصحي بالاغاثة الى منظمة الصحة الدولية ويمكنها أن تزيد في عدد الاسرة وتزيد الادوية المناسبة ولو تبنى الفرع الاقليمي الذى يرأسه السيد المحترم الدكتور على توفيق شوشة هذه الفكرة لافاد ضم اللاجئين وضم البلد الذى يوجدون فيه وهو بذلك قد اصاب هدفين بعمل واحد .

١ ـ خدمة صحية بتحسين صحة اللاجئين بطريقة مباشرة .

٢ ـ خدمة صحية للشرق الاوسط وهي ماترمي اليه بطريقة غير مباشرة .

اذ ان ازدياد الامراض بين اللاجئين وانتشار العدوى بينهم يسبب قلقا مستمرا على الصحة العامة في البلد المقيمين فيه .

القراع :

اصبح مشكلة بين اللاجئين ووزارة الصحة السورية لا تكاد تكفي وسائلها لمعالجة القراع من السوريين .

خيم الاليانس :

كانت مدرسة يهودية أخذتها الحكومة السورية وجعلتها مركزا للاجئين ويوجد أمامها مخيمات للاجئين تضم حوالي ٤٢٠٠ لاجيء لايفصل بين الخيمة والخيمة الا مسافة بسيطة جدا .

وقد طلبت الحكومة السورية من وكالة الاغاثة ان تنقل هذا المخيم من دمشق الى خارجها على ان تتكفل الحكومة بتقديم الاراضي اللازمة التي سينقلون اليها لان بقاءه يوجد خطرا اكبر على صحة اللاجئين وعلى صحة المواطنين لازدحامه ازدحاما خطيرا ولعدم توافر العناية الصحية اللازمة لوجوده بين منازل دمشق .

مؤسسة اللاجئين :

لقد اهتمت الحكومة السورية باللاجئين فانشأت مؤسسة للاجئين وهي مكونة من ٨٠ موظفا . ولقد انشيء هذا المكتب اثر حوادث فلسطين وهو الذى تلقى اللاجئين وهيا لهم سبيل المسكن والطعام وهو الذى يقوم بمهمة الاتصال بوكالة الاغاثة الدولية ويمثل وجهة نظر الحكومة السورية فيما له علاقة بشئون اللاجئين وتتصل هيئة الاغاثة كذلك به في كل ماتريده .

الحالة في مخيم الالبانس :

يرى الانسان مخيم الاليانس فيرى بعين راسه كيف يدب الموت دبيبا الى حياة الانسان وكيف يعيش الانسان في القرن العشرين عيشة الحيوان وكيف تشرد مليون لاجيء عربي في سبيل اليهود الذين كانوا يرتعشون فزعا لاسم هتلر .

وحالة الخيام ممزقة أشد التمزق ووسائل الصحة معدومة وأطفال يموتون دون حساب و ١٢ عائلة يعيشون في بهو واحد ولقد قال لي الشيخ فارس حسن تحيم (مختار الجاعون) ان النساء يسقطن بعد العمل مباشرة

وان الخيام حرب عليهن صيفا وشتاء ويردن تدبير مساكن لهن حتى يدبر الله أمرهن فى بلادهن .

والاطفال لايجدون ملابس لهم ومعظمهم مصابون بالسل واذكر فى ذلك كله ان موظفى الاغاثة كما يقول اللاجئون غير عادلين فهم يعطون العائلة التى تذهب للخدمة فى منازلهم ولقد تكاثرت على الشكاوي وتكاثرت امام نظرى المناظر المحزنة حتى دمعت عيناى الما لابقاء اسرائيل بين العرب وما ينتظره اللاجئون من مصير سىء على يد الغرب واليهود .

شرق الاردن :

ركبت السيارة من دمشق حتى وصلت الى درعا ثم استمررت فى الطريق الى عمان وكنت أرى كثيرا من المهاجرين فى الخيام فى حالة لا تسر مطلقا ومررت بعمان وجسر النبى على نهر الشريعة وهو الذى يفصل بين شرق الاردن وفلسطين .

ودخلت ارض فلسطين ورايت من بعيد مبني للامريكان قيل انه للاجئين .

ورايت مدينة اللاجئين فى اريحا قيل انهم هم الذين بنوها بمالهم وايديهم .

مررت بالقدس وبيت لحم وبيت جالا وسرت حتى وصلت الى الدهيشة وهى التى يسكن بها اللاجئون من كراشي وهى عبارة عن منطقة صخرية جرداء بها خيام ممزقة لاتمنع الحر ويقال ان الثلج الذى يغطى هذه الصخرة يذوب فيغرق اللاجئين بالليل فتقوم القرى التى تقع حولها على صياح اللاجئين وان كثيرا منهم قد حان قضاؤهم بالغرق .

ورايت الدكتور لاميت الامريكى قد فتح مستشفى بجوار اللاجئين للتبشير قائم على قدم وساق هناك .

اللاجئون العرب

عدد اللاجئين :

١ - قطاع غزة كان سكانه الاصليون ٨٠٫٠٠٠ فاصبح ٢٠١٫١٧٥

٢ - لبنان عدد سكانه ١٫٢٦٧٫٥٧٥ واللاجئون ١٠٦٫٧٩٦

٣ - سوريا اللاجئون ١١٫٨٩٧

٤ - الاردن سكانه الاصليون ٧٨٤٫٢٥٩ اللاجئون ٤٦١٫٧٠٩ ساكنو الضفة الغربية

٥ - العراق اللاجئون ٥٫٠٠٠

وجاء عن اللاجئين فى كتاب دعامة اسرائيل فى صفحة ١٨ مايلى :

لقد ترك اللاجئون منازلهم وحقولهم وحيواناتهم تحت الظروف القاهرة وهؤلاء الذين يعيشون قريبا من الحدود يجدون الاسرائيليين وقد احتلوا منازلهم وسكنوها ويحدث كثيرا ان يمر المهاجر على الحدود لياخذ معزة او خروفا مما يعتقد انه كان ملكه يوما من الايام او ياخذ اى حاجة تعويضا لما فقده .

وجاء عن اللاجئين فى كتاب امريكا والشرق الاوسط

وهذا الكتاب اخطر ماقرات عن الشرق الاوسط اذ وضع مؤلفوه وعددهم عشرون كاتبا وباحثا هذا البحث للرئيس الاسبق ايزنهاور وفيه سياسة مفصلة عن كل دولة من دول الشرق الاوسط ولقد وضعت سياسة امريكا فيه وتنفذ هذه السياسة كما وضعت

جاء فى صفحة ١٠٩ :

ان اللاجئين العرب عنصر ينهار وان عددهم ٨٧٤٫٦٢٨ وقد اعتمدت الامم المتحدة مبلغ ١٤٠ مليون دولار لمساعدتهم واعتمدت ٢٠٠ مليون دولار لاعانة مشاريع اللاجئين فى البلاد العربية ولم تصرف لسببين :

١ - يقاوم اللاجئون كل البرامج الا اذا كانت مؤقتة .

٢ - لايمكن ان ينجح اى برنامج مالم يعمل برنامج مساوله لرفع مستوى اللاجئين .

ويقول التقرير ان الحل الوحيد للاجئين العرب هو اقامتهم اقامة دائمة فى البلاد العربية وان هذا هو راي المراقبين المحايدين .

ولاسباب سياسية يرفض الساسة العرب هذه الآراء بالنسبة للدعاية المستمرة ضد اسرائيل والغرب والامم المتحدة واللاجئون العرب ينتظرون دورة حرب ثانية ضد اسرائيل والغرب معادية للعرب ومماثلة للدعاية الشيوعية . ويقول التقرير ان الحكومات العربية هي المسئولة عن عدم اقامة اللاجئين اقامة دائمة .

وتكلم التقرير عن الشيوعية بين العرب فى الاردن بما يلى :

تعتبر البطالة وعدم الرضا بين اللاجئين ملجا خصبا للافكار الشيوعية والرجوع الى اسرائيل غير مقبول ولا مرضى عنه ويمكن ان تختص الدول العربية باللاجئين .

ولقد اوصى اعضاء البرلمان الامريكى بوضع اللاجئين فى البلاد العربية واوصى المستر هوفر رئيس الجمهورية الامريكية الاسبق بوضعهم فى العراق .

وقال التقرير عن أمثلة الهجرات بين الدول ما يلى :

١ - تبادل السكان بين بلغاريا واليونان ٥٧٫٥٣٠

٢ - تبادل السكان بين اليونان وتركيا ١٫٢٥٠٫٠٠٠ يونانى مقابل ٣٣٥٫٠٠٠ تركي

٣ - تركيا ورومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا

ويقول التقرير ايضا ان مسالة اللاجئين العرب ستثير الضمير الانسانى وتسبب متاعب تهدد السلم فى المنطقة مالم تحل .

اضطهاد العرب فى اسرائيل

يوجد فى اسرائيل :

١٧٧٫٠٠٠	عربى منهم :
١٢٠٫٠٠٠	مسلم
٤١٫٠٠٠	مسيحى
١٦٫٠٠٠	درزى

ويعامل اليهود المسيحيين والدروز معاملة ممتازة

اما العرب المسلمون فيرزحون تحت حكم عسكرى مباشر بعيد عن القانون المدنى ، يوجد ٣٥٫٠٠٠ مسلم مهددون بالطرد فى اى لحظة لانهم لايملكون حق الاقامة الدائمة

وسياسة اليهود هى استئصال شأفة العرب اما بالهجرة الى البلاد العربية او الفناء بالاستيلاء على ارضهم واعطائها للمهاجرين اليهود ٠

١ – ويوجد قانون زراعة الاراضى الخراب وهو قانون ظالم لانه يتجاهل اصحاب الاراضى الغير مستقلة بحجزهم داخل قراهم بموجب قانون الطوارىء ونظام منع التجول اذ يحظر هذا القانون على السكان العرب وحدهم الانتقال من منطقة الى اخرى ومن قرية الى اخرى الا باذن الحاكم العسكرى وهو لا يسمح ٠

٢ – قانون املاك الغائب ١٩٥٠ الذى وضع جميع املاك اللاجئين تحت تصرف الحاكم ليعطيه للمهاجرين اليهود ٠

٣ – قانون امتلاك الاراضى لسنة ١٩٥٢ الذى يجيز مصادرة الاراضى للانشاءات العسكرية وبناء المستعمرات ٠

٤ – قانون التصرف لسنة ١٩٥٣ للاغراض الدفاعية والمستعمرات ٠

وهذه القوانين قد اخذ بها اليهود معظم أملاك العرب فى الجليل والمثلث والنقب ويقول ميشيل كوباى امام اللجنة السياسية الخاصة التابعة للامم المتحدة (ان العالم الذى عرفه اللاجئون قد تلاشى فالقرى المتداعية قد انهارت والاراضى قد استعمرت والبلاد قد تغيرت معالمها ولم يبق بها شىء من آثار الماضى ٠ ونسف القرى العربية لاعداد له وبصفة مستمرة والقسوة اليهودية لا حد لها ولقد قام اليهود بقتل الابرياء وطرد السكان ونقلهم من مكان الى آخر واستولوا على محاصيل العرب بأثمان تقل عما دفعوه وحددوا أجور العمال العرب باقل من اليهود ٠ وتدخلوا فى الاحوال الشخصية للمسلمين واعتدوا على حرية المقدسات الاسلامية والمسيحية كمقبرة مامن الله التاريخية فى القدس التى تضم رفات ٧٠٫٠٠٠ شهيد فى الحروب الصليبية ومسجد النبى داود ٠ وحرموا كثيرا من العرب من حق المواطن واصدروا قانونا يمنع التسلل الذى يقضى بالسجن من ٥ –١٥ سنة ، ٥٠٠ ليرة الى ١٠٫٠٠٠ ليرة اسرائيلية وبالسجن على كل من آوى متسللا ٠

ويعيش العرب فى قرى محصورة (يمكن أن تسمى الجيتو العربى) او (المنفى العربى) وسط اسلاك شائكة ويتركون ليموتوا أو ما اكثر اتهامهم بالباطل ليقدموا الى الاعدام ، ويساقون كالانعام الى صحراء النقب حتى يهلكوا جوعا وسط الاسلاك التى لايتعدونها ولقد ذكرتنى هذه الحوادث باعمال موسولينى فى ليبيا حين بعث جرازيانى لابادة العرب هناك فاقامهم وسط الاسلاك الشائكة ومنع عنهم الزاد الضرورى والماء اللازم وكان يطلب كشفا يوميا بالموتى من المعسكرات وقد لاحظ قلة الموتى فى معسكر معين فذهب الى هناك وانب قائدالمعسكر وامره بقتلهم جميعا ٠

وليس هناك ما هو انكى من طلب ٥٠٠ شخص منقرية الشبلى وهو ما تبقى من ١٥٠٠ – من البابا أن يوافق على اعتناقهم الديانة الكاثوليكية حتى يطلب من اسرائيل رفع الظلم عنهم ٠

ان السياسة المرسومة للاجئين هى سياسة صهيونية عالمية وتتلخص فى افناءهم بطريقة بطيئة كمن يذبح ضحيته بسكين باردة ليمعن فى ايلامه ٠

فلقد ذهبت الى معسكرات اللاجئين وكشفت على صدور المسلولين فوجدتهم موتى فى اشباه احياء وليسوا انصاف موتى على انصاف احياء ليس فيهم الا نفس يتردد بصعوبة ٠

ووجدت عريا وخياما مهلهلة وسوء تغذية

ولقد قرات لاحد الكتاب انه راى لاجئة عجوزا تعجن عجينا وتخلط به بعض حشائش الارض والاعشاب فسالها ماذا تفعل قالت وهى تبكى (احشوه باى شىء لعله يملا بطوننا الجائعة)

ان اغاثة اللاجئين تغيث مديريهاوموظفيها اما اللاجئون فلهم الله ٠

علاج مشكلة اللاجئين ،

ان ابسط وصف لحالة اللاجئين هو انهم امة تقف امام الموت ولا تستطيع للموت ردا ولا فعلا ٠ وهو انهم أمة تحاربها الدنيا وتوقف فى وجهها كل سبل الحياة ، والمخيمات عند اللاجئين تبعث المرض فى النفس والروح معا

كنت اقف فى وسط المخيم الممزق مذهولا لا اعرف كيف اكلم اخى العربى المتعلم المثقف الذى يظل طول يومه محزونا كئيب النفس كاسف البال خاضعا لاشد الازمات العنيفة التى تدفعه الى العزلة دفعا وتزهده فى الحياة تزهيدا شديدا ٠

والبطالة فى المخيمات تاكل صاحبها وتنتزع منه كل صفات الرجولة والاقدام وتبعث فى النفس أمراضا وعللا لايقوى اكبر الاطباء على علاجها ٠

العلاج المؤقت :

١ – اقامة مساكن على حدود سوريا وفى سيناء لنقل اللاجئين اليها ويجب أن تكون المنازل فى قطعة ارض صالحة للزراعة وبجوار اسرائيل فهم يعملون وينتظرون اليوم الموعود للرجوع الى بلادهم ويمكن تقدير المال الكافى لذلك فى مدة لاتتجاوز سنة واحدة والبلاد العربية والاسلامية التى تصرف ملايينا من الجنيهات يجب عليها ألا تضن بخمسة ملايين أو سبعة ملايين من الجنيهات فى هذا السبيل

ومساكن اللاجئين المؤقتة يجب أن تكون فى جولانوحوران والحولة فى سوريا والماعونة فى المنطقة اللبنانية وسيناء فى المنطقة المصرية ٠

٢ – لقد سمعت فكرة جمع اللاجئين فى فلسطين فى القسم الاردنى وهذا من اخطر مايكون لان الموجودين هناك

لايكفيهم ماعندهم من غذاء وهم يجب عليهم الا يعيشوا فى فقر وذل حتى يرجعوا الى بلادهم وفضلا عن ذلك فان الارض الجرداء هناك لاتستوعب اللاجئين

٣ – يجب أن يوجد الى جانب جامعة الدول العربية هيئة اهلية انغرس فى قلوب افرادها حب العرب

والمسلمين تشرف مع الجامعة العربية والحكومات العربية على الآتى :

١ - ايجاد مساكن لهم على حدود اسرائيل فى البلاد التى يسكنون بها .

٢ - الاشراف على ايجاد عمل لهم من زراعة وتجارة وصناعة .

٣ - الاشراف على مايقدم لهم من هيئة الامم كاغاثة والذى لايصلهم منها غير ١٠٪ .

٤ - الاشراف على مايقدم لهم من اى هيئة - الهلال الاحمر المصرى - والسورى وغيرها .

٥ - اثارة مسالة اللاجئين فى صحف جميع البلاد العربية والبلاد الاسلامية والامريكية والاوربية وتحميس امراء العرب وملوكهم والمسئولين بزيارة اللاجئين حتى يروا باعين راسهم كيف يعيش هؤلاء وماذا يقدم لهم من طعام وشراب وماذا يفتك بهم من امراض عسى ان يفهموا اى مصير ينتظرهم هم أيضا اذا تقاعسوا عن مساعدة اخوانهم .

٦ - تبيان ماذا يعمل المبشرون عن طريق وكالة الغوث باقامة مدارس ومستشفيات للتبشير وسط المخيمات تكتظ بالنساء والاطفال دون الرجال .

٧ - تبيان أهداف الصهيونية بكافة الطرق الممكنة فى الصحف والراديو ومعرفة ماهو مكتوب فى كتاب (بروتوكول حكماء الصهيون)

٨ - تعليم الشعب انه هو الذى يخيف الاستعمار .

٩ - تنبيه العرب عامة انهم هم الذين تتركز فيهم جميع الامال وانى أرى أن الجامعة العربية يجب عليها ان تعمل ماياتى :

١ - التفاهم مع حكومة الاردن على عدم ضم الجزء المنضم لها وابقاء فلسطين كما هى واعادة النظر فى مسالة شرق فلسطين ومايجرى فيها الآن .

٢ - العمل على ايجاد حكومة ذاتيه محليه من اهالى فلسطين فى شرق فلسطين واخرى فى غزة تعمل على النهوض بهم وتعرف جميع مايريدون ولا تتصل هذه الحكومة الا بالجامعة العربية وحدها حتى تقف على كل شكوى .

٣ - استمرار الزيارات من رجال مصر ورجال العرب الرسميين ولقد احسن الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة غزة فى الماضى فلقد رفع روحهم المعنوية وافهمهم بلغة بسيطة أنه معهم .

٤ - الجمعيات الاسلامية والعربية المختلفة فى مصر والبلاد العربية والجمعيات الاجتماعية يجب ان تهتم بفلسطين واللاجئين وهى :

١ - الاتحاد العربى
٢ - الشبان المسلمين
٣ - الهلال الاحمر المصرى والهلال السورى
٤ - الجمعية الخيرية الاسلاميه
٥ - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

ويجب ان تعمل جميعا فى حدود استطاعتها على خدمة اللاجئين بدلا من هيئات التبشير والصليب الاحمر .

٥ - ايجاد صناعات فى الاماكن التى يقيم فيها اللاجئون

٦ - تجنيد جميع شبان فلسطين وتدريبهم الى اليوم الموعود .

٧ - مراقبة التصدير الى اسرائيل فانه لاتوجد حدود مقفلة بين فلسطين العربية وفلسطين الاسرائيلية ويجب ان تكون عقوبة الخائن الاعدام لان المسالة مسالة حياة او موت الآن .

٨ - عمل ضريبة على الفلسطينيين القادرين المقيمين فى مصر والبلاد العربية لمساعدة اخوانهم اللاجئين ماداموا هم لايعرفون واجبهم اسوة بما يعمله اليهود فى جميع انحاء العالم لمساعدة اسرائيل ويكفى أن الله قد من عليهم برزق وفير فى البلاد التى هاجروا اليها . ويجب ألا يغيب عن بالنا ابدا ان هذه ماهى الا حرب صليبية فى أثواب يهودية ويعمل اليهود والغرب من ورائهم على ان تنتهى هذه المسالة بطرد العرب الى صحراء جرداء . حتى يفنوا فيها واحتلال أمم الغرب لهذه المنطقة الغنية بالبترول فى الشرق الاوسط .

تلك هى الحقيقة المؤلمة وهذا المصير المفزع الذى ينتظرنا جميعا اذا ماتراخينا تجاه اسرائيل واننا لايمكن ان نهزم الصهيونيين الا بثلاث :

١ - الرجوع الى مبادىء الدين الاسلامى الذى يحض على الجهاد فى سبيل الله والموت فى سبيله مع ترفع عن الدنايا .

٢ - تعليم الأمة العربية تعليما شاملا مع جميع نواحيه النظرية والفنية .

٣ - تعليم الصناعة على اسس علمية .

٤ - تعليم كل شخص قادر على حمل السلاح فى البلاد العربية أن يتمرن عليه باستمرار ومن الخطر الجسيم أن نهتم بكلمات الغربيين بقولهم تقدموا ببطء وعلى مهل لاننا بذلك سنبقى تحت أقدامهم .

لقد هزم العرب لتخاذلهم وعدم تعاونهم ويجب علينا ان نتخذ من الماضى العبرة الواقية لنا فى المستقبل

والمرء ان صدق العزيمة لم يخف
بعد الطريق ولانفاذ الزاد

والنفس ان عزت وعز مرامها
لم تكترث لتجمع الاضداد

ولذلك يجب علينا أن نجند جميع مانملك استعدادا للحرب من الان للقيام قومة واحدة ضد هؤلاء الغزاة ولن تتكرر ماساة الاندلس ان شاء الله فان الاندلس كانت على اطراف الامة الاسلامية اما فلسطين هى قلبها ونجاح اليهود فيها قضاء على الاسلام .

وسيرى العالم اجمع ان شاء الله قريبا ان الاسلام سيعود كما بدا ويظهر باذن الله ولو كره الكافرون .

الفقه الإسلامي

في ميدان البحث الفقهي الحديث

فضيلة الشيخ عبد الله مصطفى المراغي

اذا ماتركنا الكتب المتعارفة فى الفقه عند علماء المسلمين واصطلاحاتها وتعريفاتها للحقائق العلمية ، وخرجنا الى ميادين البحث الفقهى الحديث واصطلاحاته وتعريفاته للحقائق العلمية ، وجدنا عناصر هذا البحث الحديث تنحصر فى عنصرين أساسيين الاول : البحث التاريخى الذى تطورت فيه كل شريعة من الشرائع التى عرفت فى العصر الحديث ودار البحث حولها من طور التكوين الى طور التدوين الى طور النضج القانونى والتنظيم الفقهى .

والعنصر الثانى ـ عنصر المقارنة بين الشرائع المتعارفة بين علماء القانون الدارسين لنظم كل تشريع ومقارنتها بغيرها من التشريعات الاخرى مع بيان أوجه الخلاف وأوجه التشابه وأوجه النقص وأوجه الامتياز الى غير ذلك من المقارنات التى وضع لها علماء البحث فى هذا الميدان قواعد مقررة ثابتة توزن بها كل شريعة من الشرائع يراد بيان قيمتها وصلاحيتها للمجتمع الذى عاشت فيه ، والمجتمع الذى يمكن أن تعيش بها فيه .

فالتشريع فى كل امة هو وسيلة من وسائل العلاج الاجتماعى الذى يشترط فيه الملاءمة للظروف والاحوال والملابسات التى عليها يسير المجتمع من بداءة وسذاجة الى رقى وحضارة . فالقدر الذى يصل اليه كل من البحث التاريخى والبحث المقارن من التدقيق بين قوانين الامم الحديثة والذى يوحى به من العمل على سد النقص فى شريعة أمة من الامم ، هو القدر الذى يؤدى به وظيفته الخطيرة وهى توجيه التشريع فى أمم العصر الحاضر . وتلك هى الدرجة القصوى التى يمكن ان يصل اليها القانون فى تقدمه وتطوره ، والغاية التى يجب ان ينشدها الفقه الحديث وان ترمى اليها أساليب البحث فى الشرائع المختلفة .

ومن تعمق فى التراث الفقهى الاسلامى فى المذاهب المختلفة لعلماء المسلمين أيقن أن الشريعة الاسلامية حينما

تخرج الى هذا الميدان « ميدان المقارنة » لابد وان يحالفها النصر والتاييد ويصدق فيها قول الله « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وتصدق فيها القولة المشهورة بين الفقهاء الاسلاميين « الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان » فالشريعةالاسلامية فى العصور الاولى للاسلام كانت غنية بنظمها ومتانة قواعدها ، وكفلت ضبط علاقات الافراد وسلوكهم اجيالا طويلة بلغ فى خلالها الفقه الاسلامى ذروته من البحث وعمق التفكير ورقة الاسلوب فى جميع ابواب الفقه من معاملات وجنايات واحوال شخصية وغير ذلك ، وكانهذا النظام شائعا فى العالم الاسلامى ينظم احوال شعوبه ويضبط علاقات افراده فى عصر كان فيه الظلام سائدا فى العالم الاوربى خلال القرون الوسطى .

وهاهى ذى شهادة من الاوربيين انفسهم تدل على صدق هذه الدعوى ، اذ يحدثنا « أولفرتها نشر » استاذ التاريخ بجامعة شيكاغو عن الرومان فى القرون الوسطى فيقول : « ان النساء والعبيد كانوا مكلفين بزرع الارض ورعى الماشية ، وفى هذا الوقت نفسه كان سكان بغداد ومصر وجميع البلاد الاسلامية يضعون المراة فى المركز اللائق بها ، ويجعلون لها فى قلوبهم احتراما ، فهى لا تكلف الا بتدبير المنزل وتربية أولادها تربية صالحة لتخرجهم للمجتمع اعضاء عاملين يقومون بعبء الحياة على الوجه الصحيح »

ثم اعترى الفقه الاسلامى بعد ذلك فتور ونالته العزلة وبعد عن مواصلة العلماء للبحث فيه وأصابه الضعف وحل به الوهن ، وليس لهذه الحالة التى طرات عليه من تعليل سوى أن القوانين وسائر العلوم تقوى تبعا للقوة السياسية والمادية التى يكون عليها المجتمع. والمتتبع للتاريخ السياسى الاسلامى - مع مقارنة بالتاريخ الفقهى والبحث العلمى - يرى ان زوال الخلافة من بغداد وتفرق المسلمين وضعف حكامهم فى هذا العصر ، قد جر كل ذلك الى ضعف البحث الفقهى والى ضعف العلماء تبعا لذلك .

وان تباشير الاتصال بين الدول الاسلامية وتكتلها حول تعاليم دينها لما يبعث الامل ويحقق الرجاء فى ان يعود الفقه الاسلامى سيرته الاولى ، ويسيطر بتعاليمه وقواعده على العالم الاسلامى ويتوحد الفقه الاسلامى كما توحدت العقيدة الاسلامية .

وهاهى ذى شريعتنا الاسلامية مثال التقدير الجدير بها فى المؤتمر الدولى العام للقانون المقارن فى لاهاى فى سنة ١٩٣٧ فقد اعد فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت بحثا فى المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الاسلامية تقدم به للمؤتمر ورفع به صوت الشريعة الاسلامية فى هذا المكان ، واسمع صوت الازهر للمؤتمرين بل وللعالم اجمع ، وقد اشتمل على مباحث جليلة بينت مدى المسئولية المدنية فى الفقه الاسلامى وبسطت آراء الفقهاء بسطا تساند فيه الدليل النقلى العقلى وابان المسئولية الجنائية فى الاسلام وكيفية استيفاء القصاص ومسقطات العقوبة الى غير ذلك من الابحاث المستفيضة .

وقد كان ما حواه البحث موضع دهشة لاعضاء المؤتمر اذ راوا ان الشريعة الاسلامية مليئة بالقواعد القانونية التى لاتدع مشكلة من مشكلات المجتمع الا وتستطيع علاجها ، فاداروا حوله بحوثا ومناقشات عديدة كان من نتائجها أن قرر المؤتمر - اعتبار الشريعة الاسلاميةمصدرا من اهم مصادر التشريع العام ، واعتبارها حية صالحة للتطور واعتبارها قائمة بذاتها وليست ماخوذة من غيرها واعتبار هذا البحث من المجموعة العلمية التى تدخر للرجوع اليها وتسجيله فى سجل المؤتمر والتوصية بالاستمرار على ذلك فى الدورات المقبلة .

تلك هى مميزات الشريعة الاسلامية التى ستلفت الانظار فى كل زمان ومكان تتكلم فيه ، فرميها بالجمود وعدم المسايرة للتطور والارتقاء جناية ومرتكبها مغرض متعمد للنيل منها والحط من قدرها ، او جاهل لاتمكنه معارفه من أن يتعمق فيها ويقف على تاريخها ويرتوى من مناهلها التى لاتنضب وهى الكتاب والسنة والاجماع والقياس والقواعد العامة التى استنبطها فقهاءالمسلمين من روح التشريع الاسلامى وسماحته .

وان علماء القانون الوضعى قد حصروا عناصر الارتقاء والتقدم لكل تشريع فى أسس يتبين عند البحث الدقيق فى التشريع الاسلامى أن هذه الاسس قد وجدت باقوى ما يتصوره الباحثون واحتوت عليها الشريعة الاسلامية فكلما نشط علماء الفقه الحديث فى بحث القوانينالوضعية ظنوا انهم ظفروا من ابحاثهم باراء وافكار تستحق الاعجاب وتثير الدهشة لطرافتها وجدتها وهم لبعدهم عن الشريعة الاسلامية ولعدم اهتمامهم بالتعمق فيها يظنون أن الشريعة الاسلامية خالية من تلك الاراءوالافكار وقليل منهم يقصد الى الفوضى فى التراث الفقهىالاسلامى باحثا ومنقبا عما وصل اليه التفكير الاسلامى فى الميدان التشريعى . وممن اهتديت اليه من هؤلاء القليلين الدكتور على بدوى فى مؤلفه « ابحاث التاريخ العام للقانون » فى الجزء الاول فى بحثه « مبادىء العدالة » فقد تعرض فى مؤلفه لمبادىء العدالة فى تعريفها ومدى تاثيرها فى القانون الرومانى والقانون الانجلو سكسونى . ويعنينا فى هذا البحث معرفة العدالة التى اصطلحعليها الباحثون فى القانون ومقابلتها بالرأى عند علماء الفقه الاسلامى ، فنراه يعرف العدالة بانها القواعد القائمة الى جانب قواعد القانون الاصلى مؤسسة على وحى العقل والنظر السليم وروح العدل الطبيعى بين الناس والتى ترمى الى تعديل قواعد القانون أو أن تحل مكانها بفضل ما فيها من القوة المعنوية المستمدة من سمو مبادئها .

وقد عمت هذه الوسيلة الشعوب التى تطورتشرائعها فى العصور القديمة واستقت مبادئها من مصدر واحد وهو العقل وشعور العدل فى النفس ولكن هذا المصدر اتخذ باختلاف الشعوب صورا مختلفة فقد كان مصدر العدالة عند الرومان « قانون الشعوب » وكان مصدرها عند اليونان « قانون الطبيعة » ثم اصبح هذا القانون الطبيعى صورة لمصدر العدالة عند الرومان منذ بدءالعصر العلمى . وكان مصدرها عند الانجليز « ضمير الملك » اما مصدر العدالة فى الشريعة الاسلامية فهو العقل وحكمة التشريع فى الاسلام . ولما ظهر فى الاسلام حالات جديدة لم يرد عنها نصوص خاصة فى الكتاب والسنة اعتمد الفقهاء على القياس ، وقد وصل المجتهدون والفقهاء فى خلال عصور الشريعة الاسلامية الى مثل ما وصل اليه فقهاء الرومان وقضاة الانجليز من مواجهة الحالات الجديدة بنشاط فقهى افضى الى تعديل القواعد الشرعية اما بتوسيع نطاقها أو بتخصيص حكمها ، أو باضافة مبادىء جديدة اليها تبعا لتطور المجتمعوالشعور بالعدالة فى النفس ، وتلك العدالة انما يرشد الىمبادئها العقل وحكمة التشريع المستمدة من روح النصوص ، ومن تطور الحياة الاجتماعية . وقد اطلق على هذا الاسلوب

فى الشريعة الاسلامية اسم « الرأى » وبدأ العمل به من عهد الخلفاء الراشدين ، بل من عهد النبى عليه الصلاة والسلام كما يراه ابن القيم فاصبح مصدرا من مصادر الاحكام الشرعية ثم اتسعت دائرته فى العصور المتتالية مع تجدد احوال الناس وتقدم البحوث الفقهية

ونحن فى هذا المجال اذ وصلنا الى الميدان الفسيح فى التشريع ، لا نرى حاجة الى التدليل على الكثرة الغالبة من الاحكام الشرعية التى ثبتت بالقياس فبطون الكتب الفقهية فى جميع المذاهب المختلفة مليئة بالاحكام التى اثبتها الفقهاء الاسلاميون بارائهم واجتهادهم معتمدين تارة على قياس الاحكام عن طريق قياس غير المنصوص على المنصوص ، وتارة اخرى على قواعد عامة استنبطوها من روح التشريع الاسلامى وذلك مثل قواعد « لاضرر ولاضرار » « كلما ضاق الامر اتسع » « ارتكاب اخف الضررين » « من تعجل الشيء قبل اوانه عوقب بحرمانه » وكانوا معتمدين احيانا على قاعدة المصالح المرسلة او استصحاب الاصل ونحو ذلك .

هذا وتمتاز قواعد العدالة ومبادئها فى الشريعة الاسلامية عن غيرها من القواعد الوضعية بانها لم تنشا منفصلة عن أحكامها الشرعية وانما بدات من عهدها الاول مندمجة فى أصول الشريعة وأحكامها بصفتها جزءا منها غير مستقل .

وللرأى اقسام ثلاثة : اولها وأكثرها استعمالا مستمد من روح المبادىء المنصوصة فى القرآن والسنة وقياسا على الاصول والاحكام الواردة فيهما ، ويطلق على هذا القسم « القياس » وثانيها الرأى الصادر عن جملة المسلمين أولى الحل والعقد منهم وهو « الاجماع » وثالثها ما يكون مجرد اجتهاد غير مستند لقياس ولا اجماع وأبرز الصحابة وأكثرهم استعمالا للرأى بجميع اقسامه عمر الخليفة الثانى ، فقد حدثت ايام خلافته حوادث جديدة ومشاكل اجتماعية خطيرة لم يسبق وجود نص فيها واقتضت غيرته على المصلحة العامة وشجاعته فى الحق ان يثبت احكاما لهذه المسائل فقد اعفى السارق من قطع يده فى عام المجاعة ، واوقع القصاص على من قتلوا واحدا ولو كثر عددهم ، ومنع المؤلفة قلوبهم عن نصيبهم فى الزكاة لان الله اعز الاسلام واغنى عنهم وقرر ان تبقى الاراضى المفتوحة عنوة بايدى اهلها مع ضرب الخراج عليهم دون ان تقسم الاراضى على الغزاة باعتبارها غنائم .

وهدفنا الاسمى فى هذا البحث هو اثبات ان الشريعة الاسلامية وجد فيها النوع التشريعى الذى يسميه الباحثون فى القوانين الوضعية « العدالة التشريعية » فان العدالة التشريعية عندهم والرأى فى الشريعة الاسلامية عندنا لفظان مترادفان يدلان على معنى واحد ، وقد وجد هذا المعنى فى الشريعة الاسلامية كما وجد فى غيرها من الشرائع الحية الراقية التى يفخر بمبادئها علماء التشريع الحديث .

هذا ونحن واثقون من ان الشريعة الاسلامية لم تخل من اى عنصر من عناصر الحياة التشريعية للامم الراقية المتحضرة مهما بلغت حضارتها ومهما كان تقدمها وارتقاؤها .

والشريعة الاسلامية لايضرها تقصير الباحثين وعدم وقوفهم على كنوزها وما فيها من الافكار والمبادىء التشريعية التى لا يزيدها القدم الا جدة وطرافة تاخذ بالالباب والقلوب .

حول القرآن

قال تعالى : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين (١٠ : ٦١) » وقال « لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين (٣٤ : ٣) » .

وان اول مايتبادر الى الذهن عند قراءة الآيتين الكريمتين هو التساؤل . هل لفظ « ذرة » الذى جاء ذكره فيهما يتضمن معنى الجزء النهائى من المادة الذى اذا انقسم كانت النتيجة مادة أخرى مخالفة ؟ وهل وفق علماء الطبيعة والكيمياء فى استعمال هذا اللفظ استعمالا صحيحا ترجمة للفظ اتوم Atom الذى تناوله مذهب الأتومية Atomism وسمى بالمذهب الذرى ؟

ان لفظ اتوم مركب فى الاصل من مقطعين : المقطع الاول هو لفظ A ومعناه « لا » Not ، والمقطع الثانى مأخوذ من لفظ Tomno الذى معناه « انا اقطع » ، ومن هذا ترجم الفلاسفة لفظ اتوم بلفظ « الجزء الذى لايتجزأ » أو « الجوهر الفرد » .

واما لفظ « الذر » فى العربية فهو كما تقول القواميس صغار النمل ومائة منها تزن حبة شعير الواحدة ذرة ، وتفريق الحب والملح ونحوه كالذر درة وطرح الذرور فى العين والنشر ، والذرور مايذر فى العين ، وعطركالذريرة « القاموس المحيط » ونرى أن اللفظ على هذا يحتمل معنى اقل حجم من المادة مستطاع ادراكه على وجه عام كأدق حبيبات ملح أكسيد الزنك المسحوق الذى يذر فى العين علاجا لبعض أمراضها .

ونرى فى هذا المقام أن نشير الى حقيقة هامة ، وهى ان المعنى اللغوى « الأدبى » لكلمة ماقد لايكون دائما مطابقا للمعنى العلمى لها ، فلفظ « علقة » مثلا وهو اللفظ الذى جاء فى القرآن الكريم تسمية لأحد اطوار الجنين فى الرحم فى مثل قوله تعالى : « ثم خلقنا النطفة

وانقسام الذرة

الدكتور محمد وصفي

علقة (٢٣ : ١٤) » ترجمه المفسرون بلفظ « واحدة العلق وهو الدم » أخذا من المعنى اللغوى ، مع أن المعنى العلمى لهذا اللفظ هو طور البويضة الملقحة بالحيوان المنوى .

ومثل هذا لفظ « العنصر » الذى سار فى أخيلة الفلاسفة القدماء بمعانى مختلفة ، حين تصدوا الى بحث طبيعة الكون وأصله ، فذهب طاليس Thales (نحو ٦٢٤ ق٠م - نحو ٥٥٠ ق٠م) الى أن العنصر الاساسى لبناء الكون هو الماء ، وأعلن انكسمينس Anaximenes (نحو ٥٨٨ ق٠م - نحو ٥٢٤ ق٠م) أنه النار ، وذكر أمبادوقليس Empedocles (نحو ٤٩٥ ق٠م - نحو ٤٣٥ ق٠م) أن الكون مكون من أربعة عناصر هى الماء والهواء والتراب والنار ، بينما ذهب الفيثاغوريون The Pythaqo Reans (نسبة الى فيثاغورس الذى ولد بين سنتى ٥٨٠ و٥٧٠ ق ٠ م) الى أن عنصر الكون هو العدد ، وهكذا اختلف تفسير اللفظ الواحد وتصور معناه بتغير الأفكاروتطورها فى تلك العهود .

والى كل من ليوسبس Leucippus (الذى يظن انه كان معاصرا لامبادوقليس) وديمقريطس Democ Rstus (المولود نحو عام ٤٦٠ ق٠م) يرجع اقامة المذهب الذرى (مذهب الجوهر الفرد) القائل بأننا لو حللنا المادة الى جزئياتها لانتهينا الى وحدات لا تقبل القسمة ، وهى التى أطلقنا عليها اسم «الذرات» أو « الجواهر الفردة » وهى التى تتكون فى مجموعها مادة الكون ، وهى لانهائية العدد ، وتبلغ من الدقة حدا يتعذر معه ادراكها بالحواس .

وقد اعتنق الأبيقوريون EpicuTeans المنسوبون الى ابيقور (٣٤١ - ٢٧٠ ق٠م) مذهب الذريين واتخذوه اساسا لفلسفتهم ، واضافوا اليه أن للذرات وزنا وثقلا ، وأنها تختلف فى شكلها ووزنها لا فى كيفيتها .

واختلف فى مسالة انقسام الذرة ، فانكر اناكسجوراس Anaxago Rus (٤٩٩ - ٤٢٨ ق٠م) معلم سقراط SoC Rato على طائفة الذريين ماقالوه من امكان تقسيم المادة الى ذرات لاتقبل القسمة ، وأكد أن المادة تتجزأ الى مالانهاية .

وقد اختلف المتكلمون من المسلمين كذلك فى الجزء ، فأبو الهذيل العلاف (٧٥٢ - ٨٤٩ م) يعد شيخ المثبتين للجزء الذى لايتجزأ ، القائلين بأن الأجسام تنحل الى أجزاء صغار لايمكن البتة أن يكون لها جزء ، ويحمل لواء المعارضة ابراهيم النظام (٨٠١ - ٨٣٥ م) الذى يذهب بأنه لاجزء وان دق الا وهو يحتمل التجزى أبدا بلا نهاية وأنه ليس فى العالم جزء ولا يتجزأ وأن كل جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم ايضا وان دق ابدا ، وقد ايد الرأى الأخير ابن حزم (نحو ٩٩٤ - ١٠٦٣ م) فى كتابه « الفصل » .

وظل مفهوم الذرة نظريا حتى العصر الحديث ، بل واختلط على الاخصائيين التمييز بين العنصر والمركب الكيميائى فى كثير من الحالات ، فكان الماء مثلا قبل عام ١٧٨٣ م يعد عنصرا من عناصر المادة ، حتى اثبت لافوازييه Lavoisle R انه مركب كيمائى من عنصرين مختلفين كل الاختلاف هما الهيدروجين والاكسجين ، وكان كل من الصودا والبوتاسة يعد عنصرا حتى اثبت هامفرى دافى Hamph R8 Dang عام ١٨٠٧ م ان كلا منهما مركب كيمائى ، ونجح فى فصل عناصرهما وهى الصوديوم والهيدروجين والاكسجين والبوتاسيوم ، وتقدم العلم فى كشف عنصر بعد آخر حتى وصلنا فى أوائل القرن العشرين الى كشف ثمانين عنصرا حتى بلغ عدد العناصر اليوم ٩٤ عنصرا أو أكثر عدا النظائر .

وتعد الذرة ، فى الاصطلاح العلمى اليوم ، أصغر وزن فى المادة يمكن أن يأخذ دورا فى التغيرات الكيمائية بدون تغير ، وقد اقيمت البراهين على وجود الذرة فى القرن التاسع عشر على يد جون دالتون John Daltton ووصفها بأنها ابسط الاشياء فى الوجود ، وجاء كلارك مكسويل Dark Maxwel بعد ذلك ووصفها بأنها حجارة الكون الاساسية واعتبرت الذرة بذلك الجزء الذى لايتجزأ الذى سماه ديمقريطس من قبل .

ولكن فى مطلع القرن الحالى وضح أن ذرات مختلف العناصر الكيمائية لابد انها تحتوى على بناء داخلى أكثر تعقيدا ، وحسب النموذج الذى وضعه رذرفورد وبوهر Rutherpo Rdand BohR قبيل نشوب الحرب العظمى ، لذرة الكربون ، وقبل على وجه عام ، نرى كل ذرة من ذرات العناصر الكيمائية المختلفة تتركب من نواة مركزية ثقيلة محملة بالشحنة الموجبة للذرة ، يدور حولها عدد من الاكترونات السالبة ، والكل تماسك بواسطة قوة التجاذب الكهربى بين الشحنتين .

وقد عرف أن عدد هذه الالكترونات الذرية المساوية للشحنة الموجبة للنواة ، يختلف من عنصر الى عنصرآخر ويحدد صفاتها الكيمائية ووضعها (العدد الذرى) فى النظام الذرى للعناصر ، فذرة الهيدروجين مثلا تحتوى على الكترون واحد ، وذرة الهليوم تحتوى على الكترونين

وذرة الليثيوم تحتوى على ثلاثة الكترونات وذرة البوليوم تحتوى على أربعة الكترونات وذرة اليوروت تحتوى على خمسة الـكترونات وذرة الكربون تحتوى على ستة الكترونات . وذرة الحديد تحتوى على ١٢٦الكترونا وهكذا حتى نصل الى ذرة اليورانيوم التي تحتوى على ٩٢ الكترونا وذرة النبتنيوم التى تحتوى على ٩٣ الكترونا وذرة البلوتنيوم التى تحتوى على ٩٤ الكترونا .

والالكترونات هي الوسيلة التي بها تترابط مختلف الذرات لتكوين الجزيئيات المعقدة لمختلف المركبات الكيمائية ، واعتبرت النواة الجسم الداخلى الثقيل الذى يعمل كمحور للارتكاز تدور حوله الالـكترونات الذرية ، وقد ذهب بعضهم الى القول بأن النواة بهذا الوصف الأخير هى التى تمثل تلك الأجزاء الاربعة التى لاتتجزأ والتى عناها من قبل ديموقريطس وتصورها فى مخيلته .

ومع ذلك فقد ثبت اخيرا أن نواة الذرة نفسها تحتوى على نيوكلونات Nucleons منها مايحمل شحنة موجبة ويسمى بروتون Proton ومنها مالايحمل شحنة ويسمى نيوترون Neut Ron ، فنواة اليورانيوم مثلا تحتوى على ٩٢ بروتونا و ١٤٦ نيوترونا اى ٢٣٨نيوكليونا ، وهكذا تتركب النواة من اجزاء ادق منها ، هذا مع العلم بأن السنتيمتر المكعب من اليورانيوم مثلا يحتوى على مقدار من النوى قدره نحو ٤×١٠ وعلى يمينها ٢٢ صفرا ، وأن نصف قطر كل نواة يساوى ٩ر٠ × كسر مقداره ١٠ عن يسارها ٢٤ صفرا (سنتيمترا) .

وقد ثبت أن النيوترون (والبروتون) ينقسم الى اجزاء اقل منه ، وأن الالكترون وهو الذى تقل كتلته عن كتلة البروتون نحو ١٨٥٠ مرة ينقسم كذلك ، فقد وصل أن الالكترون مكون من أجزاء اخرى أصغر منه وبهذا ميرج (٥) طمسن Tho Mson عام ١٩٢٩ م الى نصل الى ان آخر ماوصل اليه العلم من ادق اجزاء المادة قابل للانقسام .

وهنا نستطيع أن نعود الى الآية الكريمة التى صدرنا بها هذا المقال ، ولكن قبل أن نحاول تفسير المراد بلفظ الذرة الذى ورد فيها وماهو أصغر من الذرة ، نرى ان نبين ان لفظ أتوم Atom يعد تسمية خاطئة ، لذلك الجزء الاقل من المادة الذى يدخل فى التفاعلات الكيمائية العادية بدون أن يدخل عليه تغير ما ، وذلك بعد أن ثبت ان هذا الجزء يوجد ماهو أصغر منه كما بينا ، بينما لفظ أتوم معناه الجزء الذى لايتجزأ مطلقا ، ويتبع هذا خط ترجمة لفظ أتوم بمعناه القديم بلفظ ذرة ، وكان الأولى ان يترجم بلفظ « الجوهر الفرد » ؛ وهو اللفظ الصحيح الذى وضعه أهل الكلام من العرب ترجمة للفظ ديمقريطس ، ومع ذلك فلنتجاهل لفظ « الأتوم » وليبحث لنا المجمع اللغوى عن كلمة بدل الذرة تسمى بها أصغر أجزاء المادة الذى لايتغير فى التفاعلات الكيمائية حتى لانصطدم بما ينطوى عليه لفظ الذرة فى القرآن الكريم .

ونحن نعتقد أن لفظ ذرة فى كتاب الله ، بمعناه العلمى هو أقل جزء من المادة يصل الى ادراكه علمنا ، وهو أقل وزن يمكن تصوره منها كأجزاء النيوتريونات والالكترونات ، ولا يحتجن أحد علينا بأن العرب ماكانت لتعرف شيئا مما وصل اليه العلم الحديث من هذه الأجسام ، فان الكثير من الحقائق العلمية لم يكن الانسان قد كشفه بعد عند نزول القرآن ، وأنه ظل بين طيات كتاب الله حتى كشفه العلم فيما بعد ، ومازال العلم فى تقدمه يفسر لنا ماغمض علينا من آيات الله ، أليس الله تعالى يقول : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد (١١ : ٥٣) » .

ان القول بوجود الجزء الذى لايتجزأ ادعاء شغل تفكير الفلاسفة منذ قرون قبل التاريخ المسيحى حتى اليوم ، ولم تترك هذه الدعوى تمر دون تمحيص ،واقامة الأدلة على بطلانها من مفكرى اليونان وفلاسفتهم ، ومن علماء المسلمين وفلاسفتهم عبر التاريخ حتى العهد العلمى التجريبى الحديث ، بل ولا يزال العلماء عاكفين على دراسة المادة ومركباتها ولايصادفهم جسم من المادة الا وهنالك جسم أصغر منه وقابل للانقسام .

فليس بمستغرب أن يفصل القرآن الكريم فى هذه المسألة ويضع الحكم الذى يحثنا على الغوص وراءالمادة دون أن يعترضنا وهم أن هنالك حد أدنى للمادة يجب الوقوف عنده ، والآية الكريمة لم تنزل للمعاصرين لنزول القرآن الكريم وحدهم ، بل نزلت متضمنة ذلك المعنى الدقيق الذى ينير الطريق للعلماء ، ويحثهم على دراسة آيات الله عبر التاريخ الانسانى حتى قيام الساعة « افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٤٧ : ٢٤) وهذا المعنى الدقيق ، كما بينا ، يتضمن ، فى رأينا ، ما أثبته العلم الحديث حتى الآن ، واهتدى اليه الفكر السليم من ان أقل وزن من المادة يتصوره الانسان ، او يصل اليه بتجاربه ، وهو ما سماه الله تعالى «مثقال ذرة » لايغيب عنه سبحانه ، بل ان الله لايغيب عنه ما هو اقل من ذلك وزنا الى مالانهاية ، وما هو أثقل من ذلك وزنا الى مالانهاية ، قال تعالم « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما » (٦٥ : ١٢) .

محبّة الله لعبده ..

أسبابها وآثارها

فضيلة الشيخ
عبد الرحيم فرغل البليني

ليست محبة الله للعبد مبنية على الميل والعاطفة والحنو والرغبة .

ولكنها تعرف بلوازمها ، وتدرك بنتائجها ، وتنسب الى الله بآثارها .

فهى - كما يقول علماء العقائد - كناية عن الرضا والاحسان ، والجود والاكرام .

ولهذه المحبة اسباب ترتبط بها ، وحكم تقتضيها .

تلك الأسباب ، وهذه الحكم تنحصر فى طاعة الله وارضائه ، والوقوف عند حدوده وأحكامه ، والائتمار بأوامره ، والانتهاء بنواهيه .

قال الله تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم » .

وان لها آثارا باهرة ، ونتائج ظاهرة ، قد تحدث فى الدنيا دويا ، وتطلق الألسنة بالمدح والثناء ، والحمد والاطراء .

ولا تحسبن المجد زقا وقنية
(١) فما المجد الا السيف والفتكة البكر
(٢) وتركك فى الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر

وسنذكر أمثلة لبعض آثار محبة الله فنقول :

١ - **من الناس** من تهب له العناية الالهية فراسة صادقة ، وبصيرة نافذة ، وادراكا كاملا ، فيعرف مايدبر فى الخفاء ، وما يحاك من حبائل الشر فى الظلام ، ومايضرم من نيران الفتنة وراء الأستار .

ثم يرده من وطنه وأمته قبل أن تفوح رائحته ، ويتجمع ضبابه ، وينعقد فى الأجواء دخانه .

وهذا - من غير شك - أثر بالغ لمحبة الله لعبده ، جزاء صفاء النية ، وطهارة القلب ، ونقاوة الضمير .

ولقد لمسنا هذه الموهبة اليوم فى رجال الثورة الافذاذ بل هى من أخص مواهبهم التى تتحدث بها أعمالهم ، ويتميز بها جهادهم ، ويتعطر بها تاريخهم .

ولقد صدق الله تعالى فى قوله :

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا » .

وصدق رسوله الأمين فى قوله :

« اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » .

ومن اولياء الامور من يدرك أخطاء غيره ، ويعرف الكثير من هفوات الناس ، ولكنه لما آتاه الله من الحكمة ولما أفاض عليه من سعة الصدر ، وبعد النظر ، وقوة الاحتمال ، يتغاضى ويصبر ، ويعفو ويغفر ، لعل المخطىء يثوب الى رشده ، ويعود الى صوابه ، ويرجع عن سوء نيته ، ويبدل السيئات حسنات .

فاذا هو تمادى فى غيه ، ولم ينته عن شره وبغيه ، أقصاه فى غير جلبة ، وابعد عن الناس شره ، وأذهب عنهم مساوئه .

وهذا السلوك فى الحكم ، هو ميزان العقول السليمة ومعيار الأفكار القويمة التى يمنحها الله لمن يشاء من الأخيار .

قال الله تعالى :
« ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » .
وقال جل شأنه :
« قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ؛ وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين » .

٢ - ومن الناس من يوضع له القبول فى الأرض ، وتتلفت نحوه العيون تلفت الاكبار والاجلال ، فيراه الناس محط الرجاء ، وموئل العانى ، وملاذ اللائذ ، فهم لذلك يدورون حوله كما يدور الحجيج حول بيت الله . فاذا به يقف حياته لاسعاف البؤساء ، وانهاض الضعفاء ، واحياء الموات فى قلوب الناس .

وهذا كله من أسباب محبة الله وآثارها التى يؤتيها من يشاء .

يدل لهذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا احب الله عبدا نادى جبريل : ان الله يحب فلانا فاحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى اهل السماء : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه اهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض » .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربته او تطرد عنه جوعا ، او تقضى عنه دينا » ..

٣ – ومن الناس من تلاحظه عناية الله ، وتلازمه رعايته ، فيقيه شرور خلقه ، واضرار عباده : فاذا توجه اليه مخلوق بالاذى حفظه وحماه . واذا نظر اليه ناظر نظرة بغض رد طرفه وهو حسير ، واذا وصفه حاقد بما يمس كرامته كشف الله زيفه واظهر للناس افتراءه .

واذا امتدت اليه بالعدوان يد آثمة حفه باللطف ، وكتب له النجاة .

يدل لهذا ماوقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين تآمرت قريش على قتله ، واختاروا لذلك من كل قبيلة فتى جلدا ، ووكلوا اليهم أن يضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل .

ولكن الله حرسه ونجاه ، وهيأ له من امر الهجرة سببا ، وآمنه مع رفيقه فى الغار ، وجعل يثرب له مأوى ، والأنصار أعوانا .

لولا يد الله بالجارين ما سلما
وعينه حول ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله واستترا
ومن يضم جناح الله لا يضم

٤ – ومن اجل آثار محبة الله لعبده أن يكون صادقا يلازمه النجاح فى جميع أموره ، ويحالفه الفلاح فى شتى شئونه ، ويكتب له التوفيق فى كل مشاريعه ، ويفوز بالنصر فى جهاده ونزاله .

كل ذلك مصدره الثقة بالله ، والاعتماد على جنابه والاعتزاز بجاهه ، والاعتصام بدينه .

يدلنا على هذا ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ولئن سالنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه » .

٥ – ومن أجل آثار محبة الله لعبده أن يكون صادقا من الدنيا وزينتها ، صادرا عن الحياة وزخرفها ، زاهدا فى المال وجمعه ، كادحا لاسعاد غيره ، يعيش كما يعيش المقل ، وان كانت الدنيا دانية القطوف ، ولسان حاله يقول :

ولو انى منحت الخلد فردا
لما احببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بارضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

وان لاصحاب هذا الخلق اسوة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلك الاسوة التى يجب ان يترسمها الناس ، ويسيروا على هداها .

لقد حمل اليه مرة تسعون الف درهم ، فوضعت على حصير فى المسجد ، واجتمع الناس حواليه ينتظرون العطاء ، فاخذ يقسمها عليهم حتى أتى على جميعها قبل أن يقوم من مجلسه ولم يدخر منها شيئا لنفسه ، ولا لأهل بيته . ولما نفدت اقبل رجل يطلب منه ، فقال له النبى : ماعندى الآن شىء ، ولكن اتبع على ، فاذا جاءنا شىء قضيناه لك .

وكان عمر بن الخطاب حاضرا ، فقال : يا رسول الله ماكلفك الله مالاتطيق ، فغضب الرسول من قوله غضبا شديدا بدت عليه آثاره ، لانه لم يرض منه سد باب الخير على الناس .

وقد أتاه مرة سائل وليس عنده شىء ، فقال له : اجلس حتى يرزقك الله ، ثم لحق به سائلان آخران فأجلسهما معه . وبعد قليل أقبل رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفع له اربع أواق من الذهب وقال : انها صدقة ، فتسلمها منه الرسول ، وأعطى كل رجل من الثلاثة أوقية ، ونادى : هل من يأخذ الرابعة ، فلما لم يجد من يأخذها عاد بها الى بيته ، ووضعها تحت وسادته ، ثم حاول أن ينام فلم يستطع حتى اصبح الصباح ، ثم قام وفرقها وقال : الآن استرحت .

وبعد فهكذا كان خلق رسول الله ، يحيا حياة التقشف ويبسط يده بالخير ، وهذا شأن كل رئيس يريد دوام النجاح ، وعلى هذا يعيش الحاكم والمحكوم فى الجمهورية العربية المتحدة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

والسلام على من اتبع الهدى

اشتراكيتنا الاسلامية هى .. الاشتراكية الأم ..

بقلم الأستاذ عبد الغنى عوض الراجحى

بعد ان أوضحنا فى مقال سابق ماتمتاز به الاشتراكية الإسلامية على غيرها من الاشتراكيات العالمية •• من حيث المبدا والغاية •• نريد الآن •• وفى هذا المقال ان نوضح ماتمتاز به من حيث المناهج والاساليب • فما هو المخطط العملى الذى وضعه الاسلام ليجعل اشتراكيته امرا واقعا نافذ المفعول ؟ وما مدى الافتراق بينه وبين المخططات فى الاشتراكيات الاخرى ••؟

الجواب على ذلك •• أن المبدا الاشتراكى فى الاسلام ، كاكثر المبادىء الاسلامية ، كان متسما بسمة العموم والاجمال • وضع القواعد وأنار الطريق ، ووضح المعالم ، وذكر بعض النماذج ، وترك التغلغل فى التفصيلات العملية ، والتعمق فى الخطط التنفيذية ، لينهض بذلك الناس ، ويتكفل به المشرعون والمجتهدون والقادة ، داخل الاطار الذى وضعه الاسلام •

الاسلام دين عام خالد ، تنزل لجميع الامم وكافة الخلق صالح لكل زمان ومكان .. ومن هنا لا بد ان تكون مبادئه فى غلاف من الاجمال والعموم ، مكتفية بالتوجيه والارشاد وبيان العلل والاسباب التى تدور معها الاحكام • تترك التفصيلات والتغلغل فى الجزئيات والتطبيقات لعلها تختلف باختلاف الاوضاع والزمان والمكان ، فانه لاضرر فى ذلك ، بل هو الرحمة والتيسير من الله على عباده ، مادام هذا الاختلاف سيكون داخل الاطار الاجمالى محققا الهدف المطلوب ، والغاية المنشودة ، ومادام الاسلام يريد ان يترك للعقل البشرى مجاله ليعمل فيه بارشاد من الدين وتوجيهه ، للوصول الى النقطة الاخيرة التى يلتقى عندها العقل والنقل ، وهى سعادة بنى الانسان ، التى تنزلت من أجلها الاديان ، « قد جاءكم من الله نور وكتاب ، مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه • ويهديهم الى صراط مستقيم » سورة المائدة ١٦ « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا • » سورة النساء ١٧٤ •

« ان الاشتراكية العربية •• بل والاشتراكيات العالمية الاخرى ، مادامت فى مناهجها وأساليبها وقراراتها لاتتعارض مع اصل من اصول الاسلام ، فهى نفس الاشتراكية الاسلامية • لانها مع روح الاسلام وأهدافه وغاياته المنشودة على اتم وفاق •

الشورى فى الاسلام • الديموقراطية • اشتراكية الحكم • جاء الاسلام فى هذا المجال بنصوص تعتبر خطوطا اولى رئيسية فى رسم خريطة الحكم الديموقراطى « وشاورهم فى الامر » « وامرهم شورى بينهم » وغير ذلك كثير •• فكل نظام وكل حكم • وكل ظاهرة اجتماعية سياسية تدور فى هذا الفلك ولا تبتعد عنه بل تلف لفة • وتحذو حذوه ، وتحقق ارادته ، تعتبر من الاسلام ، مهما تعددت الانواع ، واختلفت الطرق والمسالك فى النظم الديموقراطية •• ليس الامر فى الاشتراكية الاسلامية عن هذا ببعيد ، فقد كره الاسلام أن يتمركز المال دولة بين الاغنياء ، وسماهم مستخلفين فيه ، وشرع الزكاة والصدقة والكفارة والنفقة والوقف والوصية والنذور والاضاحى ، وتقسيم الفىء والخراج والغنائم وأعطيات بيت المال ، وكثيرا من صنوف البر والعون ، مبينا مصارف ذلك كله وقال : « ان فى المال حقا سوى الزكاة •• وليس من المسلمين من بات شبعانا وجاره جائع •• •• ولا يحتكر الا مخطىء •• وجعل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا •• وجعل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر •• ومن لم يهمه شأن المسلمين فليس منهم •• ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا •• نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامه ، فكل ماكان ويكون من قوانين وقرارات تسير فى هذا الاتجاه ، وتهدف نحو هذا الهدف، وتطبع الناس بهذه الانطباعات وتمهد لهذه المعانى مساربها الى نفوس الناس وواقعهم ، وتجعل هذه التوجيهات امرا نافذا ، وشيئا واقعا يحتل بؤرة الحياة ، ولا يعيش

على هامشها ، فهو من هذه الاشتراكية الاسلامية بمنزلة المفصل من المجمل • والتطبيق من القاعدة • والجزء من الكل • والفروع من الشجرة • والابناء من الام ••

وفى عصر نزول القرآن •• وحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان فى الاجمال كفاية وغنية ، لانه كان فى الحياة واساليبها اجمال وبساطة ، وفى عصورنا الاخيرة هذه لايغنى اجمال عن تفصيل ، فقد اتداحت دائرة الحياة ، وجدت للناس اقضية - كما قال عمر بن عبد العزيز - بمقدار مااحدثوا من مشكلات ، نتيجة لاتساع دائرة الحياة وتعقدها ، وتشابك الامور فيها مشتجرة متصارعة ، فلا يجوز للاسلام ان يقف حيال ذلك مكتوف الايدى ، عاجزا عن ان يلاحق هذه المشكلات بالحلول ، بعد أن انزله الله دينا متكفلا بمصالح العباد وسعادتهم فى المعاش قبل المعاد •

اما مايلهج به اعداء الله والانسانية من الذين يهرفون بمالا يعرفون عن ان الثراء جائز على اطلاقه فلا تحديد ، وان الاصل فى التجارة ان تكون حرة لاتعتريها القيود • وان الملكية الخاصة مضمونة لاتمس ولا تنتزع ولا تؤمم وان القيمة الايجارية يجب ان تظل خاضعة لقانون العرض والطلب فلا يجوز ان تحدد •• فيكفينا فى الرد على ذلك وما اشبه ان نقول :

ان الامور المباحة فى الاسلام قد يعرض لها مايجعلها حراما ممنوعا ، لمصلحة يراها الحاكم وولى الامر ، ضرورية للصالح العام الذى يجب ان يضحى فى سبيله بالمصالح الخاصة الشخصية ، فان الضرر الاكثر يتوقى بارتكاب الضرر الاقل - كما نص على ذلك علماء الاصول - وهو داخل فى مضمون قوله - صلى الله عليه وسلم - « لا ضرر ولا ضرار » •• أن تضحية كهذه تعتبر تضحية شكلية مؤقتة ، من حيث ان الخير الذى يناله المجموع سوف يعود منه فى النهاية ، على الفرد نصيب ، فكل مجد للجماعة سعادة للفرد يجب أن يحس بها اذا كان ذا شخصية سوية ، ونفسية سليمة معافاة من التقصير والاحاسيس الشاذة عن الروح الجماعية ، وان الفرد لبنة فى بناء المجتمع ، يسعد ان سعد ، ويشقى ان شقى • وتنعكس عليه مواجدة ، ويتبادل مع غيره من افراد المجتمع ، مايسمونه بالمشاركة الوجدانية ، احاسيس فطرية جماعية تتحلى بها فى كثير من الاحيان جماعات من الطير والوحش واحسها من نفسه العربى القديم حين قال :

وهل انا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد ؟••

وحين قال :

فلا هطلت على ولا بارضى
سحائب ليس تنتظم البلاد !••

يقول الشاطبى « انا وجدنا الشارع قاصدا لمصالح العباد تدور معه حيث دار فترى الشىء الواحد يمنع فى حال لاتكون فيه مصلحة فاذا كان فيه مصلحة جاز •• »

ويقول ابن القيم « ان الله ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به السموات والارض فاذا ظهرت امارات الحق وادلته باى طريق فذلك من شرع الله ودينه ورضاه •• ويقول الآمدى « ان الاحكام انما شرعت لمصالح العباد لان الاجماع قائم على ان الاحكام لاتخلو عن حكمة ومقصود وليس ذلك لمنفعة عائدة على الله بل لمنفعة الناس وقد قال تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وقال « ورحمتى وسعت كل شىء » فلو خلت الاحكام عن حكمة عائدة على الناس لكانت نقمة لا رحمة وقال عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار » فلو لم يكن التكليف قائما على مصالح تعود الى العباد لكان ضررا محضا •• »

لقد راينا الله تبارك وتعالى يقول فى محكم كتابه « ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم » ورأينا فى حسن التعليل المذكور فى الآية الكريمة عقب حرف العلة من انه سبحانه شرع هذا التقسيم المذكور لئلا يتمركز المال فى ايدى الاغنياء يتداولونه بينهم محرومة منه الفقراء • مايعطينا أصلا اشتراكيا نستطيع بواسطته ان نقنن مانشاء من القوانين لحماية هذا التعليل وصيانة معناه واشاعة مفهومه بين الناس ، وذلك بالضرب على أيدى طغمة الاغنياء المنهومين المتطلعين دائما ابدا الى مزيد من الثراء يحتكرون الثروات ويستحوذون على مقدرات الشعوب ، واقوات الجماهير بلا رحمة ولا انسانية كانما هم واليهود عبدة المادة فى مضمار سباق •• كم هو شىء شائن من الخير لهم ان يجتنبوه طائعين اومكرهين ، هذا الغنى الفاحش • الذى يلازم عادة غضب الله •• ان الاوضاع الراسمالية الغبية القائمة على ماتكرهه الآية الكريمة ، وتحذر منه ، تعتبر أوضاعا لاحرمة لها ولا كرامة وهى منكر يجب تغييره وازالته لتصحيح الاوضاع ورد الحقوق لاربابها ، والخروج بالاموال المكدسة فى خزائنها ، المحبوسة فى مجالها الضيق المعطلة عن اداء رسالتها ، الى حيث ترى النور مؤدية رسالتها مستعملة فيما خلقت لاجله فى حقول الخدمات الاجتماعية على صعيدها الانسانى ••

لقد رأينا القادة من المسلمين الاولين منذ فجر الاسلام يكرهون تكدس الاموال فى ايدى طبقة خصة ، كانما كانوا متأثرين تلقائيا بتوجيه هذه الآية الكريمة ، راينا ذلك يوم حدث الخلاف بين الصحابة فى تقسيم أرض العراق والشام ، عقب الفتح الاسلامى لهذه البلاد ، فقد كانت هناك فكرتان أولاهما : أن تقسم الارض على الفاتحين تقسيم الغنائم فتتمركز فى أيديهم خاصة ، والثانية : ان تبقى الارض فى يد اهلها المغلوبين على أن يؤدوا عنها للدولة خراجا ينال كل فرد منه ، واختار عمر الفكرة الثانية ونفذها وشايعه عليها وتحمس لها معاذ ابن جبل قائلا له : انك ان قسمتها على الفاتحين صار الريع العظيم فى ايدى هؤلاء القوم ثم يبيدون فيصير ذلك الى الرجل الواحد والمراة الواحدة » اى وبذلك يقع مايكرهه الاسلام من تكدس الاموال بين أيدى طبقات خاصة تتوارثه مستحوذة عليه من دون عامة الناس

ان تكدس الاموال فى أيدى طبقة ، خاصة •• شبيه بتكدس أكوام من السماد الكيماوى فى بقعة صغيرة من الارض الزراعية •• لاينال هذه البقعة التى تكدس فيها الا الفساد والاحتراق بينما تتطلع اليه •• محرومة منه امكنة اخرى محيطة به متلهفة اليه ••

وماصور الفساد والاحتراق الخلقى والدينى والاجتماعى قبل الثورة بين الطبقات الارستقراطية عن اذهاننا ببعيدة •• ولو لم يكن للقرارات الاشتراكية من مفخرة الا القضاء على هذه المباذل والمهازل قضاء جذريا لكفى •

لقد بزغ فجر الثورة على مجتمع تسوده الفوضى والاضطراب ، والمفارقات العجيبة ! ثراء فاحش بجواره فقر مدقع ! اناس فى القمة وآخرون فى القاع ٠٠ استعماريون عملاء اعداء المصالح الحقيقية للبلاد يستبدون بخيراتها ويتحكمون فى مصائرها ! ووطنيون مخلصون هم أصحاب البلاد الشرعيون يتضورون جوعا ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ! أفليس من الواجب على ثورة كهذه نبعت من صميم الشعب ان تبادر بالاجهاز على هذه الاوضاع الفاسدة ، فترد الحقوق المسلوبة الى اربابها ، وتعيد خيرات البلاد الى ابنائها الحقيقيين ؟

تلك شريعة العدل شريعة الله ٠٠ ان الوقائع الثابتة تنطق بأن ثراء هؤلاء الاغنياء لم يكن وليد جد واجتهاد ، أو ثمرة لعبقرية وابتكار ، انما كان فى أغلب أمره وليد خيانة واقطاع ومحاباة وثمرة لمناسبات وظروف انتهازية وفرص دنيئة استغلالية ، لم تكن مصالح الشعب فى كل مرة منها الا ضحية ٠ ان ثراء كهذا تجمع من حرام وبنى على باطل ٠ وانتزع من بطون الجماهير ٠ وامتص من دماء الناس ٠٠ لابد ان تمتد اليه يد الحاكم وولى امر الجماهير ومفوضهم لتعيده الى ماكان يجب ان يكون عليه والا فماذا كان يكون الحال لو امتدت أيدى الجماهير فى ثورة عارمة غير منظمة الى هذه الاموال وأصحابها الزائفين ، فأتلفت الاموال وأزهقت الارواح ؟ لقد كان ذلك متوقعا وبدرت له بوادره فى ((بهوت)) وغيرها ، لكن عناية الله ابت الا أن تدرك مجتمعنا بهذه الثورة المنظمة البيضاء ، التى لم ترق فيها قطرة من الدماء ، ولم يتلف بسببها شىء من الاموال ٠ وكان مافعلته استصلاحا تفعله الدولة من قبيل السياسة الشرعية وهى حق الدولة فى فعل كل مافيه صالح المجموع ٠

لقد كانت مختلة فى أذهان هؤلاء الناس مقاييس القيم وموازين الرجال فقيمةكل امرىء عندهم ما يملكه ، فاذا جاءت الاشتراكية لتقول لهم عدلوا مقاييسكم واصلحوا موازينكم فقيمة كل أمرىء مايحسنه لا مايملكه وما اموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ٠ فانها لا تكون بعيدة عن تعاليم الاسلام التى نطق بها نبى الاسلام حيث قال « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ٠٠ »

ان الغنى هو الغنى بنفسه
ولو أنه عارى المناكب حافى

ماكل مافوق البسيطة كافيا
فاذا قنعت فأى شىء كافى

ان الاشتراكية من هذه الوجهة تعتبر مدرسة لتعليم الخلق النبيل وتربية الذمم الشريفة والضمائر الحية وامداد النفوس العظيمة والقلوب الكبيرة بمدد متصل من الثقة فى الله وايمان الانسان بأخيه الانسان والتنائى به عن رذيلة الشح حتى يتسامى الى مرتبة قوله تعالى « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » وحتى لايتمنى ثالثا لو كان لهو اديا من ذهب بل يكتفى بواحد ويجود بالثانى لوجه الله والوطن والصالح العام ٠ وما قل وكفى خير مما كثر والهى ٠٠

ان فى الآية الكريمة « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » مايعطينا اصلا اشتراكيا نستطيع بواسطته ان نعتبر اصحاب الاموال فى أموالهم مستوظفين وكلاء عن الله فهو المالك الحقيقى للمال ، والمال حق المجتمع كله

وبهذا يصرح الحديث القدسى الذى يقول الله فيه « المال مالى . والاغنياء وكلائى .. » وتصرح الآية الكريمة فى سورة النور فى شأن العتق وفك الرقاب بطريق المكاتبة حيث يقول تعالى « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ٠٠ » ويرى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لازاد له قال ابو سعيد فذكر رسول الله من اصناف المال ماذكر حتى راينا انه لاحق لاحد منا فى فضل ٠٠»

ألا ترى الى أن الاسلام ليس يبيح لصاحب المال أن يفعل به مايشاء من سرف او مخيلة او اتلاف باى وجه من وجوه الاتلاف ، والى ان الله يكره قيل وقال ٠ وكثرة السؤال ٠ واضاعة المال ٠ كما وردت بذلك صحاح الاحاديث ؟ فحقوق المجتمع - اذن فى هذا المال أمر مشروع وشىء مقرر ، فمال كل فرد - اذن تحت تصرف ولى الامر الذى أنابه المجتمع ، يأخذ ولى الامر من هذا المال مايراه ضروريا لانفاقه فى وجوه الاصلاح والنهوض بحاجات المجتمع يقول الامام القرطبى « اتفق العلماء على أنه اذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فانه يجب صرف المال اليها » ثم استشهد على ذلك بقول مالك « يجب على الناس فداء أسراهم وأن استنفد ذلك أموالهم » ويقول ابن حزم : « وفرض على الاغنياء من اهل كل بلد أن يقوموا بفقرائه ويجبرهم السلطان على ذلك أن لم تقم الزكوات بهم » ويقول عمر بن الخطاب عقب عام الرمادة « ولو استقبلت من امرى ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين» ويقول الشاطبى « انا اذا قررنا اماما مطاعا مفتقرا الى تكثير الجند لسد حاجات الثغور وصيانة الملك وخلا بيت المال وارتفعت حاجة الجند فللامام اذا كان عدلا ان يوظف على الاغنياء مايراه كافيا للجند فانه لولم يفعل بطلت الشوكة وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار فالذين يحذرون من الدواهى لو انقطعت عنهم الشوكة يستحقرون بالاضافة اليها اموالهم كلها فضلا عن اليسير منها فاذا عوض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق بهم بأخذ البعض من اموالهم فلا يتمادى فى ترجيح الثانى عن الاول وهو مما يعلم من مقصود الشرع »٠

لقد وقع العمل بذلك عبر التاريخ الاسلامى ، وصار الاتفاق عليه بين العلماء ورجال الدين تارة فى مصر وأخرى بالشام وثالثة بالاندلس ، ووافق عليه أئمة أعلام ، كالمعز بن عبد السلام والامام النووى ، والقاضى ابو الوليد الباجى ، حيث كانت تحتاج الجيوش الاسلامية فى حمايتها للبلاد ووقوفها فى وجه الاعداء الى مزيد مدد من المال فتمتد يد الحاكم الى اموال الاغنياء يأخذ منها مايشاء ٠٠ ان أمر الخراج السابق ذكره وابتداع عمر له واعتباره شركة لجميع المسلمين من وجد منهم ومن أتى بعدهم واحتجاجه بقوله تعالى فى سورة الحشر فى تقسيم الفىء ((والذين جاءوا من بعدهم)) ٠٠ وقوله مارى هذه الآية الا عمت الخلق حتى الراعى بكداء وما احد من المسلمين الا له فى هذا المال حق اعطيه او منعه وموافقة الصحابة له متاثرين بارادة عموم النفع لعامة المسلمين لما يساعد على تاصيل هذه الاصول الاشتراكية ويكاد ينطق بها فانه فى مجمل أمره تضحية بالنفع الخاص بطائفة الغزاة والفاتحين فى سبيل الصالح العام لسائر المسلمين الذين باسمهم واسم دينهم ورفع رايتهم يتقدم الفاتحون وينتصرون ٠

انها لفخرة للاسلام • دين الحياة • دين القيادة والريادة مرونته هذه المرونة وعنايته بحياة الناس ومصالحهم واموالهم هذه العناية الفائقة ، حتى ليقول مجتهدوه ومشرعوه « اذا وجدت المصلحة فثم شرع الله » مئات النصوص من الآيات والاحاديث تلقى مئات الاضواء على كثير من جنبات هذه المسالة المالية

فالمال •• اصله ومبدؤه •• وغايته ونهايته •• تثميره وجمعه •• انفاقه وبذله •• كثرته وقلته مكانته وقيمته •• آخذه ومعطيه •• تداوله ونظام التعامل به •• الاثرة به والايثار •• العلاقة بين غنيه وفقيره •• هيمنة الدولة على مال الاغنياء •• ذلك وغيره مما يتعلق بالمشاكل المالية مما حق للاسلام أن يعنى ببيانه وأن يشتغل بايضاحه لان المال قوة جبارة وسلاح خطير فاذا لم تتسلط عليه قوة أعلى ترعاه وتنسقه وتكفل له الطريقة المثلى لحسن استعماله وسلامة استغلاله أوشك أن يحوز قوة مخربة وسلاحا فتاكا حتى بمن هو بيده ممن لايحسن استعماله

لقد كان ذلك كله فى اعتبار الاسلام وهو يهتم بالقضايا المالية هذا الاهتمام البالغ ولم يغب فى الوقت نفسه عن اعتبار اشتراكيتنا العربية حين جاءت على موعد مع القدر . فى آونة ينتفض فيها العملاق العربى ينفض عن نفسه غبار التخلف والنسيان ليمضى قدما الى الامام مرفوع الهامة • مشدود القامة •• يسود ويقود • ليعيد التاريخ نفسه فيصل مستقبل العروبة بماضيها عزة وقوة

•• لقد بزغ فجر الاسلام اول مابزغ والعالم تتنازع سيادته دولتان جبارتان احداهما فارسية شرقية والاخرى رومانية غربية • فما هو الا قليل حتى ابرز الاسلام قومه العرب على مسرح الوجود وادخلهم التاريخ قوة ثالثة استفحل أمرها واشتد أزرها حتى قوضت اركان هاتين الدولتين وورثت ماكان لهما من مجد وقوة وتبوات مكان الصدارة فى العالم ردحا من الزمن • وانتزعت الاعجاب انتزاعا من كثير من مؤرخى الغرب المنصفين من امثال مؤلف كتاب قصة الحضارة الذى يقول « لقد ظل الاسلام خمسة قرون من الزمن يتزعم العالم فى القوة والنظام وبسطة الملك وجميل الطباع والاخلاق وارتفاع مستوى المعيشة والحياة » ••

واليوم تتنازع سيادة العالم قوتان جبارتان شرقية شيوعية وغربية راسمالية • فهل يكرر التاريخ نفسه فتبرز فيما بين هاتين القوتين قوة ثالثة لاشرقية ولاغربية بل اسلامية عربية تتبوأ تحت الشمس وفوق الصعيد العالمى مكانا لائقا بمجدها وتاريخها ؟•• ان العرب دخلوا التاريخ من الاسلام • ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح عليه أولها •• وهاهو ذا الرئيس - حفظه الله - يقول للطلبة العرب « ثقوا فى قدرة المستقبل العربى على انتزاع نفسه من رواسب الماضى والانطلاق باقصى غاياته الى تحقيق أهدافه •• ان الامة العربية لن تغفر لاحد ان يدفع طلائعها الشابة حاملة رسالة الامل الى حيث الطريق المسدود والعقيمة ! »

من معانى

العيد فى الإسلام

الدكتور مصطفى زيد

يا أخى القارىء ..

انت اليوم تستقبل العيد ، وتستقبل معه تهانى اهلك واحبائك ، وتقدم لهم مثل هذه التهانى ..

وانت سعيد بهذا كله ، تستشعر لونا من الفرح والبهجة والسعادة ، وتحس بقدر من الراحة النفسية ، لأن اعباءك قد ودعتك ، أو ودعك بعضها ، الى حين ، وترجو لو اتيح دائما هذا الاحساس وذلك الشعور .. ولكن

هل فكرت فى مصدر سعادتك بالعيد ، وراحتك النفسية فيه ، وترحيبك القلبى به ؟

وهل وقفت عند تلك المعانى ، لتبحث عن السر فيها ؟

أشك كثيرا فى أنك قد فعلت ، فأغلب الظن انك قد اعتبرت البحث بكل أنواعه عملا شاقا يتنافى مع سعادتك بالعيد ، فمضيت تمرح فيه ، وتسعد به ، كما تلقيته ، وكما اعتدنا جميعا أن نتلقاه : فرصة للتخفف من الأعباء ، وموسما للمرح والبهجة ، دون حساب للبواعث والأسباب !

ولكن ، ألهذا شرع العيد ؟ .

لماذا شرع العيد ؟

لقد شرع العيد ليحقق لونا من الراحة ، يفتقده الكادحون فلا يجدونه . وليرسم البسمات على شفاه تبحث عن السعادة فيعجزها العثور عليها . وليهيىء الجو للمعانى الانسانية التى أضناها البحث عن الانسان فى الناس فلم تكد تقف له على أثر . وليتيح الفرصة للتكافل الاجتماعى الذى نسى الأغنياء الاحساس به أو كادوا ، فتركوا الفقراء فرائس للحرمان والحاجة !

من اجل هذا وغيره شرع العيد ، ياأخى القارىء ، فهل تنبهت اليه ، وعملت على تحقيقه ، ليكون عيدك عيدا بحق ؟

اسرار مشروعية العيد :

ان مشروعية العيد فى الاسلام تستهدف حقيقة كبرى اليها ، وتحقيقها .. لو تنبه اليها المسلمون وحققوها لكانوا جديرين برسالتهم ! .. انها نداء اليهم بأن الحياة كفاح ، وصراع وعمل دائب ، فانما يحتاج الى الراحة والتخفيف انسان يعمل بروح مخلصة متوثبة ، ويثابر على البذل مؤمنا بأن العمل هو الحياة ، ويجد فى العمل فلا يهزل ولا يقصر فى واجب ..

ولمثل هذا الانسان شرع العيد . انه بالنسبة اليه أشبه ما يكون بالراحة فى صحراء الحياة ، يجد فيها الرئ حين يشتد به الظمأ ، والمأوى حين يستبد به التعب ، والراحة عندما يضنيه الجهد المبذول ! ..

ولعله ليس ادل على هذا من ان الله عز وجل قد جعل كلا من العيدين اللذين شرعهما فى كل عام – فى أعقاب فريضة شاقة ، فعيد الفطر عقب فريضة من الفرائض الخمس التى بنى الاسلام عليها وهى فريضة الصيام ، وعيد الأضحى عقب فريضة ثانية من الفرائض الخمس هى فريضة الحج . وفى اداء كلتا الفريضتين مشاق لا يجهلها أحد من المسلمين ! ..

ان عيد الفطر أشبه بالاجازة الشرعية يمنحها الله المسلم بعد ان يمضى شهرا باكمله ممسكا عن الطعام والشراب وغيرهما ، ومن ثم وجب ان يكون خالصا للراحة فحرم فيه الصيام .

وعيد الأضحى اشبه باجازة شرعية ثانية ، يتفضل الله بها على المسلم ، بعد أن يمضى أياما طويلة ، فى اداء مناسك الحج ، وهى تقوم على كثير من مظاهر التقشف والحرمان . ولهذا وجب الاحتفال بالانتهاء منه متمثلا فى نحر الهدى ، والاغتسال ، وارتداء الملابس ، والتطيب وحرمة الصيام ! ..

حكمة الزكاة والأضحية :

على ان لمشروعية زكاة الفطر ، والأضحية حكما أخرى ما أجدرنا نحن المسلمين فى المجتمع الاسلامى بالالتفات

وهذه الحكم هى ضرورة توفير التكافل الاجتماعى ؛ بين كل طبقات المجتمع الاسلامى ، فى أيام الاعياد ، التى هى بطبيعتها أيام بهجة ، ومتعة ، وسعادة ..

ان فى المسلمين الفقير والغنى ، والضعيف والقوى ، والواجد وذا الحاجة ، وفى ايام الاعياد يتيح المال لذويه كثيرا من ألوان البهجة والمتاع والترف ، ويبدو أعظم مما هو فى حقيقته ، فيبدو فقر الفقير أشد وآلم مما هو فى حقيقته ، اذ تتسع المسافة بين ترف الغنى وشظف حياته ، فيزداد شقاؤه بقدر ما تتضح له حقيقة حرمانه ، ويصبح العيد فى نظره يوما للألم الشديد ، لأنه صار فى نظره مرآة تكشف له عن مظاهر حاجته وفقره ! ..

ومن أجل هذا شرع فى كل من العيدين مايقرب المسافة بين غنى الغنى وحاجة الفقير ، ففى عيد الفطر : شرعت الزكاة للفقراء فى أموال الاغنياء ، وفى عيد النحر : شرعت الأضحية ، وجعل ثلثها للفقراء ، وثلثها للاهداء ..

والى جانب كل من الزكاة والأضحية ، شرعت الصدقة فى العيدين بكل أنواعها ، آكد مما شرعت فى غيرهما بالكلمة الطيبة ممثلة فى التمنيات المتبادلة بين المسلمين وبعيادة المرضى لاشعارهم بأن مباهج العيد لم تشغل عنهم اخوانهم . وبمواساة المنكوبين فى عزيز لديهم ليحسوا بأن لهم أهلا بدل الذين نكبوا بفقدهم . وبالاجتماع على الطعام ـ وهو من تقاليد بعض البلاد ـ ليشارك فيه الفقراء الأغنياء ، دون احساس بمذلة أو هوان . وهذه الانواع وغيرها الى جانب المعنى المتبادر لكلمة الصدقة وهو التبرع بالمال للمحتاجين ، فانها أجمل ما تقع من نفس المعطى حين تدفعه اليها معانى الانسانية الرحيمة وأحب ما تقع من نفس الآخذ حين تشتد به الحاجة اليها ! ..

أسرار التهليل والتكبير :

وصقلا لنفس المسلم فى العيد ، وحدا لشدة النوازع الفردية فيه ، ووصلا بأخيه المسلم فى نطاق المجتمع الذى يتكون منهما ومن اخوة واخوات لهما ـ شرع التهليل والتسبيح والتكبير فى صبيحة يوم العيد ، وعقب كل صلاة من الخمس فى أيام العيد كلها ؛ وشرعت صلاة العيد فى صبيحة اليوم الأول منه ، أى فى أولى ساعاته ، وهى صلاة سنتها فى أن تقام جماعة ، ومن شعائرها التكبير فيها تكبيرا اختصت به من دون الصلوات . والخطبة بعدها خطبة من غاياتها تذكير المسلمين فى يوم بهجتهم ونشوتهم ـ بالنعمة ، وبالمنعم ، وبالشكر الواجب له ، وبالثناء عليه ، والتوكيد كذلك بأن هذه المتعة عابرة ، يجىء فى أعقابها الجد ، والعمل والكفاح ، فلا معنى للاغترار بها ، ولا مسوغ منها لنسيان طبيعة الحياة ! ..

اللعب المرخص به فى العيد :

ومع كل هذه المعانى الاسلامية فى العيد ـ وهى معان وثيقة الصلة بالانسانية ـ رخص الشارع الحكيم ، فى أيام العيد ، فى اللعب الذى لا معصية فيه ، وثبت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قد أباحه .

فقد روى عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تغنيان ، وتضربان « أى على العود » ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسجى بثوبه « أى مغطى » ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنه وقال : « دعهما يا أبا بكر، فانها أيام عيد » . وقالت : « رأيت رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ يسترنى بردائه وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون وانا جارية ، فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن » (والعربة هى التى تحب اللعب وتشتهيه ، نظرا لصغر سنها) . .

لكن اللعب الذى رخص فيه الشارع ، فى أيام العيد هو اللعب الذى لا معصية فيه . وهو شرط يجب أن يذكره المسلمون ويلتزموه ، عندما يأخذون بأسباب اللهو فى أعيادهم ، وفى غيرها ..

واخيرا .

لقد شرع الله العيدين لكثير من الحكم والغايات السامية ، فهل يذكر المسلمون هذا وهم فى نشوة بالعيد ؟ هل يتنبهون للمعانى الاسلامية فى العيد ؟ ..

اننا نرجو ، وليس بعزيز على الله ان يستجيب لهذا الرجاء .

فرحة العيد..

الدكتور حسين نصار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للصائم فرحتان : فرحة حين يفطر ، وفرحة حين يلقى ربه »

ويتفق المسلمون ، فى جميع ارجاء العالم الاسلامى الفسيح ، على فرحتهم بعيدهم . ويتفقون - على تباعد مواطنهم وتباين لغاتهم وثقافاتهم - على كثير من مظاهر هذه الفرحة ، لأنهم ينهلون من مورد واحد ، ويغترفون من ضوء واحد ، ويعانون - فى رمضان - تجربة واحدة ، ثم يفترقون فى بعض المظاهر التى يخضعون فيها لسلطان بيئاتهم المحلية ، وتراثهم التليد .

ويحاول هذا المقال أن يجلو صورا لاحتفالات المسلمين بعيد الفطر ، فى الاقطار الاسلامية المتباعدة ، والأزمان الغابرة .

ونبدأ بالبلاد العربية ، فننظر أول ما ننظر الى مهد الاسلام الأول : مكة المكرمة ، فنرى الفرحة تكاد تتركز حول البيت الحرام . فقد كان أهل مكة يعنون كثيرا بليلة العيد ، فكانوا يوقدون المشاعل والثريات والمصابيح والشموع ايقادهم لها فى ليلة القدر. ويوقدون السرج فى الصوامع من جهاتها الأربع ، وفى سطح الحرم كله ، وفى سطح المسجد الكائن فى أعلى جبل أبى قبيس . ويقيم المؤذنون الليل فى أعلى سطح قبة زمزم فى تهليل وتكبير وتسبيح وحمد ، والأئمة والناس فى طواف وصلاة وذكر ودعاء .

فاذا قضوا صلاة الفجر ، عادوا الى بيوتهم ، وتأهبوا للعيد . فلبسوا أحسن ثيابهم ، وبادروا لأخذ مجالسهم بالحرم ، لأداء صلاة العيد فيه ، رغبة فى شرف البقعة . وأول من يأتى بنو شيبة ، سدنة البيت ، فيفتحون باب الكعبة المقدسة ، ويقعد كبيرهم فى عتبتها ، وسائرهم بداخلها . فاذا أحسوا بوصول أمير مكة ، نزلوا اليه وتلقوه بمقربة من باب النبى صلى الله عليه وسلم . وعند ما يصل الأمير الى البيت يطوف حوله سبعا ، والمؤذن الزمزمى فوق سطح القبة على العادة ، رافعا صوته بالثناء والدعاء له ، متناوبا فى ذلك مع أخيه . وعندما يكمل الأمير الطواف ، يعمد الى مصطبة قبة زمزم ، مما يقابل الحجر الأسود ، فيقعد بها ، وحوله بنوه جلوسا ووزيره وحاشيته وقوفا . ويعود الشيبيون الى مكانهم من البيت ، ثم يقوم الشعراء فينشدون الأمير مدائحهم .

وفى أثناء ذلك يحين وقت صلاة العيد ، فيقبل القاضى الخطيب لابسا الثياب السوداء ، شعار العباسيين ، وعلى يمينه ويساره رايتاه السوداوان . وأمامه من يحمل عودا مخروطا أحمر ، قد ربط فى رأسه مرسى من الأديم المفتول رقيق طويل ، فى طرفه عذبة صغيرة ينفضها بيده فى الهواء نفضا ، فتأتى بصوت عال ، وتسمى الفرقعة ، فيصلى خلف المقام الكريم . ثم يخطب والمؤذنون قعود أسفل منه فى أدراج المنبر ، فعندما يفتتح الخطبة بالتكبير ، يكبرون وراءه .

فاذا فرغ من خطبته ، اقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام والمصافحة والاستغفار والدعاء ، تملؤهم الفرحة وبادروا الى البيت الكريم فدخلوه فوجا فوجا . ثم يخرجون الى مقبرة المعلى ، تبركا بمن فيها من الصحابة وصدور السلف . ثم يفرغون الى أنفسهم .

ويبدو ان صورة العيد لم تكن تتغير كثيرا فى البلاد العربية ، الا فى المكان . ولذلك لم يعن الرحالة بتفاصيل الاحتفال فيها . فقد اقتصر ابن بطوطة فى وصفه العيد فى تونس على أن قال فى عبارات سريعة : « احتفل الناس لشهود عيدهم ، وبرزوا فى أجمل هيئة ، وأكمل شارة ووافى السلطان .. راكبا ، وجميع أقاربه وخواصه وخدام مملكته مشاة على أقدامهم ، فى ترتيب عجيب وصليت الصلاة ، وانقضت الخطبة ، وانصرف الناس الى منازلهم .

واذا خلفنا البلاد العربية وراءنا وابعدنا الى الشرق ، وصلنا الى الهند . فأصاب صورة العيد بعض تغير ، فتألف موكب المحتفلين من الفيلة ، يمتطى الخطيب

احدها ، وقد وضع له على ظهره ما يشبه السرير ، وركزت أربعة أعلام فى أركانه . ويمتطى بقيتها المؤذنون والقضاة والفقهاء . فيتصدر المؤذنون الركب رافعين أصواتهم بالتكبير . ويصحب كل منهم عند خروجه الى الصلاة ما يتصدق به . وعندما يصلون الى مصلاهم يجدون صوانا من القطن منصوبا ، وبسطا مفروشة ، وجماعات غفيرة ذاكرة مهللة . وعند الفراغ من الصلاة والخطبة ، ينصرف الناس الى منازلهم ، والأمراء والغرباء الى دار السلطان لتناول الطعام .

واذا توغلنا الى جزر ذيبة المهل ، التى نسميها اليوم اقتداء بالاوربيين مالاديف ، كان التغيير أكثر وأبعد ، فالطرق التى يمر الوزير بها من داره الى المصلى تزين ، وتفرش فيها الثياب ، وينثر الودع يمنة ويسرة منها . وكل من له دار على هذه الطرق من الأمراء والكبار يغرس عندها النخل الصغار من جوز الهند والموز وغيرهما . ويمد بين الشجرة وأختها شرائط يعلق عليها الجوز الأخضر . ويقف صاحب الدار عند بابها ، فاذا مر الوزير رمى عند رجليه ثوبا من الحرير أو القطن . فيجمع رقيق الوزير كل ما يرمى به من ودع وثياب

ويخرج الوزير من بيته الى المصلى ماشيا ، وقد ارتدى فرجية من الصوف الناعم ، وفوطة من الحرير ، وعمامة كبيرة . ويسير منتعلا والجميع حوله حفاة ويتقدمهويأتى خلفه العساكر ، والأبواقوالأنفار والطبول ويواصل الركب التكبير الى أن يبلغ المصلى »

وعند الفراغ من الصلاة والخطبة ، يؤتى الوزير بمحفة فيركبها . فيحييه الامراء والكبراء ويرمونه بالثياب . ثم يرفعه الرجال ويعودون به الى داره . فيجلس بموضع مرتفع ، وعنده الامراء والكبراء ، والعبيد وقوف بالترسة والسيوف والعصى . ثم يقدم الطعام والصندل فكلما فرغت جماعة من طعامها تطيبت بالصندل .

ورسم ابن بطوطة صورة للعيد عند الترك جمعت بين الحكومة والشعب . ذكر أن السلطان خرج فى عساكره والفتيان الأخية ـ وكانوا أشبه بالحرس الوطنى عندنا ـ وكل منهم يحمل سلاحه . وخرج أهل الصنائع والحرف وكل منهم يحمل أعلاما وأبواقا وطبولا خاصة به ، ويباهى بعضهم بعضا فى حسن الهيئة ، ويسوقون معهم البقر والغنم ، ويصطحبون الخبز . فيكون مسيرهم أولا الى المقابر حيث يذبحون البهائم . ويتصدقون باللحم والخبز ثم يعمدون الى المصلى ، فاذا ما فرغوا كانت عودة الكبراء الى قصر السلطان ، فيقدم لهم الطعام . ويجلس الفقهاء والمشايخ والفتيان الى سماط على حدة،والفقراء والمساكين الى سماط اخر . وبانتهاء الطعام ينتهى الاحتفال الرسمى .

ويمتد زمن الاحتفال وتدخله الألعاب الرياضية عند مسلمى البلغار . فقد كان السلطان يخرج الى الصلاة فى عساكره ، ويصحبه كل واحدة من زوجاته فى عربتها وحرسها ، وكل واحد من أولاده فى حرسه ، ويركب الفقهاء والمشايخ فى صحبة ولى العهد . ويسير الركب على قرع الطبول ، تتقدمه الاعلام .

وعند انتهاء الصلاة يواصل الركب سيره الى موضع نصب فيه كشك كبير وثلاثة اكشاك صغيرة فيجلس السلطان مع زوجاته فى الكبير ، وولى العهد واخته فى الذى يليه ، وبقية أبناء السلطان واقاربه فى بقية الأكشاك وتنصب الكراسى للامراء وأبناء الملوك عن يمين الكشك الكبير وشماله .

وينصب لكل أمير طومان ـ وهو الأمير الذى يقود عشرة الاف ـ شبه منبر يقعد عليه ، ويتبارى أصحابه بين يديه على اصابة الهدف وغيرها . ثم يمنح كل أمير خلعة ، فيلبسها ويقدم على السلطان . فاذا بلغ أسفل الكشك قدم تحياته بأن يمس الارض بركبته اليمنى ويمد رجله تحتها على حين تبقى رجله الاخرى قائمة ثم يؤتى بفرس مسرج ملجم ، فيرفع حافره ، ويقبله ، ويقوده بنفسه الى كرسيه حيث يمتطيه . ولما يفرغ الأمراء جميعا من تحياتهم ويصطفون ، ينزل السلطان ويركب فرسه ، عن يمينه ولى العهد وأخته ، وعن يساره ابنه الثانى ، وبين يديه زوجاته الاربع فى عربات مكسوة بأثواب الحرير المذهب ، وتجرها خيل مجللة بالحريرالمذهب وينزل جميع الموجودين فيمشون بين يدى السلطان على اقدامهم الى أن يصل الى الباركاه ، وهى بيت كبير له أربعة أعمدة من الخشب ، مكسوة بصفائح الفضة المموهة بالذهب ، ويوضع عن يمينه ويساره سقائف من القطن والكتان ، ويفرش ذلك كله بفرش الحرير وينصب فى وسط الباركاه السرير الأعظم ويسمونه التخت ، وهو من خشب مرصع ، وأعواده مكسوة بصفائح فضة مذهبة وقوائمه من الفضة المموهة . وفوقه فرش عظيم ، وفى وسطه مرتبة يجلس عليها السلطان وأعظم زوجاته مكانة وعن يمينه مرتبة تجلس عليها ابنته واحدى زوجاته ، وعن يساره مرتبة تجلس عليها الزوجتان الاخريان » وينصب عن يمين السرير كرسى يقعد عليه ولى العهد ، وعن الشمال كرسى لابنه الثانى ، وحولهما كراسى لبقية الأمراء والكبراء .

ثم يقدم الطعام ويتكون من لحوم الخيل والغنم مسلوقة .. ولهم طريقته الخاصة فيه . يؤتى به على موائد الذهب والفضة ، يحمل كل واحدة منها أربعة رجال واكثر ، فيضعونها بين يدى الأمير . ثم يأتى المختص بتقطيع اللحم ، ويسمونه الباورجى ، يرتدى ثياب الحرير ، تغطيها فوطة من حرير ، وفى حزامه جملة سكاكين فى أغمادها ، فيقعد كل باورجى بين يدى أميره وأمامه صحفة صغيرة من الذهب أو الفضة فيها محلول ملح بالماء . فيقطع الباورجى اللحم قطعا صغارا . لابد أن يختلط كل منها بالعظم لأنهم لا يأكلونه الا كذلك ، ويقدمها للامير .

وينتهى الطعام فيكون الشراب ، فى أوانى الذهب والفضة ، فاذا أراد السلطان أن يشرب ، اخذت بنته القدح بيدها وحيت برجلها ـ كما وصفت سابقا ـ ثم ناولته فشرب . ثم تأخذ قدحا اخر فتناوله لزوجته المقربة منه ، ثم بقية زوجاته على ترتيبهن . ثم يأخذ ولى العهد القدح ويحيى ثم يناوله أباه فيشرب . ثم يسقى زوجات أبيه ثم أخته مع التحية لكل منهن . ثم يقوم الولد الثانى ويسقى ولى العهد ويحييه . ثم يقوم الأمراء الكبار ، فيسقى كل واحد منهم الابن الثانى ويحييه ثم يقوم الأمراء الصغار فيسقون الأمراء الكبار وفى أثناء ذلك تصدح الموسيقى ، ويشدو المغنون بالمواليا
ويتصل الاحتفال الى صلاة العصر ، وتفرق المنح والعطايا ، ولا يقوم بالخدمة فى هذا اليوم بين يدى السلطان الا الكبراء

انها فرحة واحدة ، تعم المسلمين فى أقاصى المشرق المغرب ، وأطراف الشمال والجنوب ، تتفق فى صلاة ، وطعام وشراب بعد حرمان ، وفى صدقة وعطايا بعد احساس بالالام ، فرحة لا تعم الأماكن بل الناس على تفاوت أقدارهم لأنها تسوى بين مشاعرهم »

فلسفة العيد ...

فى هدى الدين وضوء التقاليد

دكتور علي صالح حسين

لما كان الانسان فى حقيقته وكنه ذاته مركبا من عنصرين متقابلين متغايرين متباينين لا يكادان يجتمعـــان فى شىء بعينه ، لولا أن اقتضت ذلك المشيئة الالهية وجرت به القدرة الربانية التى لا يغرب عنها شىء فى الارض ولا فى السماء .

وذانك العنصران هما : الروح والجسد ، ووجه التباين بينهما كون احداهما من المادة التى تحمل فى مفهومها الذاتى وتنطوى فى تكوينها الجوهرى على كل معانى الشر والظلام والثانى من النور المحض الذى لا يفيض الا بالخير والرشاد .

أقول لما كان الانسان فى حقيقته مزاجا من المادة والروح كان من الطبيعى أن يجىء سلوكه الظـــاهرى والنفسى والجسدى على ثلاثة انماط .

الأول ـ يمثل الجانب المادى وحده .

الثانى ـ يمثل الجانب الروحى المحض .

الثالث ـ يصور لنا امتزاج العنصرين .

فمن قبيل الاول على سبيل المثال مايأتيه بنو الانسان من المأكل والمشرب وقربان النساء .

ومثال الثانى : ما يعمل الفرد فيه عقله من التأمل فى الكائنات وتدبر صور الموجودات والتفكر فى خلق الارض والسموات .

أما الثالث : فيتمثل فى مختلف صور الحياة الاجتماعية وشتى مظاهرها ، فمن ذلك على سبيل التحديد مانشاهده من الفرح والمرح وكل ما يتسم به سلوك الجماهير من ألوان البهجة ومظاهر المسرة فى أيام العيد . اذ أن البهجـــة والجزل والسرور والحبور كلها أمور معنوية تنفعل بهـــا النفس الانسانية وينبض بها الفؤاد ، ثم تبدو صورة ذلك كله على عضلات الوجه وقسمات المحيـــا ، وفى حركات مختلف أعضاء الأجساد ، ومن ثم ساغ لنا أن نقول أن جل مظاهر الحياة الاجتماعية تتطابق فى تحققها ماهية الانسان وكنهـــه الذاتى الذى هو مزاج من العنصرين الروحى والمادى ، أو هو على حد تعبير الفلاسفة والمفكرين ، كل تألف من جزأين هما الحيوانية والناطقية .

والقصد من كل ما تقدم أن أقول أن الامم على اختلافها فى الألســـنة وتباينهـا فى الالـــوان وتباعدها فى البقـع وتعددها فى الاصقاع ، قد جرت فى تقاليدها وسنن حياتها الاجتماعية منذ أقدم الأزمان على أن يتخذوا أياما معينة يحتفلون فيها كل عام بأنواع من السلوك الاجتماعى الذى يمثل فى وجوده الخارجى حقيقة الانسان بجانبيها الظاهرى والباطنى . أو قل الروحى والمادى .

وقد اصطلحت الجماعات البشرية على أن تسمى تلك الايام أعيادا ، كما تواطئوا فيما بينهم كذلك على أن يعبروا عن كثرة السرور وفرط البهجة عند حلول الأعياد بمختلف أنواع السلوك البشرى سواء فيه ما كان صورة لاحـــد عنصرى حقيقة الانسان أو صورة لامتزاجهما فى الحقيقة الجزئية التى يقوم بها الشخص ويتراءى فى ظلها كنه كل فرد على حدة من أفراد بنى الانسان .

فمن قبيل الاول ما يطعمه الناس فى يوم العيد من مختلف انواع المأكل والمشرب ، اذ اعتادت الجماعات البشرية فى محتف الاقاليم والاقطار أن يطهوا فى يوم العيد أطعمة معينة لا يطهونها فى الايام العادية ـ فمن ذلك على سبيل المثال ـ كعك العيد .

وأما مايأتيه الناس فى يوم العيد من السلوك الاجتماعى والفردى الذى يعبر فى مظهره الخارجى عن امتزاج العنصر الروحى بالعنصر المادى فانه متعدد كثير لا نستطيع أن نحصيه فى مثل هذا المقال ، ولكننا نذكر منه هنا على سبيل المثال ما اعتاد الناس فعله من صلة الرحم وتبادل الزيارات والخروج الى الحدائق والمتنزهات ومن اقامة حفـــلات الرقص واللهو والغناء . وهى فى جملتها أفعال وأعمال تخضع للحكم الشرعى من حيث أنها حلال أو حرام ، وقبل أن نبين أى حكم من احكام تلك الأفعال وهاتيك الاعمال ، نقول ان الاسلام قد شرع لنا عيدين فى العام وسن الاحتفال بهما ، وذلك بعد أن هاجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى المدينة المنورة ـ اذ لم يكن المسلمون فى مكة من كثرة العدد بحيث يكونون مجتمعا يتأتى معه مثل هذا التشريع .

فقد روى ابن حيان والنسائى بالسند الصحيح عن انس بن مالك أنه قال :

« قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : قد أبدلكم الله تعالى خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى » .

ومعنى هذا الحديث كما هو مفهوم من منطق لفظه أن اللعب مباح فى أيام العيد سواء كان لعبـــا بالخيول أو بالسيوف أو بغير ذلك مما يعبر به عن البهجة والسرور .

اذ أن قول أنس ـ يلعبون فيهما ـ لفظ عام مطلق لم يرد ما يخصصه أو يقيده ، بل أقول أنه ورد فى الصحيحين ما يدل فى صراحة ووضوح على أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قد أذن للحبش أن يلعبوا فى مســـجده الشريف ، كما أذن كذلك لزوجته عائشة أم المؤمنين أن تنظر اليهم ، وانه كان يقول لهم « على سبيل التشـــجيع » دونكم يا بنى أرفده « وهى كنية ينادى بها أبناء الحبشة عند العرب » .

ويبدو أن ذلك لم يرق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لما عرف به من شدة العريكة وصرامة الطبع ، اذ أراد أن يمنعهم فنهاه عن ذلك النبى ـ عليه السلام ـ .

فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ انه قال :

« بينما الحبش يلعبون عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحرابهم دخل عمر فاهوى الى الحصباء فحصبهم

بها ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : دعهم يا عمر » .

وقالت عائشة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - « لقد رأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسترنى بردائه وأنا انظر الى الحبش يلعبون فى المسجد »

فمما ذكرت ومما لم أذكر من الاحاديث الصحيحة الواردة فى هذا المقام أستطيع القول بأن الدين الحنيف قد شرع لنا الاحتفال فى يومى الفطر والنحر وفى أيام التشريق بشتى مظاهر الفرح والبهجة وبمختلف وسائل التعبير عن معانى الجزل والحبور ولكن فى غير ما اقتراف اثم ولا اجتراح سيئة ولا قربان أمر ورد بتحريمه نص غير محتمل التأويل ـ فى السنة الصحيحة أو الكتاب أو اجتمع فقهاء المسلمين عليه فى أى عصر من العصور .

والقصد من كل ما تقدم أن أقول اذا كانت الأمم المتحضرة والشعوب المتمدينة تتخذ لها أياما معينة تحتفل فيها كل عام بما تدعيه لنفسها من المآثر والامجاد بقصد المضى فى الرقى الاجتماعى والتطور الفكرى والتفوق على الغير فى شتى مرافق الحياة .

أقول اذا كان مثل هذا قد حدث ويحدث لدى الامم ذات الوعى الاجتماعى والنضوج العقلى فان الأحرى بالشعوب الاسلامية والأمة العربية أن يتخذوا من يوم العيد مناسبة مباركة يتأملون فيها واقع حياتهم الدينية والاجتماعية فما وجدوه منها حسنا نموه وطوروه وما وجدوه قبيحا نبذوه وغيروه .

فالمحبة والوئام والاتفاق والانسجام والتضامن والتكاتف والتآزر والاتحاد فى سبيل الغاية الشريفة والهدف النبيل كلها أمور تمر بخاطر كل ذى ضمير حى وعقل مستنير من أبناء العروبة والاسلام ، اذ أن يوم العيد يذكر بلا ريب جميع المسلمين بما كان عليه المهاجرون والأنصار والمسلمون الأولون من القوة والمنعة والشوكة والسلطان بفضل ما من الله عليهم به من التآلف والتحاب والتضامن والاتحاد .

أما الفساد الاجتماعى والانحلال الخلقى والفرقة فى الصف والاختلاف فى الرأى والتباغض والتشاحن والانقياد الى الرغائب الشخصية والاهواء الفردية فانها امور ممقوتة يحرمها الدين ويأباها المجتمع السليم وبالتالى فان المسلمين الصادقين يستشعرون وهم يحتفلون بحلول العيد المبارك أن تلك الاحوال هى العوامل والاسباب فى كل ما انتهى اليه حال العرب والمسلمين من قلة الحيلة وضعف الوسيلة والهوان على الغير .

وأما ما يأتيه بعض الناس من شرب الخمور وفعل الفجور واقامة الحفلات الحمراء التى ترتكب فيها المعاصى والآثام بحجة الابتهاج بالعيد السعيد ، فانه أمر غير سديد لا يبيحه الدين ولا تقره التقاليد . اذ أن اوساط الاسلامية خاصة والبيئة الشرقية بوجه عام تأبى الرذيلة ولاتستسيغ غير الفضيلة .

هذا على أن علماء المسلمين قد اختلفوا ـ منذ صدر الاسلام حتى الآن ـ فى الحكم على الرقص والغناء والضرب بالدف والعزف بالمزمار ، فبعض أباحه ، وبعض كرهه البعض الآخر قال انه حرام .

والذى أميل اليه أو أرتئيه هو أن نخصص ولا نعمم ، وأن تقيد الأحكام بأن نفرق فى الحكم الشرعى بين الرقصة الشعبية والرقصة الغربية التى يعدها البعض من قبيل الفن الرفيع ، فالاولى مباحة لا اثم فيها لأنها تعبر فقط عن الفرحة والبهجة ، أما الثانية فانها حرام لأنها مثارة للشهوة ومدعاة للفساد .

وكذلك الحال فى استعمال المزمار والضرب بالدف ورفع الصوت بالغناء فان ذلك كله مباح ما دام خلوا من الفتنة غير مثير للداف الجنسى .

ولست أقول هذا من هوى نفس او رغبة شخصية ، انما قلت ما قلت بناء على ما يعطيه الحديث الصحيح ؛ فقد روى البخارى ومسلم عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت : ان أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى « فى عيد الاضحى » تغنيان وتضربان والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ متغش بثوبه . فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد »

وقصارى القول فى هذا المقام ان يقال أن الابتهاج بالعيد أمر حميد ، اباحه الدين وأقرته التقاليد ، ولكن فى غير ما ارتكاب لمعصية ولا انتهاك لحرمة ولا مجانفة لأمر حظره الدين .

الإنسان فى القرآن

الدكتور احمد فؤاد الأهوانى

عبـاد الله

القرآن كتاب دينى أولا وقبل كل شىء ، واذا كان يتعرض للأخلاق ، وللاجتماع ، والاقتصاد والسياسة ، والفلسفة ، فذلك بطريق العرض لا بالذات ، لأن المقصد الأول من القرآن ، ومن كل كتاب سماوى ، هو الاعتراف بوجود الله ، والاقرار بوحدانيته ، وبيان قدرته التامة ، واعتماد الانسان فى وجوده وعمله عليه .

فلا عجب أن يوصف الانسان بما يليق من صفات بالنسبة الى الله .

وقد رأينا أن للانسان أسماء شتى ، لايدل أى واحد منها على هذه العلاقة بينه وبين الرب كالناس وبنى آدم ، والبشر ، والانس .

والاسم الذى يطلق على الانسان من جهة علاقته بالله ، هو العبد ، والعباد . والعبد لغة الانسان حرا كان أم رقيقا ، لأنه « مربوب » لله عز وجل ، ولذلك كانت المقابلة بين العبد والرب ، والعبودية والربوبية ، هى جوهر الدين ، سواء أكان الدين سماويا أم غير سماوى . ولقد كان العرب فى جاهليتهم يعبدون الأصنام ، ويتخذونها أربابا من دون الله ، ولهذا السبب انتسبوا اليها ، فقالوا « عبد مناة » و « عبد اللات » و « عبد العزى » قال الكلبى فى كتاب الأصنام : « فكان أقدمها كلها مناة . وقد كانت العرب تسمى عبد مناة ، وزيد مناة . وكان منصوبا على ساحل البحرين المدينة ومكة . وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله .. الخ »

فلما جاء الاسلام ، وحارب عبادة الأصنام ، وتحول العرب عن عبادتها الى عبادة الواحد القهار ، أصبح جميع المسلمين مربوبين لله ، كلهم عباده ، فانقطعوا عن تلك الأسامى التى كانوا يهبون بها أنفسهم لأربابهم ، وأضحوا يسمون عبد الله ، وعبد الواحد ، وعبد الحى وعبد القاهر ، الى ماشاءوا من أسماء الله الحسنى .

وأحب أسماء الانسان الى الله هو العبد . قال تعالى فى سورة العلق يصف النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه « عبد » ، وذلك حين كان أبو جهل ينهاه عن عبادة الله ، « **أرأيت**

الذى ينهى عبدا اذا صلى » ثم تأمل كيف وردت لفظة العبد فى السياق مع الصلاة التى هى رأس العبادات • واذا كان أصحاب اللغة قد نسبوا العبد الى الرب باعتبار أنه « مربوب » فلا جرم أن يكون المدلول الأصلى للعبد من العبادة التى تقتضى معبودا يتعبده المرء ، بالتعظيم والتقديس ، وتقديم القربان ، وغير ذلك من الشعائر الظاهرة • وكانت العبادة فى الجاهلية مناسبة لحال الجهل والتأخر والانحراف بالدين عن الاستقامة ، مما أدى بها الى أن تكون شركا ، وتعظيما لغير الله تعالى من أصنام وأوثان •

فلما جاء الاسلام دعا الناس الى نبذ الآلهة ، والرجوع الى الدين الصحيح الحنيف ، والاخلاص لله سرا وعلانية ، وأصبح العباد جميعا فريقين ، أحدهما مؤمن مخلص ، والآخر منافق أو مشرك ، والفريق الأول ينال ثوابه عند الله ، ويلقى الفريق الثانى جزاءه العادل •

ان الذى يتتبع ألفاظ العبد والعباد فى الآيات المختلفة من القرآن يتضح له اقتران معنى العبد بالعبادة ، والتدين الصحيح ، مثال ذلك ماجاء فى سورة البقرة من الآيات ٢٠٠ الى ٢٠٧ حتى يصف الله أصناف الناس، فمن الناس من يقول « **ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق** » وصنف آخر « **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها** » وصنف ثالث يقول تعالى عنهم : « **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد** » •

فان قال قائل : ولكن جميع الناس عباد الله ، بالتعبير القرآنى نفسه ، وهذا لايقتضى أن يكونوا كلهم قائمين على عبادته ، فالله هو القائل : « **ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم** » (المائدة ١٨) •

قلنا فى الجواب : حقا كل الناس عبيد الله باعتبار وجوب العبادة ، فمن عبد الله وأخلص فى عبادته أثيب على ذلك ، ومن انصرف عن هذه العبادة عذبه الله ، أو غفر الله له ان شاء • ولذلك كان العبد فى الحقيقة هو العابد وكان العابد على الحقيقية وعلى الاستقامة أقرب الناس الى الله ، وكان اسم العبد أحب الأسماء عند الله لا من جهة أنه مجرد انسان بل باعتبار أنه انسان عابد • وهذا يوضح لماذا سمى الرسول الكريم عبدا •

قال تعالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا** »

وقال : « **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** »

وكذلك الحال فى سائر الأنبياء والرسل ، نجد أن الله تعالى يسميهم « **العبد** » أو «**عبادنا**» أو « **عبد الله** » • جاء فى سورة ص «٣٠» : « **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب** » وفى السورة نفسها ذكر لكثير من الأنبياء بالتسمية التى أشرنا اليها • قال تعالى : « **اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب** » (ص ١٧) • ذلك أن العرب كانوا يسخرون من محمد ويكذبونه ، ويتهمونه بأنه ساحر كذاب ، ويعجبون من قوله ان الآلهة المتعددة باطلة وليس ثمة سوى اله واحد ، فانطلق الملأ منهم من مجلس اجتماعهم عند أبى طالب ونادوا بالثبات على آلهتهم • لهذا السبب وجه الله الخطاب للنبى وطالبه بالصبر ، وذكره بداود ذى الأيد أى القوة فى العبادة • ثم وهب الله لداود ابنه سليمان ، فكان نعم العبد ، لأنه « **أواب** » وهى صيغة مبالغة من الطاعة لله • وهذه الصفة تضاف بعد ذلك الى أيوب ، عنوان الصبر ، وفيه يقول الله تعالى : « **انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب** » (ص ٤٤) • وتمضى الآيات بعد ذلك فتجمع ثلاثة أنبياء فى آية واحدة هى : « **واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار** » (ص ٤٥) • هؤلاء الثلاثة أى ابراهيم واسحاق ويعقوب من « **المصطفين الأخيار** » (ص ٤٧) •

ولما كان كثير من فرق النصارى يعتقدون أن المسيح اله ، فقد حرص القرآن على دحض هذه العقيدة ، وبيان « **عبودية** » عيسى عليه السلام • انه عبد وليس ربا ولا الها ، كما يزعمون • « **ان هو الا عبد أنعمنا عليه**

وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل » (الزخرف ٥٩) والمسيح نفسه لايتعالى ، فهو : « **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله »** (النساء ١٧٢) اى مربوبا لاربا ، ولما حملت مريم بأمر الله ، ثم وضعت عيسى ، اتهمها قومها ، وقالوا : « **ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا • فأشارت اليه ، قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا • قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا •• وجعلنى مباركا أين ماكنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا •• الخ »**

الى جانب فكرة اصطفاء الأنبياء ، وهى فكرة أساسية فى الدين الاسلامى ، فان العباد من الرسل يشترط فيهم الايمان والاخلاص • ففى الاصطفاء يقول الله فى سورة فاطر • « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** مما يدل على أن المصطفين من العباد غير مقصورين على الرسل والأنبياء ، بل على جميع العباد • وقد وردت هذه الآية بعد خطابه تعالى لمحمد قائلا : « **والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير »**

أما صفة الايمان والاخلاص فقد وردت فى سورة الصافات ، ابتداء من نوح ، الذى يقول فيه الله : « **سلام على نوح فى العالمين • انا كذلك نجزى المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين »** ويقول فى ابراهيم القول نفسه « **سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين »** ويقول فى موسى وهارون : « **انهما من عبادنا المؤمنين »**

وقد أوعد الله الذين لايصدقون برسالات الأنبياء بعقاب شديد : « **الا عباد الله المخلصين »** • « **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين »** •

وليس العباد مقصورين على البشر فقط ، بل الملائكة أيضا عباد الله • ففى سورة الزخرف خبر الذين كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله ، فجادلهم الله فى قوله : « **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون »** •

ويمضى الحوار بين المشركين الذين يحتجون بقولهم : « **لو شاء الرحمن ماعبدناهم »** •

ان الله لايخفى عليه ماتبطن نفوس عباده أيعبدونه ويؤمنون به ويخلصون فى عبادته أم يشركون فى عبادتهم ، والشرك كما نعلم رأس الكبائر وأعظم الذنوب • ولذلك تكرر فى القرآن هذا المعنى وهو أن الله خبير بالعباد بصير بهم ، كما جاء فى سورة الاسراء الآيات ١٧ ، ٣٠ ، ٩٦ « **انه كان بعباده خبيرا بصيرا** » و« **وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا »** •

قد يسلك العبد طريق التقوى والصلاح ، ويقوم بما أمر الله به من عبادات تذكره بوجود الله ودوام اطلاعه على أحوال العباد ، فتدفعه هذه العبادات الى السير فى الطريق المستقيم ، وقد يسلك الطريق المعاكس لذلك ، فينسى العبد ربه ، ويهمل عبادته ، ويرتكب الفواحش ماظهر منها ومابطن ، ويخيل اليه أن الله ليس خبيرا بصيرا ولا مطلعا على السرائر ، وأنه مع ارتكابه ما ارتكب لن يعاقب • فاذا عوقب نسب الظلم الى الله سبحانه •

وقد نص الله تعالى فى أكثر من آية الحقائق الآتية :

١ ـ أن كل فعل من أفعال العباد يلقى جزاءه ، ثوابا أو عقابا •

٢ ـ ان الجزاء على الأعمال هو العدل ، والعقوبة على الذنب عدل وليست ظلما •

٣ ـ ان العبد حر فى أفعاله ، وليس مجبرا فاثابته أو عقابه يكون عدلا

٤ ـ ان الله له أن يعفو أو يغفر لمن يشاء •

وفى ضوء هذه المبادىء نستطيع أن نفهم الآيات التى تنفى عن الله الظلم ، على أساس صدور الافعال عن العباد باختيارهم • وانظر الى هذه الآيات •

« **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد »** آل عمران ١٨٢ •

ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد » الحج ١٠

فالآيات السابقة تقرر المسئولية ، ثم الجزاء ، ثم نفى الظلم عن الله بناء على ماسبق وفى الآيات السابقة موضع نظر لاستعمال

« **العبيد** » بدلا من العباد • ويبدو أن العباد تفيد مطلق الناس الصالحين منهم والطالحين • على حين أن العبيد تفيد الذين يرتكبون من الذنوب مايستحقون عليها العقاب • ولهذا الفرق الدقيق بين اللفظتين ، وقعت لفظة العباد مقرونة بنفى الظلم عن الله ، ولكن لا من جهة ماحصل من العبد بالفعل ويستحق من أجله العقاب ، بل من جهة ارادة الظلم ونفى هذه الارادة عن الله • كما جاء فى سورة غافر « **وما الله يريد ظلما للعباد** »

***

ومن القضايا الشاغلة أذهان الناس قديما وفى كل زمان ، قضية الرزق وسننظر اليها من زاوية واحدة فقط ، أى من حيث صلة الرزق بالعباد •

هل الرزق من عند الله ، أم الرزق من كسب الانسان وعمله. واجتهاده ؟ هذه المشكلة تعرضت لها الفرق الاسلامية المختلفة ، وتأرجحوا فى كلامهم بين متطرف فى نسبة الرزق للعبد ، ومتطرف فى الناحية الأخرى فلا ينسب للعبد شيئا ولا عملا •

والرزق فى صلته بالعباد كما ورد فى القرآن ينصرف الى « **بسطة الرزق** » وليس الى الرزق اطلاقا • هذه البسطة فى الرزق من فضل الله على عباده ، ومن تمام قدرته وقد تكررت آية الرزق ثلاث مرات بألفاظها ، فى القصص ٨٢ ، العنكبوت ، ٦٢ سبأ ٣٩ ، وهى « **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر** » أى من التقدير ، بحيث يكون الرزق بحساب دقيق على قدر مايحتاج اليه العبد •

ولكن ماذا لو بسط الله الرزق للعباد ، وأغدق عليهم بغير حساب •

ان عاقبة ذلك وخيمة على العبد نفسه ، لأن زيادة الرزق ، ووفرة المال تؤدى الى غوايته وفساده • قال تعالى فى سورة الشورى : « **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض** » • وهذا موافق لما ورد فى موضع آخر من القرآن عن طغيان المرء اذا استغنى • ذلك أن الانسان « فقير » الى الله ، والله هو الغنى الحميد ، فاذا اعتقد الانسان فى نفسه أنه غنى بنفسه ، وليس فى حاجة الى الله ، لاجرم ينتهى الى الكفر •

كانت آلهة العرب فى الجاهلية مادية ، ترى ، وتلمس ، وتوضع فى مكان ، لأنها أصنام يصنعونها ثم يقدسونها ويعبدونها غير أن الاسلام جاء بتعاليم جديدة تغير مفهوم الله وتنفى عنه الجسمية والتشبيه ، فالله تعالى « **ليس كمثله شىء** » واذا شاء أحد من البشر أن يتصور الله فلا بد أن يتصوره بمفاهيم معنوية غاية فى التجريد حتى لايقع فى حبائل التشبيه والتجسيم • وليس هذا التصور المجرد المتعالى عن مستوى الحس ، بل عن مستوى العقل ، يسيرا على الأفهام • نقول ان الله أعلى من مستوى العقل ، لأنه من قبيل « **الغيب** » ، وكل تصور له فهو من قبيل التقريب لا الحقيقة •

***

من أجل ذلك وقع العرب فى حيرة شديدة كيف يتصورون الاله الذى ينادى به محمد ، ويطالبهم بالايمان به • ويبدو أنهم سألوا النبى أين الله ، وكيف نتجه اليه ؟ فأجابهم بالوحى الالهى قائلا : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان** » البقرة ١٨٦ • ومن جوهر الاسلام أن يتوجه المسلم الى الله يدعوه ، ويستعين به ، ويعتمد عليه ، طبقا لما جاء فى فاتحة الكتاب : « **اياك نعبد واياك نستعين** » • فلا جرم أن يستجيب الله دعاء عباده المخلصين •

ولكن كثيرا من الناس لايستعين بالله ، بل يتبع خطوات الشيطان ، الذى يغويهم ، ويغرر بهم • وليس للشيطان على العباد سلطان الا من انصرف عن عبادة الرحمن الى عبادة الشيطان • وفى ذلك جاء فى القرآن عن ابليس قوله : « **قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين** » « **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين** » ــ **الحجر**

ولو أخذ الله عباده بذنوبهم لامتلأت جهنم بالناس أجمعين ، لولا أن الله رءوف بالعباد ، وسعت رحمته كل شىء • ولذلك جاء على لسان الرسول الأمين قوله تعالى : « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم » •

ابن تغرى بردى وكتابه النجوم الزاهرة

الدكتور عبد اللطيف إبراهيم

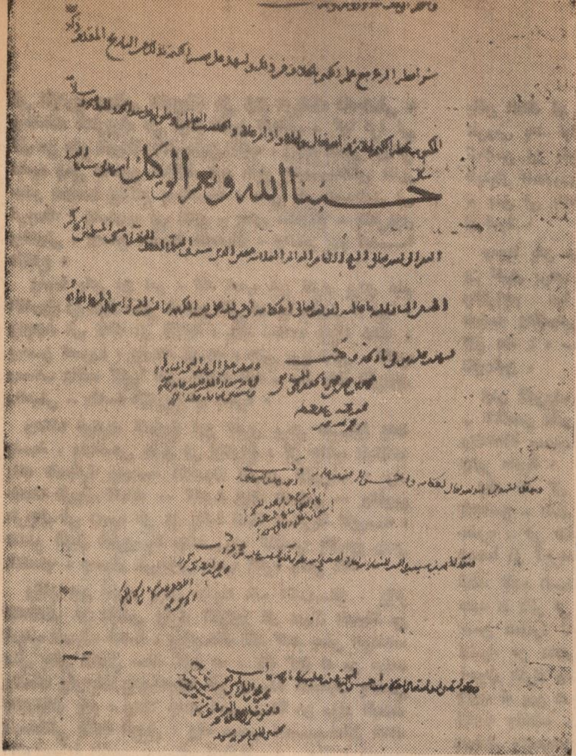
حسبنا الله ونعم الوكيل

جزء من الوثيقة ورد فيها شهادة الشهود

هو الامير جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن الامير الكبير الاتابكى الصيفى تغرى بردى بن عبد الله من يشبغا الظاهرى القاهرى الحنفى ، ولد بالقاهرة فى شوال سنة ٨١٣ هـ بدار منجك اليوسفى بجوار مدرسة السلطان ابو المحاسن حسن بن محمد بن قلاوون بميدان القلعة ، وكان ابوه من جملة مماليك الظاهر برقوق ، اشتراه من الخواجا يشبغا أحد تجار المماليك فى أوائل سلطنته ولذلك نسب اليه .

وقد تربى والده فى طباق المماليك ثم اعتقه السلطان ، واصبح من الخاصكية وهى احدى فرق المماليك السلطانية ، ومنذ ذلك الوقت صار موضع اهتمام السلطان وترقى فى سلم الوظائف المملوكية حتى انه صار مقدما سنة ٧٩٤ هـ ، ثم ولى نيابة حلب سنة ٧٩٦ هـ وعقب ذلك تولى نيابة الشام (دمشق) ودافع عنها ضد التتار بقيادة تيمورلنك ، وعندما تم جلاء التتار عن بلاد الشام عاد الى وظيفته ثانية الى ان حدثت الوحشة بينه وبين السلطان المملوك فرج ، ففر الى بلاد التركمان حيث اقام منفيا حتى عفا السلطان عنه واعاده الى القاهرة وولاه أتابكا للعساكر المنصورة بالديار المصرية فى سنة ٨١٣ هـ .

وقد زادت اواصر الصداقة بين الاتابكى ابن تغرى بردى ـ والد المؤرخ وبين البلاط المملوكى اذ تزوج السلطان فرج من كبرى بناته فاطمة . فتولى نيابة الشام للمرة الثالثة والاخيرة فى سلخ سنة ٨١٣ هـ ، وقد استمر فيها حتى وفاته فى محرم سنة ٨١٥ هـ ، تاركا ولده ابا المحاسن يوسف يتيما صغيرا فى الثانية من عمره ، وان كان قد خلف له ثروة كبيرة .

كان ابو المحاسن اصغر اخوته الذكور والاناث جميعا ، فنشأ فى بيت اخته بيرم زوجة قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى ، ولما توفى تولى كفالته زوجها شيخ الاسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى الشافعى ، فاحسن تربيته ، وبعد وفاته صار أبو المحاسن فى رعاية جماعة من أكابر مماليك أبيه الذين تعهدوه بالتعليم المدنى والحربى على السواء .

وهكذا نشأ ابوالمحاسن يوسف بن تغرى بردى فى بيت علم وجاه رغم استيلاء السلطان فرج على موجود أبيه واقطاعه ، فقد تولى تربيته وتعليمه زمرة من شيوخ عصره مثل الجلال البلقينى والتقى المقريزى والبدر العينى ، وابن عربشاه وابن حجر العسقلانى وغيرهم .

وكانت القاهرة على عهده تعج بالمدارس او الكليات الجامعية الكثيرة ذات المكتبات الزاخرة بالكتب القيمة استفاد منها فائدة كبرى ، وكان وجودعدد كبير من العلماء والادباء والشعراء والفقهاء والمحدثين من أهم الاسباب التى ساعدته على الظفر باكبر قدر من العلوم النقلية والعقلية ابان العصر الوسيط . فقد اخذ النحو عن التقى الشمنى الحنفى ، والتصريف عن الشيخ علاء الدين الرومى ، وقرأ

فى البديع وبعض الادبيات على ابن عربشاه الدمشقى ، ومقامات الحريرى على قوام الدين الحفنى ، كما قرأ فى كل من علم الهيئة والاقرباذين الطب ، ولازم أشهر مؤرخى عصره وعلى رأسهم الحافظ ابن حجر العسقلانى الذى حضر دروسه وانتفع بمجالسته ، حتى قال السخاوى فى ترجمته : وتدرب فى الفن - يعنى التاريخ - بالمقريزى والعينى ، وسمع عليهما الحديث ، وانتفع بهم أيما انتفاع .

ومهما يكن من امر ، فقد احب ابن تغرى بردى علم التاريخ من دون سائر العلوم التى درسها واجيز له فيها ، واجتهد فى ذلك الى الغاية ، وقد ساعده جودة ذهنه وحسن تصوره ، وصحة فهمه ، حتى برع ومهر ، فكتب وصنف وألف كثيرا حتى انتهت اليه - بعد وفاة المقريزى والعينى - رئاسة التاريخ فى عصره .

وهكذا توفرت للمؤرخ ابن تغرى بردى ثقافة عامة واسعة ، وتخصص دقيق فى التاريخ ، الى جانب اشتغاله بفقه الحنفية ودراسة الحديث النبوى الشريف . وقد حتمت ظروف نشأته - كأحد أولاد الناس - وتكوين الرجال فى عصره على ان ينشأ نشأة عسكرية كأبيه ، فتعلم فنون الفروسية والحروب كاللعب بالرمح ورمى النشاب ، وسوق البرجاس ولعب الكرة ونحو ذلك .

وكان ابن تغرى بردى متدينا عف اللسان ، يؤثر الاعتكاف عن الناس وترك التزاور الى اعيان الدولة من ارباب السيف خاصة ، ورغم ذلك فقد تقلد بعض الوظائف مثل باش المحمل سنة ٨٤٩ هـ ، لانه كان له من مولده ونشأته وقراباته ومصاهراته خير وسيلة للتعارف بالناس والارتباط بهم ، وهذا جعله احيانا من رواد البلاط السلطانى بقلعة الجبل ، وقد صحب السلطان الملك الاشرف أبا النصر برسباى الدقماقى فى حلقات للصيد والنزهة .

كما كان على قدر كبير من الحياء حتى قال مريده وتلميذه وصديقه احمدبن حسين التركمانى المعروف بالمرجى: « ماسمعته يشتم احدا من غلمانه ، ولا من حاشيته ، ولا تكبر على احد من جلسائه قط » .

فقد كان رحمه الله رئيسا فاضلا حشما ، كريما خيرا ، محبا للعلم واهله ، يحرص على مصاحبة الاصلاء ، ومجالسة العلماء والرؤساء من ذوى المكانة ، وقد حج ابن تغرى بردى مرتين فى سنة ٨٢٦ هـ ، ٨٤٩ هـ فاستفاد وأفاد علميا وروحيا .

وساعدت الظروف التى مر بها الشرق الادنى فى عصره، على تكوين الشيخ المؤرخ تكوينا علميا راسخا ، فقد تثقف على يد اعظم رجالات عصره من العلماء والفقهاء والمحدثين والمؤرخين خاصة ، وشغف بكتابة التاريخ شغفا لامزيد عليه وانكب على الاشتغال به والف فى ذلك عدة تواريخ كما يقول ابن اياس الحنفى . ويعلل البعض ذلك بانه قد يجد فى ذلك سبيلا يحقق به ماحققه أستاذه بدر الدين العينى من مكانة سامية فى بلاط السلطان برسباى ، فربما كان يطمح فى مثل المكانة التى وصل اليها شيخه لدى احد سلاطين المماليك الجراكسة ، خاصة وقد خلا له الجو - بوفاة العينى والمقريزى - للوصول الى منصب عميد المؤرخين فى عصره .

ويظهر أن أبا المحاسن بن تغرى بردى قد حسنت صلته بالسلطان أبى سعيد جقمق ، حتى انتظمت زياراته مجلسه مرة كل اسبوع ضمن رجال العلم والادب من ارباب العمائم وغيرهم ، كما كان بينه وبين الامير محمد ابن السلطان جقمق صداقة قديمة ، ومحبة زائدة ، ولكنه لم يكن ذا حظوة لدى السلطان اينال العلائى ، حتى ان زياراته له لم تعد المرة او المرتين فى السنة كلها ،

ولكن الحظ لم يلبث أن عاوده لدى السلطان خشقدم الرومى بعد توليته السلطنة المملوكية ، كما قدر لابى المحاسن أن يعيش حتى يرى أوائل سلطنة الاشرف قايتباى المحمودى ، وليكتب فى حوادثها بما يدل على انه لم يلق فى بلاط ذلك السلطان المملوكى الجركسى عناية او قبولا .

ومهما يكن من امر ، فقد استطاع أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى خلال حياته ان يكتب الكثير فى التاريخ والتراجم ، مما سبب الجفوة بينه وبين حاسديه من العلماء والمؤرخين المعاصرين له وخاصة السخاوى الذى قال عنه : « سمعته يرجح نفسه على من تقدمه من المؤرخين » .

ومن المعروف ان اغلب مؤرخى القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى كانوا شديدى الخصومة والتحاسد والمداخنة بسبب ماتولد بينهم من منافسة لاسباب علمية وغير علمية .

وقد نقد كل من ابن الصيرفى والسخاوى المؤرخ ابا المحاسن - الذى كان قد احتل مركز الصدارة بين مؤرخى عصره - فى عنف وقسوة ، ورماه كل منهما بالتهم ، وعمدا الى تجريحه ، وذكر كثير من المساوىء فى حقه .

فلقد نقده السخاوى نقدا لاذعا ، وجرحه تجريحا لامزيد عليه اذ ذكر فى ترجمته فى الضوء اللامع مانصه : « .. حسن العشرة تام العقل والسكون لطيف المذاكرة حافظا لاشياء من النظم ونحوه بارعا حسبما كنت اتوهمه فى احوال الترك ومناصبهم وغالب أحوالهم ، منفردا بذلك ، لاعهد له بمن عداهم ، ولذلك تكثر فيه اوهامه ، وتختلط الفاظه وأقلامه ... وربما حمله على اثبات مالايليق فى الوقائع والحوادث مما يكون موافقا لغرضه خصوصا فى تراجم الناس وأوصافهم ، ولما عنده من الضغن والحقد .. .. وكان اذا سافر يستخلف فى كتابة الحوادث ونحوها التقى القلقشندى » .

ويهاجم السخاوى مصنفاته وكتبه فيقول : « .. وفيها الوهم الكثير والخلط الغزير مما يعرفه النقاد » .

وقد ردد ابن الصيرفى بعض هذه المعانى وزاد عليها بان قال ان ابا المحاسن كان « كلما فرغ من تصنيف يتوجه به الى من يعرف العربية فيصلحه له ويصير له به مزية » !

وبالرغم من هذا كله ، فالحقيقة التى لاشك فيها أن أبا المحاسن كان مؤرخا ممتازا ، واسع المعرفة شديد التدقيق والتحرى فى كتاباته ، مجتهدا أمينا بقدر ماانطوت عليه هذه الصفات من معانى عند جمهرة المؤرخين ابان العصور الوسطى فى الشرق والغرب على السواء .

وقد لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان ابا المحاسن بن تغرى بردى له مؤلفات تاريخية معدودة ، لها اهميتها الكبيرة فى الموضوعات التى الفت فيها لاصالتها ومنها :

١ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .

٢ - حوادث الدهور فى مدى الايام والشهور - وهو ذيل على كتاب السلوك للمقريزى وينتهى عند سنة ٨٥٦ هجرية .

٣ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - وهو كتاب حافل بالتراجم لرجال الدولتين البحرية والجركسية ، مرتب ترتيبا أبجديا ، وهو ذلك لكتاب الوافى بالوفيات لخليل بن ايبك الصفدى .

٤ - الدليل الشافى على المنهل الصافى .

٥ - مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة .

٦ - البشارة فى تكملة الاشارة - وهو ذيل على الاشارة للحافظ الذهبى .

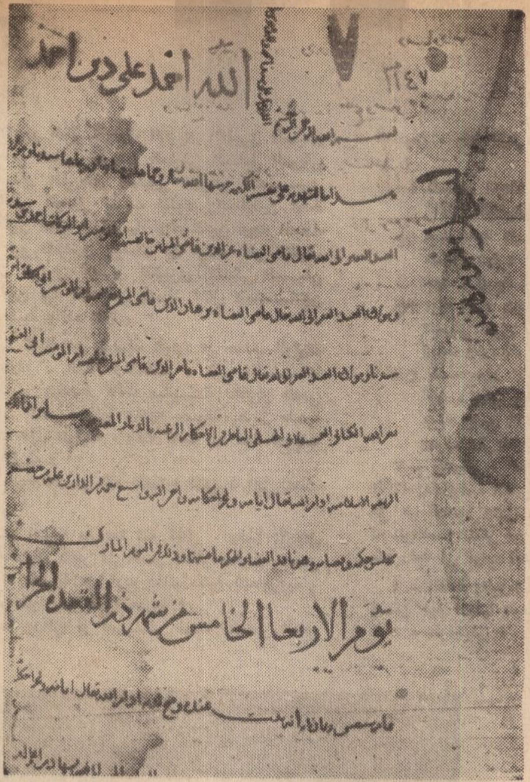
يوم الاربعا الخامس من شهر ذى القعدة الحرام

جزء من وثيقة وقف المؤرخ ابن تغرى بردى

٧ ـ حلية الصفات فى الاسماء والصناعات ٠
٨ ـ نزهة الالباب فى اختلاف الاسماء والالقاب ٠
٩ ـ نزهة الرائى فى التاريخ
١٠ ـ البحر الزاخر فى علم الاوائل والاواخر ٠
١١ ـ السكر الفاضح والعطر الفائح (فى التصوف)
١٢ ـ الانتصار للسان التتار ، رسالة فى معانى اللغة التركية)
١٣ ـ كتاب فى الرياضيات والموسيقى ٠

وهذه الكتب والرسائل تؤكد لنا المامه بل تعمقه وهضمه لكثير من فروع المعرفة السائدة فى العصر الوسيط ، مما جعله بحق نادرة فى اولاد الناس على حد قول ابن اياس فى بدائع الزهور ٠

وقد توفى المؤرخ ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى يوم الثلاثاء ٥ ذى الحجة سنة ٨٧٤ هـ ، ودفن فى اليوم التالى بتربته التى بناها بجوار تربة السلطان الملك الاشرف اينال بالصحراء وبالقرب من تربة الجمالى يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة ـ ووقف بها الكثير من كتبه وتصانيفه ٠

ويظهر انه قد اشتد به المرض وزاد عليه فى اواخر رمضان من سنة وفاته ، اذ اصيب باسهال دموى حاد حتى انتحل وتزايد كربه ، وتمنى الموت لما قاساه من شدة الالم ٠

ولا غرابة فى ان يودع المؤرخ الاشهر فى مدفنه بالصحراء خارج باب النصر كتبه المختلفة التى الفها فى التاريخ وغيره ، فى خزانة يقيم لها خازنا امينا ثقة ، ويجعل له سنا خاصا به كما تذكر وثيقه وقفه ، لان العصر المملوكى بشقيه كان ازهر عهود مصر الاسلامية ، واكثرها اهتماما بالكتب والمكتبات ٠

هذا وللمؤرخ ابن تغرى بردى وثيقه وقف هامة ، توجد عن ملف Roll من الورق الاوصال ، بها تمزيق ضمن المجموعة الارشيفية التاريخية الكبيرة المحفوظة بمحكمة الاحوال الشخصية بالقاهرة ، تؤكد لنا انه قام بعمارة مدفنه هذا ـ الذى زال تماما ولا اثر له اليوم ـ سنة ٨٧٠ هـ ٠

وهذه الوثيقة ـ صورة او نسخه وليست اصلا ـ عبارة فى اماكن مختلفة من دروجها ، وفاقد منها قطعة من وسطها ، وبها آثار رطوبة ، وقد تآكلت بعض اجزاء من هامشها الايسر ، والوثيقة تتكون من ثمانية وثلاثين درجا او وصلا من الورق ، وهى مكتوبة من كلا الوجهين ، اذ نجد نص الوثيقة فى باطنها Recto والاسجالات التوثيقية والاشهادات الشرعية فى ظاهرها Verso على حد مصطلح كتاب الوثائق العربية فى العصور الوسطى ٠

وبعد ، فهذه الوثيقة تمدنا بمعلومات قيمة للغاية وحقائق هامة وجديدة عن المؤرخ ابن تغرى بردى وعمارته بالصحراء خارج القاهرة ، وماوقفه عليها ، وارباب الوظائف فيها ٠

كما تذكر لنا القايه الفخريه ، اذ وردت فى جزء من الوثيقة كما يلى :

« المقر الكريم العالى المولوى الاميرى الكبيرى السيدى السندى الامامى العالمى الفريدى البليغى السليل العريقى المربى الوحيدى الفريدى البليغى المفوهى النصيرى الغوثى الحافظى الجمالى نسيب الملوك والسلاطين عمدة النقلة والمحدثين محب العلمـاء والصالحين أوحد العلماء فى العالمين أبو المحاسن يوسف بن مولانا المقر الاشرف الكريم العالى المولوى الاميرى الكبيرى الاتابكى السيفى تغرى بردى بن عبد الله من يشبغا كافل المملـكتين الشامية والحلبية والده كان »

ويتضح لنا كذلك من الوصف الوارد فى صلب الوثيقة أن معظم عمارته - المدفن وملحقاته - التى انشـاها بالصحراء خارج القاهرة كانت مبنيـة بالحجر الفص النحيت الملون المنعم ، ولها واجهة مصوقة بطراز مذهب معقود على حد قول الوثيقة ، وانه كانت بها عدة قمريات من الزجاج الملون •

وتحدد الوثيقة اقسام هذه العمارة الكبيرة التى كانت تتكون مما يلى :

١ - ايوان التربة مسجدا لله تعالى ، وهذا الايوان كان معقودا بالطوب الآجر على خمس قناطر معقودة بالحجر الفص النحيت محمولة على اربع دعائم مبنية بالحجروبعلو واجهة الايوان شراريف حجرا مهرما •

٢ - اربعة مدافن او فسـاقى مبنية بالحجر الفص النحيت ، وقد اشترط ابن تغرى بردى ان تكون لكل من :

أ) السيفى قلمطاى بن عبد الله الاسحاقى راس نوبه الملكى الظاهرى وذريته •

ب) ابنة اخته الست المصونة الكبرى المحجبة عائشة المدعوة شقرا ابنة السيفى جانى بك البشـمقدار جهة (زوجة) السيفى قلمطاى واولادها •

جـ) ابنة اخيه الجناب المرحوم الشرفى حمزة بن المقر السيفى تغرى بردى الست المصونة الكبرى المحجبة زينب وذريتها •

د) لنفسه وان لايدفن بها احد بعد وفاته كائنا من كان ، وان يبلط باب المنزل المعد للفسقية على هيئة جميع الايوان حتى يعفى با بالمنزل فلا يعرف ولا يفتح ابدا »!

٣ - الحوش ، لدفن الاموات من الذكـور والاناث ، المالك والمملوك ، الغنى والصعلوك ، المسلمين والمسلمات ، على مر الدهور والاوقات من القريب والبعيد ممن يسمح له الواقف والناظر من بعده من غير مقابل لذلك ولا لشئ منه رغبة فى ثواب الله تعالى •

٤ - القاعة والرواق ، لسكن الواقف وذريته ثم للناظر يسكن فيه ارباب الوظائف •

٥ - المراحيض •

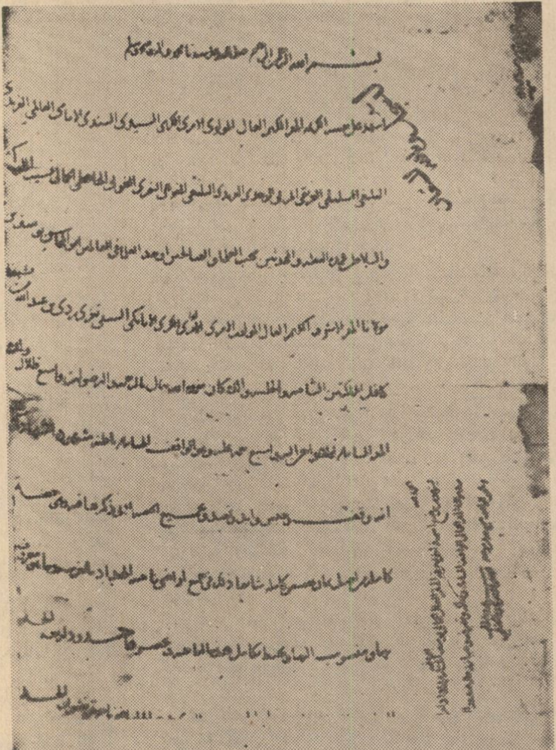

جزء من الوثيقة ورد فيه القابه الفخرية

٦ - اسطبل لربط الخيول والبهائم .
٧ - المطبخ .
٨ - الطباق والخلاوى . تسكن ارباب الوظائف ، على ان يسكن كل واحد فى مكان يليق به ، وعلى حسب حالهم ومايليق بهم ، ولا يسكن بهذه الاماكن الا من هو مشهور بالخير والدين وحسن المعاملة .
٩ - السبيل ، ومابه من اوانى وطسوت وكيزان نظيفة .
١٠ - الصهريج لخزن الماء .
١١ - المكتب علو السبيل برسم تعليم الصبيان القرآن العظيم ، والمكتب ذو وجهين احدهما بطاقات والثانى بدرابزى .

وتذكر لنا الوثيقة ان من جملة الاوقاف التى حبسها ، دار بالقاهرة المحروسة بخط راس حارة اميرجوان بجوار مسجد الكويك بالقرب من حمام الرومى ، وفندق معد لطبخ السكر ، ومكان ظاهر القاهرة خارج باب البحر بخط بولاق بشاطىء البحر الاعظم ، وغيرها من العقارات والاراضى الزراعية التى كانت فى ملكه وحوزته .

ومن ثم يتضح لنا ان المؤرخ ابا المحاسن بن تغرى بردى لم ينشأ لنفسه مكانا لدفنه فقط كما قد يعتقد البعض ، ولكنه بنى عمارة كبيرة مدنية دينية اجتماعية فى آن واحد ، فى هذا المكان من ظاهر القاهرة ، والذى كان آهلا بالحركة والنشاط طوال القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى .

اما ارباب الوظائف فان الوثيقة تذكر لنا منهم : البواب ، المزملاتى ، الفراش ، الوقاد ، مؤدب الايتام ، خازن الكتب ، عشرة صوفية وشيخهم ، مادح .

وقد ورد فى نص الوثيقة شروط طريفة منها على سبيل المثال :

اولا : ان يقيم البواب بالتربة ، ويسكن بها ولا يخرج منها الا لضرورة ويعود بسرعة ، ولعل ذلك بسبب ماكان يوجد فيها من كتب او نفائس من ريع الوقف وغيره من نفائس الاشياء .

ثانيا : العطلة للاطفال ومؤدبهم بمكتب السبيل يومى الجمعة والثلاثاء والاعياد .

ثالثا : المسامحة للموظفين لاتكون الا بسبب المرض او سفر لاداء الحج او عذر شرعى .

رابعا : لايجمع فرد من ارباب الوظائف بين وظيفتين .

خامسا : فيما يخص باقى ريع الاوقاف المبرورة فان الوثيقة تذكر لنا انه ، مهما فضل من ريع الموقوف يرصده (الناظر) تحت يده باشهاد عليه مخلد بخزانه الكتب التى بالتربة ، على ان يقسم على الوجه التالى :

ا) الثلث لاخته عائشة المدعوة شقرا زوجة السيفى جانى بك البشمقدار

ب) الثلث الثانى لابنة اخته عائشه ابنه السيفى جانى بك البشمقدار وزوجه السيفى قلمطاى .

ج) الثلث الاخير للفقير زين الدين محمد ولاخيه بدر الدين محمد ابى البركات وعتقاء الواقف .

وبعد ، فان من اشهر كتب التاريخ التى الفها الشيخ الجليل ابو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى كتابه « النجوم الزاهرة » الذى اختلف اصحاب كتب البيليوجرافيا فى عنوانه ، فقد ذكره حاجى خليفة صاحب كشف الظنون « النجوم الزاهرة بتلخيص اخبار مصر والقاهرة » وسماه سركيس فى معجم المطبوعات « النجوم الزاهرة فى اخبار مصر والقاهرة » وهو الحولية التاريخية المتواتر على تسميتها « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » .

ويظهر ان ابن تغرى بردى قد لخص كتابه هذا وسماه « الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة » .

ومهما يكن من امر ، فالكتاب من اهم الحوليات التاريخية الخاصة ، الجامعة لتاريخ مصر وملوكها واخبارها ، اذ يغطى فترة تقرب من ثمانية قرون ونصف تقريبا - اعنى من الفتح الاسلامى حتى سنة ٨٧٢ هـ .

والكتاب يمثل حلقة تصل بين مؤلفات من سبقه من المؤرخين والتابعين له ، فهو يربط بين كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقى المقريزى « وكتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن اياس الحنفى ، ومن ثم هو يعتبر بحق حلقة الاتصال بين هذين المؤلفين الكبيرين ، ومن هنا تتضح لنا اهميته الكبيرة وقيمته العظيمة بين مصادر التاريخ العربى فى العصر الوسيط .

وتوجد من هذا الكتاب نسخ خطية عديدة فى كبرى المكتبات العالمية فى كل من استنبول ولننجراد وبرلين وباريس ولندن وغيرها ، كما ترجم الى التركية وبعض اللغات الاوربية .

وابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى كمؤرخ ثقة ، يذكر لنا فى كثير من الصفحات المصادر التى اعتمد عليها ورجع اليها عند تاليف كتابه وتجميع مادته ، مما يقطع فى الدلالة على امانته ودقته ، الى جانب عدالته ونزاهته وتقصيه للحقائق من كثير من المصادر السابقة عليه ومنها الطبقات الكبرى لابن سعد ، وفتوح مصر واخبارها لابن عبد الحكم ، وفضائل مصر وولاة مصر وولاتها للكندى ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، وتاريخ الرسل والملوك للطبرى ، والكامل فى التاريخ لابن الاثير ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الاسلام للذهبى ، وعقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان للعينى ، والخطط والسلوك للمقريزى وغيرها ، كل هذا فى عصر جرى المؤلفون فيه - من المؤرخين وغيرهم - على نقل صفحات بل اجزاء باكملها من كتب السابقين عليهم دون ذكر اشارة واحدة ، بل فى عصر تفشت فيه السرقات العلمية وغير العلمية ، وعلى حد قول المقريزى فى خططه « فما القوم الا سارق من سارق او غاصب من غاصب » .

والحقيقة ان كتاب النجوم الزاهرة من المصادر التاريخية العربية الهامة التى اولاها المستشرقون عناية خاصة ، فقد نشر المستشرق الهولندى Juynboll جزءا منه فى مجلدين (ط . ليدن ١٨٥١ - ١٨٥٥ م) وكذلك قام المستشرق الامريكى W.Popper بنشر عشرة مجلدات منه (ط . كاليفورنيا ١٩٠٩ - ١٩٢٩ م)

واخيرا قامت دار الكتب المصرية - مشكورة - بنشر ١٢ جزءا منه فى ١٢ مجلدا ضخما فيما بين ١٩٢٩ - ١٩٥٦ م بالاعتماد على صورة من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة آيا صوفيا بالاستانة ، ويمتاز كل جزء منها بضبطه وتصحيحه ، وتقويم نصه والاهتمام بالحواشى التفسيرية مع مجموعة من الفهارس القيمة للغاية والتى تيسر استعماله لحد كبير

وقد عرض الجزء الاخير من الكتاب (ط . دارالكتب) لحوادث سنة ٨٠٨ هـ على حين ان الكتاب ينتهى عند سنة ٨٧٢ هـ اى قبل وفاة مؤلفه بعامين - ومن ثم فان هناك فترة زمنية همة تقدر بحوالى ٦٤ سنة مزالت حوادثها واخبارها - التى عاصر معظمها المؤرخ بنفسه سماعا ومشاهدة - لم تنشر بعد من المخطوطة التى تحتفظ بها دار الكتب المصرية ، مما يحتم الاسراع بنشر البقية الباقية منها . اعنى عن كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة باعتباره من اجل واوثق كتب التراث التاريخى العربى .

من إعجاز القرآن

إعجاز القرآن البياني

الدكتور حفنى محمد شرف

ما زالت فكرة « ابى عبيدة » تصاحبنا حين نذكر الفراء ، فان زمن هذا الاخير وان اختلف بعض الشيء عن سابقه الا أنه فى كتابه « معانى القرآن » يعتبر امتدادا للاول ومكملا لدراسته اللغوية الادبية للقرآن الكريم .

فقد بحث الفراء فى التراكيب والاعراب وفى الغريب وطرق الدلالة ومجموع الدراسة فى هذه المناحى انما تكشف عن الاسلوب القرآنى وأوجه القراءات فيه كشفا يميط اللثام ويزيح النقاب عن بلاغة كتاب مقدس من لدن حكيم عليم .

والفراء اذ يقوم بهذا كله متعرضا لاسباب النزول بين حين وحين الا أنه يتبع منهج أبى عبيدة القدة بالقدة فى التفسير بل انه يتبعه كظله فى تذييل تفسيره بذكر الحديث والامثلة الشعرية والنثرية لبيان المعنى وتوضيحه ولا يفوته احيانا ايراد بعض المأثور عن الصحابة والتابعين .

وجماع القول فى ذلك كله أن تفسير الفراء يغلب عليه الطابع النحوى ، وهذا أمر كنا نتوقعه لجهبذ عظيم ، بعد شيخ المشايخ لمدرسة النحو الكوفية .

وقد يقال : ومادامت هذه حاله فما له وللاعجاز ؟

الواقع ان الفراء لم ينس الدراسة البيانية فى بحثه فى القرآن الكريم ، فقد عرج على كثير منها هنا وهناك فتراه قد تكلم عن الكناية عند تفسيره قوله تعالى « سمعهم وابصارهم وجلودهم » .

وتحدث عن التشبيه عند قوله تعالى : « كمثل الحمار يحمل اسفارا » .

وعرج على المجاز فى قوله تعالى « وبشر الذين كفروا بعذاب اليم »

وتناول الاستعارة تناولا خفيفا وان لم ينص عليها صراحة فى تفسيره لقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق »

وتعرض للالتفات فى تفسير قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة »

هذا ولم يقف امر الفراء عند بيان بعض الصور البيانية فى القرآن بل تعدى ذلك الى الكشف عن موسيقى الالفاظ فى القرآن ونظمه وأثر ذلك كله فى نفوس العرب لانه يثير بألفاظه ومعانيه وجدانهم ويروع نفوسهم ويبهر انظارهم .

وانظر تفسيره لقوله تعالى . « ولمن خاف مقام ربه جنتان » اذ يقول : ان نظم القرآن يجيز حذف أواخر الكلمات حتى تتوافق مع رءوس الآيات ، وهذا كله موافق لكلام العرب .

ومثل ذلك يقرره الفراء فى تفسيره لهذه الآيات : « والليل اذا يسر » « وآخر دعواهم أن الحمد لله » « ما ودعك ربك وما قلى » .

وهذا البحث الاخير هو الذى ترجح به كفة الفراء على كفة أبى عبيدة ، بل ويقف به على درجة اعلى من الدرجة التى يقف عليها زميله فوق سلم البحث البلاغى للقرآن الكريم .

الجاحظ واعجاز القران

بدا ضوء الاسلام قويا ثم انتشرت اشعته فى جميع الارجاء وانداحت الدائرة فاذا بها تسفر عن عقيدة ونهضة ، فما اتسعت قاعدة الاسلام ودخل الناس فى دين الله افواجا وقد تسللت اليه أفكار جديدة ونظر الناس الى دينهم الجديد من خلال تراثهم القديم فوجهوا النقد والنقض للقرآن ، وكان هؤلاء الناس ممن غلبوا على أمرهم من أصحاب الديانات الاخرى فكانوا يتطاولون ويقدحون .

ولم يقف خلصاء العقيدة والنية من معسكر الاسلام مكتوفى الايدى بحال من الاحوال ، فدينهم ايجابى لايرضى بذلة ولا ينام على هوان ، ومن يومها هبت كتائب مختلفة

جندت قواها وآلت على نفسها الذود عن الاسلام والدفاع عن القرآن .

وقامت معركة حامية الوطيس بين الفريقين بيد أن هذه المعركة لم يقع فيها قتلى ولم يسقط جرحى بقدر ما رقى العلم والادب على حسابها رقيا بينا .

ولقد كانت طائفة المعتزلة على رأس هذه الكتائب جميعا ، وذلك لحريتها الفكرية وعقليتها المنهجية ، بل وحججها السليمة الدامغة ، برئاسة واصل بن عطاء الذى لا تنكر أياديه ومن بعده ابراهيم بن سيار النظام الذى تثقف ثقافة عربية صميمة وان كان يرى الاعجاز بالصرفة فذلك لا يهمنا هنا بقدر تلميذه أبى عثمان عمر بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، وعنه تدبج السطور التاليات :

جاء الجاحظ - والحال على ما وصفنا - وكان اديبا من أدباء المعتزلة واماما من أئمة البيان ، ولغيرته على الحق - والحق وحده - نراه يظهر معارضته لاستاذه النظام وألف كتابه « نظم القرآن » الذى يدل اسمه على ما تضمنه من أفكار وآراء تدور كلها حول البحث الادبى البيانى لهذا الكتاب القديم .

وكم كنا نود أن يسعدنا الحظ بالوقوف على كتاب الجاحظ حتى نستطيع أن نكون رأيا سليما وربما قاطعا عن الجاحظ ونظرته الى بيان القرآن وبلاغته ولكن .. ولكن افتقارنا الى هذا الكتاب لن يقف بنا فى ظلمات اليأس ولن يصرفنا عن الادلاء برأى الجاحظ فى هذا الموضوع مهما عز المطلب وصعب الطريق .

ولماذا نذهب بعيدا وهذه كتب الجاحظ الاخرى وما أكثرها تفيض بالطريف التليد فى هذا الشان ؟ ان جولة يسيرة هنا وهناك نتسمع الكلمات ونتنخل الاصوات سوف تهدينا سواء السبيل وتقطع برأى حاسم فى هذا الموضوع .

على هامش كتاب « الكامل » للمبرد فى طبعته الاولى « مطبعة التقدم العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ » ، توجد الفصول المختارة من كتب الجاحظ وفيها كلام يغلب على ظنى أنه من كتاب « نظم القرآن » لانه يتعلق باعجاز القرآن ونظمه .

وفيه يقول بعد أن تكلم على معجزتى موسى وعيسى :

« ان محمدا صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة لها فى العقل كموقع فلق البحر من العين ، وذلك قوله لقريش خاصة والعرب عامة ، مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء والدهاة والحكماء وأصحاب الرأى والمكيدة والبلغاء والنظر فى العاقبة : ان عارضتمونى بسورة واحدة فقد كذبت فى دعواى وصدقتم فى تكذيبى ولا يجوز أن يكون مثل العرب فى كثرة عددهم واختلاف عللهم والكلام كلامهم وهو سيد عملهم ، قد فاض بيانهم ، وجاشت به صدورهم ، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم حتى قالوا فى الحيات والعقارب والذئاب والكلاب والخنافيس والجعلان .. وكل ما دب ودرج ولاح لعين وخطر على قلب ، ولهم بعد أصناف النظم وضروب التاليف كالقصيدة والرجز والمزدوج والمجانس . وبعد فقد هجوه من كل جانب ، وهجا أصحابه شعراءهم ونازعوا خطباءهم ، وحاجوه فى المواقف وخاصموه فى المواسم وبادروه العداوة وناصبوه الحرب ، فقتل منهم وقتلوا منه ، وهم أثبت الناس حقدا وأبعدهم مطلبا .. ثم لايعارض معارض ولم يتكلف ذلك خطيب ولا شاعر وهو ابلغ فى تكذيبهم وهم يبذلون مهجهم وأموالهم . ويخرجون من ديارهم فى اطفاء امره وفى توهين ما جاء به ولا يقولون بل لا يقول واحد منهم : لم تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالكم وتخرجون من دياركم والحيلة فى أمره يسيرة والمأخذ فى أمره قريب ، ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاما فى نظم كلامه كأقصر سورة يخذلكم بها وكأصغر آية دعاكم الى معارضتها بل لو نسوا ماتركهم حتى يذكرهم ولو تغافلوا ما ترك أن ينبههم بل لم يرض بالتنبيه دون التوقيف فدل ذلك العاقل على أن أمرهم فى ذلك لا يخلو من أحد أمرين :

اما ان يكونوا عرفوا عجزهم وان مثل ذلك لا يتهيأ لهم فرأوا أن الاضراب عن ذكره والتغافل عنه أسلم لهم فى هذا الباب . وان قرعهم به أمثل لهم فى التدبير وأجدر أن يجدوا الى الدعوى سبيلا والى اختداع الانبياء سببا ، فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه ، وهو قوله عز وجل : « واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا » .

وهل يدعن الاعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز ثم لا يبذلون مجهودهم ولا يخرجون مكنونهم وهم أشد خلق الله أنفة وأفرط حمية وقد سمعوه فى كل منهل وموقف والناس موكلون بالخطابات مولعون بالبلاغة ؟ فمن كان شاهدا فقد سمعه ، ومن كان غائبا فقد أتاه به من يزوده به .

واما أن يكون غير ذلك ولا يجوز أن يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها لانه لايجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحكماء مع اختلاف عللهم وبعد هممهم وشدة عدواتهم الاطباق على بذل الكثير وصون اليسير ، وهذا من ظاهر التدبير ومن جليل الامور التى لاتخفى على الجهال فكيف على العقلاء وأهل المعارف ، فكيف على الاعداء ؟ لان تجيد الكلام أهون من القتال ومن اخراج المال .

ولم يقل ان القوم قد تركوا مساءلته فى القرآن والطعن فيه بعد أن كثرت خصومتهم فى غيرة . ويدلل على ذلك قوله تعالى حكاية عن قولهم : « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » وقوله عز وجل « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله » وقوله تعالى : « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون »

وتدل كثرة هذه المراجعة على ان التقريع لهم بالعجز كان فاشيا وان عجزهم كان ظاهرا ولو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تحداهم بالنظر والتأليف ، ولم يكن أيضا أزاح علتهم حتى قال تعالى : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » وعارضونى بالكذب ، لقد كان فى تفصيله وتركيبه وتقديمه واضحا به ما يدعوهم الى معارضته ومغالبته ..

ولو لم يكن تحداهم من كل ما قلنا وقرعهم بالعجز عما وضعنا لوصل الينا ذلك بالتواتر ، والذى منعهم من المعارضة هو الذى منع ابن أبى العوجاء واسحاق ابن طالوت والنعمان بن المنذر وأشباههم من الارجاس الذين استبدلوا بالعز ذلا وبالايمان كفرا وبالسعادة شقاء وبالحجة شبهة » .

فاذا تركنا هذا الهامش وذهبنا ننشد ضالتنا فى مجموعة رسائل الجاحظ للسندوبى ص ١٥٦ فاننا نراه بصدد الرد على استاذه النظام وهو يثبت الاعجاز فى الوقت ذاته . يقول :

« ان الحجة لا تكون حتى تعجز الخلق وتخرج عن حد الطاقة كاحيـاء الموتى والمشى على الماء وكفلق البحر وكاطعام الثمار فى غير أوان الثمار وكايطان السباع واشباع الكثير من القليل وكالذى لا يجوز أن يتولاه ولا يقدر عليه الا الله عز وجل ذكره ، فأما الأخبار من أفعال العباد وهم تولوها وبهم كانت وبقولهم حدثت فلا يجوز أن تكون حجة اذا كان لا حجة الا ما تقدر عليه الخليقة » .

وبعد اثبات اعجاز القرآن نراه يوضح فى كتابه الحيوان ٤ : ٩٠ أن الاعجاز فى النظم حيث يقول :

« وفى كتابنا الذى يدلنا على انه صدق : نظمه البديع الذى لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التى جاء بها » .

كما أن الجاحظ فطن أيضا الى أن لالفاظ القرآن ميزة أزيد على غيره من حيث النظم وهى اتيان بعض الفاظه مقترنة متصاحبة لا تكاد تفترق كالصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرون والانصار والجن والانس « من كتابه البيان ١ : ٢١ »

كما انه اهتدى الى أن من الفاظ القرآن ما يستغنى به عن الفاظ كثيرة فى الاستعمال ، ويدل على معان كثيرة وأسماء مجتمعة حيث يقول : وقد قال الله‌تعالى: « **يسألونك ماذا أحل لهم ؟** » فقال لنبيه : « **قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين** »

فاشتق لكل صائد وجارح وكاسب وباز وصقر وعقاب وفهد وشاهين اسما من اسم الكلب « الحيوان ٢ : ١٨٨ » .

هذا ولم يقف أمر الجاحظ عند تأليف كتاب فى نظم القرآن أو أقواله‌المتناثرة‌فى ثنايا مؤلفاته عن نظم القرآن وألفاظه والكشف عن اعجازه بل انه تحدث عن أنواع بيانية استخرج أمثلتها من القرآن وألفاظه والكشف عن اعجازه ، بل انه تحدث عن أنواع بيانية استخرج أمثلتها من القرآن عرفت فيما بعد ضمن البلاغة العربية ، وان كان الجاحظ لم يقننها أو يفصلها التفصيل الذى وجدت عليه الآن . فعرف المجاز وجعله شاملا للاستعارة والتشبيه فى قوله تعالى :« **اكالون للسحت** » .

وقوله تعالى : « **انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » (الحيوان ٥ : ٢٨-٣٤) .

وقوله تعالى : « **يوم يكشف عن ساق** » (الحيوان ٤ ٢٧٨)

وقوله تعالى : « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا** » (الحيوان ٢:١٦ - ١٧) .

وتكلم عن الايجاز عند كلامه عن كتابه « نظم القرآن» حيث يقول :

« ولى كتاب جمعت فيه آيات القرآن ـ ولعله يقصد بآياته آياته البينات التى جمعت الصور البلاغية ـ لتعرف بها فضل ما بين الايجاز والحذف وبين الزوائد والفضول والاستعارات ، فاذا قرأتها رأيت فضلها فى الايجاز والجمع بين المعانى الكثيرة بالالفاظ القليلة

فمنها قوله‌تعالى حين وصف خمرأهل الجنة « **لايصدعون عنها ولا ينزفون** » وهاتان الكلمتان قد جمعتا عيوب خمر أهل الدنيا .

وقوله عز وجل حين وصف فاكهة أهل الجنة : « **لا مقطوعة ولا ممنوعة** » حيث جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعانى وهذا قليل من كثير قد دللتك عليه فان‌أردته فهو مشهور » .

وقصارى القول ان الجاحظ بهذا العمل الخالد قد أسدى الى بيان القرآن واعجازه خاصة والى البلاغة العربية عامة ـ اليد الطولى والنعمة الكريمة ، وذلك بدراسة أسلوب القرآن تلك الدراسة المبنية عن حسن فهم وقوة ادراك والتى كان لها ما بعدها اذ كانت بمثابة المفتاح لكثير من الدراسات العربية فى حياة البلاغة والنقد .

ولم يكن من الرجل هذا كله الا لايمانه ايمانا لايخالجه ظن ولا يساوره شك فى أن القرآن الكريم فى الذروة العليا من البلاغة وأسلوبه المثل الاعلى للاسلوب العربى الرصين .

ابن قتيبة واعجاز القران

خطا الزمن خطوات وساير ركبه تأليف الاسلام والمسلمين وخاصة فيما يتعلق بقرآنهم المجيد فوجدنا لونا آخر من النظر للاعجاز يكون مع من سبقه أجزاء فى كل موحد هو اعجاز القرآن الكريم .

هذا اللون وجدناه لعالم جليل قد ارتضع ثدى‌المجد وافترش حجر الفضل فغدا بطينا من العقل خميصا من الجهل : هذا العالم هو ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ فقد ألف كتاب « مشكل القرآن » للرد على الطاعنين فى بلاغته من المعتزلة والملحدين فى معانيه الذين اتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة وأبصار عليلة ، ونظر مدخول ، فحرفوا الكلم عن مواضعه وعدلوابه عن سبيله ثم‌قضوا عليه بالتناقض والاستحالة فى اللحن وفساد النظم والاختلاف . فبين ما غمض من معناه لالتباسه بغيره واستتار المعانى المختلفة تحت‌لفظه وتفسير المشكل الذى ادعى على القرآن فساد النظم فيه .

وان الذى يتصفح كتاب ابن قتيبة هذا يجده قدتكلم عن بلاغة القرآن وبيانه وان لم يشر الى ذلك ، حيث يقول :

« الحمد لله الذى نهج لنا سبيل الرشاد ، وهدانا بنور الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، بل نزله قيما مفصلا بينا « **لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » وشرفه وكرمه وعظمه وسماه روحا « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط‌مستقيم** » ٥٢ الشورى . وسماه رحمة « **هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون** » ٢٠ الجاثية . وسماه شفاء «**ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** » ٤٤ فصلت .

وقطع بمعجز التأليف اطماع الكائدين وابانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ، وجعله متلوا لا يمل على طول

التلاوة وممسوعا لا تمجه الآذان ، وغضا لا يخلق على كثرة الرد وعجيبا لا تنقضى عجائبه ومفيدا لا تنقطع فوائده .

ونسخ به سالف الكتب وجمع الكثير من معانيه فى القليل من لفظه وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اوتيت جوامع الكلم »

ثم اراد ان يبين ويوضح انه لا يمكن الوصول الى فضله وبلاغته الا بكثرة النظر فيه واتساع العلم وفهم مذاهب العرب فقال : « وانما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها فى الاساليب وما خص به لغتها دون جميع اللغات » .

ثم اراد بعد ذلك أن يبين فضل الله على الامة العربية وما خصها الله به من قوة العارضة والبيان واتساع المجاز فقال : « فانه ليس فى جميع الامم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجاز بما اوتيته العرب .. خصيص من الله لما أرهطه ـ جعله معدنا للخير ومأتى له ـ الرسول وأراده من اقامة الدليل على نبوته بالكتاب فجعل علمه كما جعل علم كل شىء من المرسلين من أشبه الامور بما فى زمانه المبعوث فيه » .

ثم اخذ يقارن بين لغة القرآن وبلاغته وبين لغة العرب وبلاغتهم ، كما قارن بين لغة العرب ولغة غيرهم من الامم .

ومما لا شك فيه أن ابن قتيبة فى هذين النصين يريد أن يثبت أن القرآن بليغ بأسلوبه ونظمه والفاظه ومعانيه وما كان كذلك الا للتدليل على أن العرب مع ما هم عليه من الفصاحة والبيان عجزوا عن الاتيان بمثله ولو مفترى . مع انه من جنس كلامهم والفاظه من جنس الفاظهم وطرقه فى الاسلوب لم تخرج عن طرقهم .

كما انه رجع الاعجاز البيانى الى التأليف والنظم فيرى أن سبك الفاظ القرآن وضمها بعضها الى بعض فى تأليف دقيق بينها وبين المعانى انما تجرى معا فى سلامة وعذوبة كالجدول ، لا تعثر ولا كلفة ، ولا حوش ولا زيادة ولا فضول .

كما أن ابن قتيبة لم ينس أثر القرآن النفسى اذ يثير الوجدان عن طريق الشعور بهز القلوب ، لان أسلوبه يخاطب النفس الانسانية خطاب العارف بخفاياها فيبلغ فى التعبير مبلغ الروعة اذ يكلم الغرائز وينادى الطبائع كما لم يغفل أيضا الناحية اللغوية فى أسلوب القرآن فنراه قد تناول لغته كأداة للتعبير ، ثم بين قيمتها البيانية ومكانتها بين لغات العالم من هذه الناحية واراد ان يقارن بين طرق العرب فى تأديتها وطرق القرآن فقال :

« وللعرب المجازات فى الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ، فمنها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتاخير والحذف والتكرار والاخبار والاظهار والتعريض والافصاح والكناية والايضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع ومخاطبة الجمع مخاطبة الواحد والواحد والجمع مخاطبة الاثنين . والقصد بلفظ الخصوص بمعنى العموم والعموم بمعنى الخصوص ، وأشياء كثيرة الى أنها ستوجد فى باب المجاز من كتابه المذكور « مشكل القرآن » .

ولكن المعاندين الملحدين لم يتركوا القرآن بل اعترضوا وقالوا مرة : هذا سحر ، ومرة يقولون : انه شعر ومرة هو قول الكهنة ، ومرة هو أساطير الاولين .

ولكن ابن قتيبة انبرى لهذه الاقاويل كلها وكشف للناس ما هم فيه مبلسون .

كما انه وضع لكل لون من الوان التعبير بابا يخصه وسنتعرض لبعضها هنا فى اختصار ملموس لمسات خفيفة ، ولطالب المزيد العودة الى الكتاب .

والذى يهمنا من هذه الالوان : الالوان البيانية وان لم يسمها كذلك ، بل سماها مشكلات لخروجها من حقيقة لفظها الى معنى آخر يدخلها فى حسبان البديع العربى بمعناه العام لانطباقه عليها لطرافتها وحسنها الذى أوقع أصحاب الايمان الضعيف والملحدين فى الاشكال والبلغاء فى نشوة وطرب .

فتكلم ص ٧٦ عن المجاز وبين أنه من جهته غلط كثيرا من الناس فى تأويل القرآن وتشعبت بهم الطرق واختلفت النحل ، ورد على من أنكره وطعنوا به على القرآن لزعمهم الخاطىء أنه كذب .

وقد مثل له بكثير من آيات القرآن الكريم .

كما تكلم عن الاستعارة من المجاز وقال فى ص ١٠٢ « فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة اذا كان المسير بها بسبب من الاخرى أو مجاورا لها أومشاكلا »

ولم يقف عند التعريف بل أتبعه بما يوضحه من آيات القرآن بعد أن مهد لذلك بالامثلة التى قدمها من شعرية ونثرية واستشهد على وجود الاستعارة فى القرآن بقوله تعالى : « يوم يكشف عن ساق » وقال أى عن شدة من الامر كذلك قال قتادة ..

واصل هذا ان الرجل اذا وقع فى أمر عظيم يحتاج الى معاناته والجد فيه شمر عن ساق فاستعيرت الساق فى موضع الشدة .

وقوله تعالى : « ولا يظلمون فتيلا »

وقوله : « ولا يظلمون نقيرا »

والفتيل ما يكون فى شق النواة ، والنقير النقرة فى ظهرها . ولم يرد أنهم لا يظلمون ذلك بعينه وانما أراد انهم لا يظلمون فى الحساب اذا حوسبوا ولو مقدار هذين التافهين الحقيرين .

والعرب تقول : ما رزائه زبالا ، والزبال ما تحمله النملة بفمها يريدون ما رزائه شيئا ، وعلى هذا المنوال سار فى لون الاستعارة من الالوان البيانية .

وتكلم عن المبالغة فى ص ١٣١ عند تأويله قوله تعالى: « وبلغت القلوب الحناجر » أى كادت من شدة الخوف تبلغ الحلوق .

وقد يجوز أن يكون مراده منها أنها ترجف من شدة الفزع وتجف ويتصل وجيفها بالحلوق ، ووجيف القلب خفقانه ، وفى التنزيل « قلوب يومئذ واجفة » فكأنها بلغت القلوب بالوجيب ، ووجيب القلب اضطرابه وخفقانه أيضا .

كذلك فان ابن قتيبة لم ينس من صور القرآن البيانية : الكناية ، فنراه قد تكلم عنها فى كتابه المذكور « مشكل القرآن » ص ١٩٩ قائلا :

الكناية انواع ولها مواضيع :

فمنها أن تكنى عن اسم الرجل بالابوة لتزيد فى الدلالة عليه ، اذا انت راسلته او كتبت اليه ، اذ

كانت الاسماء قد تتفق أو لتعظمه فى المخاطبة بالكنية لانها تدل على الحنكة والتجربة والبصر بالامور .

وقد رد على من قال : ما دامت الكنية للتعظيم فلم كنى أبالهب وهو عدوه وسمى محمداً وهو وليه ونبيه؟ رد عليه قائلا : **« ان العرب كانت ربما جعلت اسم الرجل كنيته ، وكانت الكنية هى الاسم . قال أبو محمد خبرنى غير واحد عن الاصمعى أن أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان اسماءهما كناهما ، وربما كان للرجل الاسم والكنية ، فغلبت الكنية على الاسم فلم يعرف الا بهما كابى سفيان وأبى طالب وأبى هريرة »** .

ومنها ، فى القرآن قوله عز وجل **« ياويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا »** ص ٢٠٢ من كتابه يقول : ذهب جماعة من المتسمين بالاسلام الى أنه رجل بعينه وقالوا لم كنى عنه ؟ وانما يكنى هذه الكناية من يخاف المبادلة ويحتاج الى المداجاة . وقال آخرون : بل كان هذا الرجل مسمى فى هذا الموضع فغير وكنى عنه ..

وذهبوا الى أنه عمر وتأولوا الاية فقالوا : **« ويوم يعض الظالم على يديه »** يعنى ابابكر يقول : **« ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا »** يعنى محمداً **« ياويلتاليتنى لم اتخذ فلانا خليلا »** يعنى عمر **« لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى »** يعنى عليا . وللرد على هؤلاء نقول :

من قال ان أبا بكر لم يسلم ، ولم يتخذ باسلامه مع الرسول سبيلا ، فليس هذا التفسير بنكر من تفسيرهم وما يدعونه من علم الباطن كادعائهم فى الجنة والطاغوت أنهما رجلان وأن الخمر والميسر رجلان آخران .

ومنها التعريض حيث يقول ص ٢٠٤ :

« ومن هذا الباب التعريض ، والعرب كانت تستعمله فى كلامها كثيرا فتبلغ ارادتها بوجه هو ألطف وأحق من الكشف والتصريح ويعيبون الرجل اذا كان يكاشف فى كل شىء ويقولون عنه : « لا يحسن شعر التعريض الا ثلبا » وقد جاء فى القرآن منه قوله تعالى : **« ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ، فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب »**

وعلق على هذه الآية بقوله :

« انما هو مثال ضربه الله له ونبهه على خطيئته وورى عن النساء بذكر النعاج كما كنى الشاعر عن الجارية بالشاة »

ولا أدرى كيف يخلط ابن قتيبة بين التورية والتعريض مع أن فى كلامه ما يفيد أن الآية شاهد على التورية ؟.

كذلك فانه تكلم عن الايجاز بنوعيه : ايجاز القصر وايجاز الحذف ، ولم يشأ أن يتكلم عنه تحت ما عرف حديثا باسم الايجاز ، بل تكلم عنه تحت عنوان « باب الحذف والاختصار » وقال :

« ان تحذف المضاف وتقيم المضاف اليه مقامه وتجعل الفعل له كقوله تعالى : **« واسأل القرية »** كنايتها أى سل أهلها ، وقوله عز وجل : **« وأشربوا فى قلوبهم العجل »** أى حبه ، وقوله : **« الحج أشهر معلومات »** أى وقته .

وابن قتيبة وان كان قد مثل لهذا بعديد من الامثلة ووفير من الآيات القرآنية على وجه الخصوص الا أنى أكتفى بسوق ما قدمناه من شواهد لهذا اللون علما بأن الملاحظ على الرجل أنه مغرم الى حد بعيد بالاكثار أيما اكثار من ايراد الامثلة والشواهد فى كل موضع من كتابه .

وأيضا نراه قد استشهد للاختصار بقوله : « ومن الاختصار بلا جواب اذا كان فى الكلام ما يدل على الجواب كقول الله تعالى : **« ق . والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا »** ثم قال **« ذلك رجع بعيد »** أى لا يكون . وتكلم عن تكرار الكلام والزيادة فيه فقال فى ص ١٨٢ : « وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزىء عن بعض كتكراره فى قوله تعالى : **« قل يايها الكافرون »** وفى سورة الرحمن **« فبأى آلاء ربكما تكذبان »** وعلى وجود هذا الاسلوب فى القرآن بقوله : وقد بينا أن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ، ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما أن من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز لان افتنان الخطيب والمتكلم فى الفنون وخروجه عن شىء الى شىء أحسن من اقتصاره فى المقام على فن واحد » .

وان بعض ضعاف الدين والفهم يعدون وجود هذا الاسلوب فى القرآن عيبا ، ويقولون ان التكرار لغو والقرآن مشتمل عليه .

ثم تكلم عن تكرار المعنى بلفظين مختلفين لاشباع المعنى ولاتساع فى الالفاظ كقوله تعالى : **« فيهما فاكهة ونخل ورمان »** والنخل والرمان من الفاكهة فأفردهما من الجملة التى أدخلهما فيها لفضلهما وحسن موقعهما .

وكقوله تعالى : **« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى »** وهى منها فأفردها بالذكر ترغيبا فيها وتشديدا لأمرها .

وبعد .. فهذا هو فضل ابن قتيبة وتلك هى صنيعته فى بيان اعجاز القرآن الكريم بنظمه بأسلوبه بألفاظه بمعانيه ليس هذا فحسب ، بل وفى استخراج مافيه من الصور البيانية الفريدة التى تعمل على ايضاح الفكرة وحسن الصورة واثارة العواطف وحث الخيال على التحليق فى أجواز الحقيقة الكبرى لادراك الاعجاز البيانى للقرآن .

أقول : هذا فضل ابن قتيبة فى هذا المضمار لا يمترى فيه الا جاحد أو جاهل يقحم نفسه فى صفوف العلماء .

والى وعد قريب وفى فرصة أخرى يسعدنا أن نتم ما بدأناه به فى هذا الحقل من دراسات .

للبحث بقية

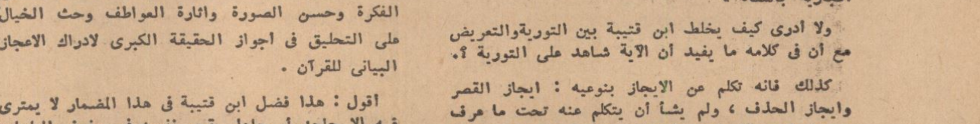

القرآن والعلم الحديث

الأستاذ محمود ابو الفيض المنوفي

يقول الله تعالى « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم » .

قدمنا أن تكوين الكائنات جميعا قد نشأ من ذرات لاترى اى من قوة طاقية والطاقة تعبير عن بروز القوة من الكمون الى عالم الظهور والفعل وقلنا أن كل فعل يبدو فينظر أو يختفى فيدرك ان هو الا اثر من آثار نشاط صفات الله عز وجل وقد ثبت بالقرآن وبالعلم أن الأصل فى التكوين هو النور الالهى فى لغة القرآن والنور الاشعاعى فى لغة العلم وسواء فى ذلك النور الالهى أو النور الذرى قل ماشئت لأن هذا قد نشأ عن ذاك بطريق النشاط والفاعلية البازغين عن القدرة الالهية .

والانوار ثلاثة

١ – نور الروح : وهو مستمد من الله مباشرة « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى » .

٢ – نور العقل : وهو مستمد من نور صفات الله فى شكل ادراك لنيل العلم « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم » ونتيجة العلم نيل المعلوم واصل المعلوم كله اثر للحياة والعلم والقدرة والارادة وهى من أبرز صفات الله عز وجل كما تقدم .

٣ – نور الخلق والابداع . وهو النور الطاقى الذرى الذى قامت به الأشياء وقام به نشاطها وسرعتها وصدق الله العظيم « نور على نور » أى نور الحق ونور الخلق وهما راجعان ومعهما نور الروح الى صفات الله طبعا وعلة صفات الله ذاته عز وجل .

اما كيف تكونت اشياء الكائنات بالنور ؟ فهذا مما بيناه واليك تفصيل ذلك :

١ – ومعلوم أن القوة هى الكائن المقوم لحركة المادية الطبيعية بطاقاتها وهى التى تعين صور المادة المتعددة والعقل لا يعترف ضرورة بوجود مادة لا صورة لها والصور تحدث وتتغاير تبعا لنشاط الطاقة سرعة وبطأ وهذا التغير هو سبب تحول العناصر بعضها الى البعض الآخر وبالتالى تكون الكتلة المادية .

٢ – والمادة لغة وفلسفة هى كل ما يحس ويلمس وفى العلم كل كائن محس ويقبل التمدد والانضغاط والسيولة والتخلخل والجمودة واماجزئيات المادة فهى دقائق صغيرة جدا تتحرك فى المحيط الاثيرى العام المليء للفراغ الكونى بأثره ومن هذه الدقائق ما يرى وما لايرى وهو الاكثر .

وتكون المادة متراكمة بشدة فىحالة الجوامد على اختلاف أنواعها ودرجات انضغاطها وتكون قليلة التراكم والانضغاط فى حالة السوائل أما فى الغازات فتكون متخلخلة واسعة المسافات بين كل جزئية واخرى وذلك راجع لازدياد الدفع على الجذب وهاتان صفتان للجاذبية العامة .

٣ – والأثير : هو سيال جوى لطيف انقى والطف من المادة بحالاتها الثلاث ومن الهواء أيضا والأثير كما قدمنا مالىء لكل فراغ فى الفضاء ويساوى وزنه النوعى فى المتر المكعب من الفراغ جزءا من الف مليون جزء من الجرام وفى الوسط الأثيرى تتحرك ذبذبات الضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيسية وبواسطته ايضا تنتقل الاهتزازات المنطلقة فى الفضاء مثل ذبذبات الصوت والتليفزيون والردار والراديوم « أشعة هرتز » والأثير فى غاية المرونة بحيث يقوم من الكون مقام المادة البروتوبلازمية من الدم وفى بحر الأثير يكون هذا الوجود الكونى الطبيعى الشيء وجود متحول ذو نشاط جاذب ودافع سلبى وايجابى .

وبديهى انه ليس من الشرائط فى شىء أن تكون علة المعلول المنظور علة ظاهرة منظورة .. كلا فان الواقع يدل على غير ذلك لان الوجود المرئى المحس الملموس ما هو الا مجرد صور وأطياف للتحولات والاستحالات للطاقة الذرية .

ويكون من المنطق السليم جدا ان تقول تتحول وتتحرك « بقدرة قادر » فترد عليك بلسان الحال ويرد عليك كل شىء فى الوجود بلسان الحال بنعم ثم أجل ويؤيدنا فى ذلك أولا العلم الحديث الذى جعل من نتائج الطاقة الذرية وجودا احتماليا بحتا لا ديناميكيا ولا اضطراريا ولا قانونيا قياسيا وانما هوالاحتمال .. والاحتمال البحت فقط فى سائر تصرف الذرات ومصير عملياتها النهائية مما يدلك على أن المتصرف فى مصيرالكائنات كلها وتحولها انما هى ارادة عليا تفعل ما تشاء دون معقب وتكون تلك الحركات بين يدى الارادةالعليا المطلقة كالقلم فى يد الكاتب يسطر به من القديم ومن الجديد مايشاء « ومعنى الاحتمالية » أن نتيجة تصرف الذرة يحتمل أن يكون كذا او كذا وبحالة لا يمكن للعقل عقلنا الطبيعى الحكم عليها وكذلك ارادتنا ويكون كل مصير متعلق بارادة عليا .

هذا التفصيل ليس من عند انفسنا وليس لنا فيه الا نظم الالفاظ وانما هو ما أظهر العلم مع تقدم العلوم الذرية الاشعاعية بعد أن كانت الحتمية الطبيعية قانونا مطلقا يسود الكائنات جميعا وقدتحطم هذا بقانون الاحتمال السائد فى الطبيعة الذرية .

وهذا مما يدل على أن وجود الطبيعة بأثرها وجود احتمالى امكانى محض .. واسأل أنت « انشتين » صاحب نظرية النسبية ومعه العلماء الذريين أيضا .

ويؤيد نتائج العلم المحدثة العقل لان العقل السوى السليم يقول بكل أوجه منطقه بوجود علة كلية وسبب أولى للاشياء المرئية كالمادة وغير المنظورة كالقوة وطاقتها ومن أعضل معضلات الفلسفة بل مسالة المسائل فيها هذا السؤال المحدد « من أين وجدت الاشياء ومن أين جاء هذا الكون جميعا ..؟!! » فان لم يجد العقل غير الناضج جوابا شافيا ينتهى أمره اما الى الدور والتسلسل واما الى الشك المطلق حتى يجاب بالحقيقة وذلك لنزوع العقل دائما الى المعرفة الصحيحة .

والواقع أن المادة التى كثيرا ما تخدع باطيافهاحواسنا بل وعقولنا أحيانا تبدو لنا على غير حقيقتها برغم مظاهرها التى تظهر لحواسنا ماثلة جامدة وسائلة وغازية واذا اردنا ان نعرف حقيقة المادة يجب ان نحللها الى عناصرها الاساسية لان العناصر هى « العالم البرزخى » بين المادة وحقيقتها فاذا تخطينا عالم الكتلة المادية وايضا عالم العناصر ولجأنا مباشرة الى عالم الجوهر الذرى يحدث أن المادة التى كنا نحسها ونلمسها ونرى شيئيتها ماثلة قد صارت كما متحركا من الطاقة الذرية بسرعة تزيدلدرجة سرعة النور وتنقص لدرجة الاطياف ثم التكتل المادى فاذا أرجعنا العناصر الى أصلها رجعت هى الاخرى الى أولها ومؤسسها وهو مولد الماء « الايدروجين » وهنالك نرى أن نواة الكون الجوهرية ، وبعبارة أخرى « أس النوايات » الذرية الموجبة وكهاربها السالبة تلك التى قام على طاقتها وسرعة حركاتها كل كائن متكتل متشىء ذى واقعية محسة فى سائر عالم الطبيعية سمائها وارضها ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » (يونس ٦١) .
فماذا وراء النظام الذرى يا ترى ؟!!

صوب الى نواة الذرة قذيفة كهربائية ذات شحنة ايجابية قوية أطلقها عليها فتحطم النواة وتصير اشعاعا ونورا « أو قل قوة خفية » هذا ولا تظن انه يوجد فرق بين النور والقوة والطاقة الا فى الالفاظ لأن القوة هى الاصل والطاقة يستوى فيهاان تكون اشعاعااو حركة او مغناطيسا أو كهرباء أو غيرذلك ولا فرق أيضا بين الحرارة والنور المنظور والنور الغيرمنظور الا فى طول الموجات او قصرها فاذا قصرت الموجة وزادت السرعة أصبح النور المنظور غيرمنظور . وها قد علمت الطريقة التى بها يمكن تحول الكائنات المتشيئة المحسة الى طاقة غيرمنظورة وبالعكس .. وعلى هذا فى كل جرم مادى جامد أو سائل او غازى .

هذا من جهةالمادة فى نفسها وفى تكونها فلنتركها الآن ولنبحث فى الكيفية التى يدركها بها ادراكنا الحسى الذى يعتمد على الحواس الخمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهى خمس وفى مقابلها الطيف الشمسى الذى يتركب من سبعة ألوان هى البنفسجى والنيلى والازرق والاخضر والاصفر والبرتقالى والاحمر وذلك ما سنبينه فيما ياتى من مقال آخر انشاء الله .

حقوق الإنسان

وكيف كفلها الإسلام ؟

الأستاذ محمد عطيه الإبراشي

كثيرا مايعلن المتحدثون باسم الديمقراطيات الحديثة انهم اول من اعترف بحقوق الانسان ، وكثيرا ما ذهبت المدنيات الحديثة فى اوروبا وامريكا الى هذا الزعم ، فالانجليز مثلا يدعون انهم من أسبق الامم تقريرا لمبادىء الحرية الانسانية ، وان بلادهم هى حصن الديمقراطية العتيد ، والفرنسيون يزعمون أن ثورتهم هى التى تمخضت عن تقرير هذه المبادىء الانسانية ، « وهى الحرية والاخاء والمساواة » وان هذه المبادىء ما تزال الى اليوم شعار ثورتهم .

ولو ان هؤلاء المتحدثين الفاخرين فكروا قليلا ـ لعلموا ان الاسلام هو الذى سبق الى تقرير هذه المبادىء حين لم يكن لهذه الديمقراطيات ذكر فى التاريخ ، فالحرية وهى التخلص من قيود الرق والاستعباد وضيق الحجر والتمتع بكل حق من الحقوق التى سوغها العقل ، وقضى بها الشرع ـ قد أتى بها الاسلام ، وجعلها حقا طبيعيا لكل من يستظلون بظله الوارف ، مسلمين وجوههم الى الله . او مسالمين أهل الاسلام ، والحرية التى بسط هذا الدين لواءها على الناس ـ هى الحرية الكاملة فى اوسع مظاهرها ، كالحرية السياسية ، والحرية الفكرية والحرية الدينية والحرية المدنية .

اما الحرية السياسية فقد كفلها الاسلام حين قرر مبدأ الشورى فى الحكم ، فقال تعالى مخاطبا نبيه الكريم : « وشاورهم فى الامر » وقال تعالى : « والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون » .

قرن الله الشورى بالعبادات ، وجعلها أصلا من اصول الاسلام ، فالمسلم يسال عنه كما يسال عن الصلاة والزكاة وذلك ولا شك دليل على ان هذا النظام من أرقى انواع الحكم ، فبه تتحقق العدالة السياسية والاجتماعية بين الناس ، وقد منح الاسلام الفرد الحق فى انتخاب الخليفة الذى يرضاه ، ولذلك لا تكون الخلافة صحيحة فى نظر الاسلام الا اذا كانت نتيجة بيعة حرة ، لا اكراه فيها ، فهذا أبو بكر صاحب رسول الله فى الغار يقول حين ولى الخلافة : أيها الناس انى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتمونى على حق فاعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم »

ويقول عمر : ألا ان رأيتم فى اعوجاجا فقومونى بالسيف يقول هذا عمر ، وهو الذى يقول فيه نبينا الكريم : اللهم أيد الاسلام بعمر » ولما أخذ بعض المسلمين على سيدنا عثمان بعض المآخذ فى خلافته على حسب زعمهم قال رضى الله عنه : انى اتوب وانزع ، ولا اعود الى شىء عابه المسلمون ، فاذا نزلت من منبرى فليأتينى أشرافكم فليرونى رأيهم ، فوالله لئن ردنى الحق عبدا لأذلن ذل العبيد . »

كانت قاعدة الحكم فى الاسلام هى الشورى ، واشراك كل مسلم ذى راى فى ابداء رأيه ، وكان الرسول صلوات الله عليه ينزل على راى أصحابه ، ولو كان مخالفا لرأيه الا ما نزل فيه الوحى ، ولذلك كان أصحاب رسول الله يسألونه فى كل راى أهو رأيك ـ يا رسول الله ـ أم هو مما نزل به الوحى ؟

وقد حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما اراد ان يأخذ راى اصحابه فى اسرى بدر ، أيقتلون أم يطلق سراحهم . فى مقابل دية يدفعونها ؟ فاختلف رايهم ، وكان ابو بكر على راى الرسول ، فاخذ الرسول

صلى الله عليه وسلم برايه ، وهو قبول الفداء ، وكان عمر وسعد بن معاذ رضى الله عنهما يخالفان هذا الراى ويقولان بقتل الاسرى ، ولما نزلت الاية الشريفة تؤيد راى عمر وهى قوله تعالى : ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم » قال النبى الكريم لعمر الفاروق « كاد يصيبنا فى خلافك شر » « ويثخن فى الارض : من أثخن فى الارض اثخانا أى سار الى العدو وأوسعهم قتلا » ويقول حكيم الشعراء :

اذا بلغ الراى المشورة فاستعن ، براى نصيح او نصيحة حازم ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ، فان الخوافى قوة للقوادم ويقول آخر :

الراى كالليل مسود جوانبه ، والليل لا ينجلى الا باصباح فاضمم مصابيح اراء الرجال الى ، مصابيح رايك تزدد ضوء مصباح

ويقول عليه الصلاة والسلام : لا خاب من استخار ولا ندم من استشار » وقال على كرم الله وجهه : من استبد برايه هلك . هذه النصوص وغيرها كثير جدا مما يؤيد القاعدة التى كانت تسير عليها الحكومة الاسلامية منذ فجر الاسلام ، وهى قاعدة المشورة وتبادل الرأى ، وهى أساس النظام الدستورى .

كان الخلفاء رضوان الله عليهم يسيرون سيرة المصطفى عليه السلام ، فلا يبرمون أمرا من الأمور الخطيرة حتى يعرضوه على المسلمين جريا على مبدأ الاستفتاء العام . هذه هى الحرية السياسية التى اقرها الاسلام منذ الف وبضع مئات من السنين ، ومن ذلك يتبين أن الدين الاسلامى قد سبق الى تقرير هذا الحق قبل أن تظهر هذه الديمقراطيات الحديثة فى عالم الوجود .

اما الحرية الفكرية او حرية العقل فكانت من المبادىء الاساسية التى قام عليها الاسلام ، بل هى روحه ولبه ، ولذلك لم يرض الاسلام بالايمان التقليدى ، وحث على التفكير الصحيح لاختيار العقيدة السليمة التى لا تنافى العقل ، والاسلام اطلق الحرية للعقول ، فاباح التفكير فى ملكوت السموات والارض ، بل حث عليه وأغرى به ولذلك اثنى القرآن الكريم على المفكرين الذاكرين الذين يستعملون عقولهم ، ونعى على الغافلين الضالين الذين ينسون عقولهم ، فقال تعالى : ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم،ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » .

وقال تعالى فى وصف من ضلوا وغفلوا عقولهم : واذا قيل لهم : اتبعوا ما انزل الله ، قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون »

ومن الحرية الفكرية حرية الراى ، وكانت مكفولة فى الاسلام فى كل عصر من عصوره ، وتتصل حرية الراى بالحرية العلمية ، ويقصد بها النظر فى ظواهر الطبيعة المختلفة ، من حيوان ونبات وجماد ، وتقرير ما يراه العقل ، وما تثبته التجارب ، وتؤيده النظريات ، ولذلك خدم الاسلام العلم الصحيح ، وجاء القرآن الكريم حافلا بكثير من الآيات الشريفة التى فيها اشارة وتلميح الى كثير من النظريات الكونية ، التى أثبتها العلم الصحيح وعلى كل من يمارى فى ذلك أن يطلع على الكتاب الحكيم فانه يراه قد وضع أبلغ دستور علمى للتفكير والبحث ويجد القرآن يحترم العقول ، ويكثر من توجيه الخطاب اليها ، ويجعلها أساس التكليف ، ومحط الثواب والعقاب ، يقول الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

يقرع أولئك الذين لم يفكوا عقولهم من اغلالها ، ولم يطلقوها من قيودها ، كمايقول جل شانه ، وكاين من داية فى السموات والارض يمرون عليها ، وهم عنها معرضون »

ويقول تعالى : وفى انفسكم افلا تبصرون » ويقول تعالى : أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » .

ويقول عز شانه : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ، والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » وقوله : ومن آياته خلق السموات والارض ، واختلاف السنتكم والوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين » ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » والقرآن الكريم وهو يخاطب العقول حريص فى أسلوبه على الا يفرض على تلك العقول نظرية معينة ، بل هو يحثها على التفكير والتأمل فى خلق الله ، وللعقول أن تقرر ما تهتدى اليه بعد البحث وعلى هذا النمط من اطلاق الحرية للعقل جرى الاسلام فيما يتعلق بالايمان . فاطلق للانسان الحرية فى أن يختار العقيدة الدينية بعد اقتناع وبحث ، ولم يحاول الاسلام – ولو مرة واحدة – الحجر على العقول أو التضييق عليها . بل افسح لها المجال فى التفكير ، ومما يدل على احتفال الاسلام بالعقول واطلاقها من قيودها انه جعل التفكير فى الكائنات عبادة من اشرف العبادات ، وقد كفل الاسلام الحرية الدينية بصورة لم تتهيأ لدين آخر ، وله فى ذلك مبادىء سامية ، هى غاية ما وصل اليه التفكير الحر ، فالمبدأ الاول هو الا يكره احد على الدخول فى العقيدة الاسلامية ، وذلك بعد أن رسخت قواعد الدين الاسلامى فى النفوس ، وثبتت اصوله فى القلوب ، فيقول الله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقد سار المسلمون فى حروبهم على هذا المبدأ ، فحين فتحوا مصر لم يرغموا اهلها من القبط على الدخول فى الاسلام ، بل تركوا لهم الحرية الكاملة فى اتباع دينهم ، وغاية ما فعلوه أنهم فرضوا الجزية على من لم يدخلوا الاسلام ، ليكون لهم ما للمسلمين من الحقوق ومن الأمن على نفوسهم وأرواحهم وأموالهم ، وأما المبدأ الثانى فهو أمر المسلمين بمجادلة غيرهم من أهل الاديان الأخرى بالمنطق والعقل ، وبأن يكون عماد المناقشة الحجة البينة ، والعظة الخالصة ، وتلك هى المناقشة الدينية الحرة التى ينطق بها كتاب الله الكريم : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » أى لا تجادلوهم الا بأحسن طرق المجادلة ، أما المبدأ الثالث فهو أن يكون الايمان عن اقتناع ظاهر ، لا ، عن تقليد . ولذلك نعى القرآن الكريم على أولئك الذين لا يستعملون عقولهم فى اختيار الدين الصحيح ، واتباع العقيدة السليمة ، والاقتصار على تقليد ابائهم فى عقائدهم قال تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ، قالوا

بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ، ويقول أستاذنا الامام المغفور له الشيخ محمد عبده : ان التقليد بلا عقل ولا هداية هو شأن الكافرين ، وان المرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه ، وعرفه بنفسه ، حتى اقتنع به فمن ربى على التسليم بغير عقل وعلى العمل – ولو صالحا – بغير فقه ، فهو غير مؤمن ، فليس القصد من الايمان أن يذلل الانسان للخير ، كما يذلل الحيوان ، بل القصد أن يرتقى عقله ، وترتقى نفسه بالعلم ، فيعمل الخير ، لانه يفقه انه الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر ، لانه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته »

واما الحرية المدنية فهى التى يقصد بها ان يكون الشخص كامل الاهلية لان يباشر بنفسه جميع الالتزامات التى يجب أن يقوم بها ، باعتباره انسانا حرا ، فله حق التملك ومباشرة عقود البيع والشراء والرهن والاجارة والوصية والزواج ، وهذه الحرية من حق كل مسلم متى بلغ سن الرشد والتمييز ، والحرية المدنية بهذا المعنى من حق كل مسلم حر بالغ . وقد يحرم هذه الحرية من يسمى رقيقا ، فالرقيق أو العبد المملوك ليس أهلا لهذه الحرية ، ولا حق له فى التملك . وقد عاب بعض المفكرين من اهل أوروبا الاسلام على اباحته الاسترقاق ، ولكنهم لو تجردوا من التعصب الممقوت لعرفوا السر فى هذه الاباحة ، وما هى فى نظر العقل الرشيد اباحة ، بل هى محاربة حقيقية لما بقى من نظام الرق فى البلاد العربية وغيرها من البلاد التى انتشر فيها الاسلام ، وكان الاسلام حكيما حين لم يحرم الرق البتة لما فى ذلك من افساد للنظام الاجتماعى القائم فى عصر الدعوة الاسلامية ، والرق الذى أباحه الاسلام أحاطه بشروط فى مصلحة الرقيق ولو رجعنا الى تاريخ الرق عند الامم القديمة كقدماء المصريين والرومان والهنود والصينيين والفرس والعرب لادركنا فضل الاسلام فى تحرير العبيد والارقاء .

كان الاسترقاق فى تلك العصور مظهرا من مظاهر القوة المستبدة . كما كان فى هذه الايام يقوم على اساس سيادة القوى على الضعيف . فالمصريون القدماء كانوا يتخذون الرقيق أداة من أدوات العمل ، كانوا يسخرون العبيد فى بناء المعابد والهياكل ، كما كانوا يتخذونهم نوعا من أنواع الزينة فى قصور الملوك ، وبيوت الكهنة ، ومنازل المحاربين والقواد ، وكان اليونان والرومان يعدون الأمم المغلوبة عبيدا . وكان القانون الرومانى يبيح تجريد المذنبين الأحرار من حريتهم ، كى يصبحوا أرقاء ، أما قدماء الهنود فكانوا يقسمون الرقيق قسمين : قسما يقوم بالاعمال الطاهرة وهم الخادمون ، وقسما يقوم بالأعمال النجسة وهم الارقاء . وكان الارقاء عامة فى تلك الامم يعاملون بالشدة والقسوة ، فلم يكن لهم حظ من الانسانية ، يكلفون اشق الاعمال ، ويعاقبون اشد العقاب . وكان العبد اذا أذنب لا يعطى حق الدفاع عن نفسه ، ولسيده ان يقتله اذا شاء ، ولو فى غير جريرة .

وقد وقفت الديانة الموسوية من الرقيق موقفا غريبا فقد أقرته وحتمته ، فجاء فى سفر التكوين (اصحاح ٩ عدد ١) « ان الله ختم العبودية على أولاد كنعان بن حام » ، وجاء فى سفر التثنية (اصحاح ٢٠ عدد ١٠) أمر الرب أن كل محاربة اذا انتصر عليها اليهود يكون جميع أهلها من رجال ونساء واطفال عبيدا لهم ، يسخرونهم لهم الى الابد بدون قيد أو شرط » . ولم تتعرض المسيحية الى تحرير العبيد ، وقد سكت المسيح عليه السلام عن الوصية بالأرقاء » وجاء فى رسائل بعض حوارييه أمر العبيد بطاعة سادتهم فى كل شىء . وما زال الاسترقاق فاشيا الى اليوم بين الأمم التى تدعى الديمقراطية ، وانها أقرت حقوق الانسان فى الحرية والمساواة والاخاء ، تجد ذلك فيما بين البيض والسود من سكان أمريكا الشمالية ، بالرغم مما قام به محررو العبيد فى تلك الديار « كابراهام لنكولن » . ان الزنوج فى أمريكا كانوا يرسفون فى قيود ثقيلة من الذل والعبودية فالابيض الامريكى مع ما أوتى من العلم يملك الأمة السوداء ، ويولدها البنين ، ومع ذلك لا يعتبرها ام ولد كما فى الاسلام بل ان ولده الأبيض له الحق فى أن يبيع تلك الأمة ويبيع ذرية أبيه منها ، وهم اخوته ، ولو ذهبنا نستقصى أساليب الرق وأسبابه عند كل أمة قديمة أو حديثة لا تستظل براية الاسلام لم نجد لذلك سببا الا تحكم القوى فى الضعيف ، باذلاله وتسخيره لشهواته »

وما زالت الأمم التى ترفع صوتها باسم الديمقراطية والحرية تعامل عباد الله الأحرار الذين تسميهم الأجناس الملونة معاملة خاصة ، فيها اذلال وسخرية وعنف واحتقار اما الاسلام فكانت له طريقة فريدة فى محاربة الرق ، قضى أولا على الفكرة الأصلية للاسترقاق ، وهى استعباد الأقوياء للضعفاء ، ولم يجز الرق الا فى حالة واحدة وهى حالة اعتداء غير المسلمين على المسلمين اعتداء صارخا يهدد كيان الاسلام . فاذا ما تغلب المسلمون على أعدائهم واسروا فريقا من أولئك الطامعين فى هدم دينهم ، فلهم فى هذه الحالة فقط أن يسترقوا الأسرى ، ولكن الدين الاسلامى بالرغم من ذلك أباح للمسلمين أن يفكوا هؤلاء الأسرى ، وأن يفتدوهم بغيرهم من اسرى المسلمين ، وقد ذهب الرسول الكريم الى طريقة فذة فى افتداء أسرى المشركين ، فقد جعل صلوات الله عليه فدية الأسير منهم تعليم عشرة من صبيان المدينة ، ان كان ممن يعرفون القراءة والكتابة ، ولم يجز الاسلام الاسترقاق فى هذه الحالة مع ما أحاطها به من شروط سهلة فى فك الاسار الا للمحافظة على كيان الدين ، وصيانته من أذى الطامعين فى هدمه . على أن الاسلام قصد معنى اخر ساميا ، وهو أن هؤلاء الأسرى اذا باتوا فى كنف المسلمين مدة ، وعوملوا فيها بما يأمر به الاسلام من الرفق بالأسرى – كان ذلك سببا فى اسلامهم .

لقد عنى الاسلام بتحرير الارقاء فجاء بأحكام ليس هناك ما يدانيها فى شريعة سابقة أو لاحقة، وهذه الأحكام فى روحها ترمى الى تحرير الأرقاء والاعتراف بانسانيتهم ومن تلك الاحكام أن السيد اذا أولد جاريته . فأتت له بولد ، اعترف ببنوته ، وعندئذ يصير الولد حرا ، وتصبح الأمة حرة بعد وفاة سيدها . كما شرع الاسلام لكل عبد أن يكاتب سيده ، أى يتفق معه على أن يعطيه جزءا من المال فى سبيل عتقه وجعله حرا ، وقد سهل الدين الاسلامى لهؤلاء المكاتبين طريق الحصول على المال فحث على التصدق عليهم ، فقال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى اتاكم » ، كما جعل لهم نصيبا من مال الزكاة المفروضة فقال تعالى : انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب » اى وفى تحرير الرقاب ، وفكها من أسر الرق بعتقها وجعلها حرة ، وأمر الاسلام بالرفق بالأرقاء ، فقال تعالى : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم . » كما حث الرسول على حسن معاملتهم فقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله فى الضعيفين : المملوك والمرأة »

وروى عن ابى مسعود البدرى ، قال : كنت اضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى يقول : اعلم ابامسعود . فلم افهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منى اذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اعلم ابا مسعود ، اعلم ابا مسعود ، فالقيت السوط من يدى فقال : اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام . »

فقلت « لا اضرب مملوكا بعده ابدا . »

وقال بعض صحابة رسول الله : رايت ابا ذر الغفارى وعليه حلة ، وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك ، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الأرقاء : هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده ، فليطعمه مما ياكل ، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل مايغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم عليه . »

وروى أن الرسول صلوات الله عليه توفى وهو يقول : اتقوا الله فى الصلاة وما ملكت ايمانكم ، كما رغب الرسول فى تحرير الارقاء فقال صلى الله عليه وسلم : ايما رجل أعتق مسلما استنقذ الله تعالى بكل عضو منه عضوا من النار »

ومن الأحكام التى اقرها الاسلام فى سبيل تحرير الارقاء أنه جعل كفارة القتل الخطأ عتق رقبة . فقال تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » كما جعل الاسلام العتق احد المكفرات للحنث فى اليمين بالله عز وجل ، وقد بطل الرق الشرعى الذى أقره الاسلام فى حالة الحرب التى تقع من أعداء المسلمين عليهم .

واما ما يذكره بعض المؤرخين من الافرنج من شيوع النخاسة والنخاسين (والنخاسة بيع الرقيق ، والنخاسون بياعوا الرقيق) فذلك مما لم يامر به الاسلام والذين يفعلون ذلك خارجون على أحكام الدين . ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل اعطى بى (اى أعطى العهد باسمى) ثم غدر ، ورجل باع حرا واكل ثمنه ورجل استاجر اجيرا فاستوفى ، ولم يوفه أجره »

ذلك موقف الاسلام من الرقيق ، ومنه يتبين لكل منصف أن الدين الاسلامى كان عدوا لدودا للاسترقاق ، وقد حاربه بوسائله الحكيمة ، وتشريعاته العادلة . لأن الرق يختلف مع الحرية التى هى الأصل والحق الطبعى للانسان ، وقد ذهب فقهاء الشريعة الاسلامية الغراء الى تقديم هذا الاصل وهو الحرية على الدين ، فقد قالوا : اذا تنازع اللقيط ذمى حر وعبد مسلم ، قبلت دعوى الذمى الحر ، ولا تقبل دعوى العبد المسلم ، ودليلهم ان الحرية انفع للصغير . اما الدين فامر فطرى . فالاسلام وحده هو دين الحرية الصحيحة ، سبق الديمقراطيات الحديثة بازمنة طويلة الى تقرير هذا المبدأ الانسانى ، فنشره فى العالم عدلا شاملا ، وحقا كاملا ، حتى رسخت أصوله ، ونمت فروعه ، فاطمأن الناس ، وعكفوا جاهدين دائبين على الانتاج العلمى لسعادة البشرية وصلاحها . فكان من المسلمين الصادقى الايمان جموع زاخرة من العلماء الأعلام ، بحثوا والفوا كتبا كثيرة ، وقدموا للانسانية خيرا عميما ، وعلى أساس هذا التراث العلمى الخالد الذى تركوه استيقظت أوروبا من سباتها العميق فكان من ثمرات هذا البحث تلك المدنيات التى تدعى الآن فى زهو وخيلاء أنها التى كفلت حقوق الانسان فى الحرية ولولا التعصب الأعمى ما أنكرت الفضل على ذويه .

هل حدثت معجزة

قرية « بنى صالح » من قرى مركز الفشن بمحافظة المنيا ، وقد كتب الاستاذ محمد عبد الحليم - تحت العنوان والمتقدم - يتحدث عن « معجزة » وقعت فيها ، ونشر الحديث بجريدة الجمهورية .

قال : قرية «بنى صالح» تتحدث عن معجزة ! والمعجزة رجل اسمه عبد الوهاب ضيف الله ، عمره خمسة وخمسون عاما ، وهو متزوج وله خمسة أولاد ، وابناء القرية وابناء المحافظة يقولون عنه : انه يفعل المعجزات !

وقد ذهبت الى القرية وقابلت احد أبنائها وهو ابراهيم محمد ابراهيم ، فقال لى : ان عبد الوهاب يكون معنا فى أحد الايام بالقرية ، ثم ياتى أحد اخواننا ليقول : انه التقى بعبد الوهاب بالقاهرة فى نفس اليوم ، وتركه هناك وعاد وحده بالقطار ، ونذهب الى بيت عبد الوهاب فنجده فيه ! متى ذهب ؟ وكيف عاد ؟ لا احد يعلم .

وقد حدث فى احدى المرات . ان تتبعنا عبد الوهاب اليوم كله . رايناه يدخل المسجد وبقينا نرصده فى الخارج حول المسجد ، ولكنه لم يخرج فدخلنا المسجد فلم نجده ، وفوجئنا به بعد ذلك خارج المسجد مع ان المسجد لايوجد له غير باب واحد !

ويقول الكاتب : قابلت الشيخ وسألته عن سر معجزاته فقال : كلام الناس كثير ، وكل واحد واللى يقوله ، وعلى اى حال فيه ناس تعرف تتكلم احسن منى ! ورفض أن يضيف شيئا الى ماقاله .

وقد سئل فى ذلك الاستاذ فرج السنهورى وزير الاوقاف السابق ، فقال : ان لله اولياء يخصهم ببعض الاسرار ، وافعال عبد الوهاب صدرت عن آخرين مشهود

في قرية بني صالح

الأستاذ علي الجندي

لهم بالتقوي والصلاح ، منهم الشيخ عبد الصمد دياب الذى توفى منذ عامين ، وكان ياتى بالفاكهة فى غير اوانها ، وان الشارع لم ينكر هذه الاشياء ، فلماذا ننكرها نحن ؟

وسئل الاستاذ عبد الله المشد مدير قسم الوعظ بالازهر فاجاب : مثل هذه المعجزات مستحيلة من اى انسان مهما كانت درجة تقواه !

واحب ان اصحح الوضع فاقول : ان مثل هذه الخوارق لاتسمى معجزات ، لان المعجزات تكون للانبياء فقط ، وهى مقرونة بالتحدى وانما ذلك يدخل فى نطاق الكرامات المختصة باولياء الله الصالحين ، وكرامات الاولياء رشح لمعجزات الانبياء فالتصديق بها جزء من التصديق بالمعجزات .

وهذا النوع الذى وقع من الشيخ عبد الوهاب ان صح وقوعه ـ ليس بعجيب ولا غريب ، فقد وقع ماهو اعظم منه بشهادة الثقاة الاثبات ، ومنه ماكان وقوعه متصلا بالملوك والامراء فلا يصح التمارى فيه كما سنبينه ، وهو يسمى عند الصوفية بالتطور • اى ان يظهر الانسان فى غير جسد وفى غير مكان •

وقد اورد السيد عبد الوهاب الشعرانى طرفا من ذلك فى اثناء حديثين عن شيخه الدشطوطى •

يقول الشعرانى عرفت شيخى عبد القادر الدشطوطى وانا غلام وصحبته نحو عشرين عاما ، ومن قوله لى :

اسمع هذه الكلمات واحفظها تجد بركتها اذا كبرت . وهى : يقول الله ـ عز وجل ـ « ياعبدى لو سقت اليك ذخائر الكونين فملت اليها بقلبك طرفة عين فانت مشغول عنا لابنا ! »

قال : فحفظتها ووجدت بركتها وقد كان اخبرنى باشياء لم يبح لى افشاءها •

ويقول الشعرانى : ان الدشطوطى كان يسمى بين الاولياء صاحب مصر ، وقد كتب له القبول التام بين العامة والخاصة ، حتى كان السلطان قايتباى يقبل قدميه ويمرغ وجهه عليهما !

وقد زورجماعة مرة على السلطان برجل يشبهه فاجلسوه ليلا بالقرافة ، واخبروا السلطان أن الشيخ يطلبه ، فنزل السلطان اليه فى الحال وصار يقبل قدميه !

ثم قال الرجل للسلطان : ان الفقراء محتاجون الى عشرة آلاف دينار !

فقال السلطان : باسم الله •• ومضى عنه وارسلها اليه ••

ثم تكشفت الحقيقة وعلم أن الرجل ليس بالدشطوطى فامر السلطان بضربه حتى الموت !

وقد ذكروا عن الدشطوطى : انه كان يرى مرة فى القاهرة واخرى فى الجيزة دون أن يعبر النيل اليهما !

وان رجلين حلفا بالطلاق : ان الشيخ نام عند كل منهما الى الصباح فى ليلة واحدة فى مكانين مختلفين ! وقد رفع الامر الى شيخ الاسلام جلال الدين السيوطى ، فافتى بصدق قولهما وعدم وقوع الطلاق !

ويحدثون : انه تغطى ذات مرة بملاءة عند صلاة الظهر ، وغاب من تحتها ساعة ، ثم تحرك فقال : ان الناس معذورون ! يقولون : لانصلى والله ماتركت الصلاة منذ جذبت ولكن لنا اماكن نصلى فيها •

قال الشعرانى : فاخبرت بذلك الشيخ محمد بن عنان فقال : صدق الشيخ ! انه يصلى بالجامع الابيض برام الله « بفلسطين » !

ويقول الامير يوسف بن ابى أصبغ : ان السلطان قايتباى اراد أن يسافر الى ولاية الفرات فى الوقت الذى كانت فيه مصر والشام دولة واحدة ـ أعاد الله وحدتهما ـ فاستاذن السلطان الدشطوطى فى السفر ـ كما هى عادته ـ فاذن له •

فكان على مدى الطريق نرى الشيخ ماشيا امام الركب ! فاذا هم السلطان بالنزول اليه اختفى •• حتى اذا وصل السلطان مدينة « حلب » وجد الشيخ مريضا باحدى زواياه بمرض البطن منذ خمسة شهور ! اى انه كان موجودا فى القاهرة وفى حلب فى وقت معا •

قال : فتحيرنا فى امره ••

ولما دنت وفاته اكثر من البكاء والتضرع • وقال للبناء الذى يبنى قبره : عجل فى البناء فان الوقت قد قرب !

وقد صح ذلك فمات ولم يكمل البناء فاكمل بعد ذلك !

وقد صلى عليه ملك الامراء خاير بك وجميع امراء القاهرة واكابرها • رحمه الله !

وهذا الذى صدر من الدشطوطى صدر كثير مثله واغرب منه كما اسلفنا ، فالسيداحمد الرفاعى كان اذاجلس للحديث سمع صوته البعيد من الناس مثل القريب ، وسمعه الاصم والاطرش ! وسمعه اهل القرى المجاورة لقريته « ام عبيدة » مع انه كان يتحدث بصوت عادى !

والشيخ عقيل المنبجى شيخ شيوخ الشام فى وقته حين اراد الانتقال من قريته التى كان مقيما بهـا ببلاد الشرق صعد الى منارتها ونادى اهلها ، فلما اجتمعوا اليه طار فى الهواء والناس ينظرون اليه ، وجاءوا الى قريته « منبج » فوجدوه بها ! ولذلك لقب « الطيار » .

وأبو يعقوب الهمدانى جاءت اليه امرأة من همـدان باكية ، فقالت له : ان ابنى اسره الفرنج فامرها بالصبر فلم تستطع ، فقال : اللهم فك اسره وعجل فرجه !

ثم قال لها : اذهبى الى دارك تجديه بها ! فذهبت المرأة الى الدار فوجدته بها ! فتعجبت وسالته فقال : كنت الساعة فى القسطنطينية العظمى ، والقيودفىرجلىوالحرس على ، فاتانى شخص فاحتملنى الى هنا كلمح البصر !

وقد كان بعض الصوفية لايتناولون الطعام مدة طويلة ، حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما وأربعين يوما، ذكر منهم الغزالى : محمد بن عمر ، والغربى ، وعبدالرحمن بن ابراهيم ، ورحيم ، وابراهيم التيمى ، وحجـاج بن فرافصة ، وحفص العابد المصيصى ، والمسلم بن سعيد ، وزهير ، وسليمان الخواص ، وسهل التسـترى ، وابراهيم الخواص . ثم ذكر حجة الاسلام : أن احـد الرهبان قال لبعض الصوفية : ان المسيح كان يطـوى اربعين يوما وان ذلك معجزة لاتكون الا لنبى او صديق فقال له : فان طويت خمسين يوما تترك ماانت عليـه وتدخل فى دين الاسلام .. فقال الراهب : نعم .

ثم ان الصوفى جلس لايبرح الا حيث يراه الراهب حتى طوى خمسين يوما ! ثم قال له : وازيدك ايضا ..

فطوى الى تمام الستين ! فتعجب منه الراهب ، وقال : ماكنت أظن ان أحدا يجاوز المسيح فى صيامه . فأسلم وحسن اسلامه !

ومن عجيب الكرامات : ماذكره ابن قتيبة فى عيون الاخبار ، قال حدثنى عبد الرحمن العبدى عن جعفر بن ابى جعفر ، قال : حدثنى ابو جعفر السائح عن الربيع بن صبيح قال : شهدت ثابتا البنانى يوم مات ، وشهده اهل البصرة ، فدخلت قبره أنا وحميد الطويل ، وابو جعفر حسن مما يلى راسه . فلما ذهبت اسوى عليه اللبنـة سقطت من يدى ، فلم ار فى اللحد احدا ! واسر الى حميد الطويل : ان صاحبنا قد اختطف ! وضج الناس وسوينا على اللحد وحثونا التراب .

قال : فلم يكن لحميد الطويل هم الا أن ياتى سليمان ابن على امير البصرة فاخبره بذلك .

فقال الامير سليمان : ماينكر الله قدرة ! الا انى أنكر ان يكون احد من اهل زماننا يفعل به هذا ! فهل علم به احد سواك ؟ قال : نعم ، الربيع بن صبيح وأبو جعفر حسن !

قال الامير : عدلان مرضيان !

ثم بعث امنـاء جيرانه ، فنبشوا عنه فلم يجدوه فى قبره ..

وقد يقال : لم لم تظهر هذه الكرامات على يد الصحابة وهم صفوة المسلمين وأفضلهم ؟!

والصحيح : انها ظهرت على يد الكثير منهم ، فابوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ كان من المكاشفين ـ كما يقول الغزالى ـ وحين مرض قيل له : لو دعونا لك طبيبـا ، فقال : الطبيب قد نظر الى .

فقيل له : ماذا قال لك ؟ قال لى : انى فعال لما اريد !

ولا يمكن لمثل ابى بكر ان ينكر التداوى وقد شاهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتداوى وامر بالتداوى ولكنه كان قد كوشف بانتهاء أجله وان التداوى لاينفعه فامسك عنه .

وقال لابنته عائشة ام المؤمنين فى امر الميراث : انما هن اختاك !

وانما كان لها اخت واحدة ، ولكن كانت امراته حاملا فكوشف بانها حامل بانثى ، وقد ولدت انثى كما قال !

وقصة عمر فى قوله « ياسارية الجبـــل » معروفة مشهورة .

والاحاديث عن الامام على فى ذلك مستفيضة ومن ذلك : انه قيل له : ان الخوارج قد عبروا جسر « النهروان » فالقهم قبل ان يبعدوا ـ والحوا فى ذلك ـ فاقسم غير مرة : انهم لم يعبروه ! وانهم سيقتلون دونه .. وانه لن يفلت منهم عشرة ، ولا يقتل من اصحـابه عشرة ..

فلما تبين أصحابه ذلك قالوا له : هو كما قلت ياامير المؤمنين !قال : نعم ، والله ماكذبت ولا كذبت .. ولما استشهد ثابت بن قيس فى حرب اليمامة ، رآه بعض الصحابة فى المنام ، فقال له : ان فلانا ـ وسمى رجلا ـ نزع درعى وذهب بها وهو فى ناحية من العسكر ، وقد وضع على الدرع برمة ! فاذهب الى خالد بن الوليد ـ وكان قائد الجيش ـ فاخبره حتى يسترد درعى .

ثم اذهب الى الخليفة ابى بكر الصديق فاخبره بان على دينا حتى يقضيه عنى ، وأن فلانا من عبيدى عتيق .

فاخبر صاحب الرؤية خالدا فوجد الدرع كما وصف ، فاسترد الدرع من آخذها !

ثم أخبر خالد ابا بكر ـ رضى الله عنهمـا ـ بتلك الرؤيا ، فاجاز الخليفة وصية ثابت .

ويقول الامام مالك بن انس : لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه !

نعم ان الكرامات لم تكثر من الصحابة كما كثرت من غيرهم : من التابعين وتابعيهم ومن والاهم باحسان الى يومنا هذا .

وقد اجاب العلماء عن ذلك : بان الصحابة كانوا فى حياة الرسول ـ صلوات الله عليه ـ اشبه بالكواكب حول الشمس ، ومن شان الكواكب ان يخفى نورها مع ضوء الشمس الوهاج الغامر !

فلما لحق الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالرفيق الاعلى ، امكن لبعض الكواكب الدرية من امته أن يظهر نورها فى القرون المتتابعة .

ومثل هذا يقال ايضا فى الكهانة والعرافة التى كانت فاشية فى الجاهلية ـ وهى فى كنهها نوع من النبوءات تعد ارهاصا لنبوة خاتم الانبياء ..!

فلما دنت بعثةالرسول الاعظم انطفت هذهالكهانات، لانه ماكان ينبغى لها ان تلوح فى جانب شمس الرسـالة الباهرة كما يقول الفقيه الحجة والمؤرخ الثبت ابن خلدون

نسال الله ان يزكى نفوسنا وينور قلوبنـا ، ويفتح لنا أبواب حضرته ويرفع عنا حجاب بعده انه سميع قريب .

الإسلام في معركته الكبرى

التحديات التي واجهها الإسلام ..

الأستاذ أنور الجندي

عندما واجه الغرب العالم الاسلامى بحملته الاستعماريه للسيطرة عليه كان يحمل فى اعماقه ومفاهيمه عدة عوامل شكلت خطته فى هذه الحملة :

* ان القرآن هو مصدر القوة الاسلامية وانه لا امل فى استعباد المسلمين مادام هذا الكتاب باقيا فى الارض .

* ان الاسلام دين العزة والقوة والجهاد فلن يستسلم المسلمون ماداموا على هذا الفهم له .

* ان اللغة العربية هى رابطة الامة العربية وقوام الاسلام ومفتاحه فى العالم الاسلامى .

وكان الغرب فى طريقه الى الغزو العسكرى يحمل فى اعماقه هذه المفاهيم :

* تعصبا كاملا ضد الشرق والسلام والعرب رضع لبانه مع مفاهيمه الاولى وتطلعاته الى الحياة .

* ايمانا بسيادة الرجل الابيض على الرجل الملون .

* الايمان بالحضارة الاوروبية والمادية وتنحية الدين عن مجال الاقتصاد والسياسة والحكم والفكر باعتباره عاملا معوقا .

* الايمان بمذهب الغاية تبرر الواسطة . واستخدام الوسائل ، كل الوسائل فى سبيل الوصول الى الهدف .

* * *

ولذلك اتخذ الغرب خطة استطلاعية شاملة لتمهيد الطريق امامه الى الغزو الاستعمارى مجالها الفكر ، وعدتها الصحافة والكتاب والمدرسة والبعثة بالاضافة الى السينما ومجالات اللهو والمراقص .

ومن هنا دخلت الى العالم الاسلامى :

* الارساليات الاجنبية بمدارسها ومستشفياتها واقطارها ومفاهيمها .

* حانات للخمر فى كل قرية يديرها (خواجه) يقوم نفسه بمرابات الاهالى .

* مجالات اللهو فى العواصم ترتبط بكل معانى الترف والانفاق المادى .

* صحف (قوية ذائعة) تخضع خضوعا تاما للنفوذ الاستعمارى وتحمل لواء الدفاع عن آرائه وتوجيه الرأى العام الى المفاهيم التى يفرضها .

* جيل جديد من الشباب يبعث الى اوربا ويربى تربية خاصة .

ثم بدأت قوى كبيرة تعمل فى مجالات مختلفة منها :

الاستشراق ، والتبشير ، الالحاد ، التغريب ، الشعوبية ، الاباحة والكشف .

وشملت هذه المجالات التعليم والكتابة ، والادب والعلم والمدرسة والبيت .

ومن هنا بدأ الاسلام يواجه تحديات ضخمة متعددة لا حد لها ، انسالت كالسيل لا تتوقف ، تبرز فى مجال ، وتتحول الى مجال آخر ، وتقف فى قطر ، لتبرز فى قطر آخر ، وتتشكل باشكال مختلفة . فهى قوية مرة وضعيفة أخرى ، ومهاجمة تارة فى عنف ، ومسالمة احيانا فى دقة ، ولكنها فى الاغلب مستمرة لا تتوقف .

* * *

اتصلت هذه التحديات فى مجالها الاكبر (بالدين) عامة وبالاسلام خاصة ، فبدأ الهجوم على اصول الاسلام وقيمه وآثاره . واتهم بانه عقبة فى سبيل التقدم ، وجرت زحزحته عن مجال الحكم ، ثم مجال القضاء ثم مجال المجتمع ثم جرت محاولات لزحزحته عن الحياة العامة ، وخلق روح الاستخفاف بقيمه . وتشجيع دعوات منحرفة ترتبط به وتحمل اسمه : كالبابية والبهائية ، وظهرت دعوات ترى أن اساس الاديان واحد فلابد ان يظهر دين واحد بدلا من الاسلام والمسيحية واليهودية ، وظهرت دعوات لتوحيد الاديان نفسها .

واتصل هذا بمهاجمة القرآن والحديث النبوى والتشكيك فيهما ، وامتد مجال هذا من الصحف الى

الجامعات ففرضت مؤلفات منحرفة ، وماتزال بعض هذه المؤلفات في عديد من جامعات البلاد الاسلامية تفرض نفسها الى اليوم .

وبدات حملة ضخمة من التبشير ، كانت في اوائل القرن عنيفة قاسية ، تفرض الاخراج من الاسلام فرضا ، واتسع نطاقها الى حد كبير ، وذهب ضحيتها الكثيرون . ووقفت الحكومات التابعة منها موقفا غير كريم . وساند الحملة كتاب عن العرب والمسلمين اعلنوا استخفافهم باخراج اثنين او ثلاثة . وتطور التبشير بعد ان عجز عن هدفه الاول في صورة متعددة من صور التشكيك في الفكر والمقومات ، وأعلن دعاته وأقوامه بأنه اذا لم يصل التبشير الى نقل المسلم عن دينه فلا اقل من ان يشككه في دينه ويعزله عنه فلا يكون اى شيء .

وجرت الدعوه الى الدهرية . وبدت افكار متلاطمه تقول ان الاديان قيود واغلال التزمها الناس بدعوى انها منزلة . ووقف كاتب كبير فقال ان الدين نبع من الارض ولم ينزل من السماء وانه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم يهبط به وحي ، وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها .

ومضت المحاولة في خلق جو للصراع بين العلم والدين، فقد انكر العلم في مرحلة من مراحله فلسفات ما وراء الطبيعة فنقلوا لنا هذا .

وفي الناحيه الاخرى أبعد الدين عن مجالات التربيه والتعليم ايمانا بنظرية (ديوى) والغى من برامج المدارس وجرت الدعوة الى انكار التوحيد بالدعوة الى التعطيل ونسبة الانسان الى المادة ، والقضاء على بلاغة القرآن بتغليب العامية والاساليب الركيكة وتحطيم عمود الشعر .

ثم جرت محاولة تمزيق المسلمين الى فرق ونحل واعادتهم الى النزعات القديمة والمذاهب البائدة وتاكيدها بقوة القانون . كما فعل الاستعمار الفرنسي في المغرب باعلانه (الظهير البربرى) .

واتهم الاسلام بانه دين غير متطور ، والدليل هو ان المسيحيين واليهود أكثر تقدما ، وكان الاحتجاج في ضعف العالم الاسلامي بالمسلمين لا بجوهر الاسلام نفسه الذى انشا حضارة واقام امة وعاش قويا مئات السنين .

وانبعثت دعوات تقول بان التشريع الاسلامي مستقى من التشريع الروماني ، بينما اكد كل علماء الغرب المنصفين بانه لم يقم دليل واحد على ذلك ، واذا كانت هناك علاقة فان الفقه الروماني هو المقتبس من الفكر الاسلامي (ولذلك تفصيل) .

واهتم كتاب الغرب بزوايا مليئة بالشك ، ومضى المستشرقون يفرضون الفروض ويحاولون الوصول الى اسانيد لها من آيات تبتر عن اصولها ، أو وقائع تحرف ، واهتم المستشرقون بالصوفيين وبالفئات الخارجة الضالة قصدا لاثارة الشكوك .

ثم جرى اتهام الاسلام بانه دين القوة والسيف ، والادعاء بان المسلمين لا يتسنى لهم التقدم والارتقاء ماداموا مقيدين بنصوص القرآن .

ثم كان اتهام الاسلام بالتعصب .

وكل نظريه من هذه النظريات سهله النقض اذا رجعنا الى التاريخ فتسامح الاسلام وتعصب غيره واضح من دراسة وقائع التاريخ ، وانفصاله الدين عن الفكر والمجتمع والدولة في الغرب له سبب واضح ، فقد حال الدين دون النهضة ووقف في وجه العلماء والمفكرين . اما الاسلام فقد كان حادى النهضة دائما وعاملا هاما في توسيع نطاق العلم ودافعا للحضارة الى مداها . ولم يكن في الاسلام انظمة كهنوتية كتلك التى حاربها الاوربيون .

اما في مجال المرأة فقد جرت محاوله اتهام الاسلام في مجال تعدد الزوجات والطلاق وحقوق الزوج ، بينما كان الاسلام اسبق واعمق في تحرير المراة من التشريعات الغربية وبعد هذا الزمن الطويل ماتزال الحقوق التى اعطاها الاسلام للمراة لما تصل بعد المرأة الغربية اليها ولا اعتقد أنها تصل يوما .

اما قيود العفة والطهر فتلك عوامل هي لتكريم المراة ووضعها موضع الانسان ذى الكرامة وليس موضع الرقيق والحريم .

* * *

وفي مجال اللغة مضت التحديات في مهاجمه (اللغة العربية) للقضاء عليها واشاعة اللغة العامية . ومحاولة ادخال الفصحى المتحف تشبيها لها باللاتينية الميتة ومحاولة تغليب اللهجات المحليه على الكتابة وتحويلها الى لغات قومية اقليمية .

ثم جرى اتهام الفكر العربي بانه فكر تجريدى يفيض بالفروض النظرية والمباحث الجدلية ، كما اتهم هذا الفكر بأنه غيبى .

وانكر فضل العرب على المدنيه ، ومحاولة رد التراث العربي الى أصول بعيدة عن العرب كاليونان والفرس ، فلطالما أعلن كتابهم أن تراث الاسلام تراث يونانى فارسى وان الثقافه الاسلامية اساسها ثقافة يونانية ، وكانت دائما الكفة الهابطة في تقديرهم هي كفة العرب والمسلمين . فاذا قيل ان المعرى كان سابقا في كتابه (الغفران) كل ماكتب عن الجنة والنار ، جرى التشكيك في ذلك بان هناك كتابا فارسيا قديما قراه المعرى ، واذا قيل ان (دانتى) قلد (المعرى) في رسالته (رحلة الى الجحيم) حاولوا تبرئته من تقليد العرب والمسلمين وقالوا انه قطعا لم يقرأ (الغفران) والادلة أكيدة على أنها ترجمت قبل دانتى بأكثر من مائة عام .

وفي هذا الاتجاه تبرز النظريات التى تريد أن تتحدى ثقافة الاسلام وفكره ، فتجرى المحاولات لجعل الثقافة اليونانية مصدر الثقافات الانسانية . مع انكار فضل المصريين الاولين على اليونان ، وقد انكر الغربيون وقائع التاريخ في هذا وقال المستشرق (جويدى) في محاضرات القاها في القاهرة عام ١٩٢٨ (ان سفر اعلام اليونان الى الشرق للاستفادة من علومه قول منتحل ، وان مصر وسائر بلاد الشرق لم يكن لها فضل على العلوم والاداب والثقافات التى تنسب الى اليونان) .

وذلك لا شك آية التعصب .

وظلت نظرة المفكرين الغربيين الى الشرق على انه بلد السحر والنجوم والبخور والحريم ولذلك فان أكثر اهتمامهم كان موجها الى ترجمة الف ليلة ونظريات الحلاج والباطنية والمجسمة وغيرها .

واتهم اصحاب الحملة المتصلة المنظمة على الاسلام ، اتهموا العرب بحرق مكتبة الاسكندرية . وعملوا دائما على تغيير وقائع التاريخ ، والتشكيك في اعداد الجيوش

الاسلامية فى الغزوات ، وجعل السبق لفئة دون فئة ، على طريقة التفرقة والتمزيق ومحاولة القضاء على وحدة المسلمين ، وكذلك انقاص عدد المسلمين الاحياء فقد ظلوا الى سنوات قريبة لايريدون ان يعترفوا بعدد المسلمين الحقيقى فى العالم . ولا بمساحة الارض ، وجرى ادعائهم بالتفضيل لايقاع الخلاف ، فالبربر هم اصحاب المدنية فى شمال افريقيا ، واعلام الثقافة الاسلامية كانوا فرسا وموالى ولم يكونوا عربا ، وهكذا .

واتصل بهذا الدعوة الى الشعوبيه وتاكيدها . ببعث الحضارات القديمة ففى مصر جرى بعث الفرعونية وفى الشام الفينيقية وفى العراق الآشورية والبابلية وفى المغرب البربرية .

ثم جرت التفرقة بين الوطنيه المحليه والوحدة العربيه والجامعة الاسلامية والروابط الشرقية ، وقيام كيانات لكل دعوة من هذه الدعوات تحارب الاخرى وجرى فى هذا الصدد فرض اتجاهات العزلة والقومية والصنيعة وانكار العامل الروحى والدينى فى اسس القومية .

ثم أغرق العالم الاسلامى بالنظريات الجديدة المتضاربة بين مادية وشيوعية وجنس وتشكيل وجرت المحاولة تطبيقها فى مجال التعليم والتربية والحياة العامة .

فنظريه (فرويد) تقول ان الدوافع الانسانيه جميعها دوافع جنسية مادية ، ونظرية (جون ديوى) تؤكد ضرورة فصل الدين عن التربية ، ونظرية (لورنس) تدعو الى العرى والاباحة والكشف فى الادب .

ونظريتا ريفان وجيينو تفرقان بين الاجناس وتتهمان العرب والمسلمين بكل نقيصة فى الخلق والتكوين العقلى والفكرى .

وقد أشار (البروتوكول الثانى) من بروتوكولات صهيون الى هذا المعنى فقال :

« ان نجاح داروِن وماركس ونيتشه قد دبرناه من قبل وسيكون واضحا على تاكيد الاثر الاخلاقى لاتجاهات العلوم فى الفكر الاممى » .

داروِن هو صاحب نظريه ان الانسان والقرد من فصيلة واحدة ، وماركس هو داعية التفسير المادى للتاريخ ، ونيتشه هو صاحب مذهب القضاء على الفقير والضعيف ومنعهما من التناسل وتعقيمهما لينقرضا ولا يبقى الاالقوى وهو الانسان الاعلى .

وجرت الدعوة الى ثقافة البحر الابيض المتوسط ، كوسيلة لربط العالم الاسلامى بفرنسا واسبانيا والغرب

وفى مجالات اخرى متعددة فى مجال ترجمة القصص الداعرة ، والادب الماجن ، وبمنطق القوة وسلطان الاستعمار فرضت اللغات الاوربية . الفرنسية فى شمال افريقيا والشام ، والانجليزية فى مصر والسودان والعراق وفلسطين . وكان هدف فرض اللغات الاجنبية القضاء النهائى على اللغة العربية وقد تم هذا الى نحو كبير فى الجزائر .

وجرت محاولات اعطاء التعليم العصرى طابع العلمانية وانكار القيم والدين ، تم ذلك فى ظل الاحتلال وفى ظل الحكومات التى فرضها الاستعمار ، وعاونت على ذلك قوى الجيش المحتل وسلطات الاتباع والعملاء الذين يتولون السلطان والحكم ، وقوة الصحافة والمدرسة عن طريق الدعاة التابعين لركب التغريب .

وجرى الصراع بين الثقافتين الفرنسيه والانجليزية ولكن هذا الصراع لم يحل دون الهدف الاساسى لها جميعا وهو القضاء على مقومات الفكر الاسلامى العربى وتدمير قيمه واحلال قيم مادية جديدة قوامها الايمان بالحضارة والتبعية الكاملة لها للدول الغربية القائمة عليها .

ولم تقف هذه المحاولات عند هذا الحد بل امتدت .. ولم يقف المسلمون ازاء هذه التحديات متكوفى الايدى ولكنهم قاوموا وكشفوا الزيف واعلنوا الحقائق وجددوا الفكر الاسلامى وكان لهذه التحديات رد فعل كبير .

دراسات فى التاريخ الاسلامى ..

الفتوح الاسلامية

الأستاذ أحمد ابراهيم الشريف

الفتوح الكبرى -٢-

(١) فى عهد الصديق ابى بكر
فتح العراق (١)

استطاعت جيوش المدينة ان تقضى على الردة التى حدثت فى جزيرة العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . ولم يمض أكثر من عام على خلافة ابى بكر الصديق حتى كانت الدولة الاسلامية التى أقامها النبى فى المدينة المنورة تسيطر سيطرة تامة على كافة انحاء شبه الجزيرة العربية ، واستطاعت جيوش ابى بكر ان تنفذ قانون براءة - وهو استبراء العرب من الدين الوثنى - تنفيذا عمليا وان تقضى على الوثنية قضاء حاسما ؛ كما تقضى على التفكك العربى وتثبت الوحدة تثبيتا نهائيا ، وبذلك استعد العرب بعد أن استكملوا وحدتهم الجديدة لدور أكبر هو دور الفتوح الذى نتج عنه تكوين الامبراطورية الاسلامية ونشر الرسالة الاسلامية وقيام الحضارة الاسلامية العربية فى أكبر رقعة من الأرض خضعت لدولة واحدة حتى الآن .

وفى الوقت الذى كان عرب الجزيرة يستكملون وحدتهم ويتخلصون من عوامل الفرقة بينهم ويتطلعون الى نشر رسالتهم ، كانت الدولتان الكبيرتان فارس والروم فى شغل عنهم بالصراع الدائر بينهما والذى استنفد كثيرا من قوتهما ، كما كانت الخلافات الداخلية فى كلٍّ منهما تمزق كيانها وتضعف قوتها . ولم يغب أمر ذلك كله عن العرب بمكة والمدينة ، ولم يغب عنهم كذلك امر بنى عمومتهم من العرب ببادية الشام وما جاورها من العراق وبلاد الشام ، وقد هون ذلك من أمر الامبراطوريتين فى نظرهم ، وزاد فى هذا التهوين أن بلاد العرب كلها انضوت تحت لواء الاسلام ؛ لكن ما هان من أمر الامبراطوريتين لم يبلغ بالعرب حد التحرش بهما والتفكير فى غزوهما وان بلغ بهم حد اليقين باستقلال شبه الجزيرة عن سلطانهما والذود عن هذا الاستقلال فى وجهيهما . لذلك القت اليمن والقت بلاد الجنوب كلها بنير الفرس ، كما أن النبى قبل وفاته كان قد وجه عنايته الكبرى الى تأمين الحدود الشمالية من جنود قيصر ، وتابع أبو بكر خطة تأمين هذه الحدود الشمالية بعد وفاة النبى ؛ وان لم يبلغ الأمر حد التفكير فى اقتحام بلاد الدولتين ، فان التفكير فى الدخول فى حرب مع كسرى أو مع قيصر مغامرة كبيرة ان لم يحالف النصر فيها أعلام المسلمين تعرضت شبه الجزيرة العربية لكارثة الحكم الاجنبى وتعرضت بذلك لكارثة تجتث حكم المدينة وقد تفتن المسلمين عن دينهم . ومنازلة الفرس أو الروم ليست هينة ولا هو أمر يندفع اليه الخليفة دون بصيرة

او تقدير . حقيقة انه يعلم امر هـذه الحروب التى استطالت بين الفرس والروم ، والتى كتب النصر فى بدايتها للفرس ثم انتهى الغلب فيها للروم ، وقد استنفدت هذه الحروب من قوة الدولتين الكبيرتين ما يحتاج تعويضه الى الجهد الضخم والسنين الطويلة لكن الدولتين ما زالتا فى مظهر من القوة والبأس تبهر أنظار الناس وتصدهم عن التفكير فى مناوأتهما . ولم تكن الأمة العربية قد جربت حظها بعد فى مثل هـذه الحروب لتقدم على مغامرة لها من هذا الخطر ما يصد عنها بل ما يخيف منها .

كان أبو بكر ، وقد فرغت جيوشه من القضاء على الردة ، يفكر تفكيرا عميقا فى اقرار الأمن والسلام فى جزيرة العرب ، وتوطيد سلطان الوحدة فى نفوس العرب ، ولم يكن رجل فى مثل حصافة أبى بكر وتجربته ليستنيم لانتصار جيوشه على المرتدين وضمهم الى حظيرة الدين والدولة ، فينسى ما تنطوى عليه صدور العرب من حفيظة قد تضطرم فتضرم الثورة فى الجزيرة العربية مرة اخرى . أو ليس من الخير ان تتجه أنظار العرب الى عمل جديد خارج حدودهم ، فتنسى القبائل بذلك حفائظها وتنسى أحقادها ؟!

ان العرب وان استكملوا وحدتهم فى داخل شبه الجزيرة ، فان لهم فروعا فى بادية الشام وفى أطراف العراق ، قبائل عربية تعيش على تخوم الشام وعلى تخوم العراق ، وجدير بها أن تسمع الدعوة للدين الجـديد كما سمعها العرب فى شبه الجزيرة ولعل هذه القبائل العربية اذ تتصل بأصولها ، وتسمع الحديث عن أجدادها ومنابتها الأولى تعود بها الذكرى الى الماضى ، فتسرع لتشارك بنى عمومتها فيما هداهم الله اليه من الدين والى ما أكرمهم به من الوحدة والدولة .

وان أبا بكر لفى مثل هـذا التفكير اذ ترامت اليه الأنباء أن المثنى ابن حارثة الشيبانى قد سار بقواته شمالا فى البحرين حتى وضع يده على القطيف وعلى هجر ، وحتى بلغ مصب دجلة والفرات ، وقد قضى فى مسيره هذا على الفرس وعمالهم ممن عاونوا المرتدين بالبحرين . وسأل ابو بكر عمن يكون هذا المثنى ومن اى القبائل هو ؟ فلم يكن الخليفة قد رأى المثنى من قبل ولا أمره بشىء ، وها هو يقوم بعمل خطير ، ان يكن فيه خير فقد فتح به عهدا جديدا ، وان يكن فيه شر فقد جر على الدولة الناشئة خطرا كبيرا ، وعلم أبو بكر أن الرجل من البحرين من بنى بكر بن وائل ، وأنه ممن ثبتوا على اسلامهم عند الردة ، وأنه انضم الى قـائد الخليفة العلاء ابن الحضرمى فى مقاتلة المرتدين ، على رأس من بقى على الاسلام من أهل هذه النواحى . وعلم كذلك أنه تابع سيره بقوته الخاصـة مساحلا الخليج الفارسى الى الشمال حتى نزل من قبائل العرب الذين يقيمون بدلتا النهرين فتحدث اليهم وتعاهد معهم . وعلم أبو بكر اكثر من ذلك أنه رجل جليل المكانة كبير المقام يعتمد عليه ، فقد أجاب قيس بن عاصم المنقرى حين سئل عنه « هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ، هـذا المثنى بن حارثة الشيبانى » .

لقد جعل ابو بكر يفكر فيما سمعه من امر هذا الرجل ومن أمر ما قام به ، وفيما يمكن أن ينشأ عنه ، وأدى به هذا الى معاودة التفكير فى دفع المسلمين الى عمل خارجى كيما ينصرفوا عن ثاراتهم الاولى وثورتهم بسلطان المدينة .

أفلا يستطيع هذا المثنى أن يفتح للمسلمين هذا المجال الجديد بتوغله فى العراق . فقبائل العرب فى العراق من لخم وتغلب واياد والنمر وبنى شيبان تهوى نفوسهم الى منابتهم فى شبه الجزيرة ، وعلاقتهم بها واتصالهم بأحداثها لم تضعف ، فان من العراق انحدرت سجاح بجموعها من تغلب وغيرها الى شبه الجزيرة تعلن نبوتها فى بنى تميم وتسير الى بنى حنيفة ، ثم تفكر فى أن تسير الى المدينة ، ومعنى هذا ان هذه القبائل تتجه بتفكيرها الى أصولها فى أرض شبه الجزيرة العربية وترتبط معها بمصيرها . ثم ان هذه القبائل العربية جربت حكما عربيا مستقلا فى الحيرة ، وحين اعتدت فارس على ملك الحيرة النعمان بن المنذر وغدرت به غضبت له قبائل العرب هذه وقاتلت الفرس وعمـالهم وقد تولى بنو شيبان قوم المثنى هـذا كبر ذلك اليوم وعبء هذه الحرب وانتصروا على الفرس فى يوم ذى قار ، وهم حين انتصروا تغنى بنصرهم شعراء العرب فى كافة أنحاء الجزيرة العربية . وها هو المثنى بن حارثة الشيبانى يقود قواته ضد الفرس متصلا بالعرب ، مندفعا بسابق التجربة فى قتال الفرس والجراة عليهم .

لعل البدء بتوجيه سياسة المسلمين الى هذه الناحية يكون أجدى من كل توجيه آخر ، ولعل المثنى الشيبانى خير طليعة لتنفيذ هذه السياسة . ومما شجع أبو بكر على هذا الاتجاه ما يعلمه من أمر فارس صاحبة السلطان فى العراق . لقد انتصر الروم على الفرس قبيل وفاة النبى ، واستطاع هرقل قيصر الروم أن يحطم جيوشهم عند نينوى ودستجرد ، وأن يتقدم حتى يقف بقواته على أبواب عاصمتهم المدائن . وقد بلغ من ضعف سلطان الفرس ان تخلصت اليمن من حكمهم بسهولة ، بل ان عاملهم باذان انضم الى النبى وأعلن اسلامه ، ثم لم يحرك الفرس ساكنا لاسترداد اليمن او لمعاقبة باذان . ومن بعد ذلك تقلص سلطانهم من البحرين ومن جميع الامارات الواقعة على الخليج الفارسى وعلى خليج عدن ، ولم يفكر احد من ملوكهم فى استرداد شىء من هذا كله .

وكيف لهم ان يفكروا فى استرداد سلطانهم على هذه الأطراف والاضطراب الداخلى ضارب بجرانه فى بلاطهم ؟ يسعى كل أمير فى بيت الملك ليقتل الجالس على العرش فيأخذ مكانه ، حتى لقد تبادل هذا العرش تسعة من الأمراء فى مدى اربع سنين كانوا يقتتلون عليه فيقتل بعضهم بعضا ، حتى ليجلس أحدهم على العرش يوما واحدا ثم يقتل ليحل محله غيره ، ثم يصبح أمر الدولة فى يد أصحاب الأحزاب من أمراء الاجناد . لا عجب اذن ان يستهين المثنى بامر الفرس فيتحداهم ، ثم لا عجب ان ينشط تفكير أبى بكر فى العراق وفتحه .

اقبل المثنى الى المدينة ، وقابل الخليفة واعلمه من انبائه ما زاده اطمئنانا الى ان البدء بفتح العراق قريب النجاح وأنه لن يلقى مقاومة كبيرة ، فان القبائل العربية التى استقرت بدلتا النهرين وبوادى الفرات يقومون بزراعة الارض لكن الدهاقين من الفرس يستولون على غلتها ، ولا ينال أولئك العرب منها الا القليل الذى يجود به عليهم هؤلاء الدهاقين ، فهؤلاء العرب وان استقروا بأرض العـراق فانهم ولا ريب يستجيبون لكل دعوة عربية ، فان معاملة دهاقين الفرس لهم تمدهم للثورة بهم . وقد أحسن هؤلاء العرب السماع لحديث المثنى

وتفاهموا معه ، فالفرصة اذن سانحة لضم هؤلاء العرب وفتح ميدان جديد للنشاط العربى ، ولتامين حدود شبه الجزيرة من دسائس الفرس وعدوانهم ، والواقع أن كلمة الحدود هنا لا تعبر عن معنى حقيقى فان الحدود لم تكن واضحة من الناحية السياسية فانه لم تكن للعرب دولة سياسية قبل الاسلام تخطط حدودها السياسية بينها وبين الفرس ، وكلّ ما هنالك ان منطقة الجزيرة العربية كانت تمتد بعيدا عن نفوذ الدول الكبرى تبعا لموانعها الطبيعية ولقوة سلطان القبائل بها . واما الحدود الطبيعية ، فانه يجب أن تمتد فى الحقيقة الى ما بعد سهول وادى الرافدين الى حيث الجبال الفاصلة بين ايران والعراق . ومن ثم فكلمة حدود هنا لا تعنى حقيقة مستقرة ، وكان التداخل قويا بين سهول العراق والبادية العربية وكان السكان مزيجا من الفرس والعرب ، بل ان معظم السكان فى وادى الفرات كان من العرب ، وكانت مملكة الحيرة تسيطر على جزء كبير من هذه الجهة وقد امتد نفوذ الحيرة حتى بنى النعمان بن المنذر مدينة النعمانية بقرب المدائن عاصمة الفرس .

لقد راى ابو بكر الصدق فيما يذكره المثنى ، وراى أن من الواجب على المسلمين أن يقوموا بتامين العرب فى هذه الجهات ، فاذا استجاب هؤلاء العرب للدعوة الاسلامية ولم يصرفهم الفرس عنها فذاك ، وان تصدى الفرس للأمر قاتل المسلمون الفرس ليكون الميدان لحرية الرأى فسيحا ، وكلمة الحق منتصرة لا محالة بالحجة والموعظة الحسنة .

وعقد أبو بكر مجلسا من أهل الراى من اصحابه وعرض عليهم ما جاء به المثنى من انباء ، وما طلبه من ابى بكر حين قال له « أمرنى على من قبلى من قومى أقاتلْ من يلينى من أهل فارس وأكفك ناحيتى » . وتداولْ القوم الأمر فيما بينهم ، فرأوا أن لا بد من مشورة خالد ليكشف لهم عما يجب أن يفعل لو قاوم أهل فارس المسلمين ، وخالد بن الوليد كان قد وصل الى الذروة فى ذلك الوقت من الشهرة وعبقرية القيادة وخبرتها وكان لا يزال مقيما باليمامة بعد انتصاره على مسيلمة وبنى حنيفة فى موقعة عقرباء ، فاستدعاه الخليفة سريعا فحضر على عجل . وحين عرض الامر عليه اشار الى ما قد يترتب من نتائج على مقاومة الفرس لجيش المثنى فقد يدعوهم انتصارهم - لو قدر لهم الانتصار - الى التفكير فى استرداد نفوذهم فى البحرين وماجاورها فاما ان أعد الخليفة للحرب عدتها واعتبر ما قام به المثنى طليعة فتح يلقى اليها المسلمون بكل قوتهم وافلاذ أكبادهم فلا ريب عنده فى أن العراق سيفتح أبوابه وفى أن العرب المقيمين به سيكونون من عوامل النصر لبنى جنسهم .

على ذلك استقر الرأى عند أولى الامر ، وأمر ابو بكر المثنى على من معه واصدر اليه امره ان يتابع ما بداه بين العرب من عهد ودعوة الى سبيل الحق ، فكان هذا هو الخطوة الأولى فى فتح العراق .

أما الخطوة التالية فكانت تامير خالد بن الوليد على جيوش الفتح ، وتوجيهه الى العراق .

وفعال خالد فى العراق وانتصاراته على الفرس ، ستكون حديثا فى المقال اللاحق ان شاء الله .

فى ذكرى

هى صفحة ناصعة لبطولة صادقة اصيلة تتحدث عن نفسها بغير حاجة الى تعمق فى درسها أو مبالغة فى وصفها لأننا لانكاد نقرأ سيرة من سيرها الكثيرة حتى تؤخذ نفوسنا بما ركب الله فى هذه النفس من الايمان ومافطرها عليه من المجادة والايثار ، وما اقتدرت عليه من جهاد فى سبيل مجد الاسلام ولا نكاد نمضى فى صحبتها حتى يدركنا العجب اذ تتمثل هذه البطولة الفذة فى بيتى الشاعر المتنبى :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد الا السيف والفتكةالبكر

وتركك فى الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر

حياة كانت ناعمة مترفة غايتها القصوى التمتع بمفاتنها من زق وقينة وقنص ، هى حياة من مهد له بلوغ أمر أسرته سنام الشرف وذروة الجاه ، مايريد من متاع الدنيا فلا يرى الا مقبلا عليها ثم تتلوها حياة السامين نحو فيض النور الذى انبثق من « ابن عبد الله » مبشرا بالحقيقة الخالدة التى تنكبها الضالون وأخفاها المضلون تحت ستار الشهوات والطغيان ..

حياة مزقت تلك السجف الغلاظ التى رانت على قلوب عباد الشهوات وأحلاس المنكرات .. فلا ترى المجد الا فى صراع دون الحق يفيض ثباتا وفى اعتزاز يفيض ايمانا ، وحرب هى نزال الابطال وضرب لا يثبت له غير الرجال فاذا بصاحبها يترك فى مسمع الزمان دويا لا بما خاض من معارك أو عقد للوائه من انتصار ولكن

سيد الشهداء

الأستاذ على الجمبلاطى

للمعانى السوامى التى قصد اليها من وراء هذه المعارك وتلك الانتصارات من دفاع عن دين خالد وعقيدة علوية استطاعت بجهاد أبنائها الذين ثبتوا لها ثبوت الأطواد أن تتوج بأكاليل النصر وتؤكد للبشرية كريم اسهامها فى بناء صرح الحضارة الانسانية ::

وأخيرا كان الدوى الخالد فى سمع الدنيا يوم كتب صاحب هذه البطولة أروع صحيفة من صحائف الاستشهاد ولكن كتب الله له فيها الحياة فقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب » :: كان ذلك الاستشهاد الكريم يوم اصطفى الله الى جواره « حمزة عم رسول الله عليه الصلاة والسلام » وهو فى ذروة مجده فاستشهد يوم السبت لنصف شوال من السنة الثالثة للهجرة عام «٦٢٥» بعد أن قتل واحدا وثلاثين مشركا ودفن عند «أحد» فى موضع أستشهاده وكان عمره تسعا وخمسين سنة .

كان ذلك منذ ألف وثلثمائة وثمانين سنة بعد ان انقضى « يوم بدر » بنصر حافل للاسلام واهله ودخل فى دور التوسع وانصرف من بقى من المشركين الى مكة ، وهم يشعرون أن يوم قريش قد دنا وأن جماعته فيها اسود من طراز « حمزة وعلى » لن تغلب على امرها أبدا ، وقد ناحت قريش على قتلاها شهرا وجزت النساء شعورهن ثم اتفق جمعهم على عدم الاسترسال فى الجزع لئلا يشمت بهم المسلمون الا « هند بنت عتبة » فقد ملأت الدنيا أسى وحسرة على أبيها وعمها وأخيها وهاهى ذى تشهد سوق عكاظ وتنشد هذه الأبيات ردا على الخنساء :

ابكى عميد الابطحين كليهما
وحاميهما من كل باغ يريدها

ابى « عتبة » الخيرات ويحك فاعلمى
و « شيبة » والحامى الذمار « وليدها »

اولئك آل المجد من آل غالب
وفى العز منها حين ينمو عديدها

ويتجلد رجال قريش ونساؤهم تجلدا يبعث على العجب وظلوا على مضض يجالدون الألم ويمنون النفس بالثأر القريب ، وذلت القبيلة العزيزة بأسرها ذلا لم يكن ليخطر لأحد من رجالها على بال حتى مات بعضها كمدا وحسرة وقد عرفوا نفرا من المسلمين ممن ابلوا البلاء العظيم « يوم بدر » فجعلوا يترصدون بهم الأيام ولم يبلغ حقدهم على أحد مبلغه على « حمزة أسد الله واسد رسوله » بطل بدر الذى فعل بقريش ورجالها الأفاعيل كما قال امية بن خلف ::

وجعلت قريش تستعد ليوم تبلغ فيه ثأرها وجعل رجالها يمشى بعضهم الى بعض يدبرون لهذا الأمر عدته وجمعوا أموالا جسيمة حتى لم يعد أحد منهم – رجلا كان او امرأة – الا اسهم فى العدة بنفسه أو بماله وخرج رجالهم وكماتهم وخلفهم الظغائن يشددن أزورهم ويحرضنهم على القتال ثأرا لمن لقى مصرعه فى « بدر » من أزواجهن أو أبنائهن او اخوتهن :: وكانت « هند بنت عتبة » اشد نساء قريش دعوة لهذا الثأر اذ لقى أبوها واخواها مصرعهم فى بدر ، وكان حقدها مؤججا على « حمزة » قاتل أخويها ، واستصحب اهل مكة من قدروا عليهم من أوليائهم من قبائل كنانة وتهامة ورصدوا بعضهم لقتل « حمزة » فلو قال قائل : ان نصف من خرج من المشركين كان يطلب ثأرا عند هذا البطل مابالغ ولذا احاطت به الأرصاد من كل ناحية .

ثم كان يوم « أحد » فى شوال سنة ثلاث هجرية وكان أبو سفيان بن حرب قائد المشركين وكان عددهم ثلاثة آلاف فيهم سبع عشرة امرأة معهن الدفوف يبكين قتلى « بدر » يحمسن بذلك المشركين وقد كان فيهن « هند بنت عتبة » التى وقفت تحرض قريشا على القتال بقولها :

نحن بنات طارق
نمشى على النمارق

مشى القطا البوارق
والمسك فى المفارق

والدر فى المخانق
ان تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق

فراق غير وامق

ثم كان ماوقع فى يوم « أحد » من مخالفة رماة المسلمين لما قرره الرسول الأمين ورجاله من خطة للمعركة :: وكان مجموع الذين خرجوا للقتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة مسلم وكان خمسون رجلا منهم يرمون بالنبل يقودهم « عبد الله بن جبير » وقد وضعهم الرسول صلوات الله عليه فى مخرم من مخارم « جبل احد » ليحموا ظهور المسلمين من ان يفاجئهم المشركون من خلف ::

وقد كان « حمزة » سيفا من سيوف الله لا يلقى مشركا الا صرعه ومضى على عهده يضرب بسيفه يمنة ويسرة والعيون له رصد وكل مشرك موتور يتسقط اللحظة التى يغتاله فيها وكان « جبير بن مطعم » قد دعا غلامه الحبشى « وحشيا » وكان عبدا يجيد رمى الحربة الطويلة قلما يخطىء بها - وقال له : اخرج مع الناس فان أنت قتلت « حمزة عم محمد » بعمى « طعيمة بن عدى » فانت حر لأن حمزة هو قاتل « طعيمة » يوم بدر .. وخرجت قريش بحدها وحديدها وجدها وأحابيشها ومن والاها من بنى كنانة وأهل تهامة ومعهم النساء التماس الحفيظة وألا يفروا .. وكانت هند بنت عتبة التى خرجت مع زوجها « أبى سفيان بن حرب » كلما مرت بالعبد الحبشى « وحشى » أو مر بها قالت له :- « ويها أبا دسمه اشف واشتف » تحرضه على قتل حمزة لأن قريشا بجمعها عرفوا أنهم لن ينالوا منه منالا اذا ماواجهوه فى قتال .. اذن فليقتلوه غيلة .

ولم يكد « حمزة » يفرغ من « سباع بن عبد العزى » حتى أمكنت العبد الحبشى الفرصة فصوب حربته نحوه وفى ذلك يقول « وحشى » فى مقتل « حمزة رضى الله عنه » : « والله انى لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه ثائر الراس مايلقى شىء يمر به مثل الجمل الأورق اذ قد تقدمنى أليه « سباع » وهو يقول : الا من مبارز فقال له حمزة « هلم يابن ... » وكانت أم « سباع » هذه ختانة بمكة ثم ضربه ضربة هائلة قتلته ... وكنت كامنا تحت صخرة لا يرانى حمزة ... وهززت حربتى حتى اذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته « أسفل البطن » حتى خرجت من بين رجليه فنهض متثاقلا نحوى فغلب فوقع وتركته واياها حتى مات ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت الى المعسكر فقعدت فيه ولم يكن لى بغير « حمزة » حاجة وكان ذلك آخر العهد به اذ أن الحربة كانت قد تمكنت منه وسال دمه فلم يلبث أن تعثر ووقع على الأرض وأسلم روحه » .

وخرجت « هند بنت عتبة » تبحث عن قاتل أخويها . حتى اذا عثرت على جثمان « حمزة » الطاهر مثلت به شر تمثيل ، وذلك حين أقبلت مع النسوة اللاتى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام يقطعن الآذان والأنوف حتى اتخذت « هند » من آذان الرجال وأنوفهم خلاخل وقلائد وأعطت هند خلاخلها وقلائدها وقرطها « وحشيا » قاتل « حمزة رضى الله عنه » ثم بقرت عن كبد « سيد الشهداء » فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها تقول :

نحن جزيناكم بيـــوم « بدر »
والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن « عتبة » لى م‍ صبر
ولا أخى وعمـــه وبـــكرى

شـــفيت نفسى وقضيت نذرى
شفيت « وحشى » غليل صدرى

فشـــكر « وحشى » على عمرى
حتى ترم أعظمى فى قبـــرى

وكانت « هند » قد نذرت أن تمثل بحمزة رضى الله عنه وأن تستشفى من سخيمتها بأكل كبده اذا قتل .. وأمكنها الله منه ، فلما أتاح لها « وحشى » هذا قامت بهذه الوحشية البغيضة وفاء بنذرها وتخفيفا لسعار الحزن فى فؤادها وعادت تقول :

شفيت من « حمزة » نفسى « بأحد »
حـــين بقرت بطنـــه عن الـــكبد

ذهب عنى ذاك ما كنت أجـــد
من لذعـــة الحزن الشديد المعتمـــد

وقد بلغ الحزن برسول الله على عمه « حمزة » مداه - وهو الذى لاقى فى سبيل دعوته الآلاقى وتحمل ألوانا هائلات من العذاب من عباد الطاغوت فما حزن ولا اغتم - فقال فى أسى بالغ « لن أصاب بمثلك أبدا وما وقفت موقفا قط أغيظ الى من هذا » ثم يعود عليه الصلاة والسلام فيقول « جاءنى جبريل فاخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله ورسوله » .

هذا هو حمزة الذى وقف مع أصحـــابه من الأوس والخزرج يشيرون على رسول الله صلى الله عليـــه وسلم حين كره الخروج الى احد للقتال - توجسا من رؤيا رآها - فقالوا له « اننا نخشى يارسول الله أن يظن بنا اعداؤنا انا كرهنا الخروج اليهم جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا وقد كنت - يوم بدر - فى ثلثمائة رجل فأظفرك الله عليهم ونحن اليوم بشر كثير قد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به وقد ساقه الله الينا فى ساحتنا » .

ووقف « حمزة » البطل الباسل وكان صائمـــا يوم الجمعة ثم قال لرسول الله : « والله الذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى » .

وخرج حمزة يوم السبت صائما ومات وهو صائم ، وكان قد خرج الى يوم « أحد » ليعقد للاسلام مجدا جديدا ولكن الموت كان فى آثاره ورفعته الملائـــكة الى السماء صائما من الدنيا كلها ... أجل رفعت الملائكة « حمزة » الى السماء وانتهت مع صولة الأسد تـــلك الأصوات التى كان يلقيها مملوءة بآيات التوحيد فتفزع أمامه الحجاج وتنهار أمام عينيه حجب الزمان والمـــكان وأخيرا وقف المسلمون يبكونه أعظم البكاء وحسبنا مما نظم فى مراثيه ما أنشدته أخته « صفية » تبكيه به من شعر رائع حزين :

أسائلة أصحاب « أحد » مخـــافة
بنـــات أبى من أعجـــم وخبير

فقال خبير ان « حمزة » قد ثوى
وزير رســـــول الله خير وزير

دعاه اله الحق ذو العرش دعوة
الى جنة يحيـــا بها وســـرور

فذلك ماكنـــــا نرجى ونرتجى
« لحمزة » يوم الحشر خير مصير

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
بـــكاء وحزنا محضرى ومسيرى

على « أسد الله » الذى كان مدرها
يذود عن الاســـلام كل كفـــور

فياليت سـلوى عند ذاك وأعظمى
لدى أضبع تعتادنى ونســـــور

اقول وقد أعلى النعى عشـــيرتى
جزى الله خيرا من أخ ونصـــير

دول إسلامية فى أفريقيا

بقلم

الأستاذ عبده بدوى

التوكولوريون

يعتبر « التوكوريون » امتدادا لهؤلاء المرابطين الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن المناطق الضعيفة فى الاسلام ، ولنشر العقيدة الاسلامية فى الوقت نفسه ، ثم أخيرا « رد الفعل » للتقدم الاوربى فى البلاد التى كانت « المسيحية » قسمة من قسماته العديدة .

ذلك لان الانوار كانت تنطفى فى اكثر الدول الاسلامية وكان المسلمون يتلفتون حولهم فلا يجدون القوة المادية التى يمكن بها أن يتحركوا وسط القبائل الوثنية ، وفى مواجهة التسلل الاوربى الذى كان يطرق البلاد بوساطة الطرق المائية التى تلفها .

وفى ضوء هذا وفى أوائل القرن التاسع عشر - لم يكن احد يتكلم باسم الاسلام الرسمى فى افريقية غير الطرق الصوفية ، ولقد كان فى مقدمة هذه الطرق الطريقة القادرية التى كان العراق مولدها فى القرن الحادى عشر الميلادى ، والطريقة التجانية التى نشأت فى الشمال الافريقى فى القرن الثامن عشر ، ولقدوقفت كل هذه الطرق عند المظاهر الخارجية للاسلام ، بل لقد تحولت فى نهاية الامر الى نوع من الذكر ، وادعاء الخوارق ، والسعى الى المنافسة بين بعضها بعضا ، واتخاذ نوع من الشعارات كالسبح والهتافات بحيث يميزها دائما عن الطرق الاخرى .

وقد ظل هذا الصراع مستمرا الى ان ظهر « الحاج عمر بن ادريس » من البيت الحاكم فى فوتا ، والقى بثقله فى المعركة ، ولقد هيأته الظروف الى أن يقوم بهذه الرسالة ، فقد كان أبوه من « المرابطين » ثم كان عليه ان يخرج من بلاده ثم يصل الى مصر عام ١٨٢٠ ، وفى مصر يتردد على الازهر ، ويستمع الى شيوخه ، ثم يواصل الرحلة الى مكة ، وفى مكة لايحبس نفسه فى مكان وانما نراه يطوف هنا وهناك ، ويلمس بنفسه « الغليان الدينى » الذى كانت تقوم به الوهابية .

وفى مكة يتأمل حال الاسلام فى بلاده ، ويتحدث فى هذا الشأن مع العلماء ، وفى لحظة من لحظات وضوح الرؤية يرى أنه لايستطيع تحريك الاسلام فى بلاده الا فى اطار قوة من القوى الصوفية هناك ، وفى هذا الوقت نراه يتعرف على احد دعاة القادرية فى مكة ، وحين يلمس منه هذا يبايع كمسئول عن الطريقة فى « غرب السودان »

وحين يعود الى بلاده ينسلك فترة فى اصداء دعوة عثمان بن فوديو ، ولكنه حين يرى التهاويل التى تنشرها الطرق الصوفية ، يصمم على أن يضعها فى اطار جديد محدد ، ومن هنا نراه يؤسس « رباطا » فى « فوتوجالون »

بحيث لم يمض وقت طويل حتى كانت تتردد فيه نبضات العبادة ، وأصوات التجارة ، بالاضافة الى صوت اخر هو صوت الاسلحة التى كانت تشترى من الاوربيين .

وحين استوثق من نفسه نزل يحدث الناس الى اتباعه . وان عليهم واجب نشر الدعوة فى القبائل الوثنية ، وحين لايلقى اصداء حقيقية لصوته ، يسارع مع مريديه بالذهاب الى مكان محصن ، وفى « دنكراى » يقيم قلعة حصينة ، ثم من هذه القلعة يعلن الجهاد على الوثنية ، وعلى التواكل وكافة البدع التى تحكم حياة الناس

وفى فترة قصيرة نراه يتحرك بسرعة فى عـدة اتجاهات فى عدة مناطق مما استقر الامر على تسميتها الان باسم غينيا ، وجابون ، وشمال النيجر ووسطه . وبما اصطلح على تسميته بامبراطورية « التوكولور » التى كانت تغطى تلك المنطقة الشاسعة من « فوتان » الى « تمبكتو » .

ولقد كان فى مخطط فتح بلاد السنغال الان انه اصطدم بالجيش الفرنسى بقيادة الجنرال « فيدرب » .

ولقد كان يمكن لهذه القوة أن تعرقل التقدم الفرنسى فى غرب القارة ، ولكن بعض الامارات عملت على التخلص من حكمه ، ثم كانت عملية الصراع الخفية التى لا تهدأ بين ممثل الطريقة القادرية ، والتى كان يمثلها « البيل » فقد نقموا على « الحاج عمر بن ادريس » انتصاراته . ولم ينسوا له انه شل نفوذ طريقتهم بما انتشر بين الناس بانها طريقة سلبية لاتتحمل اعباء الجهاد ، وأن المشرفين عليها جهلة ومتجمدون . ولا يفهمون من الدين الا انه اذكار وأدعية .

ولقد استمر هذا الصراع قويا بحيث تفتتت من أثـره هذه الامبراطورية الكبيرة ، وبحيث راح ضحيتها فى الوقت نفسه « الحاج عمر بن ادريس » ، فقد ناوشـه « البيل » ، ثم الجاوه الى مغارة من المغـارات ، وحين استقر فيها اشعلوا نارا فى مدخلها ، وقد استمر اشعال النار حتى مات هذا المجاهد داخلها مختنقا .

فاذا أضفنا الى ذلك ان اولاده الذين كانوا يحكمون الولايات كانوا منقسمين على انفسهم ، وكانوا مشغولين عن المحكومين بالصراع بين بعضهم بعضا ، اذا اضفنا ذلك وعرفنا ان فرنسا اخذت تتقدم خطوات جدية الى البلاد فى عام ١٨٩١ ، وأن « احمد بن الحاج عمر » كان قد أخذ يتصدى لهم بغير رصيد من التفاف الشعب حوله ، وبعدة قطاعات متفرقة ، ادركنا ان هـذه الامبراطورية الكبيرة قد أصبحت تماما فى حـوزة فرنسا عام ١٨٩٨

الا ان مايذكر لهذه الامبراطورية انها نشرت الاسلام فى مناطق جديدة فى الغرب الافريقى ، وانها لم تسلم البلاد لفرنسا الا وهى مغموسة بالدم ، ثم اخيرا انها كانت الوجه المسلح الحقيقى لاحـدى الطرق الصوفية ، وهى الطريقة القادرية .

عبد الناصر صانع السلام

فى مؤتمر القمة الأفريقى .. فى الدار البيضاء

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان العوبة الاستعمار قد انهارت بهذا المؤتمر فى تقسيم القارة ودمجها بالصحراء الافريقية الكبرى الى افريقيا غربية بالشمال ، والى افريقيا سوداء فى الغرب والجنوب ، وتأكد فى هذا الاجتماع أن الصحراء الكبرى كانت جسرا ولم تكن فاصلا ..

لقد كان من أبرز معالم مؤتمرنا أن تبدت ارادة العمل الأفريقى ظاهرة ، ارادة شخصية افريقية مستقلة ،ارادة افريقية واقعية موجهة ، ترسى دعائم مكاسب مؤتمرنا ، كما أن أهم واجباتنا بعده هو أن نصون هذه الارادة ، ارادة العمل الافريقى بأن نفتح الطريق لها » .

« جمال عبد الناصر »

وجه الملك الراحل محمد الخامس ، ملك المغرب الدعوة لبعض زعماء الدول الافريقية لعقد اجتماع فى الدار البيضاء فى المدة مابين ٣و٧ يناير سنة ١٩٦١لبحث الموقف فى الكونغو . وقد وجهت الدعوة الى رؤساء كل من الجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا وليبيريا ونيجيريا والهند واندونيسيا وسيلا ومالى والسودان واثيوبيا وحكومة الجزائر المؤقتة ، كما وجهت الدعوة الى توجو والصومال وحكومة لومومبا الشرعية لارسال مراقبين .

وقد حضر جلسات المؤتمر كل من الملك محمد الخامس وجمال عبد الناصر والدكتور نكروما والسيد احمد تورى والسيد موديبو كيتا والسيد فرحات عباس - رئيس حكومة الجزائر المؤقتة وقتئذ - ووزير خارجية ليبيا وسفير سيلان فى الجمهورية العربية المتحدة .

كما حضر الى الدار البيضاء أثناء انعقاد المؤتمر ، وليكون على مقربة منه ، وفد من اقليم رواندا أوراندى وآخر ممثلا لحكومة لومومبا الشرعية فى ستانلى فيل ، وقد اعتذر عن حضور المؤتمر كل من ليبيريا ونيجيريا والهند واندونيسيا والسودان وأثيوبيا .

كان هذا المؤتمر دعامة جديدة من دعامات السلام فى سبيل المعايشة السلمية على طريق وحدة الشعوب الأفريقية التى أعلن مولدها باعلان ميثاق القمة الافريقى فى مؤتمر القمة الذى انعقد فى أديس ابابا فى مايو سنة ١٩٦٣ .

ولم يقل دور عبد الناصر فى هذا المؤتمر عن اى من المؤتمرات الأخرى التى تم انعقادها قبل هذا المؤتمر .. كان دائما .. وسيكون دعامة قوية وحجر اساس لنجاح مؤتمرات السلام .. وتتضح أهمية مؤتمر الدار البيضاء من قول الرئيس عبد الناصر عنه :

« ان هذا المؤتمر انما هو بداية لها قيمتها فى عام نضال مرير خطير من أجل تدعيم الحرية وتعميق جذورها فى افريقيا ، سواء بحمل أعلام الاستقلال الى الشعوب التى أمسكت بها وانطلقت الى الأهداف التالية فى كفاحها وأكبرها وأهمها عملية التطور الاقتصادى والاجتماعى لتكون النتيجة .. ذلك المواطن الافريقى الحر الذى نتمناه جميعا » .

أسباب انعقاد المؤتمر :

أولا – كان انعقاد هذا المؤتمر ضروريا لتوثيق العلاقات بين دول عدم الانحياز الافريقية ومواجهة أخطار الاستعمار التى تهدد الدول الحديثة الاستقلال فى افريقيا .

ثانيا – تثبيت الاستقلال للدول الافريقية التى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ وعددها ١٧ دولة افريقية .

ثالثا – مشكلة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا

رابعا – مطالبة شعوب « اتحاد وسط افريقيا » بحل هذا الاتحاد واعلان الاستقلال .

خامسا – معالجة المسائل المتصلة بوضع دول عدم الانحياز وقضايا التحرر والسلام العالمى .

سادسا – بحث مشكلة الكونغو

سابعا – استمرار فرنسا فى تفجير قنابلها الذرية فى صحراء الجزائر ومحاولة وضع حد لهذه التفجيرات

القضايا التى بحثها المؤتمر :

١ – قضية الجزائر :

أعلن المؤتمر تصميمه على مساندة شعب الجزائر وحكومته المؤقتة بكافة الوسائل ودعا جميع الدول التى تساند شعب الجزائر الى العمل على زيادة مساعداتها السياسية والديبلوماسية والمادية ، كما استنكر المؤتمر مساعدة حلف الأطلنطى لفرنسا فى حربها ضد الجزائر ودعا جميع الدول الى منع استخدام اراضيها بصفة مباشرة أو غير مباشرة فى العمليات الموجهة ضد شعب الجزائر واعتبر أن كل مساعدة تقدم الى فرنسا فى حربها فى الجزائر عملا عدوانيا تجاه افريقيا بأسرها ودعا أيضا جميع الحكومات الى الاعتراف بحكومة الجزائر .. وتضمنت قرارات المؤتمر فى هذه القضية الموافقة على قبول المتطوعين الافريقيين وغيرهم فى جيش التحرير الجزائرى .

٢ – موريتانيا :

تدد المؤتمر بمحاولة فصل موريتانيا عن بلاد المغرب بغية تجزئة التراب الوطنى اضعافا لبعض الاقطار ، وتفريق كلمة أهلها رغبة منه فى استغلالها وتركيز نفوذه فيها .

٣ – فلسطين :

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن الجمهورية العربية المتحدة تواجه اسرائيل وتحمى البوابة الشرقية للقارة الافريقية وأن على دول افريقيا المتحررة أن تضع حدا للتوسع الصهيوني الاستعمارى فى القارة ، وبذلك طرحت مشكلة فلسطين فى أول مؤتمر لرؤساء الدول غير المنحازة فى افريقيا وأصبحت قضية فلسطين قضية افريقية لأول مرة .

وأصر المؤتمر على ضرورة ايجاد حل عادل لهذه القضية يتمشى وقرارات الأمم المتحدة وقرارات المؤتمر الاسيوى الافريقى الذى انعقد فى باندونج والتى نصت على ضرورة اعادة حقوق عرب فلسطين الشرعية كاملة

كما ندد المؤتمرون باسرائيل بوصفها اداة فى خدمة الاستعمار الغربى ، ليس فى الشرق الأوسط فقط بل وفى افريقيا وآسيا أيضا ، ولذلك دعا جميع دول هاتين القارتين الى مقاومة هذه السياسة الجديدة التى يستخدمها الاستعمار فى خلق القواعد له ، ونجح المؤتمر فعلا فى عزل اسرائيل عن المجال الاسيوى الافريقى ، وقد تولى شرح ذلك الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الذى ألقاه فى مجلس الأمة فى ٢٣ يناير سنة ١٩٦١ حين تعرض للحديث عن مؤتمر الدار البيضاء :

« اذا كان مؤتمر باندونج قد عزل اسرائيل عن المجال الاسيوى الافريقى .. فان مؤتمر الدار البيضاء جاء ليعزلها بشكل عملى عن افريقيا ... كانت اسرائيل تتصور أنها بعد صدمتها فى آسيا قادرة على التسلل بليل الى القارة السوداء .. فاذا مؤتمر الدار البيضاء يظهرها صراحة أمام نفسها وأمام أصحابها وصانعيها بصورتها الحقيقية التى وردت فى نص القرار الرسمى بشأنها « يلاحظ المؤتمر – باستنكار – أن اسرائيل دابت دائما على مناصرة الاستعمار كلما جرى بحث للمسائل الهامة المتعلقة بافريقيا ولاسيما الجزائر والكونغو والتجارب الذرية فى افريقيا » .

التجارب الذرية :

استنكر المؤتمر بشدة تواطؤ فرنسا مع اسرائيل بالنسبة للتجارب الذرية واجراء فرنسا لتجاربها الذرية فى الأراضى الافريقية ، فعارض بشدة ، استخدام هذه الأراضى لتحقيق السيطرة الاستعمارية ، ووجه المؤتمر نداء الى كافة الشعوب – وخاصة الافريقية منها والمهددة بصفة مباشرة – ببذل جميع المساعى لوقف هذه التجارب .

٥ – رواندا أوراندى :

استنكر المؤتمر محاولات بلجيكا لتقسيم هذا الاقليم الى دولتين مستقلتين استقلالا مزعوما ، وطالب بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة فى دورتها الخامسة عشرة الخاصة بمستقبل رواندا اوراندى – والتى تنص على ضمان وحدة البلاد الوطنية وسلامة اراضيها .

٦ – التفرقة العنصرية :

استنكر المؤتمر سياسة اتحاد جنوب افريقيا فى انتهاكها لقرارات الأمم المتحدة وانتهاكها حرمة الانسانية وكرامتها باتباع سياسة التمييز العنصرى وكذلك ندد المؤتمر بسياسة الدول الاستعمارية التى تناصر حكومة اتحاد جنوب افريقيا التى تتبع سياسة التفرقة العنصرية أو تؤيدها معنويا وسياسيا وعسكريا .

٧ – الكونغو :

بعد استعراض الأقطاب للحالة فى الكونغو ، أعلنوا تصميم حكوماتهم الممثلة فى المؤتمر على سحب جيوشها وموظفيها العسكريين الذين يعملون تحت قيادة الأمم المتحدة ، كما أكدوا اعترافهم بالبرلمان المنتخب وحكومة جمهورية الكونغو التى قامت بصورة شرعية فى الثلاثين من شهر يونيو سنة ١٩٦٠ وطالبوا بصيانة وحدة جمهورية الكونغو واستقلالها والمحافظة على سلامة اراضيها . وكذلك قرر المؤتمر انه اذا لم تتحقق الغايات والمبادىء التى انشئت من أجلها قيادة عسكرية للامم المتحدة فى جمهورية الكونغو فان الدول الممثلة به تحتفظ لنفسها بحق القيام بأى عمل تراه مناسبا .

ميثاق لافريقيا :

وقد اقترح – الملك الراحل – محمد الخامس عقد ميثاق من عشر نقاط بين جميع الدول الافريقية المحايدة يهدف الى التعاون ضد الاستعمار والتدخل الخارجى ، كما اقترح انشاء جمعية استشارية للدول الافريقية تتولى تنسيق القارة فى المستقبل .

والنقاط العشر التى تضمنها هذا الميثاق المقترح هى :

١ – تصفية النظم الاستعمارية عن طريق تحرير الأراضى التى لاتزال خاضعة للاستعمار فى القارة الافريقية .

٢ – القضاء على جميع أشكال الاضطهاد العنصرى فى افريقيا .

٣ – الكفاح ضد جميع اشكال الاستعمار القديم والحديث بجميع صوره التى يحاول التستر وراءها .

٤ – تقوية الدول الافريقية الحديثة الاستقلال والدفاع عنها ...

٥ ـ ايجاد وحدة افريقية .
٦ تأكيد عدم انحياز القارة الافريقية لأية كتلة من الكتل .
٧ ـ جلاء جميع قوات الاحتلال عن افريقيا .
٨ ـ منع اجراء التجارب الذرية فى القارة الافريقية
٩ ـ عدم التدخل الأجنبى فى شئون القارة الافريقية
١٠ ـ العمل من أجل تدعيم السلام العالمى .

وقد أسفر انعقاد المؤتمر عن وضع ميثاق افريقى يتضمن :

● انشاء قيادة افريقية « عليا » مشتركة تتالف من رؤساء أركان حرب القوات المسلحة للدول الاعضاء لضمان الدفاع الجماعى من افريقيا ضد أى عدوان عليها وللدفاع عن كل دولة على حدة .

● انشاء لجان لتوحيد سياسة الدول الافريقية وتنسيقها فى المجالات الاقتصادية .

● اقامة جمعية استشارية افريقية حالما تسمح الظروف بذلك .

هذا وقد أكد المؤتمر تمسكه بميثاق الامم المتحدة ومبادىء باندونج وقرر بالنسبة لقضية فلسطين مايلى :

● اعتبار فلسطين اداة للاستعمار الجديد فى افريقيا وآسيا والشرق الأوسط واستنكار تواطؤ اسرائيل مع فرنسا فى تجاربها الذرية .

● ضرورة ايجاد حل عادل لقضية فلسطين يتلاءم مع قرارات الامم المتحدة بما يكفل عودة الفلسطينيين العرب الى وطنهم السليب .

وأيد المؤتمر كذلك أى اجراء يتخذه المغرب لاستعادة حقوقه الشرعية فى موريتانيا وفرض عقوبات على حكومة جنوب افريقيا اذا لم تتخل عن سياسة التمييز العنصرى .

وكان رائعا ان يعلن عبد الناصر فى ختام المؤتمر أن الصحراء اصبحت جسرا ولم تعد فاصلا بين الدول الافريقية .

وهكذا تبلورت سياسة الدول غير المنحازة فى افريقيا واتحدت ارادتها فى العمل من اجل التحرر والسلام ووضعت أسس الوحدة الافريقية على أساس سليم .

انجازات المؤتمر :

لم يكد يمضى عام ونصف العام على توقيع ميثاق الدار البيضاء حتى تم الاتفاق على انشاء السوق الافريقية المشتركة بعد موافقة اللجنة السياسية على ذلك فى يونيو عام ١٩٦٢ ، وكذلك تم الاتفاق على أن يكون مقر القيادة العسكرية الافريقية العليا فى اكرا ، هذا فضلا عن الاتفاقيات التى وقعت قبل ذلك والخاصة بقيام مجلس الوحدة الاقتصادية الافريقية وانشاء الاتحاد الافريقى للمدفوعات والبنك الافريقى ومنظمة الطيران واتحاد البريد ، علاوة على اتفاقيات التعاون الفنى والثقافى والاقتصادى .

ويزيد من فاعلية وقوة دول الدار البيضاء استقلال الجزائر فى أول يوليو عام ١٩٦٢ وأن الاشتراكية قد اصبحت سياسة وشعارا لكل من الجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا ومالى والجزائر .

واخيرا قرار اللجنة السياسية لدول الميثاق بانعقاد مؤتمر يضم جميع الدول الافريقية فى اديس ابابا الذى تم انعقاده فعلا بعد ذلك فى المدة من ٢٢ مايو الى ٢٥ من الشهر نفسه عام ١٩٦٣ فى عاصمة الحبشة وحضره رؤساء عدد كبير من الدول الافريقية يمثلون مائتين وخمسون مليونا من البشر لبحث شئون الشعوب الافريقية والعمل على حل مشاكلها .. ولكن هذا حديث آخر ، نلتقى فيه بكم فى العدد القادم ان شاء الله .

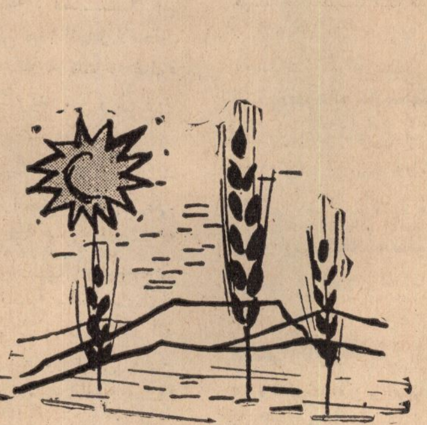

قصة يوسف المصرية

بين القرآن الكريم وبين كتب العهد القديم

الاستاذ بهاء الدين القبانى

لعل كتاب العهد القديم قد أسهم بجمل مستطيلة .. وحوادث مستفيضة فى الكشف عن قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ .. والذى يبدو واضحا خلال تلك الجمل المستطيلة .. وأثناء الحوادث المستفيضة تلك .. انه يمكن حذف فقرات بأكملها منها .. واسقاط حوادث تكررت مشاهدها فى عدة أساليب لا ترقى بأية حال الى مرتبة العربية الدارجة .. ولن أتعرض هنا لقواعد النحو والصرف وتطبيقها على أحداث القصة الخالدة .. والا لاتهمت مترجمى الكتاب بتشجيعهم على الانسلاخ كلية من العربية الصحيحة .

وقد نسمع عذرا بأن الكتاب انما ترجم بهذه الطريقة القريبة من العامية ليقرأها العامة ، ويستمتع بها العامة ، فضلا عن المثقفين والمتعلمين .. ولكن هذا العذر لاتخفى قداحته .. ونستبين فى وجهه كدوحا غائرة .. وهو لا شك ذاهب كالزبد .. وكل زبد يذهب جفاء .

والذين قاموا على ترجمة كتاب العهد القديم ـ وما كتاب العهد الجديد بخارج على القاعدة ـ من لغاته الأصلية وهى العبرية والكلدانية واليونانية الى احدى اللغات الاخرى كالانجليزية والفرنسية والعربية قد حالفهم جانب من الصواب فى بعض فقراته وحوادثها .. بينما نراهم قد علقوا فى الخارج امانة الترجمة كالقبعات والمعاطف قبل الدخول الى محراب الترجمة المقدس فى كثير من المواضع .. واستطيع أن ارجع سبب اخلالهم هذا الى أن القائم على الترجمة سواء أكان مجموعة أم فردا عند قيامه بالترجمة من اللغة العبرية الى الانجليزية مثلا .. غابت عنه بعض المعانى لقصور فى ادراكه لمعانى بعضها ، فهو يدور حول المعنى الحقيقى ويقترب منه اقتراب الارض من الشمس .. !! واقبل من ترجمه من الانجليزية الى الفرنسية مثلا فاخذ يضيف ألوانا أخرى من التشويش فى تغيير وتبديل قاصرين .. حتى اذا جاء المترجم من الفرنسية مثلا الى العربية نراه يبلغ مبلغا من التحريف أشد .. فيضيف الى فقرات ترجمته من عندياته ما يراه كفيلا باستقامة المعنى دون ضابط لتصرفه .. أو مستقص للحقيقة من أجل الحقيقة .. فيشرح ويطنب ظنا منه أن كل ما يضيفه سيخلد .. وتتداوله الناس فى جميع البقاع وهذا شرف له عظيم .. **وهكذا تمر عملية التحريف هذه كالاشاعة من فم الى فم .. ومن اذن الى اذن لتخرج لنا فى النهاية ـ ان كانت هناك نهاية ـ بحوادث وأعاجيب هى ابعد ما تكون عن حقيقتها .. والبقية تاتى .. مما يحدونى أن أطالب بتكوين لجنة خاصة متفرعة قوامها أفراد من العلماء المدققين من كل دولة تجتمع بقصد الترجمة المضبوطة لكتب العهد القديم والجديد على السواء لتنشر على متبعى هذه الكتب « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل، وما أنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ومن**

تحت أرجلهم ، منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » .

« وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئـــك هم الفاسقون » . وانا واثق من ان اللجنة سالفة الذكر ستخرج لنا فى النهاية باكتشاف ينير الطريق أمام الذين يتظاهرون باتباع تلك الكتب على حالتها الراهنة .. فتسدى خدمة انسانية كبرى لا شك أنها ستحدث انقلابا عنيفا تتجدد فيه مراحل ظهور الاسلام الأولى !!.

وامامنا الآن قصة يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ كما جاءت فى سفر التكوين ابتداء من الاصحاح السابع والثلاثين حتى نهاية اصحاحاته فى الخمسين .. والقصة تختلف اختلافا جوهريا عن تلك التى جاءت فى القرآن الكريم .. فهى فى القرآن قصة لها كل مقومات القصة الطويلة من مجموعة من الحوادث مرتبة ترتيبا منطقيا .. لا ينتقل القارىء من حادثة الا اذا الم بأطرافها الماما يسمح له بمواصلة الاستمتاع بما يليها وذلك فى اسلوب مشوق جذاب وفى غير اطناب ..

وهى فى سفر التكوين قصة تحوى مجموعة من الحوادث مرتبة أيضا ولكنها تفقد الخيوط الثمينة التى تربط حبات العقد بعضها بالبعض الآخر .. والعقل المدقق يقبلها فى القرآن عن قبولها فى سفر التكوين لما فى القرآن من نتائج مرتبة على مقدمات فلسفية غاية فى الكمال **« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد »** .. بينما فى سفر التكوين لا يعني أن تكون هناك مقدمات حتى تنتزع منها النتائج المنطقية ..

وفى قصة يوسف ـ ان شاء الله ـ ساحاول استخلاص مقدماتها ونتائجها التى يقرها العقل بلا جدل بمقارنتها بما جاء فى القرآن وما بين فقرات سفر التكوين فى كتاب العهد القديم .. وسأقسم قصة يوسف الصديق الى سبعة أقسام أو سبعة مراحل مبتدئا ـ هذه المرة ـ فى بحثى هذا برؤيا يوسف حتى مجىء اخوته الى أبيهم بدم كذب على قميص يوسف .. فى المرحلة الأولى ..

وبسرور عزيز مصر من يوسف حتى دخوله السجن فى المرحلة الثانية ..

ومن رؤيا زميليه فى السجن حتى تفسيره لرؤيا فرعون فى المرحلة الثالثة ..

ومن رفض يوسف الخروج من السجن حتى خروجه منه بعد أن استبانت براءته فى المرحلة الرابعة ..

ومن جعله على خزائن الارض حتى مجىء الاخوة بأخيهم بنيامين كطلب يوسف فى المرحلة الخامسة ..

ومن حفاوة يوسف بأخيه بنيامين وما تلى ذلك من حوادث حتى اصابة أبيـه يعقوب بالعمى فى المرحلة السادسة ..

اما فى السابعة فمن معرفة الاخوة ليوسف حتى رفع يوسف لأبويه على العرش .

ففى سفر التكوين نرى أن يوسف راى رؤياه وأخبرها لاخوته .. فقـد جاء فى الاصحاح ٣٧/٥ « وحلم يوسف حلما وأخبر اخوته .. فها نحن حازمون حزما فى الحقل .. واذا حزمتى قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتى .. فقال له اخوته : العلك تملك علينا ملكا أم تتسلط علينا تسلطا ..

وفى الفقرة ٩ من نفس الاصحاح « ثم حلم أيضا حلما آخر وقصه على اخوته فقال : انى قد حلمت حلما أيضا واذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لى ، وقصه على أبيه وعلى أخوته »

وفى القرآن لم يخبر يوسف اخوته برؤياه ، ولكنه أخبر بها أباه فقط ، فقد جاء فى سورة يوسف آية ٤ ، ٥ « **اذ قال يوسف لأبيه ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ، قال يا بنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين »** . ومما لا شك فيه أن يوسف لو كان قد أخبر اخوته حقيقة برؤياه لما تنازلوا عن قتله اطلاقا .. ولما خففوا حكم الاعدام عليه .. اذ قولهم له فى الاصحاح ٣٧ « العلك تملك علينا ملكا أم تتسلط علينـا تسلطا » ادعى ان يبعدوه بطريق الموت عن سبيلهم بأبيهم ، وعن طريق التسلط عليهم فى

المستقبل .. اذ أنهم أرادوا قتل يوسف لمجرد حب يعقوب له .. فما بالهم لو سمعوا بروءياه التى تعتبر عاملا هاما فى ترأسه عليهم مستقبلا .. اذن لذبحوه جهارا أمام يعقوب ليخلو لهم وجهه .. فعدم ذكر يوسف روءياه لاخوته كما جاء فى القرآن يعتبر مقدمات منطقية كان لا بد منها لاستمرار حياة يوسف واستمرار قصته على النحو الموجود فى القرآن ..

ونأتى الى نقطة أخرى .. فمن المفروض أن روءيا يوسف قد جعلت يعقوب يحذر على يوسف من اخوته فيمنعه من اخبارهم بروءياه، كما يمنعه من السير معهم أو الانخراط فى سلكهم **«قالوا يا أبانا مالك لاتأمنا على يوسف»** وذلك لعلم يعقوب بسمو منزلة ابنه يوسف سيما وأن يعقوب نبى قال الله فيه **« وانه لذو علم لما علمناه »** آية ٦٨ يوسف .. ونرى عكس هذا تماما فى الفقرة ١٣ من الاصحاح ٣٧ من سفر التكوين : « فقال اسرائيل (يعقوب) ليوسف أليس اخوتك يرعون عند شكيم .. تعال فأرسلك اليهم .. فقال له ها أنذا .. فقال له اذهب أنظر سلامة اخوتك » .. فكأنه قد أرسل بنفسه الفريسة لمن يتلهف اليها ..

وكان لا بد من الترتيب المنطقى لسياق القصة .. اذ لا بد من ذهاب اخوة يوسف الى أبيه ليحتالوا عليه ليأخذوه معهم وذلك لما رأى الاخوة أن أباهم يحتفظ لنفسه بيوسف ولا يرضى أن يخرجه الى المرعى معهم . ولا بد أيضا من اجماع آراء الاخوة أولا قبل التخلص من يوسف خشية أن يخرج عليهم أحد الاخوة فيفسد ما استقر عزمهم على فعله وتظهر موءامرتهم أمام أبيهم فيتواروا خجلا .. وفى ذلك يقول القرآن العظيم : **« اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين ، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين »** .. فقوله : « وتكونوا من بعده قوما صالحين » ــ كما جاء فى تفسير النسفى تعليل لهم بأن يتوبوا الى الله من ذنب قتلهم ليوسف أو نفيه الى أرض منكورة مجهولة ويتقبل الله توبتهم لأنهم لن يعودوا لمثل ما اقترفوا أبدا ..

وفى أثناء تدبير الموءامرة يعن لنا سوءال وهو: هل توصلوا الى تعليل قتل يوسف بأن وحشا رديئا أكله أو ذئبا أرداه وذلك قبل التحايل على يعقوب بأخذ يوسف الى المرعى ؟؟

تقول الفقرة ٢٠ من اذصحاح نفسه « فالآن هلم نقتله ونطرحه فى احدى الآبار ونقول وحش ردىء أكله » .. أما القرآن فلم يذكر حكاية الذئب أثناء تدبير الموءامرة امعانا فى التشويق وتبيانا الى أن يعقوب قد أخطأ بذكره للذئب امامهم فكأنه فتح أمامهم بابا ينفذون منه الى تعليل قتل يوسف بأن الذئب فعلا هو الذى أكله فيقول القرآن : **« قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب»** وذلك بعد اتفاقهم على القائه فى البئر ومجيئهم للتحايل على أخذه من احضان أبيه يعقوب ..

وفى القرآن يأتى عنصر التشويق اذ لا بد من ذهاب اخوة يوسف الى أبيه ليحتالوا عليه ليأخذوه معهم وذلك لما رأى الاخوة ان أباهم يحتفظ لنفسه بيوسف ويخشاهم عليه ولا يرضى أن يبعثه معهم الى المرعى « **قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ، أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون** » . وهو ما نفتقده كلية فى الاصحاح ٣٧ من سفر التكوين .. ولقد تبين يعقوب كذب أبنائه عليه لما جاءوا على قميص يوسف بدم كذب فقد روى النسفى : أن يعقوب لما أمسك بقميص يوسف بعد أن لطخه الاخوة بدم سخلة ذبحوها لهذا الغرض قال : « تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا ، أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه » اشارة الى عدم وجود آثار أنياب الذئب فى القميص .. واطمأن يعقوب ولهذا نراه يقول **« بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون »** .

وهكذا تمضى قصة يوسف الصديق . فى القرآن الكريم متمشية مع العقل والمنطق بينما هى فى سفر التكوين مفتقرة الى كثير من ذلك ، ولنا عودة لاتمام الموضوع ..

كتاب عن

حجة الإسلام

لباحث ودعناه إلى دار السلام

الدكتور جمال الدين الرمادى

منذ شهور انتقل الى رحمة الله تعالى اديب مسلم • عرف باتجاهه الصوفى الخالص . وبحوثه الاسلامية المستفيضة وهو المرحوم طه عبد الباقى سرور •

ولم يسعدنى الحظ برؤية هذا الرجل او الاتصال به غير انى عرفته عن طريق مقالاته الصوفية وابحاثه الاسلامية فعرفت فيه الاديب المؤمن ، والكاتب المخلص ، والباحث المدقق الرصين •

وأحب ان اعرض اليوم لبحث من بحوث الاديب الراحل ، وهو البحث الذى كتبه عن حجة الاسلام الغزالى •

وقد وضح المؤلف فى مستهل بحثه العصر الذى عاش فيه الغزالى فى النصف الثانى من القرن الخامس للهجرة (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) (١٠٥٩ - ١١١١ م)

فدرس كل مافى عصره من خير وشر ، ولم يهيىء نفسه فى مطلع حياته لفن من الفنون ، بل اندفع فى زحام الفكر جبارا متوغلا غير هياب ولا متحفظ •

ثم انطوى على نفسه وقد شك فى حقيقه كل علم • كما شك فى اهداف الفرق والنحل والمذاهب ، وشاهد الاسلام وقد انتقل من القلوب الى القبول فانقلت الى ملاحاة منطقية لفظية ، ومجادلات فقهية جامدة •

فارسل الغزالى صيحة قديمة جديدة . قديمة لانها صيحة الاسلام فى الجزيرة العربية منذ قرون . وجديدة لانهادوت فى مجتمع اوشك وقد غرق فى بحور الجدل والسفسطة ان ينسى طريقه الاول •

ووضح المؤلف ان الغزالى لم يكن ينتمى اسرة عرفت بالغنى والثروة ، انما كان والده فقير اليد غنى الروح يكسب قوته من منزله ومن قيامه بخدمة رجال الدين والفقهاء مجالسهم وخلواتهم •

ورد المؤلف على العلامة (وستنفلد) الالمانى الذى يرى ان اسرته من أسر العلم الشوامخ فقال ان الحقائق التاريخية لم تذكر لنا دليلا واحدا يجرؤ على الثبات ، ولم تحدثنا عن ماضى تلك الاسرة شيئا يطمئن اليه النقد العلمى •

ونقل لنا المؤلف قطعه من كتاب الغزالى (المنقذ من الضلال) ليوضح لنا طريقته فى البحث والاستقصاء ، ومنها نرى أنه ظل حتى الخمسين من عمره يقتحم لجة هذا البحر العميق الذى هو بحر البحث والمعرفة ، ويخوض غمرته خوض الشجاع الجسور . لا خوض الجبان الحذور . ويتوغل فى كل مظلمة ، ويتجهم على كل مشكلة ويقتحم كل ورطة ، ويتفحص عقيدة كل فرقة ، ويكشف أسرار مذهب كل طائفة •

كما كانت حياة الغزالى منذ شعاعها الاول حياة فكرية خالصة ، عازفة عن الجاه ، ومتاع الحياة •

ويذكر المؤلف تاثير نظام الملك على الغزالى فيقول ان نظام الملك تلقاه بالقبول واحله محل النفوس واجله اجلال الرؤوس ثم ولاه التدريس بمدرسة النظامية ببغداد وأمره بالتوجه اليها . فقدم بغداد سنة اربع وأربعمائة وهو فى الرابعة والعشرين من عمره •

ويقول ان نظام الملك كان صوفيا شديد التعصب لمبادئهم وطرائقهم ، مسرفا اشد الاسراف فى البذل عليهم واعداد التكايا لهم حتى ليواجه الخليفة وهو يعاتبه : لقد أقمت لك عبادا بالليل لو صاحوا لزلزلت الدنيا بخصومك ومادت الارض بهم •

وقد اندفع الغزالى يبحث كتب الصوفية ويغشى مجالسهم ويشترك فى حلقات ذكرهم ولكن تلك المبادىء الصوفية لم تقنع الغزالى ، بل لم تستطع ان تنتزع ريشة واحدة من طائر الشك المحلق مجنحا فى راسه •

أما الدوافع الحقيقية لعزلة الغزالى فللمؤلف فيها راى يحتاج الى النظر ، فهو يقول ان الغزالى كان ساذجا عندما ادعى انه اعتزل التدريس لان نيته فيلم لم تكن خالصة بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت •

ولا يرى راى المستشرقين الذين يرون ان الغزالى اعتزل التدريس والحياة لتحول وجه الخليفة عنه بتحيزه الى يوسف بن تاشفين امير المغرب •

انما يرى أن اعتكاف الغزالى كان باعثه تلك المعركة المشبوبة بين ايمانه وشكه وهى معركة لعبت فى حياة الغزالى وتفكيره دورا خطيرا فاصلا .

فشك الغزالى فى كل علم درسه ، وشك فى قيمة العلوم كما شك فى مظاهر الحياة ، واهدافها وغايتها ، وشك فى كل مايقع تحت الحس ، وكل مايثبته العقل .

ويقول ان كثيرا من مؤرخى الغزالى قد أخطأوا حينما ظنوا أن فترة الشك انما ظفرت بقلبه وهو يدرس فى المدرسة النظامية وانه قد وثب من الشك الى التصوف وثبا .

فمن يقرأ مقاصد الفلاسفة يلمح بين سطوره ان الغزالى يكتب ليقنع نفسه ، ولهذا فهو يجمع شيئا من حجج الفلاسفة ويعرضها ويبسطها ويتلاعب ويفتن فى تصويرها وتلوينها .

ومن يقرأ تهافت الفلاسفة يلمس انه كتبه اولا وقبل كل شىء ليرضى شكوكه فهو يهاجم الفلسفة فى عنف وفى حرارة ، ويجمع بين يديه جميع الاسلحة الفكرية التى يؤمن بها والتى لا يؤمن بها ليحطم الفلسفة ومذاهبها ودعاتها .

ولكن الغزالى امتاز بين المتشككين بانه نشد الهداية فى صدق وحرارة ، وتلمسها راغبا حقا فى الظفر كانه يشعر بحنين ملح الى الاطمئنان واليقين .

ويقول المؤلف ان الغزالى احترق فى تلك الفترة بلهب الحيرة والشك وتلاطم العقل والقلب والحس حتى سرى الامر من الروح الى الجسد ، فامسك لسانه ، حتى فقد الكلام ، وأورثه ذلك حزنا فى القلب ، بطلت معه قوة الهضم ، فقال الاطباء هذا امر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج ، فلا علاج الا بزوال علته الذهنية والفكرية .

وفى تلك الظلمات وبين النار والدخان والنور الذى يلوح من وراء الافق التجأ الغزالى الى الله يطلب النجدة ويطلب الايمان ، وينشد اليقين والسلام فاجابه الذى يجيب المضطر اذا دعاه ، وأراه من الاسرار ما سهل عليه الاعراض عن الجاه والمال والاصحاب .

وقد صور الغزالى نفسه تلك الحقبة من العمر التى مرت به فقال (نظرت الى نفسى فرايت كثرة حجبها ، فدخلت الخلوة واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوما ، فانقدح لى من العلم مالم يكن عندى اصفى وأرق منه عما كنت اعرفه ، فنظرت فيه فاذا فيه قوة فقهية ، فرجعت الى الخلوة واشتغلت بالمجاهدة والرياضة اربعين يوما ، فانقدح لى علم آخر أرق واصفى مما حصل عندى اولا ففرحت به ثم نظرت فاذا فيه قوة نظرية فرجعت الى الخلوة ثالثا واربعين يوما ، فانقدح لى علم آخر هو ارق واصفى ، فنظرت فيه فاذا فيه قوة ممزوجة بعلم)

وجعل الغزالى الحب الالهى هو غاية الحياة كما هو سر سعادتها فقال (سعادة كل شىء لذته وراحته ، ولذة كل شىء تكون بمقتضى طبعه ، وطبع كل شىء ماخلق له ، فلذة العين فى الصور الحسنة ولذة الاذن فى الاصوات الطيبة ، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى)

ويستطرد الغزالى قائلا : وكلما كانت المعرفة اكبر كانت اللذة أكبر ، ولذلك فان الانسان اذا عرف الوزير فرح ، ولو عرف المليك لكان اعظم فرحا ، وليس موجود اشرف من الله سبحانه وتعالى لانه شرف كل موجود به ومنه ، وكل عجائب العالم أثر من آثار صنعته ، فلا معرفة اعز من معرفته ، ولا لذة اعظم من لذة معرفته)

واذا كان شوبنهور لخص فلسفته كلها فى كلمة واحدة هى خلاصة تفكيره ، وصفوة رايه فقال (ان الحياة ارادة) واذا كان نيتشه جعل آيته الكبرى قوله (الحياة هى القوة) فان آية الغزالى كما تبدو من آرائه وكتبه ورسائله (الحياة محبة وعبادة) .

وقد قام المؤلف الراحل طه عبد الباقى سرور فى توضيح هذا الجانب توضيحا بينا واضحا ، وتعرض للكشف الباطنى عند الغزالى كما وضح راى الغزالى فى التصوف وكيف عشق محمد ربه وصور الصراع بينه وبين الفلاسفة الذى دام فترة طويلة واحتل حيزا كبيرا من الثقافة الاسلامية كما تعرض لوسائل الغزالى لنشدان الحق وعدم تقيده بالمذاهب ودستوره الخلقى ورايه فى العلاقات الانسانية بين المراة والرجل ورسالة العلم وآداب المتعلمين وموقفه من تفسير القرآن الكريم مما يدل دلالة قاطعة على انه حمل لواء التجديد فى عصره ويصدق رأى المؤرخين على ان مجدد المائة الاولى هو عمر بن عبد العزيز والمائة الثانية الامام الشافعى والمائة الثالثة هو الامام الاشعرى والمائة الرابعة الباقلانى والمائة الخامسة حجة الاسلام الامام الغزالى .

رحم الله الغزالى ومؤلفه واجزل لهما الثواب .

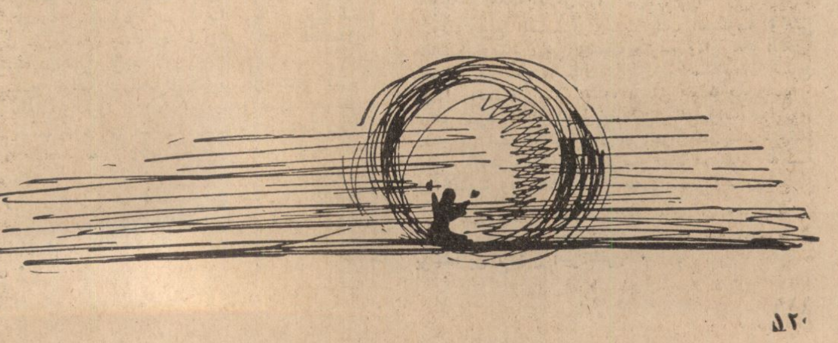

حياة القلقشندى وعصره

مؤلف أعظم موسوعة عربية إسلامية

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

٦

هذه حياة القلقشندى استوفيناها مما حدثنا به عن نفسه ، لايعتريها الشك ، ولايشوبها الريب ؛ وذلك منذ نشأته العلمية ، ودراسته الادبية ،وذاق طعم العلم والتحصيل ، واشتغل بفنون الادب ، وكانت كلها متصلة - كما وصفناها - بتاليف ليس مما يملى فيخف عبئه ، ولكنه كان من هذا النوع الذى فيه جهد ومشاق فى البحث والتحقيق ، والجمع والتبويب ، ثم الاستعانة بالمراجع المخطوطة باقلام مؤلفيها - وكثير ماهى فى زمنه ، وفى متناول يديه بحكم وظيفته - واستخلاص مافيها ، ثم مناقشة ما استخلصه ليبين صوابه ، وقد وضحنا هذا فيما ذكرناه فى هذه الترجمة لاسيما فى موسوعته العظيمة التى اشتهربها وهى كتابه « صبح الاعشى » .

وكثيرون من العلماء الباحثين والادباء والكتاب والمثقفين الى اليوم يتردد على ألسنتهم وكتبهم اسم « القلقشندى » ، وكثيرون منهم ايضا يشيرون الى هذه الموسوعة الخطيرة ، وقلما تنظر فى بحث من البحوث العلمية الادبية الحديثة - خصوصا أساتذة الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة وغيرها فى الاقطار العربية ، بل وجامعات اوربا - حتى تجد فيها اسم « القلقشندى » والاشارة الى موسوعته الجليلة فى اكثر من موضع .

ومثل هذا العالم المصرى الصميم ، المفكر العربى الجليل ، المعروف بذكائه النادر ، وعبقريته الفذة ، المشهور بسعة علمه ، وفيض ادبه ، وغزارة فضله ، وافقه الذى لا يحد ، وسحر قلمه فى النثر ، وبلاغة الفاظه فى النظم ، وماله من فضل على الادب العربى ، والثقافة العربية ، لابد ان يكون له من الحظ الموفور ، والشهرة الذائعة فى التاريخ ، شهرة امثاله من العلماء المؤلفين ، والادباء المعروفين ، والمؤرخين المشهورين ، من علماء عصره : كالعلامة المؤرخ الجليل « ابن خلدون » العالم الاجتماعى ، وهو اول من الف فى علم الاجتماع من علماء العرب قبل ان يعرفه علماء الغرب ، والعالم المصرى « المقريزى » مؤرخ زمنه ، وكتابه « الخطط » يعتبر المرجع الوحيد فى تاريخ « الدولة الفاطمية » ، والمؤرخ العظيم « السخاوى » كاتب وقته ، ومؤرخ عصره وغيرهم كالجاحظ وياقوت وابن خلكان وابن تغرى بردى مؤلف « النجوم الزاهرة » وابن العماد الكاتب مؤلف « شذرات الذهب » .

ولكن مع الاسف الشديد ، والعجب يملا نفس الباحث ، والدهشة تملك عليه حواسه ، أن مؤرخى عصره ترجموا لمن انتقلوا الى رحمة مولاهم فى القرن التاسع الهجرى ، مثل المؤرخ « السخاوى » المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ، فى مؤلفه الجليل « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » وقد تناول فيه كثيرين من علماء ذلك العصر الذهبى الزاهى الزاخر بقادة الفكر العربى بالمدح الكثير والثناء العاطر ، او النقد الشديد ، واللوم الفاضح والتقريع اللاذع ، وكذلك العلامة المؤرخ المعروف « المقريزى » المتوفى سنة ٨٤٥ هـ فى مؤلفه المشهور « السلوك » ، وايضا العالم الجليل المؤرخ المعروف

« ابن حجر » المتوفى سنة ٨٥٢ هـ فى مؤلفه القيم « الدرر الكامنة » .

واخيرا « ابن العماد الكاتب » فى مؤلفه الجليل « شذرات الذهب » و « حاجى خليفة » فى كتابه المعروف « كشف الظنون » .

اليس فى هذا كله كما قال الباحث المحقق الدكتور « عبد اللطيف حمزة » فى مؤلفه النفيس « القلقشندى فى كتابه صبح الاعشى » (ص ٣٣) وقد تناول فيه حياة « القلقشندى » بالدرس والتحليل مع تلخيص مقل لموسوعته « الصبح » - « مايدل على ان التاريخ كالادب ينصف الناس ان شاء ، ويظلم الناس ان شاء ، ويرفع بعضهم متى أراد ، ويخفض آخرين مادامت له غاية من وراء ذلك ؟

ولكن ما الغاية التى قصد اليها التاريخ من تجاهل هذا الرجل ؟ هل كان له حساد كثيرون فى الزمن الذى عاش فيه ؟ هل قصر به اصدقاؤه وتلاميذه ومريدوه فلم يؤرخوا له بعد وفاته ؟ هل اصيب معاصروه بالركود الذهنى ، او الكسل العقلى ، الذى حال بينهم وبين الترجمة له ولامثاله من العلماء والادباء ؟

الحق ان الباحث لايستطيع الاجابة عن واحد من هذه الاسئلة لان المصادر لاتساعده على ذلك . ولا يزال العجب يستبد بالباحث كيف يهمل التاريخ سيرة أبى العباس القلقشندى على هذا النحو ؟ او كيف أن عين التاريخ تقتحم رجلا كبيرا كابى العباس الى هذا الحد ؟ » .

ونحن نتفق مع راى الباحث المحقق الدكتور عبد اللطيف حمزة فى ان منشا هذا التقصير والاهمال هو الحقد والضغن من حساده الكثيرين فى عصره الذى عاش فيه ، وقد تناولهم فى موسوعته النفيسة « صبح الاعشى » بالنقد الشديد والتقريع اللاذع ، غير هياب بمراكزهم الرسمية التى كانوا يتولونها - ومنهم رؤساؤه بديوان الانشاء السلطانى - ومواهبهم العلمية والادبية الفذة ، والذين اشتهروا بمؤلفاتهم القيمة ، وهى التى تعد الآن من المراجع المعدودة ، ويتناولها العلماء الباحثون ، واساتذة الجامعات فى الشرق والغرب ، ويعتمدون عليها فى بحوثهم ومؤلفاتهم القيمة ، هى التى تعد الان من المراجع المعدودة ، ويتناولها العلماء الباحثون ، واساتذة الجامعات فى الشرق والغرب ، ويعتمدون عليها فى بحوثهم ومؤلفاتهم ، وكثير ماهم .

وقد ذكرنا فى بعض التعليقات التى كتبناها فى هوامش بعض اجزاء كتاب « الاغانى » لابى الفرج الاصبهانى ، وكتاب « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى ، وهما من الكتب التى حققناها من مطبوعات « دار الكتب المصرية » اثناء قيامنا بالعمل بالقسم الادبى ، وقد تناولوا فى بعض المواضع منها ، لفيفا من العلماء المشهورين ، والمؤلفين المعروفين ، وأعلام العرب الموهوبين ، بالنقد الفاحش ، والتقريع الفاضح ، وقلنا ان منشا هذا هو الحقد والحسد والضغن ، وهى الصفات الموروثة ولا يخلو منها كل عصر من العصور الاسلامية ، منذ القدم حتى الآن ، وقد سردنا فى هذه التعليقات امثلة كثيرة منها . واغفلنا فى هذا المقام تعيين الجزء ورقم الصفحة من هذين الكتابين المذكورين ، ليبذل الباحث والمحقق من العلماء او الطلاب الجهد والمشقة فى الرجوع اليها ، كما نبذل نحن الكثير منهما ، ونواصل الليل بالنهار وسهر الليالى الطوال فى البحث والتحقيق للوصول الى الاهداف التى ننشدها ، والغايات التى تتطلبها لمؤلفاتنا ، او بحوثنا التاريخية والادبية ، ومن سار على الدرب وصل .

المرأة المسلمة

بريشة ..

« من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

تساؤل - أو سؤال - مكرر ، تجاوز من العمر عشرات السنين ، وكلما مضى عليه عام نما كما لو كان قد مضى عليه عشرة أعوام ، وتداوله من الالسن والايدى اضعاف ما تداول الابن البكر ، بيد أن هذا التساؤل أو السؤال ليس ابنا شرعيا لهذه البيئة ، كما أن طرفا من أطراف بيئتنا تلك لم تلده ، فهو غريب عنا فى كل ما يمت هو اليه بصلة .. غريب عنا أبواه ، وغريب عنا مولده ، وغريب عنا خلاله وما يتسم به من عادات ، وما يحمل من طباع .

انه لا يمت لنا باية صلة ، غير أنه وسيلة تلتقى عنها أمه الأوربية فى هذا العصر الحديث مع المسلمة منذ وجدت دعوة الاسلام ، ونالت معها المرأة حقها فى الحياة الحرة الكريمة .

***

جاء الاسلام لينقذ الانسان من ظلم اخيه الانسان ، لا فرق فى ذلك بين رجل وامراة ولا بين حر وعبد ، انما الجميع اناسى ، لا امتياز فى طبيعة الخلق والتكوين لواحد على الآخر فاصل الجميع واحد ..

« يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » .

حقيقة لم يشذ عنها احد ولو كان رسولا نبيا ..

« قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد .. »

وسار الاسلام فى طريقه الواضح ، يعمل جاهدا على محو الظلم ، والقضاء على التفاوت فى شتى قطاعات الأمة .. جماعات وافرادا .

قضية؟

الاستاذ ابراهيم عوضين

ونجح فى كل ذلك ، النجاح الذى اذهل مفكرى القرن العشرين ، فلم يجدوا مفرا من الاعتراف به والدعوة الى منهجه وطريقه كوسيلة تنقذنا فى عصرنا الحديث من عوامل الفساد والظلم التى استشرت فى كل خلية من خلايانا ، واستوطنت كل مكان .. وصدق الله :

« اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » .

***

جاء الاسلام فوجد المراة وقد تكالبت عليها عوامل الضياع فى مجتمعات كانت تنحدر الى هاوية الضياع – كذلك – بخطى واسعة سريعة .

وكان على الاسلام أن يعمل ..

والا فلماذا جاء .. وفى تلك الفترة من الزمن على الخصوص ؟!

وتوالت تحركات الانقاذ ممتزجة بالمخطط العملى الرائع ، فحقق فى هذا الميدان – كما حقق فى الميادين الأخرى – انتصاراته الرائعة ، فى أقل زمن ، وبأيسر تضحية ..

كانت المراة قبيل الاسلام شيئا ..

من الأشياء التى تقتنى فى البيت للامتاع الجنسى فحسب .

او من الأشياء التى يتقبلهـا الانسان بالنفس التى يتقبل بها وجود الشر والفساد . فهى لعنة يحسن أو يجب تجنبها والبعد عنها .

ففى العالم وقتذاك كانت النزعة المادية تشبه الى حد كبير تلك النزعة التى نعانى منها فى عالمنا الحديث ..

وليس غريبا ان يوجد فى مقابلة ذلك الاتجاه نزعة روحية ، تتطرف فى روحانيتها لتقف على النقيض من خصمها العاتى .

وبين هاتين النزعتين .. ضيعت المراة .. فقد اختلفت نظرة الرجل اليها .. فهى فى نظر المادى .. وسيلة امتاع مادى فقط ..

وهى فى نظر خصمه الروحى .. عدو لدود ، يجب محاربته ، والسعى للقضاء عليه ، لأنه سلاح من أسلحة الماديين .

وفى وسط الخصومات قل ان يوجد التوسط والاعتدال .. انه انما يوجد حينما تضيق النفوس من الانحراف الى اقصى اليمين ، ومن الانحراف الى اقصى اليسار ، وعندها تتاهب الافكار والقلوب لتلقى الراى الوسط ، حيث يرفع عنها عبئا طالما ضاقت به ، ولم تجد الاستطاعة فى الهرب منه ، أو الثورة عليه .

أقول : كانت المراة فى هذه الآونة مخلوقا منحطا ، لا يخطر بالبال أن تكون ذات حق فتقرن كلمة « حقوق » باسمها ، ولو كان ذلك فى مجال النفى ، لأنها كانت فى اعتبار النزعتين شيئا من الأشياء ، أو على الأصح ، كانت جسدا لا روح له .

لقد اجتازت المراة فى رومية عهدا ، كان من أتعس العهود عليها وعلى دولتها ، فقد فسدت نفوس الرومانيين فى ذلك العهد ، بطرا من سعة السلطان الذى أوتوه ، الى حد أنهم أصبحوا لايحلمون فيه بغير المتع الجسدية ، واللذات البهيمية .. فاطلقوا للنساء العنان – ولذا يعده البعض عهدا ذهبيا للمراة – لا ليكن نساء كاملا ، يقمن برسالة فى هذا الوجود ولكن ليكن آلة شهوة ، واداة بذخ وخلاعة ..

جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر .

« فى الأيام الأولى من الجمهورية الرومانية كانت المراة ملازمة بيتها تغزل فيه الصوف ولكن البذخ تسرب الى رومية شيئا فشيئا حتى قام « كاتو » ينذر بالخطر المحدق الذى سيلتهم كل شىء .. وبعد ذلك بقليل لم نقف البذخ والترف عند حد » .

« .. ان « كاتو » لم ينجح فى دفاعه عن ذلك القانون (القانون المانع تهتك المراة) ولكن انذاراته تحققت تماما ، اى أن الدولة الرومانية زالت من الوجود ، وانقلبت حالة المراة فدخلت فى دور من الأسر ، لازمها نحوا من الف سنة ، حتى ازدهر العلم ، فعمل على انقاذها منه يسيرا يسيرا ، حتى تم لها ما يراها الناس عليه اليوم » .

وفى رومية كذلك – كما جاء فى المجلد الحادى عشر من مجلة المجلات الفرنسية – اجتمع مجمع كبير وبحث فى شئون المراة ، فقرر انها كائن لا روح له ، وانها لن ترث الحياة الأخرى لهذه العلة ، وانها رجس يجب الا تاكل اللحم ، والا تضحك ، بل ولا أن تتكلم ، وعليها أن تمضى جميع أوقاتها فى الصلاة والعبادة والخدمة .

وحتى يمنعوها من الكلام جعلوا على فمها قفلا كانوا يسمونه « موزليير » فكانت المراة من أعلى الأسر وأدناها تسير فى الطرقات وفى فمها قفل ، وتروح وتغدو فى دارها وفى فمها قفل .. قفل من حديد ! وهذا عدا العقوبات البدنية التى كانت تتعرض لها المراة باعتبار انها اداة الاغواء ، وآلة التسويل ، يستخدمها الشيطان لافساد القلوب » .

***

جاء الاسلام فكان خيرا عميما ، افاضه الله على هذا القطاع الانسانى المظلوم ..

١ – فاعلن المساواة .. فى اصل التكوين والخلقة ..

« يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى . وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. » .

« وانه خلق الزوجين الذكر والانثى .. »
ثم اوضح أساس التفاضل والامتياز ، بين الجميع :
« ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير »
٢ ـ واعلن المساواة .. فى الرسالة الانسانية :
« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. »
٣ ـ واعلن المساواة .. فى العلاقة الزوجية :
« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا ، لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة .. »
٤ ـ واعلن المساواة .. فى تحمل المسئولية :
« وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا » .
« من عمل صالحا من ذكر اوانثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

***

٥ ـ واعلن المساواة .. فى الحقوق ..
فللمرأة أن ترث ، ولها أن تملك ، ولها أن تتعلم ، ولها أن تستثمر أموالها بالوسيلة التى تروقها ، ولها أن تعمل ، ولها كذلك أن تنهى عقدة الزواج ما دامت العصمة بيدها .

لم يستقل الرجل بشىء من دونها الا ما يخضع من ذلك لطبيعة التكوين ، الذى يتيح لها كذلك أن تستقل به من دون الرجل .

حقوق أتاحها الاسلام للمرأة ، منذ جاء ، فى القرن السابع الميلادى ، كانت تتمتع بها المرأة فى ظل الاسلام ، بينما الأخرى تستبد بها القوانين ، وتستهلكها السيطرات ، وتخفى عنها وسائل الكبت والاستبداد أختها المسلمة ، وما تعيش فيه .. ولكن المرأة المسلمة من بعيد اخذت تلوح لأختها ، وما ان انتبهت اليها ، وعرفت ما نالته من حقوق ، حتى احست بكيانها وشعرت بوجودها ، وعندئذ تحركت فى نفسها الثورة على قديمها ، واضطربت حاقدة حانقة على من يقفون فى طريقها ، ونهضت تصرخ فى وجوههم : ان هذه حقوقى ، فلاتحولوا بينى وبينها .

***

وامام هذا النضال ، وتحت ذلك الضغط المتواصل ، والكفاح المستميت ، اعطيت بعضا من الحقوق شعرت معه بأن كرامتها قد استردت ، وانها نالت ما لم تكن تطمع فيه .

وعندئذقامت المرأة المسلمة ـ بدافع التقليد ، والتقليد فحسب ـ تنادى هى الأخرى وتصارع وتكافح ، لتنال حقوقها ، مثلما نالتها أختها الأوربية .

وفاتها أنها هى الدافع الأصيل لثورة الأوربية ، بل لاحساسها بوجودها ، وشعورها بالحياة .

وفاتها أن الأوربية ـ بعد أن نالت تلك الحقوق ، وأصبحت الانسان الراقى كما يدعون ـ ما زالت أسيرة ظلم جائر ، واسترقاق وحشى مشين ، سبق الاسلام الى تحرير المرأة من ربقته ، وانقاذها من براثنه .

ان المرأة المسلمة لا تفقد بزواجها شيئا من كيانها الشخصى ، ولا تسلب شيئا من استقلالها المالى .. فنسبتها الى اسرتها لا تتغير ، وحريتها فى التصرف فى مالها وأملاكها كما هى .. ليس عليها أن تتقيد برأى زوجها فى معاملاتها ، فتبيع أو تؤجر أو ترهن أو تستثمر .. لا تصدر فى ذلك كله الا عن رغبتها هى ، وارادتها الشخصية فحسب .

اما المرأة الاوربية ، فهى الى اليوم لم تنل هذا الحق ..

انها تفقد بزواجها اسم اسرتها ، ويفرض عليها اسم زوجها وأسرته ، وكأنما ذلك تأكيد لرواسب قديمة ، ترجع الى اليوم الذى كانت فيه المرأة ملكا لزوجها ، كأى شىء مملوك ، فهو يحمل اسم صاحبه بمجرد انتقاله الى ملكيته .. ومع الأسف تصر المرأة المسلمة اليوم ـ فى موجة التقليد ـ على أن تقلد حتى فى ذلك ، من غير أن تفكر فى دلالته واصله .

ثم انها تفقد بزواجها استقلالها المالى ، فانها بزواجها تقع ـ من ناحية تصرفاتها الاقتصادية ـ تحت وصاية زوجها ، فلا تستطيع أن تبيع أو تشترى أو ترهن شيئا من أملاكها الا بتصديق زوجها فان القانون يهبه حقا على أملاكها ، ليس لأبويها ، ولا لأحد من أقاربها .. ولا شك فى أن هذا ـ كذلك ـ يرجع بجذوره العميقة الى عهد استرقاق المرأة ، الذى تدعى أنها تحررت منه .

هذه هى المرأة فى ظلال الاسلام ، وهذه هى المرأة خارج منطقة الظلال ..

فأيهما لها قضية ؟ وأيهما لها حقوق سعى من أجل اقرارها ..؟؟

العيد والزكوات ..

الاستاذ حسن الشيخة

التحدث عن العيد هو ما نساق اليه فى كل عام ، لانه موضوع الساعة والوقت واليوم ، وهذا اليوم هو اول أيامه الطيبات .

للحديث عن العيد آفاق كثيره ، منها الشرعى الذى يطوى فى نسيجه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وما اليهما ، ومنها الاجتماعى الذى نرى فيه كثيرا من شئوننا الاجتماعية التى تنتقل فى أوضاع مختلفة بمرور الأيام ، وكر الأعوام .

اما شرعياته فانه ما من عادة قديمة الا وهذبها الاسلام ، وجعل منها أصلا صالحا من أصوله حسب ما رآه ، كالصلاة والزكاة والصوم ، وحج بيت الله ، ومنها الاعياد التى نص عليها القرآن الكريم فى موضع واحد منه ، حكاية عن عيسى ابن مريم عليه السلام ، هى قوله تعالى :

«قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك» .

فالمائدة فى الآية الكريمة هى العيد المتكرر الذى يكون للأولين منهم الذين طلبوا المائدة ، وللآخرين الذين لم يكونوا خلقوا يوم أن طلبت ، أى أنهم لم يطلبوها لأنفسهم لا غير ، وانما طلبوها لمن بعدهم كذلك ، وهذا ولا ريب يفيد أن العيد هو العود والتكرار فيما ينعم به الناس ، فى غبطة وسرور .

جاء الاسلام فخصص كلمة العيد بيومين من أيامه الطيبات ، هما عيد الفطر الذى يقع بعد شهر الصيام ، وعيد الأضحى الذى يقع فى العاشر من ذى الحجة وهو يوم عرفات ، وقد أبيح فيهما اللهو المباح واللعب الوقور ، أخذا من قوله صلوات الله عليه كما روى الثقاة (أيام أكل وشرب وبعال) . والبعال هو الاستمتاع بما يماشى الغريزة الجنسية التى هيأها الله فى كلا النوعين ، وبذلك يكون فى عيد الفطر لمن صام رمضان صياما سليما من الآفات الروحية والجسمية - فرحتان فرحة أداء فريضة الصوم ، وفرحة ما أباح الله له بعد ذلك مما كان ممنوعا عنه شهرا كاملا من الاكل والشرب واللهو والبعال ، وأيام العيد على هذا النمط هى أيام مستثناة من الأيام جميعا ، انه ابيح فيها من انواع المسرات ما لم يبح فى غيرها ، فان بقية الايام هى أيام عمل وكدح وجهد متصل ، والعامل الناصب فى حاجة الى ايام معدودات ينسى فيها متاعب الحياة استجماما ، ليعود اليه نشاط الحواس وراحة الجسم ، وسلامة التفكير ، وحسن التدبير .

عن السيدة عائشة رضى الله عنها انها قالت : دخل رسول الله صلوات الله عليه ، وعندى جاريتان تغنيان ، فاضجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل عليه أبوبكر وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله صلوات الله عليه ؟ فاقبل عليه الرسول وقال دعها ، فلما غفل غمز لهما فخرجتا ، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب (الدرق بفتحتين مايتخذ من الجلود وهو الترس الذى يقى صاحبه من الضربات) ، وهذا المروى عن السيدة عائشة قاطع فى الدلالة على أن يوم العيد هو الذى يباح فيه الغناء واللهو المباح ، واللعب حتى بالدرق والحراب ، وهو اقسى أنواع اللعب .

اما صلاة العيد فلا اذكر عنها شيئا لانها معروفة ، واما خطبة يوم العيد فهى التى اذكر عنها شيئا يسيرا ، ذلك ان المواعظ تسمع فى مثل هذا اليوم ، فالنفوس فى سرور ، والسرور عادة يهيىء الانسان الى الاستماع والتقبل . ومن ذلك ما رواه الامام البخارى عن أبى سعيد الخدرى . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر .. الى المصلى ، فاول شىء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف (أى من الصلاة) ، فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم ، فيعظهم ويوصيهم ، فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه ، او يامر بشىء أمر به ، ثم ينصرف) ، وفى هذا اشارة الى أن الخطبة ينبغى ان تكون فى الحالات الحاضرة ، تماشى شئون الاقوام ومصالحهم ، لا أن تكون من كلام مطبوع فهما يسمونه

مجموعات الخطب التى وضعت على هيئة الكتب ، لاجديد فيها ولا تغيير ، كما هو الشأن فى كثير من ائمة المساجد ولا سيما فى الريف ، الذى ان كان وقع فى خطبة تغيير فهو بقدر لا يفيد كثيرا ، وانما هو تقليد لخطباء العواصم الكبرى الذين أراهم قد غيروا أسلوب خطبهم بما يساير الظروف والأحوال ، والاتجاهات الجديدة فى البيئة العربية .

أما حديث الزكاة فى عيد الفطر فهو الذى أبد أبه قولى فى الأفق الاجتماعى ، وان كان يبدو أنها من الشرعيات أيضا .

الزكاة تراحم وتناصف ، وشريعتنا الاسلامية شريعة ادت ما عليها من حيث ذلك التعاطف الانسانى الذى يوجب فى أموال الأغنياء حقا معلوما للفقراء ، والشريعة الاسلامية شريعة ليست شريعة دينيات بحتة كالايمان بالله وكتبه ورسله ، وكالبعث والنشور ويوم الحساب مما يسمونه بالسمعيات التى يجب علينا أن نؤمن بها ، ونسلم بها تسليما دون اقامة برهان عليها ، وانما هى نظام وضع ليشمل العقلى والسمعى معا .

ان الزكاة فرض اجتماعى اوجبه الدين ، وفصل أموره ، وقدر مقاديره ، واحصاه عددا وحسابا ، وأعرف انه صار من الضرورى معرفته ، لتكراره ولاعادة القول فيه فقها وتعريفا ، وسلفا عن خلف ، واعادة بعد اعادة ، وانما اتحدث عن أمرين يلفتان نظر المتأمل فى الكلام عن الصدقات . الاول فيمن تجب عليه صدقة الفطر . الثانى فى صدقة التطوع .

يقول فقهاء الاسلام فى صدقة الفطر أنها تجب على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته واذن فهى ليست واجبة على الأغنياء لا غير ، وانما يشترك معهم فى وجوبها من يملك قوته وقوت من يقوته يوم العيد وليلته ، والذى لا يملك الا هذا هو فقير ، وهذا الفقير يزكى على المسكين الذى لا يملك الا هذا شيئا ، وليس بعد ذلك التشريع الاشتراكى البديع ماهو اقوى فى التراحم منه . ليكون الناس سواسية فى الرزق ؟ من عنده فاضل من قوته يوما وليلة ـ يعطى من هو خلو من ذلك . وهذا هو معنى الاشتراكية فى أكمل صورها ، فمن عنده لقمة عيش يجب ان يقتسمها مع من ليس عنده ، ليكون الناس فى وزن واحد فى أيام العيد التى فضلها الله . وفضلتها الفطرة الانسانية الاجتماعية ، فطرة المساواة العادلة الكاملة فى الارزاق والصدقات ، والبر والاحسان .

اننا عند تطبيق هذا التشريع عملا فى أيامنا الثورية الطيبة ـ نجد أنه لم يبق من الفقراء الصالحين للعمل من لا يستطيع أن يخرج زكاة الفطر ، فقد سوت الاشتراكية بين القوم فى الارزاق ، ولم يبق من المساكين الا العجزة من النساء والرجال ، وكذلك الاطفال ، وهم الان فى مأمن من الجوع ما دام قد كثر عدد من يؤدون الزكوات والصدقات ، كل فى بلدة ، كل فى جيرته فيما يعرف اتجاهه فى مواضع الاستحقاق .

بقى أمر ذو بال يذكر عادة عند التحدث عن زكاة الفطر ، ذلك هو صدقة التطوع التى لا أوان لها ولا زمان .

صدقة التطوع أو الصدقة الجارية تكون بدافع انسانى وجدانى ، دون تكلف أو من أو أذى . قال تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ..) وهى تلك الصدقة الشائعة فى الاوساط الخيرة ، انها من العوامل التى تكون مجتمعا سعيدا ، لا سيما اذا عرفنا مستحقيها من المساكين ذوى المسكنة الصادقة ، والفقر المدقع الذى لا تصنع فيه ، أما الذين يتمسكنون وليسوا بمساكين ، والذين يتعامون أمامك وليسوا بعمى ، والذين يتظاهرون بمختلف الآفات والعاهات وليسوا منها فى شىء ـ هؤلاء وهؤلاء ليسوا من مستحقى صدقة التطوع ، وقد اتخذوا هذا التظاهر الكاذب وسيلة الى عيش رخيص فيجب ان يكونوا عن الصدقات الجارية مبعدين .

هذه كلمتى فى العيد والصدقات والزكوات ، والله يوفقنا .

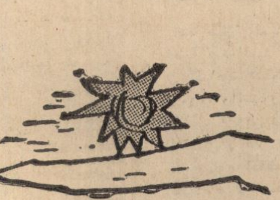

الجهاد في الإسلام

للأستاذ السيد عثمان الشرقاوي

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة حازمة لازمة لا مناص منها ولا مفر عنها ورغب فيه اعظم الترغيب واجزل ثواب المجاهدين والشهداء فلم يلحقهم فى مثوبتهم الا من عمل بمثل عملهم ومن اقتدى بهم فى جهادهم ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية فى الدنيا والآخرة مالم يمنحها سواهم وجعل دماءهم الطاهرة الذكية عربون النصر فى الدنيا وعنوان الفوز والفلاح فى العقبى وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات ورماهم بابشع النعوت والصفات ووبخهم على الجبن والقعود ونعى عليهم الضعف والتخلف واعد لهم فى الدنيا خزيا لايرفع الا ان جاهدوا وفى الآخرة عذابا لايفلتون منه ولو كان لهم مثل أحد ذهبا واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر واحدى السبع الموبقات المهلكات .

ولست تجد نظاما قديما او حديثا دينيا أو مدنيا عنى بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفا واحدا للدفاع بكل قواها عن الحق كما تجد ذلك فى دين الاسلام وتعاليمه وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم - صلى اللى عليه وسلم - فياضة بكل هذه المعانى السامية داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب الى الجهاد والقتال والجندية ، وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات .

القرآن والجهاد :

يقول الله تعالى فى سور مختلفة من كتابه العزيز :

١ - « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون » . سورة البقرة .

٢ - « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . آل عمران .

٣ - « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » . النساء .

واذا أكملنا هذه الآية نرى كيف يحض الله المسلمين على الحذر وممارسة القتال فى جيوش أو عصابات او فرادى كما يقتضيه الحال وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين وكيف يستثير الهمم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين وكيف يقرن القتال بالصلاة والصوم ويبين انه مثلها من اركان الاسلام وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جرىء مبينا لهم ان الموت سيدركهم لامحالة وانهم ان ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن هذه الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلا من نفقة أو تضحية .

٤ - سورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه وبيان لكثير من أحكامه ولهذا اتخذها المسلمون الأولون - رضوان الله عليهم - نشيدا حربيا يتلونه اذا اشتد الكرب وحمى الوطيس وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى : « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » الى قوله تعالى : « يايها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون » .

وانظر الى تأييد الله لجنده المؤمنين فى غزوة بدر ، فيقول تبارك وتعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين . وماجعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » .

٥ - ثم اعلان النفير العام فى آيات داوية صارخة ختامها قوله تعالى :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال وحرمان لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين فى قوله تعالى : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون»

نماذج من الأحاديث النبوية فى الجهاد :

١ - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول :

« والذى نفسى بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لاتطيب انفسهم ان يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ماتخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده لوددت انى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » .

٢ – عن أبى هـريرة رضى الله عنه ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول :

« والذى نفسى بيده لايكلم أحد فى سبيل الله والله اعلم من يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

٣ – وعن أم حارثة بنت سراقة أنها أتت النبى – صلى الله عليه وسلم – فقالت :

« يانبى الله ألا تحدثنى عن حارثة – وكان قبيل يوم بدر أصابه سهم غرب ، فان كان فى الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء ، قال ياأم حارثة : انها جنان فى الجنة وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى »

فانظر كيف كانت الجنـة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره .

٤ – وعن عبد الله بن أبى أوفى – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

٥ – عن معد بن يكرب قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

« للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقربائه » .

دروس من التاريخ الاسلامى :

انتصر المسلمون وهم فئة قليلة فى معركة بدر على العديد من رجالات قريش وأذاقوا المشركين مر الهزيمة والخيبة ، وذلك بفضل ايمانهم الراسخ وثباتهم من أجل نصرة دين الله وحبهم للشهادة ، فنصرهم الله وأنزل ملائكة كانوا يقاتلون مع المسلمين .

يقول المقريزى فى كتابه « امتاع الأسماع » :

ولما التحم القتال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يديه يسأل الله النصر وماوعده . وأمر صلى الله عليه وسلم فأخذ من الحصا كفا فرماهم بها وقال : شاهت الوجوه ، اللهم ارعب قلوبهم ، وزلـزل أقدامهم . فانهزم أعداء الله لا يلوون على شىء ، والقوا دروعهم ، والمسلمون يقتلون ويأسرون ، وما بقى منهم احد الا امتلأ وجهه وعيناه ، مايدرى أين توجه ، والملائكة يقتلونهم وفى هذا نزل قوله تعالى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم » .

كاد المسلمون ان ينتصروا فى غزوة أحد لولا أن الرماة عصوا أمر رسول الله ، فانكشف المسلمون وقتل منهم عدد غير قليل كما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان قد نزل قبل أن يخرج رسول الله الى احد قوله تعالى « اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى ان تصبـروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وماجعلـه الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » .

ولكن المسلمين لم يصبروا ولم يثبتوا وانكشفوا ، فلم يمد رسول الله صلى اللم عليه وسلم بملك واحد ، يوم أحـد .

ان الأمة التى تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة فى الدنيا والنعيم الخالد فى الآخرة ، وما الوهن الذى أصابنـا الا حب الدنيا وكراهية الموت . فأعدوا شباب العرب والاسلام أنفسكم لجهاد طويل وتضحية غالية توهب لكم الحياة .

ان احفـاد حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وسعد بن معاذ وخالد بن الوليد وصلاح الدين لن يخذلهم الله ، وسيكونون سيوفا من سيوف الله . فما اشبه الليلة بالبـارحة . كانت بالامس موقعة بدر واحد واليرموك وستكون غدا موقعة حيفا وتل ابيب .

لن يطرد اليهود من الأرض المقدسة الا اذا كنا تلك الفئة المؤمنة ذات القلوب الطاهرة التى كانت تحارب أهل الشرك والضلال والوثنية فى بدر وأحد وحنين .

فلننصر الله فى أنفسنا ليمدنا بنصر من عنده وتأييد من لدنه « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

ثم بعد ذلك ندخل المعركة ، وقد وعـدنا الله بالنصر والغلبة فى قوله تعالى :

« ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

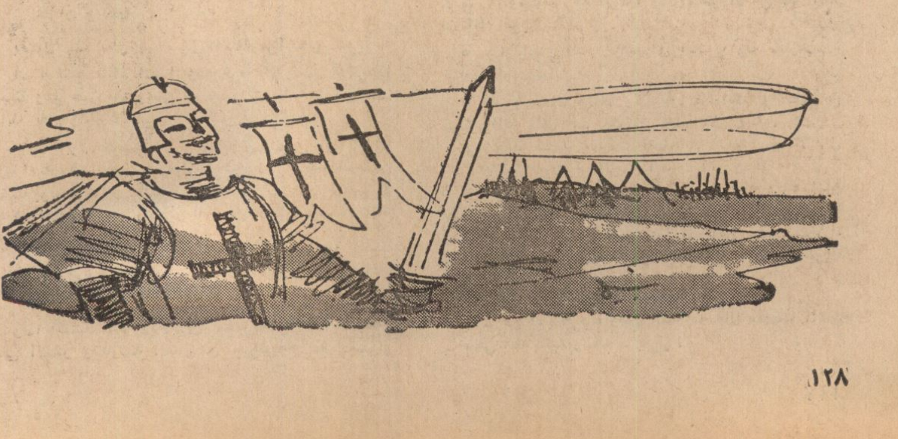

رحلتى إلى تونس

عادة محمودة فى دواوين تونس

فضيلة الشيخ منصور رجب

-٧-

من العادات التى أعجبتنى فى دواوين حكومة تونس هى ألا يقدم لزائر ما أى تحية مما تعودنا تقديمها نحن هنا من : قهوة أو شاى ، أو حتى سيجارة . فمكتب العمل للعمل وحده ليس الا : زرت الاستاذ الدكتور « أحمد عبد السلام » مدير جامعة تونس فى مكتبه بموعد سابق فلم يقدم لى أو يعرض على حتى ان آخذ شيئا مما تعودنا أن نقدمه للزائر اللهم الا كلمات الترحيب والمؤانسة والسؤال عن أحوال الطلبة . وتوجيههم الى العناية باللغة العربية . وبمداواة الأمراض الاجتماعية الفاشية وزرت الأستاذ الدكتور « محمود المسعدى » كاتب الدولة لشئون التربية القومية . أو على اصطلاحنا وزير التربية والتعليم فلم يقدم لى كذلك شيئا ما حتى أنه تناول سيجارة من علبة كانت أمامه على مكتبه . ولم يسأل : هل تدخن أولا ؟ .. كما يفعل من يريد أن يقدم سيجارة لمن يشرب ، بل غمرنى بتحياته وترحيبه وايناسه بوجه باش وصدر منشرح .. وفى الحق أنى فى بادىء الامر كنت أقوم ممتعضا من هذا الذى لم أتعوده ولما علمت أن هذه عادة تونسية مستحكمة سررت بها سرورا كثيرا ، وأعجبت اعجابا كبيرا وتمنيت أن لو تسرى هذه العادة الجميلة فى دواويننا . فأنها توفر من الوقت والمال ما نحن فى مسيس الحاجة اليه . فان مكاتب الدولة يجب الا تكون الا للعمل وحده لا للتسلية بشرب القهوة وما اليها .

ولم أر هذه العادة تحرم الا فى مكانين اثنين .

الأول : الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين . فقد جرى تقليد علمائها أن يحيوا الزائر ، لكن لا بفنجال قهوة . أو كوب من شاى . أو ما الى ذلك . بل يقدمون له تحية من نوع آخر : تلك هى تقطيره بماء الورد النقى الجميل الممتاز عطرت به فى الكلية ، وفى بيوت علماء الزيتونة الأفاضل . وفى محل السيد الشاذلى الهنتانى فى سوق العطارين بجوار جامع الزيتونة .

الثانى : فى مدينة القيروان . فلما زرتها بترتيب من وزير التربية الأستاذ « محمود المسعدى » بصحبة اخى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الشاذلى ابن القاضى رأينا من الواجب علينا بهذه المناسبة أن نزور والى المدينة فقدم لنا الاستاذ « المختار الحاببوى » نائب السيد الوالى الذى كان مشغولا فى ذلك الوقت بتوديع السيد رئيس الجمهورية الحبيب

بورقيبة . قدم لنا طبقا من « مقروظ » القيروان الجميل . وهو نوع من الحلوى اشتهرت به مدينة القيروان : سألته : لم خالفت العادة فقدمت الينا هذه التحية ؟ .. فقال : هذه تحية القيروان نقدمها تكريما .

وبمناسبة مقروظ القيروان هذا أقول : ان كل بلدة فى تونس مشهورة بنوع من الحلوى أو صنف من المأكولات . فمثلا : مدينة «زغوان» مشهورة ب «كعك الورقة». ومدينة «بنزرت» مشهورة بالسمك الحوت . والمنستير مشهورة بالكسكسى بالعصيان : أى بالكبدة . والرئة ولحم الخروف . أو على اصطلاح أهل تونس لحم العلوش . ومدينة صفاقس مشهورة بالملبس المحشو بالفستق . والمهدية مشهورة بالبريك الحلو ، وتونس مشهورة ببقلاوة الباى ، وطاجن الفستق . والبندق ، واللوز .

واعود فاقول : انى أدعو بكل قوة وحرارة واخلاص الى أن ناخذ فى دواويننا بتلك العادة الجميلة عادة تونس الحبيبة اشفاقا منا على الوقت والمال ، ولا أدرى ان كانت هذه العادة تونسية أصيلة أم اخذوها عن الفرنسيين ؟. وسواء أكان هذا أم ذاك فانها من العادات المستحبة فى دواوين الحكومة ومصالح الدولة.

اسعاف ونظام

ومما أعجبنى فى تونس من مظاهر الرحمة والنظام أن كل « تكسى » فيه بحكم القانون « شنطة » صغيرة أو على حد تعبيرهم «فاليجه» فيها أدوات الاسعاف الأولية . وتراها وراء الراكب موضوعة بشكل فنى رفيع لاسعاف من يحتاج الى اسعاف لطارىء مفاجىء حتى فى الشارع . وهذا شىء جميل من غير شك فهو مظهر من مظاهر الرحمة والتعاون والانسانية وياحبذا لو اخذنا بها فى بلادنا . فعممناها بقوة القانون فى سياراتنا .

ومن النظام الحسن الجميل ما رأيته بين ركاب « الأوتوبيس » فمفروض على الركاب أن يصعدوا الى السيارة من الباب الخلفى لها . وعليهم عند النزول أن ينزلوا من الباب الأمامى ولا يسمح مطلقا بمخالفة هذا اصلا . ولا تسمع أبدا من يناقش للتخطى هذه العادة او الاخلال بهذا النظام .

وتصعد فترى « الكمسارى » من على يمينك جالسا فى أول السيارة على كرسى مريح ،فتاخذ منه تذكرتك وتذهب الى حيث تجلس كماتشاء فدرجة السيارة واحدة ليس فيها أولى وثانية كما ترى عندنا .

ويعجبك أن ترى الركاب لايحاول أن يسبق واحد منهم الآخر عند الصعود أو النزول : فهم عند الصعود يقفون صفا أو طابورا واحدا والاسبقية لمن حضر أولا ، وليسمح لى خوانى من أهل تونس العزاز اذا أنا قد عبرت بكلمة « الصف » أو « الطابور » فانها تعنى فى لهجتهم الدارجة مدلولا لا أستطيع ان أترجم عنه هنا الا اذا ضربنى على يدى اليمنى من يجبرنى على الترجمة فيسقط منى القلم وتصيب الضربة الاصبع الوسطى فتسقط الى الاسفل تتلوى فى اتجاه الضارب . وهذه هى الترجمة العملية لكلمة « الصف » فى اللغة الدارجة لأهل تونس أو بعضهم .

واتباع هذا النظام كما رأيته فى روما . وفى تونس . بل وفى « ليبيا » ايضا فى الصعود الى « الأوتوبيس » وفى النزول منه مسألة مهمة جدا ان دلت على شىء فانما تدل على خلة عالية نفيسة فى نفس ابن آدم : تلك هى صفة « ضبط النفس »

وما أجمل الأمة التى يظهر أفرادها فى زحمة الدنيا متشحين بهذا الوشاح الأكبر : « ضبط النفس » وضبط النفس رأس كل فضيلة ، وتحتاج الى جهاد كبير وصبر طويل .ويرحم الله أبا الحسن الشاذلى رضوان الله عليه فقد شبه النفس الانسانية بشخص له : راس .. وعقل .. ويدان .. ورجلان : فراس النفس ارادتها . ويداها علمها . وعقلها ورجلاها تدبيرها واختيارها : فمن قويت ارادته .وصح علمه ، رجح عقله . وأحكم تدبيره . وتم اختياره فقد سخر الله تبارك وتعالى له نفسه وأيده بالنصر المبين . .فهل لنا ان نجرى هذا النظام .؟

يوم الشهداء

تحتفل تونس ــ فى ٩ ابريل ــ بيوم الشهداء فتعطل الجامعة والمعاهد . والمدارس ودواوين الحكومة ومصالحها احتفاء بأولئكم

الشهداء الذين قدموا أرواحهم رخيصة فى سبيل مجد تونس ، واستقلالها فكانوا من الخالدين *.

وبحب الاستطلاع أخذت أطوف شوارع تونس لأرى مظاهر هذا اليوم المشهود الى أن رأيت جمعا كبيرا من الشعب محتشدا : رجالا ونساء شيبا وشبابا وبينهم طريق ينظمه رجال الشرطة من شارع كبير الى مايشبه حجرة كبيرة مربعة فى نهاية ساحة متسعة . فسالت : ما الخبر ؟ .. فقالوا : ان الوزراء سيحضرون الآن لزيارة قبر هذا الشهيد ، وأشاروا الى تلك الحجرة الكبيرة المربعة ،فقلت قبر من ؟ .. فقالوا : قبر الشهيد « فرحات حشاد » أول نقابى فى تاريخ تونس الحديث قتلته عصابة فرنسية كانت تسمى نفسها « اليد الحمراء » وكان يقابلها من التونسيين « اليد السوداء » : تلك التى سودت على الفرنسيين معيشتهم حتى تركوا تونس لأهلها الابطال الشجعان **ولقد رايت المكان الذى قتل فيه بشوشه رادس أمامسيدى مصباح رايته وأنا راجع من واجب العزاء فى المرحوم الشيخ « الشاذلى خلاص » ـ فرايت من واجبى أن أشارك اهل تونس فى تقدير ذلك الشهيد العظيم مترحما عليه كما يترحمون : مررت بين الجموع المحتشدة الىالضريح فرايته قد كتب عليه من الخارج :**

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ضريح المرحوم فرحات حشاد
شهيد الكفاح الاجتماعى القومى
قتل يوم ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٧٢ الموافق ليوم ٥ ديسمبر ١٩٥٢ أما من الداخل فقد كتب عليه ما ياتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا »

صدق الله العظيم

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون »

صدق الله العظيم

ثم تقرأ فى ناحية أخرى هذه الأبيات :

يامن بدنيــاه اشتغل
وغــره طــول الامــل

والمـــوت ياتى بغتة
والقبر صندوق العمـل

وهناك لوحة رخامية عليها كتابة كوفيه لم أتبينها .. ثم حضر الوزراء ومن معهم لزيارة قبر هذا الشهيد : عرفت من بينهم السيد الأستاذ « الباهى الأدغم » رئيس الوزراء . والأستاذ « محمود المسعدى » وزير التربية والتعليم . وآخرين لم أسعد بمعرفتهم فالتففنا حول القبر . ورفعنا أيدينا الى السماء وقرأنا الفاتحة على روح الشهيد بصوت مسموع فى تضرع وخشوع ومضى ركب الوزراء الى حيث يرقد باقى الشهداء . ورجعت الى منزلى اتامل فى ماضى هؤلاء الشهداء قائلا لنفسى : « **ان** الاعتقاد بالابطال يخلق أبطالا »

والشهيد فرحات حشاد من مواليد جزر « قرقنة » أمام شواطىء صفاقس . وكان موظفا فى ادارة الأشغال العامة فى وظيفة بسيطة فكون هو وبعض النقابيين مؤسسة نقابية منفصلة عن جامعة النقابات الشيوعية . ثم شارك فى تكوين جامعة للنقابات التونسية القومية التى صار يطلق عليها اسم الاتحاد التونسى للشغل وكانت تضم مجموعة من النقابات أبرزها نقابة المشايخ المدرسين بجامع الزيتونة . ونقابة المعلمين ، ونقابة الموظفين*.

ومن التقدير الكبير لذلك الشهيد العظيم أن ترى المجاهد الأكبر السيد الحبيب بورقيبة يوم رجوعه الى تونس سنة ١٩٥٥ يلقى كلمته بحلق الوادى وقد وقف الى جانبه ابن الشهيد فرحات حشاد ولما يبلغ مبلغ الفتيان بعد *. وهكذا تكتب السعادة لمن يحرر نفسه أولا من الخوف والتراخى ويقبل على التضحية بنفس راضية . ويبقى هذا لأولاده من بعده . سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

« الشيخ الشاذلى خلاص »

قلت : انى رأيت المكان الذى استشهد فيه المرحوم الشهيد « فرحات حشاد » وانا عائد

منْ واجب العزاء فى المرحوم الشيخ الشاذلى خلاص .. فمن هو هذا الشاذلى خلاص ؟.. الشيخ الشاذلى خلاص منشد ثالث وحزاب فى مقام أبى الحسن الشاذلى يعنى يقرأ الحزب: حزب الشاذلى .

ومن المقدمين فى قراءة أوراد أبى الحسن الشاذلى يوم حضرته فى مقامه على جبل الزلاج فى الطريق الى حمام الانف صباح يوم السبت من كل أسبوع .. وكان اماما ثانيا فى مسجد سيدى محرز .. ولى مع المرحوم الشيخ الشاذلى خلاص حكاية سأرويها يوم يصل كلامى الى سيدى ابى الحسن الشاذلى ومارايته له : من مغارته التى كان يتعبد فيها . ومن مقامه النير الجميل المبارك باوراده وحضرته ومن عادة مريديه فى هذه الحضرة ذات التقاليد التى تبعدك عن الاشباح الى الارواح . وابادر الآن بتسجيل مسالة فى موت هذا الرجل لها كل العجب . فلما عزم - وانا فى تونس - على حج بيت الله الحرام. وزيارة المصطفى عليه السلام وصحت على ذلك ارادته : ذهب قبيل سفره الى مقام سيدى ابى الحسن الشاذلى. وطلب من الحاضرين أن يؤمنوا على ماسيطلبه فى هذا المكان الطاهر من رب العزة جلت قدرته :طلب من الله تبارك وتعالى مبتهلا خاشعا. متضرعا أن يجعل آخر أيامه فى هذه الحجة بجوار بيته الحرام وقريبا من رسوله عليه السلام فامنوا على دعائه ، وبجوار الكعبة جدد التضرع والدعاء والابتهال . فاستجاب الله تبارك وتعالى دعاءه ولو فى هذه الحجة كما طلب

تخفى الصور ويبقى الاثر . فصورة الشيخ الشاذلى اختفت من بين الناس فى هذا العالم . لكن : أثره لايزال باقيا بين محبيه ومريديه تأثرت لموت هذا الرجل كل التأثر ، وفرحت لموته على هذه الصورة كل الفرح ،فموته على هذا النحو دليل على أنه كان صافى النفس طاهر القلب مقبولا عندالله وكأنى بجند الرحمن وقد أقبلوا اليه يزفون ان الله تبارك وتعالى قد قبل دعاءه فتوفاه حيث طلب وسيق مع الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا .

أردت أن أقوم بواجب العزاء فى هذا الرجل الذى لم أره الا مرتين اثنتين فى مقام سيدى ابى الحسن الشاذلى . لكن : اين منزله ..؟ والى من أقدم واجب العزاء ؟ . أما منزله فسهل ان أسأل عنه . وبالفعل دلونى عليه فى بلدة « رادس » بجوار بئر الطراز . واما واجب العزاء فعند الله احتسب هذه الخطوات .

وبالفعل ذهبت الى تلك البلدة النائية - بعد ظهر يوم السبت ١٨ من مايو سنة ١٩٦٣ - فدخلت وليس بالدار من أحد يعرفنى اللهم الا من زيى بأنى عربى مصرى ، فاكرموا وفادتى . كل الاكرام . ثم قابلنى الشيخ محمد الهادى شيخ الطريقة الشاذلية وكان قد رآنى فى مقام سيدى ابى الحسن الشاذلى أكثر من مرة ، وبعد قليل من وصولى أو بالتحديد فى الساعة الرابعة والنصف من ذلك اليوم قام الشيخ محمد الهادى مع بعض المريدين لقراءة ورد سيدى ابى الحسن الشاذلى هدية لروح المرحوم الشيخ الشاذلى خلاص .

ولقد اديت واجب العزاء فى تونس عدا هذا مرتين : الأولى فى وفاة شقيقة حرم فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الشاذلى ابن القاضى وأخت المجاهد الكبير المرحوم السيد البلهوانى .. والثانية فى المرحوم الشيخ التيجانى قيم كلية أصول الدين . وعادة تونس - الحاضرة - فى المأتم تنحصر فى :

١ - مأتم الدفن . وهو تشييع الجنازة ، ولا تحمل على الأعناق . وانما على السيارة حتى المقبرة والمشيعون من ورائها . فاذا ما وصلت الى القبر صلى عليها ثم واروها التراب وعلى المقابر - التى رأيتها فى مقبرة الزلاج - علامات تميز العلماء والاشراف فكل على مقابرهم ما يشبه العمامة غير أنها للاشراف خضراء وللعلماء بيضاء وليس عندهم نديب ولا صراخ على الميت .

٢ - الفرق الأول ويكون بعد يومين من الدفن .

٣ - الفرق الثانى ويكون فى ثالث يوم بعد الفرق الأول

٤ - ثم ليلة الزيارة فى اليوم الرابع عشر بعد الدفن وتصبح الزيارة فى اليوم الخامس عشر منه .

٥ ـ ثم الأربعين ٠٠٠ ويطرحون منه يوما أو يومين

٦ ـ ثم اتمام السنة ٠ ويعبرون عنه بغلق العام ٠ ويطرحون منه شهرا

ولا تعرف السيدات فى المآتم لبس السواد بل يذهبن ـ اغلبهن ـ ملتحقات بـ«السنسارى» وهو يشبه « الملاية اللف » الا أنها بيضاء

الشيخ محمد الخضر حسين

ومادمت اتكلم عمن ذهب الى جوار ربه من عباد الله الصالحين من أهل تونس فلا انسى أستاذى الشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الأزهر الأسبق : الشيخ محمد الخضر حسين ولد فى بلدة « نفطة » التابعة لولاية قنصه فى الجنوب الغربى من تونس ٠٠٠ وقلت فى مناسبة سابقة : ان الشيخ الخضر حسين كان من زملاء فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ٠ وأنه كان الأول فى شهادة التطويع ـ تعادل عالمية الازهر ـ الا أنه سقط فى المناظرة فودع تونس مهاجرا : وامتحان شهادة التطويع فى ذلك العهد القديم كان عبارة عن :

١ ـ مقال تحريرى فى الفقه ٠

٢ ـ القاء درس

٣ ـ أسئلة يسأل فيها فى مواد : النحو ٠٠٠ والبلاغة ٠٠٠ والاصول ٠٠ والرياضيات ٠

أما المناظرة فهناك مناظرتان : واحدة للتدريس الصغير ٠ وموادها مثل مواد الامتحان السابق ٠

والثانية للتدريس الكبير ويقتصر فيها على درس واحد فى الفقة ٠

واللجنة التى أسقطت الشيخ الخضرحسين كانت مكونة من الشيخ «القصار» ٠٠ القاضى المالكى ومن قاضى حنفى هو الشيخ محمودبن محمود والد الشيخ محمد المختار بن محمود الأستاذ الآن فى الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين ، والذى فضل على الشيخ الخضر فى المناظرة ـ على رواية الشيخ محمد المختار ـ هو الشيخ النجار ٠٠ وعلى رواية فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور هو الشيخ محمد العنابى ٠ وقد تولى الافتاء

وقد جادت قريحة الشيخ الخضر بقصيدة فى هذا الموقف منها :

كأنامل القصار تعمل مثل آ
لات تحركها يد النجار

وكان للشيخ القصار اتصال خاص بالشيخ النجار ٠

ولما سقط الشيخ الخضر فى المناظرة هاجر من تونس قائلا يودع أهلها :

أودعكم والله يعلم أننى
شغوف بكم لا أرتضى البعدعنكم
وما عن قلبى كان الفراق وانما
دواع تبدت فالسلام عليكم

وفى تونس سألت عن اقارب الشيخ رحمة الله عليه لأزورهم وفاء له ، فقالوا لى : ان الموجود منهم فى تونس الآن اثنان : أحدهما فى وظيفة قيم فى معهد ابن شرف التابع لجامع الزيتونة ٠ واسمه « حمادى بن حسونة بن الحسين » وهو ابن اخيه ، والثانى : واسمه محمد على بن حسونة بن الحسين ٠ ابن اخيه كذلك ، وهو موظف فى الديوان السياسى فى نهج روما ويتبع الحزب الحر الدستورى ، وهما من بلدة «توز » القريبة من «نفطة» مسقط رأس الشيخ و «توز» هذه تبعد عن مدينة تونس الى الجنوب بمقدار ٤٨٠ كيلو مترا ٠ ولقد سألت عنهما غير أننى لم أوفق لزيارتهما

وكان الشيخ الخضر حسين يخرج مجلة فى تونس اسمها « السعادة العظمى » ٠٠ ولما جاء الى مصر أخرج مجلة سماها «الهداية الاسلامية» وكان لها نشاط محس فى الدعوة الى الحق كما رسمها القرآن الكريم ٠ وأذكر أنه مرة دعانى لالقاء محاضرة فى دارها وكان موضوعها ـ على ما أذكر ـ سياسة الدعوة الى الله تبارك وتعالى ٠ ولقد حضرها رحمة الله عليه مع من حضر ٠ وبعدها بأيام عقد مجلس ادارة الجمعية وقرر ضمى عضوا فى مجلس ادارتها ومن ذكرياتى عنه فى هذه الجمعية أنى ذهبت اليه مرة فى دارها فوجدت بعض الصور المعلقة على حوائط حجرة الاستقبال : وجدتها مقلوبة ـ أى وجهها الى الحائط وظهرها الى الرائى ـ ولما سألته : لم هذا يامولانا ؟ ٠٠ قال:

ان بعض حجاج تونس سيزوورون الدار غدا ومن تقاليدهم ان لايروا مثل هذه الصور فحجبتها عنهم مراعاة لشعورهم .. وظلت الصلة بينى وبينه طيبة الى ان تولى مشيخة الأزهر فذهبت لزيارته فى مكتبه . فأنكرنى وأنكرته . ولما رأيته متجهما سألته عن السبب الذى حول قلبه عنى . فقال : لقد ألقيت محاضرة انحرفت فيها عن مبادىء الدين . فقلت له فى أى موضوع ؟ .. فقال : عن المرأة .. فقلت له : حسن هذا وما رأيك انى سأحضر اليك هذه المحاضرة لتقرأها ثم تحكم بعد ذلك . واتفقنا على أن أذهب لفضيلته بها فى مكتبه بادارة الأزهر فى اليوم التالى للمقابلة والمسألة أنه لما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ دعتنى الجمعية النسائية لالقاء محاضرة عن « واجب المرأة فى العهد الجديد » وكانت فى دار نقابة الصحفيين بالقاهرة . وأذكر ممن حضرها يومئذ الاستاذ الدكتور منصور فهمى « باشا » والاستاذ غزالى محافظ القاهرة . والاستاذ البندارى وكيلها وبعض الشخصيات من رجال ونساء . وفى مقدمة المحاضرة قلت . ان المرأة كانت مظلومة مضطهدة عبر التاريخ ولم ينصفها الا الاسلام . واسترسلت فى المحاضرة الى أن انتهيت فطلب الكلمة بعض المحاضرين ممن يرحمهم الله ، فقال ما نصه : ان الذين يقولون « أن المرأة كانت مظلومة مضطهدة هؤلاء واهمون لا يفهمون » فطارت هذه الكلمة صوابى أو كادت . ولما انتهى من تعليقه أو من كلمته تحفزت للرد عليه وكنت ساعتها أجلس بين الاستاذ « غزالى » محافظ القاهرة يومئذ .. وبين الاستاذ « البندارى » وكيلها فاقسم على الاستاذ « غزالى » ان لا أتكلم حتى لا تتسع المسألة. وقد كان. فذهب « أولاد الحلال » الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان الى شيخ الازهر الشيخ الخضر ووسوسوا اليه حتى غيروا قلبه نحوى .

ولما ذهبت بالمحاضرة الى فضيلته كما اتفقنا جلست بجواره على مكتبه فقرأت له من الألف الى الياء وهو ينصت الى ولم يتشاغل عنى رحمة الله عليه حتى أصبح الموظفون والزائرون حول المكتب كدائرة . ولما انتهيت منها قال لى رحمة الله عليه مانصه بالحرف الواحد : المحاضرة جيدة ولاشىء فيها الا انى آخذ عليك شيئا واحدا فقط ، قلت : ما هو ؟ قال : لم تقل : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يلف يده وهو يبايع النساء . قلت : المهم أن هل ما وصلك عنى فيها كان صحيحا ؟ قال : لا . قلت يكفينى هذا . وأحب أن أقول لفضيلتكم قبل أن اغادر هذا المكان : انى أجلك لانك أستاذى قبل أن تكون شيخا للازهر . فلتحذر ممن يطرق بابك منافقا .

والمغفور له الشيخ الخضر حسين كان ممن يؤثرون الله تبارك وتعالى بالمحبة على كل شىء . لذلك صحت ارادته ، ووصل أمره على العلم برفض الجهل ، وعلى رفض الدنيا بالاقبال على الآخرة فظهرت عليه آثار الخصائص بالنور والبهاء . وله شعر جيد ، فى وصف الليل يدل على انه كان يلازم الخلوة أحيانا ويذكر الله دائما - قال فى وصف الليل :

بصرى يسبح فى وادى النظر
يتقصى أثرا بعد أثر
واذا أرخى الدجى أستاره
قام سمعى كاشفا عما استتر
انما الليل سجل كتبت
فيه للافكار رأى وعبر

ولقد أخذت هذه الأبيات رواية عن اخى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد المختار ابن محمود فى منزله العامر ليلة الجمعة ٤ من ذى القعدة سنة ١٣٨٢ الموافق ٢٩ من مارس سنة ١٩٦٣ .

ومن كلمات الشيخ الخضر - أهل تونس يقولون عنه : الشيخ الأخضر - عليه رحمة الله قوله فى احتفال جمعية الهداية الاسلامية بذكرى المولد النبوى الشريف فى ربيع الثانى سنة ١٣٥١

« جاهد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الجهل. وشر الجهل عدم معرفة مبدع الكائنات بحق. وجاهد الاخلاق الرذيلة. فكره للنفوس الجزع . والجبن . والبخل . والصغار . والكبر . والقسوة . والأثره . وعلمها الصبر

والشجاعة ، والكرم ، والعزة والتواضع والرحمة ، والايثار .

علمها الصبر فهان عليها كل عسير . وعلمها الشجاعة فحقر امامها كل خطير . وعلمها الكرم فجادت فى سبيل الخير بكل نفيس . وعلمها العزة فسمت الى كل مقام مجيد . وعلمها التواضع فتآلفت كل قلب سليم . وعلمها الرحمة . والرحمة رباط التآزر والتعاون على تكاليف الحياة . وعلمها الايثار . والايثار أقصى ما يبلغه الانسان من مراتب الكمال .

رفع المصطفى - صلى الله عليه وسلم - اعلام العلم . وهدى الى مكارم الأخلاق . ثم علم الانسان كيف يعمل صالحا . ويعيش آمنا وهو الذى أوحى اليه بأصول تجعل المدنية محكمة البناء . وآداب تكسوها رونقا وبهاء »

جمال عبد الناصر فى أفريقيا
والمغرب العربى

من المآثر الخالدة التى جعلت السيد الرئيس جمال عبد الناصر زعيما لايبارى مسالة تاميم قناة السويس . ولقد سمعت فى تونس شابا موريتانيا يسمع زملاءه هذه الأبيات مدحا فى السيد الرئيس جمال عبد الناصر الذى باتوا يتغزلون فيه وقد اصبح بعد هذا التاميم - على حد تعبيره - معبود الجماهير فى افريقيا والمغرب العربى قال :

ومدلة بالحسن قلت لها اقصرى
ان الجمال جمال عبد الناصر

بطل تفرد عصره فى عصره
بجماله من بين كل معاصر

القت له مصر القياد فاصبحت
تدنى جنا ثمراتها للهاصر

لله در ثقافة وقفت به
دون الطموح وفوق شأو القاصر

« اشبال تونس والرئيس جمال عبد الناصر »

شعب تونس على العموم يحبنا نحن المصريين حبا كبيرا ويقدر السيد الرئيس جمال عبد الناصر تقديرا عظيما ولقد لمست بنفسى هذا الحب عن قرب حتى بين الاشبال الذين لايتركون فرصة تمر الا ويعبرون عن احساسهم الطيب نحو السيد الرئيس وشعب الجمهورية العربية المتحدة ، وهاهو ذا نص خطاب فى هذا المعنى .

كان رئيس الاشبال السيد منصف عمران قد أرسل فى عيد الثورة - ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٢ - خطابين : احدهما الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر . والآخر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة للتهنئة بعيد الثورة العاشر . فجاءه هذا الخطاب :

السيد المنصف عمران نهج طاحونة الريح عدد ١٣ مدينة تونس .

تحية طيبة « وبعد »

فبالاشارة الى كتابكم المؤرخ ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٢ الموجه احدهما الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر والآخر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة للتهنئة بعيد الثورة العاشر أتشرف بالافادة بأن السفارة قد أرسلت هذين الكتابين الى رياسة الجمهورية . وقد طلب منا ديوان كبير الأمناء ابلاغكم شكر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر على تهنئتكم له ولشعب الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة العيد العاشر للثورة مع أطيب تمنياته وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

محمود القونى .

وقد زرت السيد منصف عمران رئيس الأشبال هذا فى مقر عمله بزاوية « سيدى ابن عروس » فسرنى ما شاهدته فيها من نظام دقيق وترتيب محكم وعمل دائب . وقد أطلعنى على القانون الذى يتربى عليه الشبل - الشبل من ٨ سنوات الى ١٢ . وبعده يصعد الى الكشاف لغاية ١٦ ثم يكون جوالا الى ٢٠ تقريبا - فاذا به يقول :

١ - الشبل يطيع القادة .
٢ - الشبل لايطيع هواه .
٣ - الشبل يفكر أولا فى غيره .
٤ - الشبل منتبه .
٥ - الشبل يقول الحق
٦ - الشبل بشوش

وعند مغادرتى نادى الأشبال بزاوية «سيدى ابن عروس» أهدانى قائدها هذه الصورة . وقد كتب على ظهرها .

من زمرة الفلاة بتونس الى السيد «منصور رجب» هذه الصورة التذكارية ، واننا نشكر سيادته على تفضله بزيارة نادى الأشبال

القائد المنصف عمران

الاشبال يقسمون انفسهم الى زمرة وكل زمرة تسمى باسم مستمد من الطبيعة كزمرة الادغال وزمرة العندليب وزمرة الامواج وزمرة الفلاة وما الى ذلك

« براءة »

فى شارع مزدحم بالمارة لحقتنى غانية كالزهرة التى لم تتفتح بعد ، فحيتنى بابتسامة حلوة وهى تقول : حضرتك من مصر ؟ .. قلت: نعم من مصر . قالت : أتحب أن تأتى معى ؟.. قلت وقد تلفت من حولى اتفرس وجوه المارة لهذا السؤال الغريب المفاجىء .. الى اين ؟.. ولماذا يابنيتى ؟ .. قالت : ان أبى يحب المصريين جدا ويتلقف أخبارهم وسيسر بك سرورا كثيرا وكذلك ماما . فازداد عجبى لتلك الجرأة التى أوقعتنى فى حيرة . ولم أرد أن أقول لها كذلك المتنطع الذى قال : أعزبى عليك .. بل قلت فى نفسى : ما ارقكن يا أهل تونس ، وفى جهرى : كان يسرنى يا بنيتى غير أنى الآن على موعد قد حل أو كاد . قالت أين ؟ .. قلت : فى الفندق الذى أنزل فيه .. قالت : آتى معك حتى تنتهى من موعدك قلت لها وقد أخذت تمسح حبات المطر من على جبينها الناصع بمنديلها الأبيض الرقيق ذى الرائحة المنعشة . وياليت هذا أيضا كان ممكنا فقد كانت زوجتى تسر بك كثيرا . قالت : أو زوجتك معك ؟ .. قلت نعم . وهى الآن فى انتظارى على عجل لهذا الموعد الذى سنذهب له فى ضواحى تونس . فقالت : وكانت هذه فرصة أجمل لتعارف أسرتين : واحدة من المشرق وأخرى من المغرب . وهربت منها بحكم التقاليد قائلا لها الى لقاء سعيد .

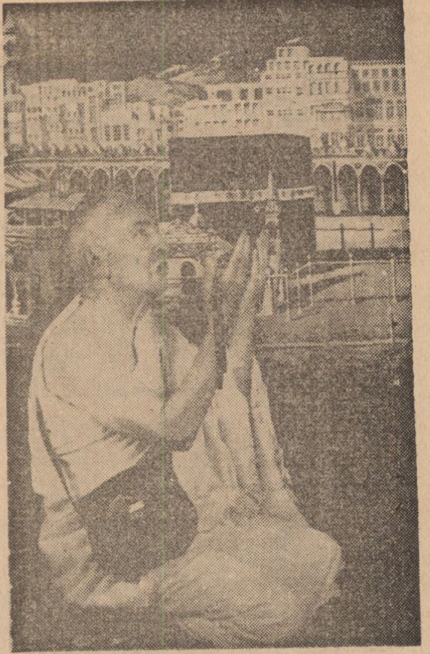

الشاذلى خلاص يدعو فيستجيب الله دعاءه

واقبل علينا ونحن فى الحديث شبل فحيانا بعلامة النصر ٧ برفع يده اليمنى فارجا بين السبابة والوسطى . فسألته عن تحية الكشافة فقال : برفع يده اليمنى بالاصابع الثلاثة : السبابه . والوسطى . والبنصر ، ومثلها تحية الجوالة .

واشبال تونس يصدرون مجلة اسمها « الشبل » هى الآن فى عامها الرابع .. وغاية قسم الاشبال هى : مساعدة الأطفال على اجتياز مرحلة الطفولة دون انحراف فى الشخصية ودون اكتساب صفات سيئة ، ويتخذون لهم مبدأ أساسيا يتمثل فى هذه القاعدة : ((علموا الاطفال وهم يلعبون)) .. ومن برامج اجتماع الزمرة ـ الجماعة ـ الصلاة . ومن نشيدهم الرسمى :

انا اشبال تونس رمزنا بذل الجهود
ننبذ كل خبيث وصنيعا لا يفيد
ونطيع القائد

زمرة الغـلاة بتونس ، وقد وقف وراءها قائدها المنصف

ولا أكـون مبالغـــا اذا قلت انى بجبتى وقفطانى كنت فى شوارع تونس ملفتا للنظر أكثر من روما : ففى محل من المحلات العامـة الكبيرة دخلنا نشترى بعض الملابس الرفيعـة فكانت النظرات والهمسات تلاحقنا فى كل مكان حللنا الى أن التف حولنا ثلاث فتيات من العاملات فى المحل • فقالت الأولى وقد أشارت الى قفطانى : من أين اشتريت هذا ؟ ••فقلت لها : من مصر ، قالت : أو مصر تصنع مثـل هذا القماش الجميل ؟ •• قلت لها : نعم ،بل ان كل ما ألبس من رأسى الى قدمى من صنع مصر • فبدا عليها الدهشة • فقالت الثانية : أن جمال عبد الناصر جعل من بلدكم بـلـدا صناعيا ممتازا • فقلت لها : نعم ، هـــذا صحيح ، غير أن ماأثار اعجابكم هذا يصنـع فى مصر حتى من قبل جمال عبد الناصر • فقلن : بهذا أصبحت مصر عـروس الشرق وزعيمة بلاد العرب حقا أما الثالثة فقالت : وعبد الحليم حافظ من بلدكم ؟•• قلنا : نعم قالت : أو ترونه ؟•• قلنـــا : نعم ونراه قالت : ومحمد عبد الوهاب • وام كلثـوم كذلك ؟•• قلنا نعم : وودعناهم على اعجابهم ببطل مصر الفذ جمال عبد الناصر • وبفنانى مصر الممتازين ••

وسمعت هذا من أكثر من واحدة وواحد شيبا وشبانا • أشبالا وشيوخا • واذا كانت السعادة محصورة فى فهم معنى الحيـــاة فمعنى الحياة فى تونس بطولة وفن ،فالبطولة فن والفن بطولة • وكل موهبة ودراســـة

« ابن عروس »

قلت فيما سبق : ان حكومة تونس جعلت للزوايا رسالات مادية جديدة تؤديها بجوار رسالاتها الروحية القديمة فمثلا : اتخذت من زاوية السيدة المتوبية مقرا للشعبة الدستورية الحزب •• واتخذت من زاوية سيدى أحمد بن عروس مقرا أو ناديا لزمرة من أشبال تونس وهكذا طورت الزوايا فبعد أن كانت محلا للدعاء والاستغفار والعبادة : يدخلها قـــوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهـم خوفا وطمعا ، يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه • أصبحت بجوار ذلك تؤدى خدمة أخرى جليلة ، فليست رسالتها الجديدة الا تطبيقا لتلك الرسالة الروحية القديمة :انها بالدعاء والاستغفار والعبادة تكـون الروح وتغرس شجرة الايمان فى النفوس ، وانهــا بالعمل الجديد توحى للمقيمين فيها الصدق

فى القول والاخلاص فى العمل ... وتوحى لهم البذل والتضحية والفداء •

ولى مع ابن عروس هذا قصة • فقد تفتحت عيناى فى القرية على قوم يطوفون على البيوت يطلبون الحسنات وهم يضربون بما يسمى فى العرف ب « الطار » ويتغنون بكلام ابن عروس ، وكم سمعناهم يقولون من كلامه •

مايقدر الليل مغبون	ولايقرب البنا دانى
ولايطعمنك شهد مكنون	الا الصديق الموافى

ويقولون :

والشخص مادام فقير	ماحد يسمع كلامه

ويقولون :

لابد من يوم معلوم	ترتد فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم	اسود على كل ظالم

وكان الشيخ احمد ابوشاهين فى القرية كثيرا ما كان يتمثل رحمه الله بكلام ابن عروس هذا فى المناسبات • وكثيرا ما كنا نسمعه يقول ان ابن عروس هذا كان قاطع طريق فاصبح من المتقين وكان يحكى لنا عن سبب هدايته انه مرة كان مارا فى الطريق اذ لقى عروسا ذاهبة الى محل زوجها ، فلما رآه أهلها تنحوا عنها خوفا منه • فاتى اليها • وسار يقول لها : من اين والى أين ؟ •• فاخبرته فبينما هو فى الحديث • واذا بالجمل مد عنقه وأكل من الزرع الأخضر وكان فى زمن الربيع فقالت له العروس :

باجمل العروس لا ترعى ندى
اليوم هنا والملتقى غدا

فلما سمع كلامها أشرق فؤاده وتاب الى الله توبة نصوحا . فاخذ بزمام الجمل وسار بها الى اهلها • ورجع فخلع ثيابه الفاخرة وخر هائما فى الجبال يقول :

حرامى وعاصى وكذاب
عاجز هزيل المطايا
وتبت ورجعت الباب
هيا جزيل العطايا

ولما كتب الله لى أن أزور تونس • رايت مرة بجوار جامع الزيتونة شارعا اسمه : «نهج سيدى ابن عروس » فصحت نيتى على زيارة هذا الذى رسخ اسمه فى ذهنى من صباى •

تدخل النهج فترى على يسارك زاوية «سيدى الكلاعى» . وبعد قليل ترى على يمينك زاوية « سيدى أحمد بن عروس » : تدخلها فيقابلك أول ما يقابلك على اليسار قبران • يقال : انهما لرجلين أسلما على يديه ، فأوصى بأن من يزور قبره يقرأ لهما الفاتحة : قرات الفاتحة ودخلت الزاوية • فقابلنى شاب مرحبا فظننت لأول وهلة أنه يتخذ منها مسكنا فاذا به السيد المنصف عمران قائد الاشبال الذى تقدم الحديث عنه •

كان الضريح مقفلا • وبعد أن استرحت فى نادى الأشبال مدة قدموا لى فيها مشكورين تحية الزائر حضرت فتاة فى نهاية العقد الثانى من عمرها تقريبا ترتدى ملابس قاتمة سابغة ففتحت الضريح •ثم ناولتنى شربة ماء في اناء صغير من فخار اشبه بما كنا نشرب فيه الماء ونحن طلبة صغار من السقايين فى الأزهر ويطاف به الآن على من يصلون الجمعة فى جامع الزيتونة • لم أكن فى حاجة الى ماء الا انى احترمت هذا التقليد وشربت من الاناء ماشاء الله لى أن أشرب : تدخل الضريح فترى فى مقابلك لوحة كتبت عليها هذه العبارة •

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم •

هذا الضريح قد حله شيخ كبير فاضل مقبول ذو شهرة وكرامة • وهو سيدى أحمد بن عروس « ٨٦٨ هـ »

وترى على يسارك وأنت خارج الى الشارع – أو النهج على اصطلاح أهل تونس – قبر ابنه – كما قالوا لى – وعليه رخامة كتب عليها • « سبحان المنفرد بالبقاء » ••وقصيدة مطلعها :

قبرنا بهذا القبر بحرا من الندى
وقصر من الاحسان كان مشيدا

وخرجت أردد مع ابن عروس قوله :

وتبت ورجعت الباب	هيا جزيل العطايا

والى اللقاء فى يوم القيروان •

دعوة الميثاق الوطنى

من دعوة .. الإسلام

الأستاذ حسنى عبد الحميد

تعددت الابحاث .. والكتب لتوضح عمق اتصال اشتراكيتنا .. بقواعد الدين الاسلامى الحنيف وجاء الميثاق ليضع أهداف الدين وسماحته وعدله وانصافه ليضعها كلها فى لبنة من بنيان اشتراكيتنا الانسانية

والواقع .. ان القيم الدينية والاخلاقية والمعنوية التى اوردها الميثاق جاءت معبرة عن مفاهيم اشتراكية واختلطت صياغتها بجوانب روحية تمس الانسان .. ووجوده وبقاءه وعزته وكرامته وعمله وعلمه وانتاجه ودوره الانسانى فى البناء الاشتراكى فى اشتراكيتنا .. وهو أساس الوجود .

ـ يرى طفولة صانعة للمستقبل . ومن واجب جيلنا ان يوفر لها كل مايمكن لها من تحمل مسئولية القيادة والنجاح .

ـ ويرى المراة متساوية بالرجل تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة .

ـ ويرى الاسرة فى خلية المجتمع لابد ان تتوافر لها كل أسباب الحماية التى مكنتها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى بجدارة لنتيجة متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى .

اذن .. مجتمعنا الاشتراكى .. مجتمع الرفاهية والبناء الاشتراكى . قادر من خلال هذه الاهداف الانسانية .. على أن يصوغ قيما انسانية اخلاقية جديدة لاتؤثر عليها القوى الضاغطة المختلفة من العلل التى عانى منها مجتمعنا زمنا طويلا .

والى هنا لنا وقفة ..

وفى جوهر اشتراكيتنا .. لابد لنا من لقيا

فى قواعد اشتراكيتنا .. والاعلان عنها وعن قوائمها فى الميثاق .. جاءت

ـ مقررة لحق الانسان فى العزة والكرامة .. وفى الكفاية والعدل .

ـ ومتمسكة بحق امتنا فى الحياة .. والتحرر .. والانطلاق .

ـ ومثبتة لخطانا على طريق ثورتنا الانسانية ... الاجتماعية .. والسياسية .

ـ وساعية الى تحقيق التكافل وتذويب الفوارق بين الطبقات .

وجاءت ايضا

ـ توكيدا لمعانى الفضيلة والايثار فى سلوك الفرد وصلات الجماعات .

ـ وتجليا لطالعنا الشعبى وحياتنا الاصيلة فى اطار قيمنا الروحية والدينية والخلقية .

ـ واعتزازا بتراثنا فى الماضى وبجهادنا فى الحاضر وعملنا من أجل المستقبل .

ـ ويقينا بأننا جزء لا يتجزأ من الشعب العربى وان أمتنا العربية واحدة .

ـ واداء لواجبنا التاريخى ورسالتنا الخالدة فى بناء السلام القائم على العدل .. من هذا كله .. اعلنت اشتراكيتنا .

ـ اطارا لحياتنا .

ـ وطريقا لثورتنا .

ـ ودليلا لعملنا .

وهذه الوثيقة قبل أن تكون منهاجا لنا فى طرائق معيشتنا .. فهى منبع قيمنا الأخلاقية فى حياتنا ومعاملتنا ..

والذى يهمنى أن ابرزه هنا .. ليس ذلك التلاقى والتحبب الذى تم عن ايمان ووعى بين اشتراكيتنا والدين .. فقد تناول الكثير من الكتاب والادباء وعلماء الدين .. تناولوا تلك الحقائق التى تؤكد أن اشتراكيتنا بجوهرها وباساليبها التطبيقية لا تتصادم بأى حال من الاحوال مع جوهر الرسالات الدينية الالهية .. لانه اذا فهمنا الدين على حقيقته .. ووعينا الحياة كما ينبغى فاننا لا نشك لحظة فى أننا لا نجد الا كل التوافق والتلاقى المنشود ..

ـ فالدين الصحيح يؤيد العلم الصحيح ..

ـ والاختلافات الظاهرية بين الدين والعلم هى مظاهر تنشا عادة عن قصر الفهم للدين أو العلم .

العمود الفقرى للوجود الاشتراكى ..

الوجود الاشتراكى الذى عشناه بالتدرج منذ قامت ثورة ١٩٥٢ . حمل لنا معانى .. تنادى بانه ..

- ان للجماعة ان تعيش وفق نظام خلقى متعاون .

- عموده الفقرى الايثار والكفاية والعدل وتكافؤ الفرصة ..

فكان العلاقات الانسانية .. والقيم التى تقوم عليها .. تأتى سابقة للوجود الاشتراكى .. وكان النظام الاشتراكى بكامل ابعاده لا تقوم له قائمة . ما تم يتخلله شرايين حية من المعاملات المتشابكة والمؤسسة على اصلح الطرائق وانظمها .. والمعاملات فى حد ذاتهالاتخرج

- فى بساطة وايجاز - عن قانون طبيعى . لا يطمع الفرد فى الجماعة ولا تطغى الجماعة على الفرد فيسير الموكب العامل للحياة محققا الخير للجميع .. والحرية للجميع فى ظل العدل الانسانى :

والواقع ان الفرد عضو فى الجماعة التى هو منها .. له كيانه وله ذاتيته وله احساسه وآماله وامانيه وليس يقف الفرد الطامع الطامح عند حد من الحدود .. الامر الذى كثيرا ما تجرفه الرغبة الى الدخول فى مناطق محرمة وهى مناطق غيره من الجماعة .. وهنا لابد له من رادع أو وازع أو ناه .. سواء جاء مصدره من الأديان أو القانون أو أخيه الانسان .

وعلى اساس هذه المبادىء ينظم الانسان حياته ويرسم له الاطار الكفيل بالبقاء فى حدوده وحدود رضاء الغير .. ويجيىء الاسلام الحنيف .. ليشع رسالة الدين والدنيا على أوسع وأبهى نظام وفى أعمق صورها .ويلفت الاسلام النظر الى الفرد وسلوكه وتفكيره ونوازعه . وغرائزه ونزعاته . كما يسلط الاضواء على الجماعة وتعاونها وتوادها وتراحمها .

وهنا .. يحس القارىء بأن الدين الاسلامى جاء بحق مخططا للانسانية كما ينبغى لتسير فى طريق النمو والحضارة .

فالاسلام يبقى على الفرد .. وذاتيته .. ولا ينكرحق التملك .. ولا يغفل ما يعتمل فى الانسان من غرائزتحركه وتدفعه .. والاسلام الى جانب ذلك أيضا ينكر على الجماعة حماية الفرد الشارد الباغى ويدفع الجماعة دفعا الى كل تآزر وتكتل واتحاد .. فتتكامل الجماعة وتتساند لتقف أمام الاستبداد والاستغلال ولتعطى المبادىء والقيم حقها الكامل لتورق وتنمو .

وفى ظلها تزدهر العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

وقبل أن ندلف الى الاسس التى اوضحها الاسلام فى كتابنا الكريم أو فى سنة الرسول العظيم .. والتى وضعت المناهج التشريعية الخلاقة .. لصورة المجتمع الاسلامى الصحيح القائم على المعاملات الانسانيةالاصلية احب أن ألفت النظر .. للمدعين الذين يرون - وفى قلوبهم مرض - أن النظام الاسلامى فى مناهجه الاقتصادية انما جاء معتمدا الاعتماد كله على الروحانيات ..وجعلها الاسلام اساسا قام عليه وهو بهذا انما يلهى الطبقات العاملة شانه فى ذلك شان الاديان السماوية .

والحق الذى لايرقى اليه شك .. ان الاسلام اصلا جاء ثورة روحية انسانية اجتماعية يدفع الناس كافة الى كل جوانب الحياة الدنيا بما تحمله من روحانيات وماديات « ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن الله اليك .. صدق الله العظيم .

وبهذا يتحقق التوازن الذى نقدته سائر الاديان الاخرى . وأكمل الاسلام الحنيف أى فراغ نشأ عن سيادة الجانب المادى او الروحى على الاخر .

ولندخل فى الموضوع .

١ - يحترم الاسلام الملكية الفردية « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم منها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .. صدق الله العظيم

٢ - « وان ليس للانسان الا ماسعى » صدق الله العظيم

٣ - راس المال هو فى حد ذاته انما هو فى مضمونه وسيلة للاستقرار والسعادة ويحرم الاسلام تحريما قاطعا كل عدوان وبغى فى الحصول على ملكية بالسلب أو النهب .

« قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يأولى الالباب لعلكم تفلحون » .. صدق الله العظيم

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم . وانتم تعلمون » صدق الله العظيم .

٤ - العمل فى الاسلام اعظم القيم

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » صدق الله العظيم

* اهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » صدق الله العظيم

المسلم اخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه

٥ - نصوص القران عند العمل والعمال فى واقعها تضع الاحكام الصالحة الثابتة ليصاغ منها ما يعتبر بحق أساسا تشريعيا لحقوق العمال وواجباتهم .

* « والله بصير بما يعملون » البقرة ٢٢٧

* « والله بما تعملون عليم » البقرة ٢٨٣

* « انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض » آل عمران

* « واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم »

* « انا لانضيع اجر المصلحين » سورة الاعراف

* ان الله لا يضيع اجر المحسنين » سورة التوبة

* « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون »

٦ وينير القران معاملاتنا وسلوكنا

* « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها .. »

* « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزيهم احسن الذى كانوا يعملون »

* « واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم »

* « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »

* « ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون »

* « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

* « والله يعلم اعمالكم »

* « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

* « ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم »

٧ - والعمال .. شملهم القرآن بفضله

* « ولا تبخسوا الناس أشياءهم »

* « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام

- ان اشرف الكسب كسب الرجل من يده »

- كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

- اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم »

- اعطوا الاجير اجره قبل أن يجف عرقه

ولعل اشتراكيتنا .. حينما تنادى بحق كل مواطن فى عمل يتناسب مع كفايته واستعداده ومع العلم الذى يحصل عليه باعتبار ان العمل فضلا عن اهميته الاقتصادية فى حياة الانسان فهو تأكيد للوجود الإنسانى ذاته « الميثاق الباب السابع »

لعل .. هذه الابعاد الانسانية تنبع من نبع الاية الكريمة ..

يقول تعالى :

* « هو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »

وهذا النص الكريم .. يشير الى التفاوت فى المواهب والكفايات والامكانيات البشرية والعضلية .. والواقع ان هذا التفاوت سنه من سنن الحياة به يخدم الناس بعضهم بعضا كل فيما يستطيعه ويحسنه فالعامل مسخر لخدمة صاحب العمل وصاحب العمل مسخر لخدمة العامل والعمل ..

* « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا »

والمقصود بالتسخير هنا .. تسخير مصلحة ومنفعة لاتسخير المذلة والعبودية ..

ومن هنا كان الاسلام دائما وابدا جامعا بين واقع الحياة الدنيا ومعاملاتها وطرائق معيشة أفرادها وبين المبادىء الانسانية الاشتراكية

الإسلام والحرية الإنسانية

الاستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

كان العرب قبل الاسلام تحكمهم اوضاع جائرة ، وتقاليد ظالمة تستند الى القوة والبطش والسلطان ، ولا تعترف بعد ذلك بحق من الحقوق الانسانية المشروعة ، فالحق فى منطقها للغالب يمليه كيف يشاء .

اما غير ذلك من الامور التى يستدعيها القانون الطبيعى للحياة فليس له فى منطقها اعتبار ، مادام لم يستند الى القوة التى تفرضه والسلطان الذى يؤكده، والسيف الذى يقنع به الاخرون .

وعاشت الجزيرة فى ظلال هذه الاوضاع الشاذة حياة يداخلها القلق ، وتستبد بها الاهواء .

والناس فيها اما سيد قوى ، واما ذليل مستعبد لايملك من امر نفسه قليلا ولا كثيرا ، فهو تبع لهوى القوى لايملك أن يخالفه أو يخرج عن حكمه وطاعته .

واشرق نور الاسلام ، والامة العربية بل المجتمعات الانسانية كلها تعيش فى ظلال هذا الوضع الجائر ، فاخذ ينفذ بشعاعه فى نفوس الناس ليبدد عنها سدول هذا الظلم الذى تراكم عليها منذ قرون ، ويتخلل بدعوته الى القلوب ليبعث فيها الضمير الذى اوشك ان يلقى حتفه من طول ماتوالى عليه من عصور الظلم والاستبداد .

واشرابت القلوب الى الدعوة الجديدة ترى فيها روحا لم تالفه من قبل ، ونغمة محببة ليس لها بها عهد .

والقت باسماعها فى يقظة الى صاحب الرسالة يزيل الغشاوة عن الافئدة المريضة ، ويلهم النفوس المنحرفة رشدها حينما يبصرها الطريق السوى بما يعلنه من وحدة الاصل والمنشا للناس جميعا ، ولهذا لايجوز ان يتعالى بعضهم على بعض ، ولا ان يتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ولا ان يظن فريق منهم انه خير من الآخر واحق بالسيادة « يأيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » .. « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

واذا كان الاصل واحدا ، فليس هناك مبرر ان يفخر احد على احد أو ان يظن بنفسه امتيازا على غيره لان عوامل التقدم واسس التميز لاتكون الا بما يقدمه المرء من عمل ، ويبذله من جهد فى سبيل الانسانية ومن اجل خير الجماعة والا بما تنطوى عليه حناياه من ارادة الخير وحب الناس والسعى فى تحقيق الامن والسعادة لهم ، ولا يتحقق هذا الاستعداد الخير فى الانسان الا اذا تسلح بقلب نقى وضمير حى واحساس نبيل وشعور يقظ ونهوض بالمسئولية نحو افراد المجتمع الانسانى الذى ينتمى اليه ، وليس لغير ذلك حساب من جمال الشكل وفراهة الجسم وحسن المنظر ، فان كل هذه اعراض لا وزن لها اذا لم يتحل صاحبها بدوافع الخير التى عرضناها .

ولهذا قال صاحب الرسالة عليه الصلاةوالسلام « ان الله لاينظر الى صوركم واجسامكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم » .

وتفتحت اعين الناس على تلك الدعوة الجديدة ،فرأوا قيما جديدة تحاول ان تعيد الى الانسان حقه المسلوب ، وأن توقظ فى ضميره ماخمد من ظلم السنين ، وأن تنبه الانسان الى عوامل التقدم الصحيحة فى هذه الحياة ، وأن تضع يده على سر السعادة الانسانية ليمشى فى طريقها وينسج على منوالها حتى تعود الى الانسان كرامته ، ويدرك سر وجوده . ويتمتع بحقه فى الحرية التى وهبها الله لبنى البشر جميعا .

وكان رد الفعل عنيفا فى المجتمع العربى حينما فتحت هذه الدعوة اعين المستضعفين على حقوقهم ، ونبهتهم الى طريقهم فتطلعوا الى ان يأخذوا ذلك الحق المسلوب الذى طالماتشوقت اليه نفوسهم منذ قديم الزمان ، واخذوا ينظرون الى المستقبل نظرة ملؤها الامل فى حياة تشرق عليها أضواء الحرية . ويتخلصون فيها من أوضار الظلم الذى اثقل كواهلهم طوال هذه السنين .

ولم تجد الدعوة الجديدة قبولا من هؤلاء الذين بنوا سلطانهم على مايزعمون من سمو النسب ، ورفعة الحسب ، وقوة الجاه وسلطان الغلب فاخذوا يكيدون لها ، ويضعون العراقيل فى طريقها ، ويديرون المؤامرات وينالون من صاحب الدعوة ومن اتباعه .

وتمضى الدعوة فى طريقها ترفع كرامة الانسان ، وتؤكد حقه فى الحرية والسيادة وتفتح امامه الفرصة ليثبت قدراته مادام لذلك اهلا حتى يقول عمر بن الخطاب العربى فى حق بلال العبد الحبشى « أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا » وحتى يقول النبى صلوات الله وسلامه عليه فى حسن معاملة الخدم والضعفاء .. اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما ياكل ، وليلبسه مما يلبس .

وتمضى هذه الدعوة الكريمة تعمل عملها فى نفوس المسلمين وبناة المجتمع الاسلامى فى أول عهده ، حتى يحدثنا التاريخ ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعاه بعض اهل مكة الى طعام ، فلما تهيا ليأخذ مكانه على السماط ، وجد بعض الخدم يقومون على اجابة مطالب الآكلين . فامتنع عمر عن تناول الطعام واخذ يوبخ هؤلاء الذين دعوه أن استاثروا على خدمهم بالطيبات ، واصر

على ان يشاركوه تناول الطعام ليحسوا بانهم ليسوا اقل حظا من غيرهم فى شرعة الاسلام الحنيف .

وبفضل هذه الحرية التى منحها الاسلام للناس جميعا بدون تفريق بين جنس وجنس أو لون ولون أو أى فارق آخر غير الاستعداد الخير والعمل المثمر تقدمت الحياة الاجتماعية والثقافية فى ظل الاسلام ، وارتقت قيمة الانسان ، واحس بوجوده ، ومارس حقوقه فى التملك والتعليم والسياسة والحكم والقيادة مادام أهلا لذلك .

وتاريخ الاسلام حافل بالنماذج التى تؤكد هذه الحقيقة ، وتبرهن عليها ، وهل بعد أن يدعو الرسول من ادعى عليه أنه أوجعه ليقتص منه أمام الناس ، هل بعد هذا دعوة الى الحرية وتحقيق لها ؟

وهل بعد ان يقف عمر بن الخطاب يخطب ويقول : أيها الناس أتسمعون ؟ فيجيبه صوت يتردد من جنبات المسجد : لانسمع ولا طاعة اليوم لك ياعمر ، فيسأله عمر عن سبب ذلك ، فيرد عليه قائلا لانك قسمت علينا ثوبا ثوبا . واختصصت نفسك بثوبين ، فينادى عمر ابنه عبد الله ويناشده أن يجيب المعترض ، ويخبره عبد الله انه تنازل عن ثوبه لامير المؤمنين لان ثوبا واحدا لم يكن كافيا بستر جسمه ، فيقول المعترض : الآن قل نسمع منك يا عمر .

ويتقبلها الخليفة راضيا لم تاخذه العزة بالاثم ، ولم ير فى هذا النقد جراة على سلطانه أو انتقاصا من مكانته ، لانه آمن بحرية الكلمة كما جاء بها الاسلام .

وهذا الايمان هو الذى دعاه الى ان يرد على من انكر على احد المسلمين أن يامر عمر بالتقوى بقوله : لا خير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نسمعها .

ومن حق هذه الحرية أن يتمتع بها الناس جميعا سواء منهم الضعيف والقوى والفقير والغنى والحاكم والمحكوم وبذلك يطمئن الضعيف الى حقه ، ويامن المحكوم ظلم الحاكم وعسفه ، وهذا هو الدستور الذى أخذ به ابو بكر رضى الله عنه نفسه حينما قال : « الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه » .

وهو الذى أعلنه عمر حينما بويع بالخلافة .. ايها الناس ان رأيتم فى اعوجاجا فقومونى .. فقام اليه رجل من عرض المسجد يقول : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا .. فما كان من عمر الحاكم الا أن قال: الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بالسيف .

هذه الحرية بسطت ظلالها على المجتمع الاسلامى فاثمرت خير الثمرات ونعم الناس فى ظل ظليل من العدالة والمساواة التى لا تزال الانسانية تحلم بالوصول اليها .

هذه الحرية هى التى دعت ذلك المواطن المصرى العادى حينما اعتدى عليه ابن الوالى بمصر أن يذهب الى الخليفة يشكو اليه عدوان ابن الوالى لانه تقدم عليه فى السباق .

واذا بالخليفة يبعث الى الوالى وابنه يستدعيهما ، ويتقصى حقيقة الامر حتى يتبين له صدق الرجل فى دعواه فيعطيه درته ويقول له : اضرب ابن الاكرمين واضرب أباه .

ثم يتجه الى عمرو قائلا : ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا .

هذه هى الحرية كما دعا اليها الاسلام ، وحققها ابناؤه ، وأقاموا أساسها على أنقاض أوضاع كانت تحكم المجتمع الانسانى كله حكما يستند الى موازين جائرة ظالمة ، فهدمها وأقام صرح الحرية عاليا شامخا متينا سعد الناس فى ظلاله حينا من الزمن .

فهل للباحثين عن الحرية والهاتفين بها فى عصرنا هذا ان يعودوا الى هذا الهدى الكريم ، ويفتشوا فى هذه المبادىء العالية حتى تنجو الانسانية مما تعانيه من ظلم وعسف .

شركة مصر لتجارة السيارات

احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت ... القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوناش بيبي
مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز
مصانع سيارات فولفو — مصانع موجارت بالمجر
مصانع س.أ.ف دلوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا
مصانع جرارات داقيد براون

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٢٧٣١٣٢ - ٧٣٠٢١
بالقاهرة

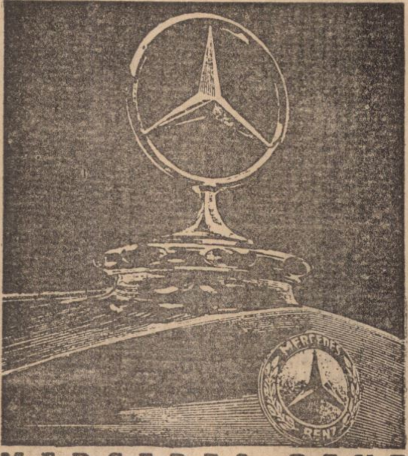
MERCEDES-BENZ

• محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

• ورش فولكس فاجن
٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩
٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة
تليفون ٦٠٤٠٦
٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية
تليفون ٢٥٨٩٦

من مظاهر الأعياد عند المسلمين في العالم

[من إعداد : حامد المرسى تقى الدين

فى باكستان : تقام حفلات ينشد كل واحد بيتا من الشعر

فى اندونيسيا : تحرص المرأة على صلاة العيد

فى مالى : يركبون الخيل وهم ذاهبون للصلاة

فى الملايو : يعدّون وجبات الطعام لإهدائها للاقارب

اعيادنا ذكرى ومحبة ، واحتفالاتها فرح ومـــودة ، ومظاهرها بهجة ونضرة ..

ومافرضت الاعياد فى الاسلام الا ليطرح الناس فيها هموم الحياة ، ويقبلوا على المودة والمسرات . يشكرون الله على ما أفاض عليهم بنعمة الاسلام ، وعلى ماوفقهم اليه من أداء العبادات والطاعات ، يتجهون اليـــه فى ضراعة ، ويذكرونه فى خشوع وعبادة .

فما يوم العيد .. الا سلسلة من طاعة مفروضة ،وعمل توفر فيه عنصر الاخلاص ، فكان واجبا أن تكون خاتمة السلسلة عيدا ، وخاتمة الدائرة فرحا وحبورا .... فالصيام فريضة .. فيها معنى الرياضة ، وفيها تجريد من مطالب النفس الغـــرائزية ، وفيها تحليق فى رحاب الروحانية ، وفيها شعور عظيم بالتعاطف والاشتراكية ، فكان ختام الصوم عيدا ، ونصرة على النفس وتوفيقا .

وعيد الأضحى فيه معنى البذل والفداء ، وفيه تساو فى الوقوف بعرفات ، « الكل حاسروا الرءوس ، خاشعوا القلوب ، متجردين من أرضيتهم الى روحانية السماء » وفيه تنقل من مكان الى مكان ، وفيه تجشيم من متاعب السفر وشدة الوعثاء ، فكان خاتمة المطاف عيدا ،وفداء عظيما .

وفى هذه الجـــولة سنقدم باقة من الزهور ، يختلف عبيرها وان اتحدت شجرتها ، وتختلف الوانها وان اتحدت مصادرها ومنابعها .

فبين حديقة الاسلام الفناء التى تذوب فيها الفواصل، وتمحى فيها الحدود والحواجز ، وتلتقى فيها الأرواح بالأرواح ... سنركب بساط الريح ونطوف بك حـــول العالم ، لننقل اليك زهرات مختلفات ، وورود متشابهات وغير متشابهات ،« وهى مظاهر الأعياد فى أقطار العالم الاسلامى » .

صورة حية واضحة ، لتقف على مايقوم به اخوانك فى مشارق الأرض ومغاربها من مظاهر وعادات وتقـــاليد .. راجين أن يتحقق فيها معنى المتعة والمودة ، والاخاء والوحدة .

فهيا بنا ياعزيزى القارىء .. لننتقل من زهرة الى زهرة ، فى حديقة الاسلام الفيحاء ، التى لحمتها الايمان ونسيجها البذل والفداء .

باكستان

تعتبر باكستان أكبر دولة من حيث عدد الســـكان « المسلمين » ، اذ يبلغ عددهم ٨٤ مليون نسمة .

والحياة فى باكستان تأخذ طابعا اسلاميا خاصا ، يظهر بوضوح فى مدى تعلق الباكستانيين بدينهم الحقيقى ، وباقامة شعائره .

رؤية الهلال

اذا أعلن هلال رمضان يغادر الناس بيوتهم ، ويتوجهون الى الأماكن الخلوية بعيدا عن زحمة المدن ، ليتسنى لهم رؤية القمر بوضوح وبأنفسهم ، واذا ماتعذرت الرؤية . فسرعان مانجد الوجوم قد ارتسم على وجوههم ، أما اذا رأوه فان السرور يشيع فى نفوسهم ، وتنطلق النســوة فرحات ، يغمضن عيونهن ويضعن القرآن على وجوههم ، ثم يفتحنه ليقرأن أول آية تقع عليها أنظارهن .

ويسمى الباكستانيون الأيام العشرة الأولى من رمضان « الأيام العرجاء » ، والأيام العشرة الثانية « الأيـــام السائرة » والأيام العشرة الاخيرة « الايام الراكضة »

البكاء ليوم الوداع

ويحتفلون بآخر يوم من رمضان ، حيث يحضرون الى المسجد مع أولادهم ونسائهم ، وفى هذا اليوم يعربون عن أسفهم لانقضاء هذا الشهر الكريم ، ويقوم بينهم المنشدون ينشدون القصائد فى تعداد فضائل رمضان .

وكثيرا مايشاهد الناس وهم يبكون من فرط تألمهم لوداع رمضان .

احتفـــال العيد

فاذا ماانتهى رمضان ، ويعلن الاحتفال بالعيد ، حتى تتخذ الحياة فى باكستان مظهرا جديدا ملؤه الغبطــة والفـــرح .

وأول مايفعله الباكستانيون صبيحة يوم العيد الخروج الى الأماكن الخلوية لأداء صلاة العيد ، وبعدها يرجعون الى بيوتهم ، ليتناول الجميع طعاما خاصا بهذه المناسبة عبارة عن « شعرية » بالسكر ، مع أكواب الشاى .

وبعد أن يعيد كل واحد على الآخر من أهل بيتـــه وأصدقائه يلبس ملابسه الجديدة ، ويخرج للنزهـــة أو للزيارة ، والأطفال يلبسون ملابسهم الزاهية ويخرجون الى الحدائق حيث يشتركون فى الألعاب المختلفة .

ويتخذ الباكستانيون هذه الفرصة للتيسير عـــلى الفقراء والمساكين .

حفلة السهر .. « المشاعرة »

وفى المساء يجتمع أهل كل بيت مع أصدقائهم ويقضون السهرات فى اجتماع اسمه « المشاعرة » حيث ينشد كل منهم بيتا من الشعر يواصل غيره انشاد بيت غيره يبتدىء باللفظ الذى انتهى اليه الشخص الأول .

وفى عيد الأضحى يحرص كل منهم على أن يقـــدم قربانا بعد الخروج من صلاة العيد ويفعلون فى مظاهرهم مثل عيد الفطر .

**

« أندونيسيا »

فى شهر رمضان المعظم تقفل دور التعليم . وفى المساجد تقام الصلاة ويتلى القرآن الذى يعرفه كل فرد فيهـــا بلفظه العربى ، ويفسر باللغة الأندونيسية .

الوفد الصينى والباكستانى بعد صلاة العيد فى احدالمساجد

مظهر جميل

وهناك فى أندونيسيا عادات جميلة منها اقفال المطاعم نهارا ، واحترا، الطوائف الأخرى لمشاعر المسلمين فلاتجد أحدا يأكل أو يشرب أو يشعل سيجارة فى الأماكن العامة

واذا دخل ضيف غير مسلم بيت مسلم فلا نقدم له شىء احتراما لقدسية هذا الشهر المبارك .

زكاة الفطر

وفى اندونيسيا لجنة دينية عليا تقوم بجمع زكاة الفطر عن طريق مندوبيها فى أنحاء البلاد طول شهر رمضان ثم بعد ذلك توزعها على الفقراء والمحتاجين .

ولايحدث ذلك فى غير زكاة الفطر

استقبال العيد

وعند رؤية هلال شوال تدق الطبول ايذانا بقدوم العيد ، وفى الصباح تقدم وجبة الافطار كاملة ، ثم يذهب الجميع من رجال ونساء وأطفال لأداء صلاة العيدمختلطين .. وتقام الصلاة من الساعة السابعة الى التاسعة صباحا خارج المسجد ، فى أرض فضاء يستمعون بعدها الى خطبة العيد .

من مظاهر العيد

بعد اداء الصلاة يذهبون الى رب الاسرة يسلمون عليه ويطلبون منه الصفح والغفران ، ثم بعد ذلك يذهب كل منهم الى والده ووالدته ووالد زوجته ووالدتها يقبل أيديهم ويطلب منهم الصفح ، ثم يذهب الى بيته ليسلم الصغير على الكبير وهكذا .

ولا يذهبون الى القبور فى هذا اليوم مطلقا ، لأنه يوم فرح وسرور .

وعند وجود الأسرة فى أماكن معدودة « قريبة اوبعيدة» لابد وأن يحضروا الى مكان رب الأسرة ، ويمضون عنده مدة العيد .

لايسمح بالرقص الفاتن فى أندونيسيا

وتقام حفلات صغيرة فى حدود الأسرة ، تلقى فيها الخطب الدينية والارشادات الثقافية ، ولا تقام حفلات رقص ولا غناء مطلقا ، لأنه عيد اسلامى ، ولايسمح مطلقا بدخول الرقص الفاتن « من هز البطن واظهار المفاتن وكشف العورة » .

عيد الأضحى

وفى عيد الاضحى ، يفعلون مثل عيد الفطر ، ثم يذهبون الى المسجد لاداء صلاة العيد ، وتحرص المرأة الأندونيسية على صلاة العيد كل الحرص

وبعد الصلاة يخرج كل منهم وقد أعد ذبيحته ، فينحرها ويقدمها للفقراء والمساكين والأقارب والباقى يأكل منه هو وأسرته .

وهناك فى أندونيسيا يكون قدوم العيد فرصة عظيمة ليتصافح المتشاجرون ، ويصفى مابينهم ، وتصبح القلوب نظيفة بيضاء ، خالية من الحقد والغل .

رئيس الجمهورية يستقبل الاهالى

وهناك عادة جميلة وهى أن يذهب رئيس الجمهورية ليصلى العيد ، وبعدها يذهب الى قصره يستقبل الأهالى ويسلم عليهم ويتعارف بهم ، وهكذا المحافظ فى محافظته والعمدة فى قريته ، كل يجلس فى قصره يستقبل الناس للسلام والتعارف . وبعد الانتهاء ، يذهب العمدة الى المحافظ ، والمحافظ الى رئيس الحكومة .

الهند

فى الهند ٥٢ مليونا من المسلمين ، يعيشون فى مختلف أجزائها ، من أقصاها الى أقصاها ، والهند ثالث دول العالم من حيث عدد المسلمين ، ويسبقهـا فى ذلك اندونيسيا وباكستان وفى الهند حرية دينية لجميع الطوائف ، من مسلمين ، وهندوس ومسيحيين .. الخ .

استقبال العيد

اهم الاعياد الاسلامية فى الهند ، عيدان ، عيد الفطر ، وعيد الأضحى ..

ويبدأ عيد الفطر برؤية الهلال الجديد ، مؤذنا بانقضاء شهر الصوم ، ففى رمضان يصوم المسلمون الشهر العظيم ويراعون حرمته وقداسته ، حتى اذا اكتمل الشهر واعلنت رؤية هلال شوال ، هرع الناس جميعا الى الشوارع ، وقد ازدانت بالاعلام ، وملئت بالزينات ، والثريا ، يهنئون بعضهم بعضا « عيد سعيد » .

مظاهر الأعياد

فاذا أصبح الصباح خرجوا لصلاة العيد ، فى المسجد فاذا قضيت الصلاة ، عادوا الى بيوتهم فلبسـوا « الجديد » من الملابس لا فرق بين كبير وصغير ، رجل أو امرأة ، ثم أكلوا الحلوى المعدة خصيصا لهذه المناسبة

وتخرج الأطفال بعد ذلك الى الميادين العامة والمتنزهات حيث نصبت الألعاب المختلفة ، وأخذت الموسيقى تعزف بالفرح والسرور .

اما الكبار اما يبقون فى بيوتهم لاستقبال أصدقائهم من الهندوس والمسيحيين الذين يأتون للمعايدة عليهم .

واما يخرجون لزيارة أصدقائهم المسلمين وتبـادل التهنئة معهم .

وكذلك فى عيد الأضحى ، تخرج الناس لصلاة العيد ثم يعودون الى بيوتهم لينحروا الخراف والمـاعز ، ثم يوزعون لحومها على الفقراء والمساكين ، ويتبادلون التهانى على نحو مايفعلون فى عيد الفطر .

تعطيل المصالح الحكومية

والاعياد الاسلامية فى الهند أعياد عامة تعطل فيهـا مصالح الحكومة والبنوك والمؤسسات ، حتى يتـاح للطوائف الأخرى مشاركة المسلمين فى أعيادهم ، على نحو مايشارك المسلمون اخوانهم الهندوس فى أعياد هولى ، وديوالى ، ودوسيرا .

**

« افغانسـتان »

افغانستان بلدة مسلمة متمسكة بالاسلام أشد تمسك محافظة على شعائره ، منفذة لكل تعاليمه .

فهم دائما قارءون للقرآن الكريم ، محتفلين بمن يختمه مرة ، بتوزيع الحلوى والصدقات ، ويخطبون الجمعـة باللغة العربية ، وأحيانا باللغة الأفغانية ، بعد القائها بالعربية .

عيـد رسمى

ويعتبر أول رمضان عيدا رسميا ، تتعطل فيه جميع الأعمال ، ويشارك الشعب فى هذه العطلة فيغلق المحلات والأسواق العامة (*)

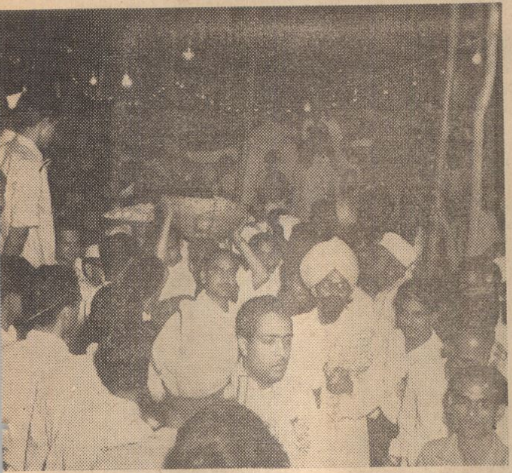

فى الهند يخرجون جميعا الى الشارع فى ليلة العيد

وتغلق المقاهى والمطاعم طول شهر رمضان ، وتستمر مغلقة الى اليوم الثالث من أيام عيد الفطر المبارك وذلك طبقا للقانون الاسلامى الذى تسير عليه البلاد .

ولا يستطيع أحد مهما كان مركزه ، ومهما كانت عقيدته أن يجهر بالافطار فى الشوارع لأن ذلك يعتبر جريمـة عظمى ، وفاحشة كبرى .

وفى رمضان ينشدون القصائد ويصاحب الأناشيد بعض الموسيقى ، ويرددون « رمضان يارب ، يارب رمضان السلام عليك ماه رمضان » « شهر رمضان » رمضان سروق مهات فى است « رمضان ضيفى ثلاثون يوما » عزت وفرحت ورضوان فى است « عزتى وفرحى ورضوانى » ومضان رفقه بود وباز آمد « رمضان كان قد مضى ثم عاد » بى غازها سر غاز آمد « عاد الى الصلاة من لم يكن يصلى » .

احتفالات الاعياد

يحتفل الافغانيون بعيد الفطر المبارك بمـا لايختلف الاحتفال به فى سائر البلاد الاسلامية ، ولو أنهم يهتمون به اهتماما كبيرا ، كما يستعدون له ، ولغيره من الاعياد الوطنية والموسمية المختلفة استعدادا عظيما .

ففى عيد الفطر السعيد يخرج الأفغانيـون الى اداء فريضة صلاة العيد فى العراء ، خارج البلدة حيث المصلى الخاص لاقامة هذه الصلاة .

ملك الـدولة

ويحرص صاحب الجلالة « محمد ظاهر شاه » ملك افغانستان على أداء الصلاة مع أفراد الشعب ، ويتبادل الجميع التهنئة ، ويعود جلالته الى القصر الملكى يستقبل المهنئين .

ولعيدى الفطر والأضحى ، مكانة كبيرة فى افغانستان ، اذ يتسابق الافغانيون على ادخال السرور فى نفـوس أسرهم وذويهم وأقاربهم وأصدقائهم ، الى جانب ادخال

فى الهند يستقبلون بعضهم بعضا فى ليلة العيد

السرور فى نفوس الفقراء والمساكين ، وذلك بالاحسان اليهم وتبادل التهنئة معهم .

كما يحرص الافغانيون فى هذين العيدين على ارتداء الملابس الجديدة ، وعلى تناول أشهى الأطعمة والتوسع على الأهالى .

ومن عادتهم الحسنة فى هذه الاعياد ، ان الافغانيين يسعون الى الصلح والسلام فيما بينهم ، فبحلول العيد يحل الصفح والصلح والوئام ، محل النزاع والخصام .
وهكذا يبدأ الجميع صفحة جديدة ناصعة البياض .

**

« جمهورية مالى »

مالى دولة مسلمة دينها الرسمى الاسلام ونسبة المسلمون فيها ٩٠ فى المائة من عدد السكان ،ومن التقاليد المالية انه يجب على جميع الأمراء حفظ القرآن الكريم .

وكان التعليم فى مالى باللغة الفرنسية وأصدرت الحكومة المالية قانونا يقضى بأن يكون التعليم باللغة العربية .

وفى مالى يقرأون القرآن جميعا من صغيرهم الى كبيرهم ، ولايفسر القرآن الا العالم الكبير والشيخ المتفقه حفاظا على عدم ضياع القرآن وفهم معناه الصحيح ، ويفسر باللغة المالية .

العيد فى مالى

عندما يعلم الناس ان العيد غدا يجهزون الجديد واللحم ويذيع الراديو على الناس تباشير العيد .

ركوب الخيل

وفى الصباح يذهبون لأداء الصلاة ، فيخرجون فى بهجة عظيمة فيركبون الخيل ويزينونها بأجمل الزينات ويركبون العربات أيضا الى مكان الصلاة ابتهاجا بالعيد ، ويؤدون الصلاة خارج المسجد فى مكان عام يتسع لأهل البلد جميعا .

وبعد الصلاة يخرجون للتزاور والمعايدة ، يسلم الصغير على الكبير ، وعند السلام يخلع الصغير الحذاء احتراما له .

حفلات الاعياد

وهناك تقام حفلات صغيرة يدعى فيها الاصدقاء ، يقول احدهما للآخر « انت عندى اليوم » ويقول الآخر له : « انت عندى غدا » .

وتقام حفلات كبيرة يحضرها معظم الناس ، يقدم فيها الاكل أولا ثم بعد ذلك يقدم شىء اسمه « جورجاكولا » بالفرنسية ، وهو نوع من المشروب مثل « الكوكاكولا » عندنا ، ثم بعد ذلك تدق الطبول وتعزف الموسيقى وتقام رقصات شعبية يعقبه غناء شعبى معبرا عن سعادتهم بالعيد .

وتقام للسيدات حفلات خاصة بهم ، يأكلون أيضا ويقدم لهم الهدايا ، ويقيمون بعض الرقص والغناء .

وتستمر الاحتفالات بهذه الاعياد سبعة ايام ، ثلاثة منها عطلة رسمية من الاعمال الحكومية ، والباقى احتفال شعبى ، هذا فى عيد الفطر .

اما فى عيد الأضحى ، يصلى الناس كعادتهم فى العيد الأصغر ، ويجز كل فرد شاة يذبحها عند الخروج من الصلاة ، يوزعها على الفقراء والمحتاجين ، والجيران ، ثم يأكل الباقى هو وعائلته .

وفى العيد تكون فرصة عظيمة ، يحضر الناس من كل مكان ، لفض النزاع بين المتخاصمين ، ويصبح الناس فى أمان وسلام .

الملايو

فى « مالى » لبسوا الجديد وقد ذهبوا لاداء الصلاة

فى الملايو تقوم احتفالات ضخمة وعظيمة فى المناسبات الاسلامية ، ففى رمضان يذهب الناس الى المسجد يستمعون الى القرآن الكريم ، وكل واحد فيهم يعرف معناه بالعربية ويشرح لهم الامام بلغة الملايو ، وتتولى الاحتفالات فى ليالى رمضان الهيئات العامة ، مثل الهيئات الموجودة عندنا : المواصلات ، اللاسلكى . الخ .. كل هيئة تقيم الاحتفال ليلة ، يتذاكرون فيه القرآن ، وفى آخر الليل يقدمون الطعام للحاضرين ، ويوم السابع والعشرين من رمضان يقام أكبر احتفال يشهده جميع المسلمون فى الملايو .

استقبال العيد

عند انتهاء رمضان ، يخرج الامام ومعه شهود الى أعلى مكان موجود فى البلاد لرؤية الهلال ، ولما يتأكد من رؤية الهلال يذيع الراديو معلنا قدوم العيد ، وبالتالى تطلق مراكز البوليس فى كل مكان صفاراتها اعلانا بان العيد غدا ، وفى الأماكن التى ليس فيها مراكز للبوليس تطلق المدافع طلقاتها المدوية .

مظاهر العيد

وفى صباح يوم العيد يخرج الجميع من رجال ونساء الى المسجد لصلاة العيد بفاصل بين الرجال والنساء وتقام الصلاة فى التاسعة والربع ، وبعد الصلاة يزورون المقابر ويرشون عليها ماء فيه رائحة جميلة « عطر أوورد » يرشونها على مقابر الاقرباء .

ثم بعد ذلك يتزاورون ويسلمون على بعض ، ويذهب كل منهم الى بيت الآخر ويقدم صاحب البيت الطعام للزائرين ، ويستمر على هذا ثلاثة أيام ، ولا تقام حفلات شعبية فى هذه البلاد ، والأقرباء وأفراد الأسرة الموجودون فى أماكن مختلفة ، اذا كانوا عن قرب حضروا الى مكان رب الأسرة لقضاء العطلة مع بقية أفراد الأسرة ، واذا كانوا فى أمكنة بعيدة لم يحضروا واحتفلوا بالعيد فى أماكنهم ، وكل أسرة فى الملايو تصنع طعاما خاصا تهديه الى الأسرة الأخرى طول مدة العيد ، وبعد العيد يصوم الكبار من المسلمين الايام التى بعد العيد « تأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم » .

فى باكستان فى ليلة العيد يذهب الابن طالبا العفو من والدته

وفى عيد الأضحى ...

يذهب المسلمون كعادتهم فى عيد الفطر الى المسجد لتأدية صلاة العيد ، ويخرجون فيذبحون الذبائح ويقدمونها الى الفقراء والمساكين .

ويتصافح الناس جميعا وينسون الأحقاد والضغائن ويخرجون لحياة جديدة خالية من الشجار والنزاع *

الفيلبين

صاحب الجلالة محمد ظاهر شاه ملك افغانستان وهو يرفع يده محييا حرس الشرف بعد خروجه عقب الصلاة من المسجد

فى الفليبين ثلاثة ملايين مسلم من عدد السكان الذى يبلغ عددهم سبعة وعشرون مليونا ونصف مليون نسمة ، ودين الدولة الرسمى المسيحية .

وسانقل لك ايها القارىء العزيز صورة واضحة عن مظاهر الاعياد عند مسلمى الفليبين وعن حريتهم فى احتفالاتهم .

فى شهر رمضان المعظم يتبارى الاهالى فى تقديم الفطور للصائمين تبركا بالشهر الكريم ، ويتسابقون أيضا فى ختم القرآن الكريم ، وعند ختم القرآن يذهب الفرد الى الامام يقول « اجعل هذه الختمة الى روح أجدادى الذين فارقوا الحياة » .

ليلة العيد

وفى آخر ليلة من رمضان ، الرجال كلهم مشغولون ، كل فرد فيهم يحتفل بقدوم العيد ، والنساء مشغولات طول الليل باعداد الطعام والحلوى التى ستقدم يوم العيد ، والأطفال فرحين مسرورين ، كل واحد ينظف نفسه ويعد ملابسه الجديدة .

عادات الفليبين فى اعيادهم

يعرف الفليبيون قدوم العيد برؤية الهلال وتبليغ الأزهر لهم بذلك ، وعندما يرسل اليهم الأزهر وهو كعبة النور ، تدق طبلة كبيرة يسمع دويها من مكان بعيد ، وفى الصباح ينظفوا انفسهم ويلبسوا الجديد ، ويفتحوا « الادراج » و « الصناديق » ليأخذوا بركة هذا اليوم العظيم .

ثم بعد ذلك يذهبون لأداء صلاة العيد ، وتحرص النساء على أداء الصلاة أيضا بفاصل بينهن وبين الرجال

تناول الطعام

وبعد الصلاة يخرج الرجال لتناول الطعام الموجود بجوار المسجد « الذى أعدوه طول ليلهم » فى مكان ملحق بالمسجد مخصص لذلك ، والنساء أيضا يخرجن لتناول الطعام بجوار المسجد فى مكان مخصص لهن .

وبعد تناول الطعام يخرجون جميعا للتزاوز وزيارة المقابر .

واجازة العيد عند مسلمى الفليبين يوم واحد ، يوم « العيد » واجازة العيد عن مسيحيى الفليبين حوالى ثلاثة أسابيع .

احتفالات العيد

وتقام حفلات للمسلمين ، يشرح فيها الامام . احتفال العيد ويبشر المسلمين ويطمئنهم بالجنة ، وما أعده لهم الله من النعيم ، وبما أنعم عليهم بنعمة الاسلام .

وفى عيد الأضحى ...

يحرص مسلمى الفليبين كل الحرص على ان يقدم كل فرد فيهم قربانا ، ولابد أن يكون عظيما ، لابد أن يكون عجلا ثمينا ، ويوزعون على بعضهم اللحم ، ويهتمون جدا جدا بهذا العمل ، اقتداء بما فعل سيدنا ابراهيم عليه السلام .

ويقوم رئيس الجمهورية بتهنئة المسلمين واذاعتها فى النشرات اليومية .

وحرية المسلمين فى الفليبين مكفولة ويرسل اليهم الأزهر بعثات كبيرة لتعليمهم وارشادهم .

وفى الفليبين مناطق خاصة بموطن المسلمين فمنطقة الجنوب خاصة بالمسلمين ، وهناك مناطق أخرى متفرقة ولكنها ليست بكثيرة .

**

عزيزى القارىء ..

لعلك قد استمتعت معى بهذه الجولة . ولعلى قد وفقت فى نقل المظاهر والعادات والتقاليد التى تقام عند المسلمين ولعلك قد عشت لحظات مع احتفال اخوانك فى جميع بقاع العالم .

وفقنا الله جميعا لما فيه خيرنا وسعادتنا .

دراسات فى الميثاق

عرض وتلخيص : الأستاذ محمد بهى الدين سالم

ان الميثاق ليس بسطور وصفحات بين دفتى كتاب . والميثاق ليس بسطور وكلمات تقرأ فى ساعة أو ساعات . انما الميثاق كفاح أمة وتاريخ شعب .

هكذا كانت واجهة الكتاب الذى تعددت موضوعاته وكلها تدور حول أبواب الميثاق العشرة وما جاء فيها من فلسفة تصلح لكل زمان ومكان .

ودعنا نستعرض بعض هذه الدراسات الشيقة فى مقدمتها بحث بعنوان « نجاح الميثاق يرتبط بشىء واحد هو الحرية » للاستاذ محمد حسنين هيكل ، بدأه يقول : « ان التجربة الضخمة التى نعيش فيها الآن . ترتهن نتائجها محليا وعربيا بمدى النجاح الذى نستطيع احرازه فى ممارسة الحرية فالحرية تتطلب ضمانات لنفسها وهى كذلك فى حاجة ماسة الى الممارسة وهى ما تحتاجه الآن بل هى الحل الوحيد لمشكلة الحرية » . ثم استطرد يقول . وفى تصوره أن العقبات التى تعترض طريقها ليست اخطارا تريد اغتيالها بقدر ما هى . رواسب ما زالت باقية على طريق الممارسة . والممارسة ستطيع أن تنفض هذه الرواسب وتفقل آثارها . ثم تجده يخرج بعدة نتائج يقول بأن سلطة الحكم ليس فى يدها وحدها . أن تزيل الرواسب عن طريق ممارسة الحرية انما سلطة الشعب هى التى تملك فى يدها هذه القدرة كما أنه لابد على الكثيرين منها أن يقرأوا الميثاق ويعيدوا قراءته فهو طريق جديد للتقدم فلابد لنا فى هذه المرحلة من اعادة التفكير فى أحكام كثيرة أصدرناها قبل مرحلة الوضوح الفكرى التى يبلورها الميثاق فالشعارات المحفوظة حتى تلك التى تجىء كلمة الحرية ضمن ألفاظها تستطيع فى بعض الاحيان أن تكون عائقا يعرقل ممارسة الحرية . فمفهوم الحرية ليس مفهوما جامدا ولا يمكن حبسه فى شعارات محفوظة من تجارب سابقة . ثم ينهى دراسته بسؤال عن كيفية امكاننا أن ننفض الرواسب التى مازالت باقية على طريق ممارسة هذه الحرية يقول « ان حركة الممارسة ذاتها تقدر أن تنفض كل هذه الرواسب وتضيف الى شعار المرحلة السابقة من العمل الثورى وهو ثورة الشعب تتمته الطبيعة وهو ثورة بالشعب »

وهكذا تمضى بنا تلك الدراسات حتى توقفنا الدكتورة سهير القلماوى عندما تضع عنوانا لبحثها هو « لقد أنصف الميثاق المرأة » .

تقول « ليست هناك فقرات من الميثاق أثارت النقاش حولها مثلما أثارت هذه الفقرات التى سويت بين الرجل والمرأة فالمساواة بالرجل لا يقصد بها الا أن تفك عن المرأة الاغلال التى كبلتها سنين طويلة فتصبح حرة . حرية الرجل فى أن تتحرك لتشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » .

واذا فصنع الحياة هو الهدف من حياة الأفراد او استمرار الحياة والرقى بها هو غاية الانسان وهذه العملية تحتاج الى المشاركة . والمشاركة لابد من أن يكون فيها الشريكان كلاهما حر فى حركته ليكون عمله ايجابيا عميق التأثير . ثم نراها تقول أن المرأة الأم لا يمكن أن تنشأ أولادها على الحرية وهى مستعبدة ولا يمكن أن تربى جيلا متفتحا للحياة وهى تحس أن الحياة مغلقة فى وجهها ولا يمكن أن تنشىء جيلا يعرف الجهاد وقيمة النضال وهى مدللة . فالمرأة التى لا تمارس المسئولية ولم تعرف ماذا يجرى فى الحياة من حولها لا يمكن أن تخرج للمجتمع جيلا يحمل المسئوليات الثقال ويعرف عن الحياة ما لابد أن يعرف ليشق طريقه الصعب الوعر الى ما يريد لنفسه ولأمته ثم نجدها تتحدث عن المرأة المعاصرة فتقول « ان

المرأة اليوم لا يمكن أن تعيش حبيسة جدران بيت مهما يكن فيه من سبل الاتصال بالحياة الخارجية. انها محتاجة الى أن تعمل على تغيير وجه الحياة فى بيئتها المحلية أولا ثم فى وطنها الصغير . ثم فى وطنها الكبير كله . لذلك عندما نص الميثاق على ضرورة المساواة وعلى ضرورة أن تسقط الاغلال لم يقل لأن ذلك هو العدل وانما أكد أن ذلك هو الطريق الوحيد لأن تشارك المرأة بعمق وبايجابية فى صنع الحياة .

فمساواة المرأة بالرجل فى الاجر والعمل من صميم تعاليم الاسلام ولقد أكد الميثاق هذا المعنى بان أكد المساواة وهدفها الى صنع الحياة بعمق وايجابية .

ثم يضع لنا الدكتور مهدى علام . بحثا شيقا بعنوان « الميثاق واذابة الفوارق بين الطبقات » فيقول « أن من اهم ما استهدفته مبادىء الثورة الستة التى هى الدعائم الاولى للميثاق ، لابد من اذابة الفوارق بين الطبقات لكى تتحقق العدالة الاجتماعية التى هى أساس مجتمعنا الاشتراكى الجديد . بل ان اذابة الفوارق بين الطبقات هى الاصلاح الجذرى فى المجتمع . للقضاء على نظام الطبقات الذى تخلف فى مجتمعنا من رواسب الماضى . فالاستعمار كان يحمى نظام الطبقات لانه كان يعتمد على من كان يسميهم باصحاب المصالح الحقيقية . فالقضاء على الاستعمار اذا كان قضاء على طبقة الحكام وما يتبعه من المتنفعين والمتزلفين والقضاء على الاقطاع تخطيط واضح لمجتمع جديد لا تمزقه الفوارق الطبقية التى تقيم بينه الحواجز » . والميثاق يعالج هذه النقطة فى عدة مواضع فهو يقول مثلا ان الشعوب لا تستخلص ارادتها من قبضة الغاصب لكى تضعها فى متاحف التاريخ وانما تستخلص الشعوب ارادتها وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها. وفى نهاية بحثه يعطينا لمحة خاطفة عن الميثاق الوطنى الذى اعتنقنا مبادئه التى أصبحت نبراسا لنا فى حياتنا الجديدة والتى انبثق الشعاع الاول لها فجر الثورة التى قادها رئيسنا وظل هذا الشعاع يتسع ويفىء ويبدد الظلم والظلمات حتى تمثل نجما وضاء فى الميثاق الوطنى الذى قدمه الرئيس لامته نبراسا هاديا فى سياستها وتخطيطا واضح المعالم أمامه شامخا قائما على الايمان بالله وقدرته وعلى الايمان بالدين وقدسيته وعلى الايمان بالماضى وعظمته وعلى الايمان بالمستقبل ومسئوليته .

وكانت « الوحدة العربية من خلال الميثاق » هى موضوع بحث قدمه الاستاذ ناصر الدين النشاشيبى بدأه بقوله « وما كان وجود هذا الباب باب الوحدة ضمن أبواب الميثاق سوى الدليل أبلغ الدليل على أن القاهرة رغم كل شىء رغم الجراح رغم دسائس المستعمرين رغم مسئوليات القيادة والتوجيه رغم ذلك ما زالت وستبقى مؤمنة كل الايمان بالوحدة العربية عاملة لها سباقة بين شعوب العرب الى تنفيذها » . ثم نجده يتكلم عن الوحدة بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة وكيف كانت حياة ومعركة وثورة ومصيرا قبل أن تكون ميثاقا بل كان للميثاق مهمة تنظيم هذه المعانى وصهرها وتقويم مفهومها وتوضيحها وبلورتها . ثم نجد الكاتب يعقد موازنة بين الوحدة كما عاشتها القاهرة منذ عشر سنوات والوحدة كما نص عليها الميثاق فيقول « أنه الفرق بين أن نسرد المجلدات فى دور القاهرة فى نفخ روح الوحدة والقومية فى الدنيا العربية وبين ان نتقيد بتفسير وسرد نصوص الباب التاسع من الميثاق العظيم وسواء كان الحديث عن الوحدة حياة او الوحدة ميثاقا فان ثورة ٢٣ يوليو قد أحالت حلم الاجيال العربية منذ مطلع هذا القرن فى الوحدة وجمع الشمل حقيقة قائمة قادمة بفضل الزعيم العظيم » .

لقد عنى الميثاق فى مقدمة ما عنى به نظام الاسرة واسباب حمايتها لان فى حماية الاسرة حماية للمجتمع كله وتاصيل للرقى وتاسيس للرفعة المنشودة بل باعث على النهوض بالوطن جميعه اذ وطننا ما هو الا مجموع الاسر التى نعيش فيه يقول الميثاق « أن الاسرة هى الخلية الاولى للمجتمع ولابد أن تتوافر لها كل أسباب الحماية التى تمكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى محددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى » هكذا كانت بداية الدراسة التى قدمتها لنا الاستاذة مفيدة عبد الرحمن عن الميثاق والأسرة .

ومن خلالها تقدم لنا الاسباب التى نص عليها الميثاق لحماية هذه الاسرة من حق فى الرعاية الصحية والعلم بقدر ما تحتمله مواهب أفرادها لاستعدادهم ثم العمل الذى يتناسب مع افرادها وكفايتهم ودرايتهم بل وخبرتهم وتنهى بحثها بهذه الفقرة التى تقول فيها « وما دام قد أصبح للاسرة كل هذه الضمانات وتكفلت الدولة فى الميثاق لسائر المواطنين العيش الرغد الكريم والرعاية الصحية الكاملة والتعليم بسائر درجاته وجب على كل مواطن أن يقابل هذا بالحرص على مصالح الوطن الذى تظللنا سماؤه الصافية وتكلؤنا أرضه الفنية فلا نالو جهدا الا بذلناه ساعين الى الخير عاملين فى اخلاص وحب وصفاء لرفعة وطننا الغالى متقربين بذلك الى الله سبحانه وتعالى الذى قال فى كتابه الكريم . « انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » ولنمض مع هذا الكتاب ليستوقفنا بحث هو خاتمة مطافنا « عن الميثاق فى ضوء الاسلام » .

للاستاذ محمود عبد المجيد بداه بقوله « ان الميثاق يتضمن الاسس الروحية التى يقوم على هديها كفاح هذا الشعب وتم على ضوئها الانطلاق نحو المستقبل،وذلك الى جانب الاسس المادية لتنظيم شئون المجتمع فى النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية » . ثم يقدم لنا ملاحظاته عن ثمرة الثورة فى الميثاق وكيف انها من الثمرات العملية للديمقراطية التى مارسها الشعب بالاعداد والمناقشة والاقرار ، وان ذلك كان تحقيقا رائعا لمبدأ الشورى فى الاسلام ثم يعطينا أمثلة من عبر الماضى وتحليلا لظروف المجتمع وما كان عليه قبل قيام الثورة المباركة ثم يلمع عن حقيقة الميثاق وكيف أنه يرسى دعائم الاشتراكية العربية التى تتناقض مع الاقطاع ، والرأسمالية المستغلة والاستعمار والصهيونية كما أنها تختلف عن الاتجاهات الاشتراكية الاخرى لانها ليست خيالية أو شيوعية ولانها ليست فى حاجة الى ان تستعير مبادىء أو وسائل من الخارج . وهكذا يمضى بنا أحد هؤلاء الدارسين للميثاق فى ضوء الاسلام ليقول « ويمكننا بعد هذا أن نقول أن المبادىء الاساسية فى الميثاق لها أصول أولى فى الاسلام منبثة فى قيمة مبينة فى طرائقه وما زاد الميثاق الا ما يتناسب وطبيعة العصر الذى بعثت فيه الاشتراكية العربية التى تستهدف شرف الانسان وسعادته واضاءة حياته بنور الايمان بتحريره من الاستغلال وبتذويب الفوارق المصطنعة بينه وبين أخيه الانسان » .

تلك كانت بعض الوقفات التى استهوتنى عند مطالعتى لهذا الكتاب القيم الذى صدر عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية والذى زخر بالعديد من الدراسات التى استوحاها مؤلفوها من مبادىء ميثاقنا الوطنى وثيقة الشرف والحرية والمساواة .

الحارث ابن مسكين

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

ولد بمصر وعاش بها وتقلد القضاء بارضها فكان آية فى العدل وراسا فى عفة النفس لا يميل مع الهوى فيجور ولا تفتنه الأغراض فيضل وبذلك عاشت مصر مدة ولايته فى القضاء فى سعادة وامان وتلك هى رسالة القاضى البصير بالحكم المتحرى للعدل ولما للقضاء من أسمى المنازل وأرفع الدرجات رفع الله درجة الحكام وجعل لهم تصريف أمور الأنام يحكمون فى الدماءوالأموال والحلال والحرام وتلك هى خطة الانبياء ومن بعدهم من الخلفاء .

فلا شرف فى الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء ولسمو قدره فى الاقدار اشترط العلماء فى متوليه من شروط الصحة والكمال ما تقرر فى كتبهم واستبعد حصول مجموعه الائمة المقتدى بهم فقد نقل عن مالك بن أنس أنه كان يقول لا أراها تجتمع اليوم فى أحد فاذا اجتمع منها فى الرجل خصلتان العلم والورع قدمويقول عبد الملك بن حبيب وان لم يكن علم فعقل وورع فبالعقل يسال وبه تحصل خصال الخير كلها وبالورع يعف وان طلب العلم وجده وان طلب العقل اذا لم يكن عنده لم يجده وقد قيل كثير العقل مع قليل العلم أنفع من كثير العلم مع قليل العقل وليس العلم بكثرة الرواية والحفظ وانما العلم نور يضعه الله فى القلوب فمن قلد الحكم بين الخلق والنظر فى شىء من أمورهم فهو أحوج الناس الى هذا النور والى اتصافه بالتذكر والتيقظ والتفطن ولذلك كان اسماعيل بن اسحق قاضى القضاة ببغداد يقول من لم تكن فيه لم يكن له أن يلى القضاء

وقال ابن المواز لا ينبغى أن يستقصى الاذكى فطن فهم فقيه متأن غير عجول وذكر ان عمر بن عبد العزيز قال لا يصلح للقضاء الا القوى على امر الناس المستخف بسخطهم **وملامتهم فى الحق والعدل والقصد استفاد بذلك ثمنا ربيحا من رضوان الله وكذلك كانالحارث بن مسكينالذى ستنثر على سمع الزمان من جواهر كماله التى هياته لتولى منصب القضاء .**

نسبه وفضله : يقول علماء النسب فى تعريفه انه الامام أبو عمرو الحارث بن مسكين مولى محمد بن زياد ابن عبد العزيز بن مروان فالحارث قاضى الديار المصرية وشيخ أئمة السنة فى عصره كان فقيها على مذهب مالك محبا للعلم منذ نعومة أظفاره مكبا على تحصيله من اول نشأته يزاحم العلماء ويجالسهم ويسمع منهم وكان من بين من أخذ عنهم العلم ابن عيينة وابن وهب وابن القاسم ويوسف بن عمرو الفارسى وأشهب ومن الذين أخذوا عنه أبو يعلى ومحمد بن زبان وابن أبى دؤاد وخلق كثير وكان مع احاطته فى العلم وزهده وعبادته قوالا بالحق لا يخشى صولة ظالم ولا سطوة جبار وهو أقدم من رآى الليث بن سعد وسأله عن مسألة ولم يتهيأ له أن يسمع منه الحدبث .

ثناء العلماء عليه : قال عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان سألت احمد بن حنبل عن الحارث بن مسكين قاضى مصر فقال فيهقولا جميلا وقالمابلغنى عه الا خير وكذلك قال يحيى بن معين انه لا بأس به ويقول النسائى انه ثقة مأمون ويقول ابن يونس انه فقيه أخذ الفقه عن ابن

وهب وابن القاسم ووثقه الحاكم وقال مسلمة الاندلسي ثقة اخبرنا عنه غير واحد ويقول الخطيب البغدادى كان فقيها ثقة ثبتا وذكر ابن الطحان المصرى فى الرواة عن مالك أن الحارث بن مسكين قال حججت فرايت رجلا فى عمارته فسألت عنه فقيل انه مالك بن انس فرأيته ولم أسمع عنه .

انحرافه عن الدولة العباسية : كان المامون قاسيا على المالكيين وزادت قسوته بسبب الحارث وانحرافه عن الدولة العباسية لانه كان من موالى بنى امية كما أسلفنا القول فيه فارتحل الى العراق وأقام ببغداد من سنة سبع عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فى خلافة الواثق وكان ابن ابى دؤاد قد ذكر الحارث فى مجلس الواثق فقال ما ظننت انه حى فقال هو باق فأمر بحمله الى مدينة سر من راى فشفع فيه ابن ابى دؤاد وقال للواثق هو شيخ وكثرة الحركة تثقل عليه وتتعبه واضاف أن يموت فقال اكتب اليه يتوجه حيث شاء فتوجه الى بلده مصر وكان جماعته من بغداد قد الفوه فتأسفوا على فقده منهم ابو على الجزرى فكتب الى سعدان بن زيد وهو يومئذ بمصر يعرفه ما غمه من فقد الحارث فأجابه بأبيات منها

ايهـا الشـاكى اليـنـ وحشـتـه
من حبيب بـان عنـه فبعـد

ولقـد متعـك الله بـه
بضـع عشر من سـنين قد تعد

لو تـراه وابـا زيد معـا
وهمـا للـدين حصـن وعضـد

يدرسـون العلـم فى مسجدهم
واذا جنـهم الليـل هجـد

وحق لهم ان يأسفوا لفقده فقد كان اماما مقدما على الافراد سائدا على الاجواد روى عنه كافة المصريين ولازموه للاستفادة وفيه يقول محمد بن وضاح كان الحارث ثقة الثقات .

صفاته الخلقية والخلقية : كان مقعدا من رجليه يحمل فى المسجد الجامع فى محفة وكان يركب دابته متربعا وطلب اليه لبس السواد حيث كان شعار بنى العباس فامتنع فخوفه أصحابه سطوة السلطان به وقالوا يقال انك من موالى بنى امية فأجابهم الى لباس كساء أسود من صوف وكان ذلك حذر الفتنة .

فتنة خلق القرآن : سعرت نارها واشتد اوارها وكان الذى أوقدها المأمون بن هارون الرشيد الذى حمل الناس على القول بخلق القرآن وطلب من الحارث ان يجهر به فامتنع فحمل فى ايام المأمون الى العراق وسجن فى محنة القرآن فى قبة ابن هـرثمة فى راس الجبل فى خيمة واستمر مسجونا حتى جاء المتوكل فاطلقه من سجنه .

توليه القضاء : بعد ما عزل المتوكل محمد بن ابى الليث قال اطلبوا لنا رجلا توليه القضاء فذكر له عيسى ابن لهيعة فقالوا انه يتلهى بلعب الشطرنج حتى يزدحم المخصوم ببابه ويقتتلوا ثم ذكر له الحارث بن مسكين فقال اكتبوا له بالولاية فأتاه كتاب الولاية وهو بالاسكندرية فلما فض الكتاب وقراه امتنع فأجبره أصحابه على القبول فقالوا نحن نقوم بين يديك فقبل وجلس للحكم واستكتب محمد بن سلمة المرادى وكان رفيقه فى السماع على ابن القاسم وجعل على مسائله يزيد بن يوسف بن عمرو بن يوسف واخاه عمرو بن يوسف واضاف اليهما بعد ذلك أبا بردة أحمد بن سليمان التجيبى .

قضاياه : ومن قضاياه انه أخرج أصحاب ابى حنيفة والشافعى من المسجد الجامع وامر برفع حصرهم ومنع عامة المؤذنين من الاذان بالالحان ومنع قريشا والانصار أن يدفع اليهم من طعمة شهر رمضان وامر بعمارة المسجد الجامع ومسح سقوفه وحول سلم المؤذنين الى غربى المسجد وبلط زيادة ابن طاهر وبنى فى الحدائين سقاية وبنى الرحبة الملاصقة لدار الفرب ليبيع الناس بها وحفر خليج الاسكندرية ونهى عن تقييد المصايد وأباحها للناس ومنع من النداء على الجنائز وصرف القراء الذين يقرءون القرآن بالالحان وكشف أمر المصاحف التى بالمسجد وولى عليها أمينا من جهته وهو أول من فعل ذلك من القضاة وترك تلقى الولاة والسلام عليهم ولا عن بين رجل وامرأته فى الجامع وضرب الحد فى سب عائشة أم المؤمنين وتهدد بالرجم وقتل نصرانيا سب النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن جلده وامر بضرب عنق ساحر من النصارى وهدم مسجدا بناه شخص خراسانى بين القبور وكان الحارث عدلا فى قضائه محمود السيرة .

عدالته فى القضاء : رفع الى الحارث قضية ادعى فيها رجل دارا من دور السيدة أم الخليفة فحكم الحارث على وكيلها باخراج الدار من يده ودفعها للخصم فكتب بذلك الوكيل الى الخليفة فجاء كتاب الفضل بن مروان الى عقبة بن اسحق امير مصر ينكر على الحارث ذلك ويقول فى كتابه ان الحارث لم يزل معروفا بالانحراف عن السلطان وان امير المؤمنين امر أن تكتب اليك بما رفع به الفضل بن مروان من ذلك وان يعلم الحارث ان ضياع امير المؤمنين ودوره وغلاته يجب حياطتها وصونها وانه يأمر برد الدار التى كانت فى أيدى وكلائه كما كانت قبل حكمه فيها ويترك النظر فى شىء مما فى ايدى وكلاء امير المؤمنين ويؤمر الحارث بعدم التعرض الى شىء من تلك الضياع ويمنع الحارث من تعديه ومجاوزته وبالعمل امر به أمير المؤمنين .

الحقد ياكل قلوب العلماء : رفعت الى الحارث قضية حكم فيها بما يقضى به العدل فاغضب ذلك احد الخصمين ورفع مظلمته الى المتوكل فأمر باحضار الفقهاء فنظروا فى حكم الحارث فخطاوه وكانوا على مذهب اهل الكوفة فأمر المتوكل القاضى جعفر بن عبد الواحد وهو يومئذ قاضى القضاة ان يصرف الحارث عما يتولاه من القضاء بمصر فكتب جعفر بذلك وعزل الحارث وقرر عوضه دحيم وكانت مدة ولاية الحارث اثنتى عشرة سنة الا شهرا وعاش بعدها الى سنة خمسين بعد المائتين وصلى عليه الامير يزيد وكبر عليه خمسا وكان مولده سنة أربع وخمسين ومائة ووفاته سنة مائتين وخمسين فعاش خمسا وتسعين سنة كانت للخير والاصلاح مع عزم وحزم وجهاد وكفاح وهكذا ختم عمره بالصالحات كما بدأ حياته بالطيبات حتى استحق من الناس الثناء ومن الله حسن الجزاء .

أضواء على المسلمين في العالم

إعداد : رياض خليفة

الإسلام والمسلمون في الاتحاد السوفيتي

اخى القارىء

عشنا فى الشهر الماضى مع اخوتنا من المسلمين الذين يعيشون فى الصين وتعرضنا لحياتهم ومعيشتهم وكيف نفذ الاسلام الى قلوب المسلمين هناك منذ صدر الاسلام

واليوم : سوف نلتقى مع اخواننا الذين يعيشون داخل الاتحاد السوفيتى حيث نرى عن قرب حياة المسلمين واصلهم ومذاهبهم الدينية ومدى سيرهم فى النواحى الاجتماعية والثقافية كما سنلقى نظرة على المساجد والهيئات التى تدير الحياة الاسلامية هناك

المسلمون الروس .. اصلهم ومذاهبهم

يزيد عدد المسلمين فى روسيا عن ٤٠ مليون مسلم يعيش معظمهم فى جمهوريات أوزبكستان وقرغيزيا وتاجكستان وتركمانستان وكازاخستان واذربيجان وأيضا بجمهوريات داغستان وتاتاريا وبشكيريا ، كذلك يعيش المسلمون فى مدن وقرى عديدة بروسيا الاتحادية واوكرانيا .

هذا واربعة اخماس المسلمين هناك من أصل تركى اما مسلمو القرم فمن اصل تترى مغولى ، وهم رعاة رحل ويتبعون فى الغالب المذهب الحنفى لكن الاغلبية من المسلمين ينتمون الى المذهب السنى . أما مذهب الشيعة فيتبعه جزء صغير نسبيا وتتألف اغلب الشيعة من سكان اذربيجان ، ويعيش عدد ضئيل فى داغستان وتركمانستان واوزبكستان . ويوجد اتباع للطائفة الاسماعيلية فى تاجكستان .

وضع المسلمين الدينى

أما عن وضع المسلمين من الناحية الدينية - عقيدة وشعائر - فانا نصدر هذه الحالة بما نشرته صحف الجمهورية العربية المتحدة نقلا عن جريدة « برافدا » السوفيتية - فقد نشرت جريدة الأخبار الصادرة صباح يوم الخميس ٦-٢-١٩٦٤ بعنوان روسيا تدعو المسلمين فى تاجيكستان للالحاد ما يلى :

حول الاتحاد السوفيتى ضغطه الى المواطنين المسلمين فى حملته الجديدة لمحو العقائد الدينية وممارستها . وقالت الجريدة نقلا عن « برافدا » ان « مؤتمر التعليم الالحادى » ينعقد الآن فى مدينة دوشانبى عاصمة « تاجيكستان » التى يحتشد فيها المسلمون .

وقال ليونيد ايليشيف : ان فى الاتحاد السوفيتى مؤمنين كثيرين ولاسيما من النساء العجائز بالرغم من الحملات ضد الدين والدعاية طوال ٤٠ عاما . وطالب باتخاذ الخطوات اللازمة لرد المسلمين والارثوذكس واليهود عن أديانهم .

الى هنا انتهى الخبر الذى نشرته الاخبار نقلا عن رافدا السوفيتية .

وعلى الرغم من هذا . وما يتفق معه من اقوال الكاتبين والدارسين . فان البيانات التى وافانى بها المركز الثقافى السوفيتى هى :

« ان الاتحاد السوفيتى غير اتجاهه ازاء المسلمين منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة . وان أول مرسوم أصدرته الحكومة بعد الحرب خاصا بالسلام وكانت كل الشعوب

الرئيس جمال عبد الناصر . لحظة وصوله الى مسجد موسكو لحضور صلاة الجمعة بين حفاوة المسلمين (فى مايو سنة ١٩٥٨)

تحلم بالسلام . وكذلك المسلمون الذين اعترفوا بهذا العمل الانسانى .

كما بذلت الحكومة عناية خاصة بالشعوب الاسلامية. وابلغت المسلمين فى نداءخاص وجهته اليهم أن دينهم وعاداتهم ونظمهم الوطنية والدينية والثقافية حرة ولا يمكن المساس بها ولا تتدخل الحكومة أو أجهزتها فى الشئون الداخلية للطوائف الاسلامية . ولا شأن لها بعقائد الاسلام أو تقاليد المسلمين

وفيصل الامر ..

وفيصل الأمر فى هذا الخلاف نظرتان رئيسيتان .

١ ـ النظرة الاولى : هى معرفة طبيعة العقيدة التى يدين بها المذهب الشيوعى

٢ ـ والنظرة الثانية : هى تغيير الاحوال مع التيارات السياسية . التى تهدأ حينا لتعصف أحيانا وبين هذه وتلك نظرات يستطيع القارىء أن يقف من خلالها على وضع المسلمين هناك .

التنظيم الادارى للمسلمين هناك

هذا وتدار الجمعيات الدينيةللمسلمين بواسطة المراكز الاسلامية التى اقيمت وفقا للتوزيع الجغرافى للمسلمين وخصائص عقيدتهم الدينية .

ففى الاتحاد السوفيتى ٤ مراكز دينية تتولى رعاية امور المسلمين وهذه المراكز لايتبع احدها الآخر وهى :

١ ـ المجلس الدينى الاسلامى : لوسط آسيا وكازاخستان (طشقند واوزبكستان) ويراسه المفتى ضياء الدين باباخانوف .

٢ ـ المجلس الدينى الاسلامى : للمنطقة الاوربية فى انحاء الجمهوريات الاشتراكية باستثناء القوقاز الشمالى وداغستان وسيبيريا ، ويرأسه المفتى شاكر خيال الدينوف .

٣ ـ المجلس الدينى الاسلامى : لشمال القوقاز وداغستان ، ومقره بويناكسكو ويراسه المفتى محمد حاجى .

٤ ـ المجلس الدينى الاسلامى : لما وراء القوقاز ومقره فى باكو ويرأسه شيخ الاسلام حكيم زادى

مهمة المجالس الدينية الاسلامية

امامهمة المجالس فهى تسوية المسائل المتعلقة بالعقيدة والتى يظهر فى تفسيرها صعوبات او خلافات فى الراى

وقرارات المجالس الدينية فى مسائل الشريعة يطلع عليها المسلمون حاملة توقيع المفتى وشيخ الاسلام ·

كما ان هذه المجالس لها التدخل فى كثير من الشئون مثل تعيين الخطباء والائمة لطوائف المسلمين وكذلك الرقابة على نشاط الطوائف الاسلامية بالجمهوريات والاقاليم وكذلك اختيار مناهج التعليم للمدارس الدينيـة ونشر المؤلفات الدينية والتصرف فى مسائل أنشاء مساجد جديدة والمسائل الاداريه والمالية الخاصة بالمجالس نفسها والرقابة عليها والاتصال بالهيئـات الاجنبية للمسلمين ومسائل أخرى تتعلق بالادارة التنظيمية ·

الجمهوريات الاسلامية ونسبه المسلمين فيها

ولك ان تعـرف أن الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى هى :

تازاكستان · أوزبكستان · اذربيجـان · القرغيـز · كازاخستان · تركمانستان ·

ويوجد نفر ضئيل من المسلمين فى الجمهوريات غير المسلمه · ويبلـغ عدد المسلمين فى تازاكستان نحو مليون ونصف مسلم ومسلمة وهم ينتمـون الى اصل ايرانى وزعيمهم الروحى هو القاضى عبد الرشيد موزايكوف · أما اوزبكستان فتبلـغ نسبة المسلمين فيها ٩٣ ٪ من مجموع السكان البالـغ عددهم ٦٫٢٨٢٫٤٤٦ نسـمة · ونسبتهم فى اذربيجان ٨٠ ٪ من مجموع السـكان البالغ عددهم ٣٫٢٠٩٫٧٣٠ نسمة · وفى تركستان ٨٠ ٪ من مجموع السكان وعددهم ١٫٢٣٥٫٩٨٥ وزعيمهم الروحى هو الامام الخطيب عبد الرحمن شارينوف · وفى القرغيز تبلـغ نسبة المسلمين ٧٨ ٪ وهم على مذهب اهل السنة · اما نسـبتهم فى تازاكستان فهى ٥٠ ٪ من السـكان · ويحرص كثير من المسلمين على أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة وفى مكة يلتقـون بالمسلمين من جميع انحاء العالم فى جو تسوده المحبة وترفرف عليه الوية السلام ·

المساجد والآثار الاسلامية فى الاتحاد السوفيتى ·

واعرف معى ان فى الاتحاد السوفيتى اكثر من ١٠ آلاف مسجد · وغالبية الجمعيات الدينية تستخدم مساجد تملكها الدولة وهى تمنح المساجد للجمعيات الاسلامية لتستخدمها مجانا وفقا لاتفاقية خاصة ·

وتقضى اللوائح والقـوانين فى روسيا أن الجمعيات الاسلامية تستطيع بناء مساجد جديدة وتحيـل المبانى الخاصة الى مساجد ·

وفى روسيا كثير من الآثار الاسلاميه · ومن اشهر المساجد هناك مسجد لينتجراد الذى يؤمه المسلمون هناك لاداء فريضة الصلاة كل يوم ويجتمعون فيه ايام الجمع والاعياد الرسمية ·

وهناك أيضا جامع موسكو وقد ادى فيه السيد الرئيس جمال عبد الناصر صلاة الجمعة عندما زار روسيا فى مايو سنة ١٩٥٨ ويتجمع فيـه يوم الجمعة والاعياد عادة حوالى ٨٠٠٠ مسلم ·

اما جامع تل الشيخ بطشقند - وهو احد مسـاجده الستة عشر الكبيرة - فيتراوح عدد المصلين فيـه بيـن ١٠٫٠٠٠ ، ١٢٫٠٠٠ مسلم ومسلمة اذ يسمح للسـيدات بحضور الصلاة على ان يكن بمعزل عن الرجال · وبالقرب من مدينة (مرفا) القديمة (مارى الآن) فى تركمانستان لا يزال المسجد الذى بنى سـنة ٨٦٩ قائما حتى الآن ويدعوه الناس بالمسجد الحمدانى نسبة الى الزعيم المسلم الحاج يوسف الحمدانى

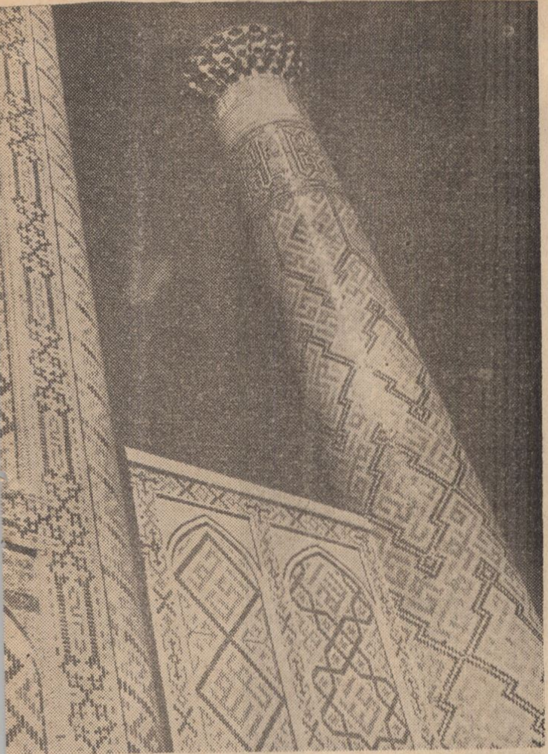

جانب من الفن الاسلامى على احد الاعمدة

وفى ازبكستان مسجد (بيبى خانم) زوجه تيمورلنك الاول وقد ظل محتفظا بروعته طيلة خمسة قرون كاملة ، كان بناؤه قد استغرق ٥ أعوام ·

وفى مدينة بخـارى جامع كالان الكبير ويقع بجوار مدرسة (مسير عرب) ويجاور الجامع والمدرسة مئذنة طويلة اقيمت عام ١١٢٧ ويؤلف الثلاثة مجموعة معمارية كبرى داخل بخارى ·

هذا والمساجد منتشرة فى سائر انحاء الاتحاد بانتشار المسلمين الذين يمارسون شعائرهم الدينية ويصلون فى مساجد طشقند وسمرقند ودوشانبى ولينتجراد وموسكو وغيـرها · واكثر من ذلك فان الهيئات الاسلامية ترعى بعض الاضرحة القديمة التى كثير مايزورها الحجاج ·

هـذا وفى الايام العادية يحضر كثيـرون الصلوات الخمس فى المساجد · لكن لجماعة باكملها تجتمع لحضور صلاة الجمعـة وتزدحم المسـاجد والاضرحة أيام اعياد المسلمين بوجه خاص ·

وقد اجتمع اكثر من ٦٠٠٠ مسلم عام ١٩٦٢ فى مسجد تل الشيخ بطشقند لحضور الصلاة بمناسبة عيد الفطر ·

النشاط الثقافى للاسلام والمسلمين فى روسـيا

وهذه بعض اوجه النشاط العلمى والثقافى للاسلام والمسلمين فى انحاء الاتحاد :

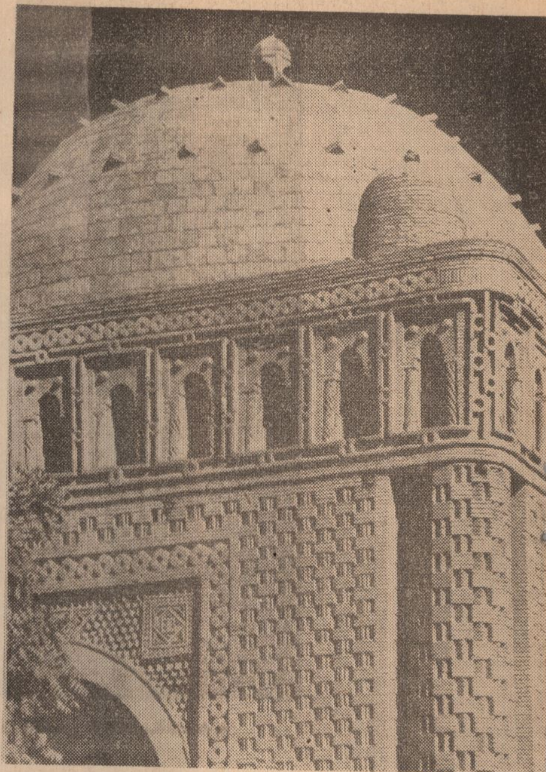

احد الاضرحة الاسلامية وهو محلى بزخارف ونقوش اسلامية

تقوم الجمعية الدينية الاسلامية بآسيا الوسطى بنشر الآداب الدينية بصفة دورية • ومنذ بضع سنوات أصدرت طبعة جديدة باللغة العربية للقرآن الكريم كما يجرى اصدار طبعةجديدة للقرآن توطئةلنشره. وقد تم نشر عدد من الكتب الدينية لاستعمالها فى مكتبة الجمعية وفى بيوت الاسر المسلمة هناك •

وتنتشر فى سائر انحاء الاتحاد السوفيتى كثير من المدارس الاسلامية التى تتولى تدريس الدين والعقيدة لابناء المسلمين • ومن اشهر المدارس الدينية هناك مدرسة (مسير عرب) فى بخارى التى تعمل تحت اشراف المجلس الاسلامى لآسيا الوسطى وكازاخستان ومدة الدراسة ٩ سنوات يتلقى الطالب فى السنوات الخمس الاولى تعليما متوسطا. وفى السنوات الاربع الاخيرة يتلقىفيها الطالب تعليما عاليا • وهى داخلية ويعيش فيها الطالب على نفقة المجلس الدينى •

ولعل من أبرز المدارس الدينية فى الاتحاد السوفيتى ايضا مدرسة بارك خان فى طشقند ويقبل فى المدرسة كل من يرغب فى تكريس حياته للاعمال الدينية • ويلتحق بها كل شاب بلغ من العمر ١٨ عاما وحصل على تعليم ثانوى كامل كقاعدة عامة • ومدة الدراسة ٩ سنوات ويدرس بالمدرسة حاليا شبان من جمهوريات أوزبكستان وتركمانيا وتاجكستان وقرغيزيا وكازاخستان • وايضا من تاتاريا وبشكيريا وغيرها من الجمهوريات والاقاليم الاخرى ويعين الخريجون ائمة وخطباء ومدرسين •

وتحتفظ المدرسة بجميع التقاليد المفيدة التى انتقلت اليها عبر القرون ، واشتركت المدرسة مع غيرها من المدارس فى سائر آسيا الوسطى فى تخريج أكبر عدد من زعماء الاسلام البارزين والمشهورين ويوجه الاهتمام فيها الى دراسة القرآن الكريم والشريعة الاسلامية والمنطق والنحو العربى واللغة الفارسية وآداب اللغة العربية • وجميع المدرسين الذين يقومون بالتدريس حاصلون على تعليم دينى عال •

والمجالس الدينية تتولى اصدار النتائج الهجرية بانتظام وطبعات جديدة من القرآن الكريم وكتب الفقهاء والكتب الشرعية ومختلف الشروح والتفسيرات •

وفى عام ١٩٤٥ صدر كتاب (الاسلام دينى) باللغة التترية بقلم المفتى السابق عبد الرحمن رسوليف رئيس المجلس الاسلامى الدينى للقسم الاوربى من الاتحاد السوفيتى • ويشرح الكتاب جميع الواجبات المتعلقة بالصلاة شرحا وافيا •

وفى اوائل عام ١٩٥٦ اصدر المجلس الاسلامى لآسيا الوسطى وكازاخستان وطشقند طبعة جديدة من القرآن الكريم باللغة العربية • وفى خريف عام ١٩٥٦ الف المفتى خيال الدينوف رئيس المجلس الدينى للقسم الاوروبى كتابا جديدا صدر حديثا بعنوان (الاسلام والعبادات) •

من تاريخ الاسلام فى الاتحاد السوفيتى (آسيا الوسطى) :

وسوف امر بك على تاريخ الاسلام فى روسيا لتاخذ فكرة خاطفة عن المقاطعات وكيف نشا الاسلام فيها وسوف تعرف معلومات سريعة عن اهم المدن الشهيرة واهميتها الدينية فى نظر الاسلام والمسلمين : فآسيا الوسطى من أقدم مراكز الحضارة • وهى فى موقعها على طريق هام من آسيا الصغرى الى الشرق ومن روسيا الى الهند والصين : كانت مسرحا لاحداث تاريخية عصيفة •

ويرتبط تاريخ هذه المنطقة ارتباطا وثيقا بالاسلام ابتداء من العصور الوسطى •

وتمثل آسيا الوسطى بتحفها المعمارية وحرفها الفنية متحفا ضخما لفن المعمار • ويوجد هناك كثير من الاشياء التى خلفتها شعوب الشرق خلال العصور وتشتهر هذه الآثار الرائعة فى العالم الاسلامى اجمع •

بخارى

وقد انشئت فى بخارى مئذنةكالانلا التى تزال تحتفظ برنقها الى يومنا هذا منذ قرابة الف عام فى بخارى بآسيا الوسطى وهذا الاثر الرائع وهو من اروع الآثار التى من نوعه فى الشرق الاسلامى والذى شيده اساتذة فى فن المعمار الاسلامى •• هذا الاثر يرمز لتاصل جذور الاسلام فى آسيا حيث بدا هذا الدين يتغلغل منذ القرنين الثامن والتاسع ومن ثم فان تاريخ الاسلام هناك يربو على الف عام •

فصل من فصول الدراسة لاحدى المدارس الابتدائية الاسلامية

طشقند

مدينة طشقند عاصمة اوزبكستان والمركز الروحى للمسلمين فى آسيا الوسطى : معروفة فى العالم الاسلامى بأسره ويبلغ عمرها أكثر من ٢٠٠٠ عام ورغم ذلك فتقل فيها الآثار التاريخية الاسلامية ويفسر هذا ان المدينة ظلت لعدة قرون مسرحا لمعارك وحشية ودمرت وأعيد بناؤها من وقت لآخر . وفيها من الآثار الباقية الكثير وهى كلها قريبة الى قلب كل مسلم . وفيها مدرسة كوكلداش ومدرسة بارك خان .

وقد انتشر مجد مدينة طشقند خلال العالم بواسطة اساتذة الاسلام المشهورين الذين تلقوا علومهم فى المدينة . ودونوا اعمالهم ومؤلفاتهم الخالدة التى عززت الدين الاسلامى .

وقد اضاف المفتى ايشان باباخان بن عبد المجيد الى مجد طشقند ماقام به من أعمال مجيدة فى سبيل اسعاد المسلمين وقد انتخب مفتيا فى المؤتمر الذى عقد بطشقند عام ١٩٤٣ .

وقد شكل فى هذا المؤتمر المجلس النيابى للمسلمين ومركزه الروحى وشكلت هيئاته الرئيسية ويشرف على اعمال رجال الدين والحياة اليومية للمسلمين . ويقوم مسترشدا بوصايا القرآن والحديث وعلى اساس تعاليم الله - بحل جميع مسائل العقيدة الدينية وتفسير القرآن وشروحه .

هذا وقدعقد بطشقند مؤتمر الوفود الآسيوية والافريقية عام ١٩٥٨ ومثل الجمهورية العربية المتحدة السيد حسين صدقى بفيلمه الاسلامى (خالد بن الوليد)

فى القسم الاوربى من الاتحاد السوفيتى

الاسلام فى تاتاريا وبشكيريا

تقوم الجمعية الاسلامية فى مدينة اوفا منذ ١٧٠عاما وقد وصلت تعاليم الاسلام الى هناك منذ القرن العاشر وفى القرون التى انقضت منذ ذلك التاريخ لم ينطفىء نور الاسلام فى بيوت السكان فى بشكيريا . وفى الوقت الحاضر يقررالمسلمون شئونهم الدينية بانفسهم طبقا للوائح الجمعية الدينية الاسلامية التى تتولى نشر تعاليم الاسلام وتبذل اهتماما خاصا بمحافظة المؤمنين على طهارة ايمانهم . ويكرس الزعماء الدينيون فى نشاطهم العملى قدرا كبيرا من الاهتمام بتبثيت الايمان ونشر تعاليم الرسول بين المؤمنين .

فى داغستان

اما مسلمو داغستان فيدينون مثل اغلب المسلمين فى روسيا بالمذهب السنى . وقد انتشرت منذ عدة قرون تعاليم احد الائمة الاربعة الكبار وهو الامام الشافعى . ويقيم المسلمون فى المدن والقرى جمعيات دينية وطوائف اسلامية لاداء الشعائر سويا .

ويوجه رجال الدين جميع الشئون الدينيه . والقضاة هم زعماء الطوائف الدينية للقرى والمدن ويلقون الخطب

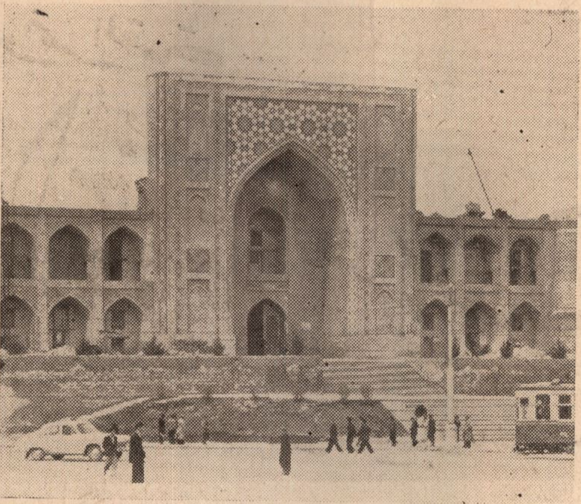

مدرسة كوكولداش بطشقند . وهى احدى مدارسها الاسلامية المتعددة

فى المسلمين خلال صلاة الجمع والاعياد ويستمعون لشكاوى اخوانهم المسلمين .

ويؤدى مسلموا داغستان جميع المراسيم الدينية طبقا لتعاليم الاسلام وأصول العقيدة .

وعندما اعتنقت شعوب داغستان الاسلام أصبحت اللغة العربية هى الحلقة التى تربط بين الزعماء الدينيين لمختلف القوميات . ثم أصبحت اللغة العربية والثقافة العربية هى المحور . فقد لعبا دورا معينا فى تطوير الثقافة فى داغستان ولكن تسود اليوم اللغة الروسية حيث أنها هى أداة التفاهم بين الجميع هناك .

أئمة فى الاسلام .. أصلهم من هناك

وقبل أن نغادر هذه الجمهوريات سوف نمر سريعا على حياة بعض زعماء الاسلام الذين كان ولا يزال بتعاليمهم لهم شأنهم وسعيهم المشكور فى المحافظة على التراث الاسلامى . وقد نشأوا فى تلك المواطن :

الامام البخارى

هو : محمد بن اسماعيل البخارى . نشأ فى بخارى ، وكان استاذا بارزا فى الحديث النبوى لجمعه وشرحه له . وقد دوت شهرته فى الآفاق فى هذا الميدان . والف عدة كتب دينية لعل أشهرها وأهمها (صحيح البخارى) الذى هو حجة فى الحديث الشريف وثانى اهميته بالنسبة للاسلام بعد القرآن والحديث بكونه المحافظ على تراث الرسول الكريم .

وقد توفى البخارى فى قرية خارتنج فى طريق عودته من بخارى الى سمرقند وقد اقيم له ضريح مكان وفاته .

محمد بهاء الدين النقشبندى

ولد بقرية عريفون ودرس فى بخارى . وقد اسس اتجاها جديدا فى الاسلام . وانتشر هذا الاتجاه بين المسلمين . ويتبعه عدد كبير منهم حتى يومنا هذا فى آسيا الوسطى وتركيا واندونيسيا وقداقيم له ضريح عند قبره بالقرب من بخارى .

الترمذى

صاحب عدد من الكتب الدينية الهامة منها الكتاب المشهور (نوادر الاصول) وله تلاميذه وأتباعه فى آسيا الوسطى وقد أقيم له ضريح عند قبره فى ترميذ

أبوعيسى حمد بن عيسى الترمذى

محقق مشهور للحديث النبوى وصاحب كتاب (الجامع) المشهور . وقد أصابت شروحه للحديث شهرة واسعة النطاق مثل مؤلفات البخارى .

سعيد الهمذانى

استاذ مشهور . ومؤلف عدد كبير من الكتب الدينية . وكتابة (روضة الفاتحين) و (تهانت الملوك) هما أوسع الكتب انتشارا ورواجا بين المسلمين وقد طبعا عدة مرات فى طشقند .

وهذه الاسماء ياأخى القارىء لا تستنفد قائمة زعماء الاسلام البارزين . فهناك كثير من الاعلام ممن كان لهم حركة قيادية لا يمكن أن تجهل أو تنكر وجهودهم فى نشر الاسلام ورعاية المسلمين لن تنسى أبد الدهر .

وبعد ...

فيا أخى العزيز : لعلى أكون هنا قد استطعت أن أبسط أمامك الطريق لمعرفة الاسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفيتى . كما أرجو أن أكون قد وفقت فى وضع النقط على الحروف جيدا وبأمانة ، وأختتم هذه العجالة بتهنئتك بالعيد . وكل عام وأنت وجميع المسلمين فى عز الاسلام . والى لقاء آخر .

حول مؤتمر القمة ..

أُخُوَّةَ العرب

شعر

الشاعر عبد الله شمس الدين

العُرْب للعُرْبِ فى الأحداثِ مِنْ قِدَمِ — والغربُ غربٌ دماه لن تكون دَمِى
أخى أخى فى البلايا شُدَّ مِنْ عَصَبى — ونحن سيان فى ضُر وفى ألَمِ
دماؤنا فى شرايين الأَسى لُغَةٌ — تُبِينُ ما نحن نُخْفِيهِ بلا كَلِمِ
حسبى وحسبك يا بْنَ العم عاطفةٌ — قد وحَّدتْنَا على البأساءِ والضَّرَمِ
مِفتاحُ بيْتِى فى يُمْنَاكَ أُودِعُهُ — إذا دنا أجَلِي ترعَى ذوى رَحِمى
وأنت هيهات أن تشقى وبى رَمَقٌ — من الحياة . ولن تحْيا على عَدَمِ
فخُذْ سلاحى وخذ بأَسى وعافيتى — وخُذْ كما شئتَ فى عِزٍّ وفى شَمَمِ
فأَنْتَ .. إنْ تَقْوَ .. لى دِرْعٌ أَشُدُّ به — أزرى . وإن لم تُقْم للمجد .. لم أَقُمِ
يا أَيُّها العُرْبُ فى شتَّى البقاع : لقَدْ — عاد الصباح برغم التيه والظُّلَمِ

يا للقلوب التى طارت مُحَوِّمَةً
هنا على الحب والميثاق والقَسَمِ
إنِّى أراها وقدْ شفَّتْ جوانبُها
حتى التقتْ فى إخاءٍ غير مُنْقسِمِ
فَجْرُ الإخاءِ طوى ليْلَ الخلاف على
نورٍ من الصفح فى صفو وفى سَلَمِ
لِله دَرُّ « جَمَال » قَامَ يُعْلِنُها
صراحةً فى وفاءٍ غير مُتَّهَمِ
مَدَّ اليمينَ على قربى ومرحمة
ليرأب الصدع فى حزمٍ وفى كرَمِ
عدوُّنا واحدٌ يا عُرْبُ فانتفضوا
ووحِّدوا شملكم فى الجِدِّ والهمم
ومِنْ دُجَى الأَمْسِ شقُّوا صُبْحكم أَلِقًا
وطهِّروا جَبْهَةَ الماضى من التُّهَمِ
حاشا نعود لحرْبٍ عارُ مِحْنَتِها
مازال ينضح بالخذلانِ والنَّدَمِ
عهد الهوان مضى هيهات تُرجعه
زيوفُ مُسْتَعْمِرٍ بالبَغْيِ مُقْتَحِمِ
إنى أرى النصر قد لاحت بشائره
على اتِّحاد بحبل الله معتصم
حتما ستشهد اسرائيل مصرعَهَا
يوم الخلاص على عزمٍ من الحمم
وان يرى النهرُ مجراهم كما رَسَمُوا
رغم التحدى ورغم الكيد والنِّقَمِ

ندوة الشهر ..

تعدّد الزوجات

يقدمها الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

ومرة اخرى ..

ولأهميـــة هذا الموضوع الذى اختلفت حوله الآراء نجتمع بالقراء فى ندوة اخرى ننقل فيها آراء بعض ذوى الرأى من هذا الموضوع الخطير .

وقبل ان أنقل الآراء يهمنى تسجيل ما يلى فى مقدمة الندوة :

وقبل أن أنقل الآراء يهمنى تسجيل مايلى فى مقدمة

* ان المتزوجين باربع زوجات عددهم ٨٨٨
* ان المتزوجين بثلاث عددهم ٦٥٧٣
* ان المتزوجين باكثر من واحدة هم ٢٢٣٣٩
* ان المتزوجين عموما عددهم ٣٢٢٨٦١٢
* ان التعدد بالنسبة للمتزوجين قد بلـــغ ٣ر٥ ٪

وان وراء هذه الارقام مشكلة اجتماعية اسمها تعدد الزوجات .

وحتى اذالم يكن « التعدد » فى ذاته مشكلة كما يرى البعض ، فان « ما وراءه ومايترتب عليه » لابد أن يكون هو المشكلة .. عدم التكيف بين افراد الاسرة .. الحقد بين الابناء .. عدم تيسر الاشراف الكامل على الابناء التشرد للبعض الآخر .. الضـــغينة بين الزوجـــات تهدد جو الاسرة باشعال النار فى كل أمر من الامور .

هذا كله هو المشكلة ان لم يكن أكثـــر من مشكلة واحدة .

ولقد اختلفت الدول الاسلامية فى تشريعاتها الحديثة فى الاسلوب الذى عالجت به تلك المشكلة .. ففى تركيا انتهت الحكومة الى تحريم تعدد الزوجات تحريما باتا ، وتعتبر اول دولة فى ذلك . وقد حذت حذوها تونس فى سنة ١٩٥٦ ، وفى كلتا الدولتين يعتبر تعدد الزوجات جريمة يعاقب عليها القانون .

أما فى المغرب ، فقد اكتفى القانون الخاص بالزواج والطلاق بتقييد حق الزوج باكثر من واحدة ، فلم يجز التعدد اذا أضيف عدم العدل بين الزوجات ، وجعـــل للمتزوج عليها أن ترفع أمرها الى القاضى للنظر فى الضرر الواقع عليها ، ولا يعقد على الثانية الا بعد اطلاعها على أن من يريد ان يتزوج بها متزوج من غيرها .

وفى ايران ، صدر قانون الزواج فى سنة ١٩٣١ وفيه الزام ايضا للخاطب قبل عقد الزواج أن يقرر لمخطوبته أمام الموثق ما اذا كان متزوجا بغيرها من النساء ، ويدون هذا الاقرار بوثيقة الزواج ومن يخـــالف ذلك يعاقب بالحبس .

وفى مصر .. كان قد أعد مشروع قانون سنة ١٩٢٨ ، بتقييد حق الزوج فى التزوج باكثر من واحدة ، وجـــاء بهذا المشروع أنه لا يجوز لمتزوج أن يعقد زواجه باخرى ، ولا لأحد أن يتولى عقد هذا الزواج أو يسجله الا باذن من القاضى الشرعى ، ولا يأذن القاضى بزواج متزوج الا بعد التحرى وظهور القدرة على القيام بحسن المعاشرة والانفاق على أكثر ممن فى عصمته ، ومن تجب عليه من أصوله وفروعه ، كما يقضى هذا المشروع بالحبس والغرامة على الزوج الذى يخالف هذه الاحكام، وكذلك من يتولى عقد الزواج أو تسجيله ، غير أن هذا المشروع لم يكتب له أن يكون قانونا له أثره فى الاصلاح .

وفى سنة ١٩٥٣ أعدت لجنة الاسرة فى وزارة الشئون الاجتماعية مشروعا جديدا فى هذا الشأن جاء فيه انه لا يجـــوز عقد زواج متزوج باخرى أو تسجيله الا باذن من القاضى الجزئى« فاذا عقد هذا الزواج بغير اذن القاضى فلا تسمع جميع الدعاوى المترتبة عليه ، ولا يأذن القاضى بزواج متزوج باخـــرى الا اذا تبين له بعد البحث أن هناك ضرورة لـــذلك . ولم يكتب لهذا المشروع كذلك ان يكون قانونا له أثره فى الاصلاح .

هذه هى المقدمة التى حرصت على تقديم الندوة بها ..

اما الرأى فللسادة :

١ - الدكتور السعيد مصطفى السعيد المدير السابق لجامعة القاهرة .

٢ - الاستاذة مفيدة عبد الرحمن المحامية

- يقول الدكتور السعيد مصطفى السعيد :

ان الاصلاحات المطلوبة فى تشريع الاسرة مثار خلاف دائم بين المفكرين وأصحاب الرأى ، فريق يرى الخير فى الابقاء على الأوضاع القائمة وان فى المساس بها مساسا لأحكام الشريعة نفسها .. وفريق يرى أن كثيرا من العيـــوب الاجتماعية الظاهرة مرده الى بعض العيوب الجوهرية فى التشريع القائم .. ومن أجل ذلك دأبوا على المناداة باصلاحها وهم لا يرون فى ذلك مســـاسا باحكام الشريعة ، بل يرون فيه تطبيقا صحيحا لاحكامها .

ولقد سبق للدولة أن استجابت أكثر من مرة الى صيحات الاصلاح فى هذا المجال ، فسنت لذلك بعض القوانين ثم عادت فتلافت بعض العيوب التى أسفر عنها التطبيق العملى ، فعدلتها رغم اعتراض المعترضين الذين ما لبثوا أن سكنوا الى هذا التعديل حين زال به كثير من الشرور التى تصيب الاسرة .

ومشكلة تعدد الزوجات هى أولى مشكلات المجتمع التى أثارت نقاشا طويلا بين المشتغلين بالفقه والقانون حيثما قام المصلحون بتعديل قوانين الاسرة ..

فمن محبذ للوضع القائم ، وهو اباحة التعدد لكل راغب بما لا يجاوز الاربع ، ومن مناهض للمبدأ فى ذاته داعيا الى تحريم التعدد فى جميع صوره . وثم فريق ثالث متوسط يدعو الى تقييد التعدد بما يمنع مساوئه ويردها الى أضيق الحدود ، ويحقق المزايا التى قد تترتب على التعدد فى بعض الصور ، وذلك باخضاعه لرقابة القضاء حتى لا يترك لنزوات الافراد وتحكمهم .

والشريعة الاسلامية وان كانت تجيز التعدد الا أنها تقيده بما يجعل الالتجاء اليه استثناء من الاصل ، وهو الاقتصار على زوجة واحدة .

والخلاف ليس الا فى أسلوب التقييد ، وهل يترك للافراد تقديره بوازع الخلق والدين ، أو تفرض الرقابة القضائية فى استعمال هذا الحق تلافيا لسوء التقدير والتحكم والاساءة ، وأهم من ذلك كله حماية الزوجة سواء أكانت الاولى أو الثانية من حياة زوجية مضطربة وعيش كريه .

وعندى أن الادنى للصواب فى موضوع تعدد الزوجات، هو أن نواجه المشكلة على حقيقتها ووضعها الصحيح ، ذلك أن الاصل فى الزواج هو الاقتصار على واحدة ، وأن التعدد استثناء لا يباح الا لسبب جدى يدعو اليه ، وأن قيام السبب وحده لا يكفى ، بل يتعين توافر فطنة حسن المعاشرة مع القدرة على الانفاق .

أما قصر القيد على القدرة على الانفاق فمعناه اباحة التعدد للقادرين على الانفاق على زوجتين أو أكثر واو بغير سبب ، وتحريمه على العاجزين ولو قام السبب وهو أمر غير معقول ، وقصر القيد على قيام سبب للزواج الثانى بغير نظر الى حالة الزوج وتقدير احتمالاته فى القيام بحسن المعاشرة والقدرة على الانفاق لا يحقق المقصود من الحياة الزوجية الهادئة المستقرة بل يزيدها اضطرابا ، وهو بعد لا يتفق مع ماقرره فقهاء الشريعة ، من أن الزواج عند عدم القدرة على النفقة محرم .

ومن أجل ذلك يكون الاصح والاوفق للمصلحة هو أن تعالج المشكلة على الوجه الآتى :

أولا : لا يجوز للمتزوج أن يعقد زواجه على أخرى الا باذن من القاضى .

ثانيا : لا يأذن القاضى الا اذا تحقق لديه :

١ - قيام سبب جدى يدعو الى الزواج الجديد

٢ - ثبوت رجحان قيام الزوج بحسن المعاشرة والعدل بين الزوجات والقدرة على النفقة .

٣ - تقرير عقوبة جنائية على الزوج الذى يتزوج بغير اذن القاضى . وكذلك على الزوجة التى تقبل الزواج بمتزوج من غير اذن القاضى ، ومن يتولى عقد هذا الزواج او يسجله .

٤ - عدم سماع الدعاوى التى تنشا عن هذا الزواج ، بل ربما يكون تقرير بطلان هذا الزواج هو الاولى .

وبهذه القيود لاتقوم حاجة الى تحديد العدد الذى يجوز الزوج ان يجمعه من الزوجات فى حدود الاربع وان كان الزواج باكثر من واحدة فى جميع الظروف أمرا غير مرغوب فيه ، فهو يجنبنا صورا من الحياة الزوجية لا تتق مع أوضاع العصر ، وهى مع ذلك قليلة ونادرة .

وتقول الاستاذة مفيدة عبد الرحمن :

ان التعدد قد أبيح .. وعندما أباحه الله قيده بقيد هو عدم استطاعة الزوج أن يعدل بين الزوجات .. ومعنى ذلك ان هذا الحق المباح مقيد .. ولابد لمن يمارسه ان يكون مدفوعا لضرورة قاسية .. كمرض الزوجة - مثلا - حيث يستحيل معها المعاشرة الزوجية أو كعقمها .

وثمة ضرورة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها فى رأيى على الاقل .. الزواج لمجرد الفتنة .. رجل مسن افتتن بشابة ذات خلق .. ورأى فيها ما يعوضه عن جحيم الزوجية فى بيته اننى ارى ألا أحرمه من الزواج بها حتى تعف الفتاة ويعف الرجل .

ان التعدد هو حق للرجل .. ونحن لا نريد أن نسلبه هذا الحق الذى منحه له الدين .. منحه له القرآن الكريم فهو دستورنا الذى نهتدى به ..

و « أنا » باسم « المرأة » حينما اطالب « بشىء » فانما أطالب فقط « بتنظيم » هذا التعدد التنظيم الذى أساسه مراعاة المقدرة من جانب الزوج على هذا الزواج .. ومراعاة رعاية الزوجة الاولى واولاده منها ، ثم مراعاة الضرورة قبل كل ذلك .

وهذا كله يجب ألا يتم الا أمام القاضى وبأمره .. فعندما يعرض الامر على القاضى سيبحثه من زاوية الضرورة التى دفعت الزوج اليه .. ثم يبحث بعد ذلك مدى امكانياته ومقدرته فى اقامة حياة زوجية جديدة وما يستتبعه من نفقات .. فاذا مائبت من الضرورة ثم من المقدرة .. أمر بان يتم الزواج ..

أما الرجل الذى ينادى بحرية الزواج دون أن يلجأ للقاضى ففى رأيى انه ينوى اساءة استعمال هذا الحق . والا فلماذا يخشى القاضى ومهمته الاولى اقامة العدل بين الناس !

لقد قضيت فى مهنة المحاماة أكثر من عشرين عاما .. قابلنى خلالها قضايا كثيرة .. كلها تشير الى مدى انحراف الشباب واندفاعه الى ارتكاب الكثير من الجرائم .. وعندما أدرس هذه القضايا واقف على حقيقة البواعث الدافعة الى ارتكاب الجرائم فيها ، أجد أن سببها ومرجعها كان تعدد الزوجات ، وانصراف الاب عن تربية أولاده بسبب هذا التعدد ، ثم انصراف الام كذلك عن هؤلاء الاولاد انصرافا أساسه الشعور بالانتقام من الرجل فى شخص الاولاد الابرياء .

وكما ناديت « بتنظيم » هذا التعدد امام القاضى .. كذلك أنادى بأن يتضمن التشريع المنظم لذلك ، أن يباح للزوجة الاولى التى تزوج عليها زوجها أن تطلب الطلاق اذا ماتزوج زوجها من أخرى ، فان من النساء من تكره ان تعيش مع زوجة تشاركها زوجها .

واذا كان لى ما اوجهه « للرجال » فى هذه الكلمة العابرة . فهو ان اذكرهم بحديث النبى عليه الصلاة والسلام حينما قال :

« انا املك العدل فى كل شىء .. ولكن لا املك العدل فى الحب »

وان اذكرهم كذلك بقول الله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

فالزواج قبل كل شىء هو مودة ورحمة .. فاذا ماامتلأت قلوب الرجال بمعنى هذه الآية السابقة كان ذلك أعظم دستور لتنظيم الزواج يبنى عليه المجتمع السليم .

قصة العدد ..

حضرة المفتش

الأستاذ حسين الطوخي

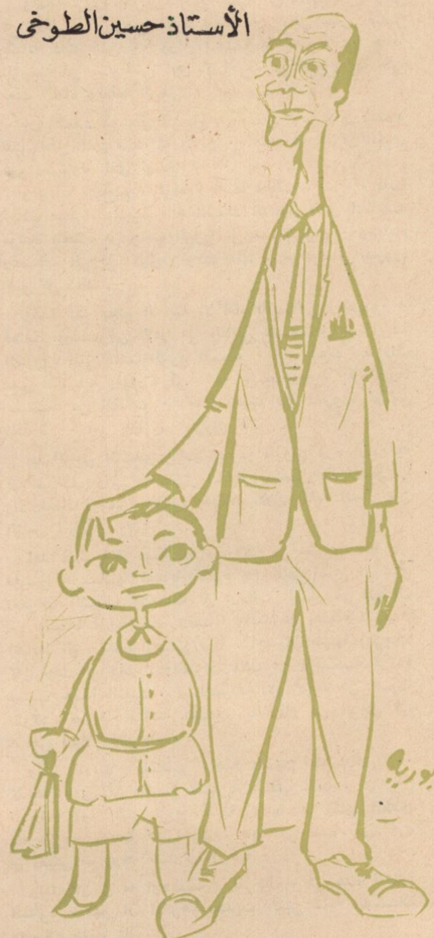

* عرفته كما يعرف كل انسان انسانا مثله ..

دخلت الى مكتبه بعد أن سألت الفراش عن حضرة الناظر ، وأين أجده لأقابله .

رحب بى الرجل فى بساطة محببة بعد أن قرأ اسمى على البطاقة التى قدمتها اليه ، ثم دعانى الى الجلوس بشوشا متهللا .

وبين لحظة وأخرى ، يدخل واحد من المدرسين ليعرض على حضرة الناظر مشكلة من عشرات المشاكل التى تبزغ كل صباح فى مدرسة ابتـدائية تضم قرابة ألفين من العفاريت الصغار .

ولحظت أنه ما من مدرس ضائق بمهنته الشاقة ، يغادر غرفة الناظر دون أن تكون مشكلته قد حلت على خير وجه ، ولا يلبث أن ينصرف راضيا مشرق الوجه .

وقبل أن أبدأ حديثى مع حضرة الناظر ، دخل سكرتير المدرسة متبرما يسحب من ورائه طالبين لم يدفعا بعد رسوم مجلس الآباء ، رغم مطالبتهما كل يوم بالدفع .

سأل الناظر واحدا من التلميذين الصغيرين وهـو يتفرس فى هيأته : أبوك بيشتغل ايه يا ولد ؟ أجاب التلميذ : منجلاوى ..

لم يفهم الناظر شـيئا ولا أنا ، فسأله من جديد : منجلاوى يعنى ايه يا ولد ؟ وهنا تطوع السكرتير بتفسير الكلمة الغريبة فقال شارحا : بيشتغل عامل فى المنجلة اللى بتبيض القماش وتنشيه وتكويه ..

عاود الناظر سؤاله : عندك أخوات غيرك يا ولد ؟ أجاب التلميذ : أيوه .. خمسة غيرى وأختى الكبيرة فى الجامعة .

سكت الناظر برهة ، ثم أخذ يدقق النظر فى هيـأة الطالب الصغير ، فرأى فى قميصه أكثر من رتق ، وانه يلبس الحذاء من غير جورب رغم برودة الجو ، ولم يلبث أن قال : طيب روح فصلك .

وانثنى الناظر الى التلميذ الآخر ، وكان حسن الهيئة ويرتدى من الثياب أفخرها وأغلاها ثمنا ، وتكاد وجنتاه الموردتان تنطقان بما ينعم به من خافض العيش ..

وسأله الناظر : وانت يا ولد . أبوك بيشتغل ايه ؟ أجاب التلميذ : بابا صـاحب قهوة الاخلاص . قال الناظر : ساكنين بكام ؟ أجاب الولد : احنا سـاكنين فى ملكنا ..

قال الناظر فى هيئة قاطعة : قول لوالدك النـاظر بيقول لك ادفع جنيه للمدرسة وتجيبه معاك بكرة . فاهم يا ولد ؟ قال الولد : حاضر يا بيه .

ولما فرغ الناظر من فض هذه المشكلة ، التفت الى هاشا ثم قال : تحت أمرك .

أخذت أشرح له سبب قدومى اليه ، وما بلغنى عنـه من أنباء تكاد تبلغ فى غرابتها ما فى الأساطير ، أو ما ينسجه الخيال .

كان ولدى الصغير « جمال » قد ضاق ذرعا بمدرسته ، وبالفصل المكتظ بخليط من الذكور والاناث ، يحشرون فيه أربعا أربعا فى مكان لا يتسع لغير اثنين . وكثيرا ما كان الولد يعود من المدرسة مثخنا بالجراح فى ساقيه ووجهه ويديه بسبب اللعب والجرى فى فناء ضيق ، أو النزول على درجات سلم متآكلة ، فباتت مصدر شر وأذى لا يتوقفان .

كما كان الولد يتبرم من جلوسه الى جانب البنت ، ويتصور بخياله الساذج أن هذه المساواة تقلل من شأنه ، وتخفض من قيمته كرجل صغير !

لم يكف يوما عن الالحاح على لكى انقله من هـذه المدرسة التى تقوم بالتدريس فيهـا ، معلمات يضعن المساحيق فى وجوههن ، ويطلين الاظافر بلون الورد ..

وكما ضاق الولد بمدرسته ، ضقت أنا الآخر بالحافه ، الذى انقلب آخر الأمر الى شـبه تمرد وعصيان عن الذهاب الى هذه المدرسة .

شرحت للأستاذ « أبو رية » ناظر المدرسة ما يعانيه ولدى الصغير ، ورجوته أن يقبل تحويله الى مدرسته ذات الفناء الفسيح ، والفصول الواسعة المشمسة ، التى لا يزيد عدد الطلبة فى أى منها عن الاربعين ، فضلا عما تحظى به المدرسة من نتائج باهرة فى نهاية كل عام ..

ضحك الأستاذ « أبو رية » من قلبه وهو يستمع الى شرحى لخواطر الولد الصغير وتهديده بعدم الذهاب الى مدرسته التى لا يقل عدد التلاميذ فى أى فصل منها عن السبعين أو يزيد !

قال الناظر أن هذه المدرسة التى أغضبت ولدى ، انما هى مدرسة نموذجية يقوم التدريس فيها على نظـام « شرشر » وهو آخر ابتكار لرجالات التعليم المجددين !

قلت للناظر أن الولد لم يتعلم شـيئا بالطريقة « الشرشرية » المبتكرة ، وانه يرغب أن يتعلم القراءة والكتابة بنفس الطريقة التى درج عليها أبوه وأجداد أبيه من قبل .

اقتنع الأستاذ « أبو رية » حقا بوجهة النظر التى أبديتها ، لكنه اعتذر لى بامتلاء الأماكن فى مدرسته على آخرها بالتلاميذ . ولما بان الأسف على وجهى ، ظل الناظر ساكتا برهة دق بعدها جرسا فوق مكتبه ، ودخل الفراش فقال له : هات لى سمير عبد الخالق من تانية سابع .

مضت دقائق دخل بعدها تلميـذ صغير ورفع يده بالتحية لحضرة الناظر الذى ساله : جبت ورق التحويل بتاعك يا ولد ؟ اجاب سمير : أيوه يابيه . خده حضرة السكرتير . وتهللت أسارير الأستاذ « أبو رية » واردف : طيب يا أستاذ « هات الولد بكرة وموافقة تحويله من مدرسته ، بس أنا لا أقبل الا الأذكياء » ضحكت وقلت ان ولدى « جمال » سيكون عند حسن ظنـه ، ثم قمت وشكرت الناظر الطيب ، وانصرفت من المدرسـة رضى القلب .

وتنفست الصعداء فى اليوم التالى حين عاد الولد من مدرسته الجديدة متهلل الوجه ، وأخذ يصف لى حجرات الدراسة الواسعة ، والفناء الرحب ، والمدرسين الذين يفاجئهم الناظر بالدخول اليهم ، والجلوس بين الاولاد كانه واحد منهم .

ومضت بقية شهور العام الدراسى ، ولم تكن المدرسة تطلب خلالها شيئا لمجلس الآباء ، أو لاعادة بياض الحوائط أو لاقامة الزينات بمناسبة حضور مدير أو وزير ..

كل الذى طلبه حضرة النـاظر ، انه دعا الآباء الى الحضور للمدرسة ذات مساء لمشاورتهم فى مسألة لم يذكر عنها شيئا فى بطاقة الدعوة .

وذهبت الى المدرسة فى المساء ، ووجدت بها أكثر من ألف والد ووالدة ، ثم جاء حضرة الناظر وتحـدث الى المجتمعين فى بساطة عن رغبة الكثيرين فى تحويل أبنائهم من مدارسهم الأخرى الى هذه المدرسة ، وان هذه الرغبة تثلج صدره ، وتقوى عزمه على أداء رسالته ولكن .. كيف يمكن أن تستوعب المدرسة اعدادا جديدة من التلاميذ ؟ ورد الأستاذ « أبو رية » بنفسه على هذا السؤال فقال ان الوزارة وافقت على بناء عشرة فصول جديدة فى فناء المدرسة ولكن على غير نفقة الوزارة .

واقترح الناظر أن يتعاون كل الآباء فى نفقات انشاء هذه الفصول من أجل الأجيال القادمة ، على أن يكون الحد الادنى للتبرع جنيها واحدا ، والحد الأقصى خمسة جنيهات ، وسيبدأ هو شخصيا بدفع قيمة الحد الأقصى من ماله الخاص .

وسرت بين الجموع موجة حماس واستحسان ولم تنقض الا ساعة أو بعض ساعة ، حتى بلغت تبرعات الآباء الف جنيه أو تزيد ..

وانتهى العام الدراسى ، وانتقل ولدى الصغير الى صف جديد ، وجاءت شهادته بيضاء من غير سوء وخالية تماما من الدوائر الحمراء التى كثيرا ما كنت أراها فى شهادات المدرسة السابقة !

وتوالى نجاح الولد الصغير وآن له أن يترك المدرسة بعد أن أكمل مرحلته الابتدائية ، ويوم أن ظهرت النتيجة، دخل الى حضرة الناظر ليسلم عليه شاكرا ومودعا .

وكلما استوفى واحد من ابنائى الكثيرين سن اللحاق بالمدرسة الابتدائية ، كنت أصحبه الى الأستاذ «ابورية» لياخذ مكانه فى مدرسته ذات السمعة الطيبة ، وكان الرجل الطيب يقبل أبنائى على الفور ، بعد أن حققوا ظنه النبيل فى ذكائهم وحبهم للتعلم .

ونبتت صداقة بينى وبين الأستاذ « أبو رية » زادت مع كر الأعوام توثقا ، وكنت ألتقى به فى مكتبى حينا ، وفى خارج المدرسة حينا آخر .

كان رجلا من طراز فريد ، عشق مهنته فاعطاها كل نبضة فى قلبه ، وكل نفس يخرج من رئتيه .

لم يكن للأستاذ « أبو رية » بنين أو بنات لأنه لم يتزوج بعد ، ولا ينوى الزواج فيما بعد ..

سالته ذات ليلة عن اسباب حبه لمهنة التدريس للأولاد الصغار ، ولوظيفة ناظر مدرسة ، مع انه لم يكن ذات يوم أبا ..

سكت الاستاذ « أبو رية » وغامت عينـاه ثم بـدأتا تلمعان بالدموع ، فلم يلبث أن طلب منى تغيير موضوع الحديث ، وفى لقاء آخر سـيحدثنى عن كل ما احب الوقوف عليه .

وسافرت الى الخارج لبعض أعمـالى الصحفية ، وقضيت قرابة شهرين بعيدا عن الوطن ، ثم عدت وبدات بزيارة الصديق « أبو رية » فى مدرسته كما كنت معتادا من قبل ..

رأيت غرفته فى غير مكانها الأول ، كما رأيت الجالس الى مكتب الناظر ، انسانا آخر غير صديقى الأستاذ « أبو رية » فسألت الناظر الجديد عنه ، وأجابنى بأنه ترقى الى وظيفة مفتش فى المنطقة !

حزنت وأسفت غاية الحزن والأسف ..

حزنت لحرمان هذه المدرسة من كفاءة انسان توفر على التفانى فى النهوض بها ، وأسـفت لأننا ما زلنا نخضع لقانون أصم لم يفكر أحد بعد ، فى تطويعه ليكون فى خدمة الناس ..

حدثتنى النفس قائلة : ترى هل كان عسيرا أن يرقى هذا الرجل الى درجة أعلى ، ويظل فى نفس الوقت ناظرا للمدرسة ؟

وفى طريقى الى مكتب الأستاذ « أبو رية » الجديد

نهر الحياة

شعر

الشاعر محمد حليم غالى

للنيل .. فى ربوات المجد قد جاءوا ... يبايعون «جمالًا» كيفما شاءُوا
دعا «جمال» فلبى العرب دعوته ... فيها لدعوة «ابراهيم» إذكاء
فى كعبة يعرف الأحرار قبلتها ... من كل فج تسامت فهى عصماءُ
وشعبنا بين آمال يتابعهم ... بشوقه لروابى القدس إسراء
هناك يجلو الضحى أيام عودتنا ... فى عودة الحر للأوطان إرضاءُ

* * *

يا روعة الجمع ! كم كنا على أمل ... الا يفرقنا حقد وبغضاءُ
فقد نمانا إلى آبائنا نسب ... وضمت العربَ الأمجاد علياء
أواصر الدين والقرآن تجمعنا ... فكلنا جسد فيه وأعضاءُ
«والله اكبر» تتلى من مآذننا ... وفى القلوب لها وعى وإصغاءُ
فكيف يطفىُ نور الله مجترئ ... والله من حولنا هاد وبنّاءُ ؟

* * *

يا مرحبا بلقاءِ الإخوة اجتمعوا ... ما عوقتهم للاستعمار «رقطاءُ»
تناسوا الخلف والأحقاد يجمعهم ... نهر الحياة فهم أهل أشقاء
ليمحوا المسخ اسرائيل من بلد ... فيه لأحمد «معراج واسراءُ»

* * *

اليوم يلتفت التاريخ مبتهجا ... بشعبنا فيحيي وهوْ وضاءُ
فكم رآنا وسيف الله منتصر ... وفوق مغربنا للحق أضواءُ

فكم رآنا وسيف الله منتصر　　وللنبوة إجلال ، وإيحاءُ
وللجزيرة إشعاع ، ومنطلق　　إلى الحياة ، وأجناد ، وأجواءُ
طارت إلى قمم الآفاق يحملها　　سر الإله ، وأبطال أشداءُ
هدى تألق فى الماضى فأبدعه　　واليوم يرجعه للكون أبناءُ

* * *

قضية المجد نادتنا ولا جئنا　　وليلة فى طوايا الكوخ ليلاءُ
فى هبة الريح أنات يرددها　　سعال شيخ ، رمت دنياه دهياءُ
وفى الخيام بقايا أمة لعبت　　بها الطواغيت مأساة وأشلاءُ
لمت عزيمتها فى كل منعرج　　ثم استفاقت ولم يقعد بها الداءُ
فإن أرادوا مياهى فهْى مغرقة　　لا الزاد ينفعهم منا ولا الماءُ
وإن رنو نحو بترولى سيحرقهم　　به الرجال ، وأشبال ، «وحواءُ»

* * *

لن يدفق النهر من أمواجه جرعا　　فما لهم فيه إنبات ، وإنماءُ
وكيف يجرى إلى وديانهم غدقا　　وتنطوى جفة للعُرْب لفَّاءُ
والأرض .. ليست لهم أرضا ولاوطنا　　هم غاصبون وأعداءُ الدَّاءِ
والله لن يأخذوا منه ولو بذلوا　　فحظهم فى الأسى «تيه» وصحراء

* * *

هذه هى الوحده الكبرى وأولها　　هذا اللقاءُ له فى العرْب أفياءُ
يا رب سدد خطاهم إنه أمل　　على الطريق تبدى عندما جاءُوا
راع العدد اجتماع ظلَّ يرهبه　　فعيته فى صباح العُرْب عمياءُ
توقد الثأر .. واشتدت عزائمنا　　وللبطولة والأحرار إجراءُ
الزحف .. موعده قد حان فاعتصموا　　بالله أنتم به قوم أعزاءُ

مؤتمر القمة

محققاً لآمال العرب..

رؤساء وملوك الدول العربية

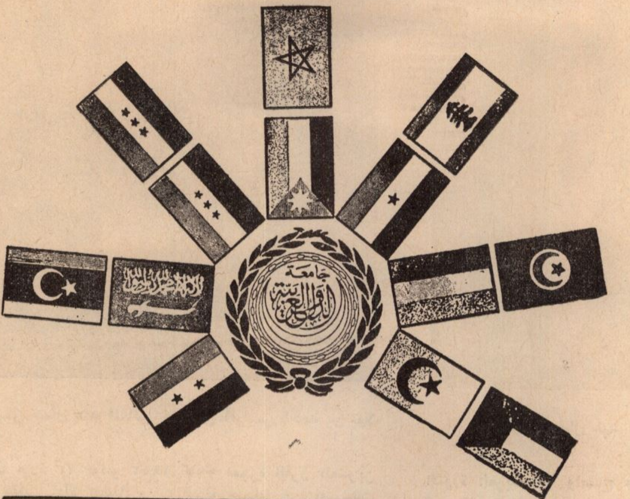

أهم قرار غير القرارات السرية هو تصفية الجو العربي ..
عبد الخالق حسونة

التنظيم الفلسطيني لابد أن يعبر عن إرادة الشعب الفلسطيني ..
الشقيري

المعركة قادمة دون ريب ، ولن يرتاح العرب إلا يوم يستعيدون الأرض السليب ..
عدنان الحكيم

الشعب الفلسطيني هو القوة الضاربة الأولى لمعركة فلسطين ..
رمضان اللاوند

اجتماع زعماء العرب كسب كبير للأمة العربية ..
ناصر الدين النشاشيبي

بأيدينا نحن العرب أن نخيف الغرب كله ببترولنا وقناتنا ..
المستشار علي منصور

إسرائيل ليست وحدها في المعركة : وخير أداة للعرب وحدة الصف وصدق النية
ناصر السعيد

إعداد : عبد العظيم ملوك - محمد عبد الموجود

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الرئيس احمد بن بيلا

الرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود

ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت معجزة القرن العشرين ٠٠ حققت آمالا عظاما ٠٠ واهدافا جساما ٠٠ امتدت آثارها للعالم أجمع وصنعت أمجادا تفخر بها الامة العربية على مر الاجيال ٠٠

فان هذه الثورة كانت تكملة لثورات أخرى مجيدة قام بها السلف وبذلوا فيها أرواحهم ودماءهم ٠٠ ولكنهم استمروا على الطريق ، شعارهم وهدفهم تحقيق الحرية لبلادهم ٠

وان الثورة المصرية هى مرحلة من مراحل التطور الثورى الذى شمل البلاد منذ الماضى البعيد ٠٠ وان أهدافها لم تكن فى يوم من الايام قاصرة على شعبنا وبلادنا وحدودنا وانما تمتد لتغطى المنطقة العربية كلها من المحيط الى الخليج ، وهى تسعى الى أن تحقق السيادة العربية فى البقعة العربية ولادخل لأجنبى فى شئونهم وانما سياسة عربية واحدة تحررية تقدمية ٠

وتمتد أيضا الى القارة الافريقية وتساند كل شعب يريد أن يتخلص من نير الاستعمار ٠

وكان من نتائج ذلك أن قامت فى كل بلد من بلدان العالم ثورة تهدم ماتعفن من الماضى وتقيم على انقاضه صروحا عالية من العزة والاستقلال ٠

وان رجلا مثل جمال عبد الناصر امكنه ان يزلزل القارة الافريقية بصيحته العالية لجدير أن يكون بطل التحرير الافريقى وأبا لجميع الثورات الاستقلالية التحررية ٠٠

وصاحب ثورة كهذه الثورة لابد أن يحارب بعنف فقد تعاون الاستعمار على محاربته فعمل على مقاومة هذه الثورة العربية واعاقة تقدمها ونموها فحال دون انضمام أى جزء من اجزاء الوطن العربى الى الوحدة العربية ونفث سمومه بين العرب ٠

وكان من وراء الاستعمار ربيبته اسرائيل التى اخذت تعمل فى تحويل نهر الاردن لتعميق خطوطها الدفاعية وزيادة قدرتها الاقتصادية ورفع عدد سكانها الى خمسة ملايين ٠

وكعادة الرئيس جمال عبد الناصر منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لاينتظر الاحداث حتى تفرض واقعيتها على الامة العربية انما يتصدى لهذه الاحداث ويفرض عليها ارادة الثورة العربية ٠٠ وأصبح منذ ذلك اليوم الذى تفجرت فيه الثورة التاريخية ، الامل الكبير الذى يتطلع اليه الشعب العربى فى الوطن الكبير

اعتادت الجماهير الكادحة المناضلة كلما لاحت فى السماء العربية أخطار ان تجد عبد الناصر ، القائد الملهم الثائر يتحمل المسئولية الكبرى بشجاعة الثوار ، وبحكمة الملهمين وصارت هذه الجماهير واثقة مطمئنة الى ان النكبة لن تتكرر ، وان أحلام الصهيونية فى بناء امبراطورية على أنقاض أمتنا لن تتحقق ، وان اسرائيل لن تقدر على فرض ارادتها من خلال اغتصابها مياه نهر الاردن ٠٠ ثم صارت هذه الجماهير بحكم مابينها وبين عبد الناصر من روابط ثورية ومصيرية تترقب كلمته فى المشاكل التى تواجه النضال العربى ، ولما كان تحويل مجرى نهر الاردن هو أخطر مايواجه الامة العربية كلها فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخها فان الاهتمام ، على المستوى القومى بخطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم عيد النصر كان شديدا ٠٠ ثم كان أثر هذا الخطاب عميقا وواسعا .. فقد رأينا ملوك ورؤساء الدول العربية قد نبذوا خلافاتهم وتغلبوا على الصعوبات التى كانت تقف فى طريق العلاقات بينهم ، وجاء المؤتمر الكبير محققا لآمال العرب فى التغلب على كل خلافات واختلافات ، وقد امنوا بان القومية العربية هى الهدف ، وهى الوسيلة وان يجعلوا هذا الايمان حقيقة واقعية فى حياتهم السياسية والقومية ..

***

وفى جلسة جمعتنى مع السيد عدنان الحكيم زعيم حزب النجادة بلبنان والسيد رمضان اللاوند رئيس تحرير جريدة صوت العروبة بلبنان اجابنى السيد الاستاذ عدنان الحكيم عن مدى نجاح مؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول العربية بقوله :

* انى اعتقد أن مؤتمر القمة كبداية قد نجح نجاحا يبشر بنتائج طيبة ان شاء الله ، على أن النجاح المأمول فى الخطوات التالية مشروط ببذل كثير من الجهود وكثير من العزم والوعى الوطنى والقومى على مختلف المستويات الشعبية والرسمية والامل كبير ان يتغلب العرب على

الرئيس جمال عبد الناصر وحاكم الكويت

الرئيس جمال والملك الحسن

صعوبات العمل الوطنى القادم .

اما الاستاذ رمضان اللاوند فقد أجابنى على مكاسب المؤتمر بقوله :

* أول شىء حققه مؤتمر القمة هو انه كان منطلقا لحل المشكلات العربية القائمة بين بعض الاقطار العربية وقد استطاع المؤتمر أن يوجد الجو الملائم الذى يساعد على التقريب بين مختلف وجهات النظر على ازالة التناقضات القائمة وقد تحقق اكثر من ذلك بفضل حنكة الرئيس جمال عبد الناصر ووعيه للاخطار المحيطة بالامة العربية وتفوقه على كل الخلافات التى طرحت العراقيل أمام الموكب العربى

وكان سؤالى التالى للسيد الاستاذ عدنان الحكيم ..

* كان من ضمن قرارات المؤتمر العمل على ايجاد الكيان الفلسطينى فما هو الكيان الفلسطينى ؟

* فى رأيى أن الكيان الفلسطينى هو عنوان على عملية تعبئة فكرية وسياسية وتنظيمية بقصد اعداد الشعب الفلسطينى لمواجهة كل احتمالات المعركة ضد فلسطين والمعركة قادمة دون ريب فى يوم قريب أو بعيد ، ذلك لان اصرار الصهيونية والاستعمار على العدوان هو الذى يجعل المعركة حتمية بالاضافة الى أن العرب لن يرتاحوا الا يوم يستعيدون الارض السليبة .

* وأجابنى السيد الاستاذ رمضان اللاوند عن النشاط الذى سيقوم به الكيان الفلسطينى بقوله :

الخطوات الاولى التى تمت فى هذا الاتجاه ماتزال فى أول الطريق ، ان اتصالات تجرى اليوم بين ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية السيد أحمد الشقيرى وبين الهيئات الفلسطينية للاتفاق على وضع صيغة عملية لهذا الكيان والأمل كبير أن تبدو معالم هذا الكيان فى الأسابيع القادمة ان شاء الله .

* وخطر على بالى هذا السؤال :

كيف ستدور معركة فلسطين على ضوء قرارات المؤتمر ؟

فاجابنى السيد الأستاذ عدنان الحكيم بقوله :

اننى أعتقد أن المعركة من أجل فلسطين ستكون فى ميادين مختلفة وعلى صور متعددة أما الحرب الساخنة فستكون آخر صور هذه المعركة والحل النهائى الذى يختاره العرب عندما تتعقد الحلول المناسبة للأساليب والصور الأولى التى أعتبرها أبجدية المعركة من مثل الاعداد الفكرى والتعبئة الفنية والتنظيم .

* وأما السيد الأستاذ رمضان اللاوند فاجابنى عن واجبات الشعب الفلسطينى تجاه تحرير بلده ، وواجبات الشعب العربى بقوله :

ان الشعب الفلسطينى هو الذى يمثل القوة الضاربة الأولى لمعركة فلسطين ذلك لأن قضية فلسطين وان كانت قضية الأمة العربية كلها الا أن الشعب الفلسطينى هو صاحب العلاقة المباشرة لكل النتائج المؤسفة التى نتجت عن كارثة فلسطين فقد كان نصيبه من التشريد والضياع أكثر من أى شعب عربى آخر .

أما واجبات الشعوب العربية فهى تتلخص فى مساندة الشعب الفلسطينى وفى تقديم كل ما يحتاج اليه الشعب الفلسطينى من أسباب القوة على كل مستوى وفى كل ميدان .

وأخيرا سألت سيادته عن رأيه فى موقف أمريكا من مؤتمر القمة ؟

فقال السيد الأستاذ رمضان :

رأيى أن الولايات المتحدة تتصرف بعد مؤتمر القمة فى ضوء مشاكلها الانتخابية الداخلية فهى لم تستطع رغم كل الأزمات أن تتغلب على نفسها وأن ترتفع بوعيها السياسى الدولى الى المستوى الذى يجعلها جديرة بالقيادة ولذلك فان الولايات المتحدة ستضطر لاعادة النظر فى موقفها من قضية فلسطين عندما يجمع العرب صفوفهم ويصممون على مواجهة المعركة وتحمل مسئولياتها بغض النظر عن النتائج التى سنتج عنها . فى هذه الحالة ستفكر الولايات المتحدة كثيرا قبل أن تتخذ موقفا معينا ونهائيا من الأمة العربية .

وبعد هذا الحديث الممتع ذهبت الى السيد الأستاذ ناصر الدين النشاشيبى رئيس تحرير جريدة الجمهورية وسألته فاجابنى :

* ما مدى نجاح مؤتمر القمة ؟

* مؤتمر القمة كما قال الرئيس العراقى عبد السلام عارف انه مجرد مقدمة والعبرة بالنتائج .. وأرجو أن

الرئيس عبد الناصر ورئيس وزراء لبنان رشيد كرامى

الرئيس عبد الناصر والملك حسين

تكون هذه النتائج متجاوبة مع أمل كل عربى وثقتى فى العودة الى فلسطين وعودة فلسطين الى العرب .

* ما هو الكيان الفلسطينى ؟

* الكيان الفلسطينى هو أن تكون لفلسطين هيئة أو لجنة أو جمعية أو جبهة تنطق باسم هذا الشعب وتلم شمله وتعبر عن ارادته وتنظم صفوفه وتقوده فى معركة الثأر .

* ما هو النشاط الذى يقوم به الكيان الفلسطينى ؟

* الى الآن لم اسمع بشىء بهذا النشاط وليس معنى هذا أن فلسطين لا تعود الا بكيان فلسطينى فسواء أصبح للفلسطينيين كيانا أو بقى الفلسطينى بلا كيان فان ذلك لا يؤثر على الارادة الفلسطينية فى خوض الحرب واستعادة الحق المغتصب .

* كيف تدور معركة فلسطين على ضوء قرارات المؤتمر ؟

* قرر المؤتمر صهر الامكانيات الفلسطينية كلها وبقى ان يدخل هذا القرار دور التنفيذ .

* ما هى مكاسب مؤتمر القمة العربى ؟

* ان اجتماع زعماء العرب من رؤساء وملوك على مائدة واحدة من أجل نصرة قضية واحدة هو مكسب لهذه القضية وللسمعة العربية وللقوة العربية وللامة العربية كلها .

* ما هى واجبات الشعب الفلسطينى تجاه تحرير بلده ؟ ما هى واجبات الشعوب العربية ؟

* قضية فلسطين عربية فى فلسطينيتها وفلسطينية فى عروبتها فهى لأهل فلسطين كما هى لكل عربى واذا كان أهل فلسطين على استعداد للقيام بدور الطليعة فى معركة العودة فان على الشعوب العربية أن تحمى هذه الطليعة وتمدها بالمال والسلاح والرعاية الدولية حتى تحقق معها ولها النصر .

* ما رأيكم فى موقف أمريكا من مؤتمر القمة ؟

أمريكا ١٩٦٤ هى أمريكا ١٩٤٨ وهى أمريكا ١٩١٧ ، فسواء كان رئيسها جونسون أم ترومان أم ولسن فامريكا على ما يبدو لا تريد أن تتحرر من الطغيان الصهيونى وتستمع الى أصوات الحق والعدالة فى هذا الجزء من العالم وثمن ذلك كله ستدفعه أمريكا لا العرب .

وفى مؤتمر صحفى أجاب السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية على هذه الأسئلة .

* ما معنى الشخصية الفلسطينية وابراز الكيان الفلسطينى ؟

ـ الشخصية الفلسطينية هى أن يشعر الفلسطينيون بانهم شعب كسائر الشعوب وأن له أرضا قد اغتصبت وله كل الحق فى استرداد حقوقه والعودة الى أرض بلاده أن يقوم الفلسطينيون أنفسهم باعلان هذه الحقيقة للعالم اجمع وأن يقوموا بتنوير الرأى العالمى وان يدافعوا بكل الوسائل عن كل ما سلب من حقوقهم .

* ماذا تم بشأن القيادة العسكرية الموحدة ؟

ـ لقد اتفق على أن تكون القيادة العامة للقوات الموحدة للجمهورية العربية المتحدة وعلى أن يكون القائد العام لهذه القوات هو الفريق على على عامر رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة .

* ما هى الخطوات التى تتخذ لمتابعة قرارات مؤتمر القمة ؟

ـ لقد تقرر انشاء لجنة خاصة مكونة من ممثلين شخصيين للملوك ورؤساء الدول العربية منضما اليها ممثل فلسطين لدى مجلس الجامعة تجتمع برئاسة الأمين لتتابع تنفيذ ما قرره الملوك والرؤساء فى اجتماعهم وتوافى الملوك والرؤساء بتقارير شهرية عن سير تنفيذ القرارات التى وافقوا عليها . وان موعد اجتماع هذه اللجنة سيكون فى أقرب فرصة وبأسرع وقت حتى يكون العمل جديا .

* ما هى الخطوات العملية التى ستتخذ لتنظيم الشعب العربى فى فلسطين لتمكينه من استرداد حقوقه ؟

ـ لقد عهد الى السيد احمد الشقيرى ممثل فلسطين بالمجلس بان يتابع اتصالاته بحكومات الدول العربية الأعضاء وبالشعب الفلسطينى أينما وجد ليبحث معهم ابراز الشخصية وابراز الكيان ثم نبحث بعد ذلك نتائج هذه الاتصالات وذلك سواء فى اللجنة الخاصة أو

الرئيس عبد الناصر وولى عهد المملكة الليبية المتحدة

الرئيسان عبد الناصر وبو رقيبة

فى مجلس الجامعة حتى يمكن اتخاذ ما يجب ان يتخذ نتيجة لهذه الاتصالات .

* ما هو أهم قرار اتخذ فى هذا الاجتماع ؟

ـ نظرا لسرية القرارات اكتفى بالقول بان أهم قرار صدر هو تصفية الجو العربى مما شابه من خلافات خلال السنوات الماضية هذا هو حجر الزاوية لكل تضامن وتعاون سواء بالنسبة للعلاقات نفسها او بالنسبة لقضية فلسطين بنوع خاص .

والقرار الثانى الهام هو بالنسبة لقضية فلسطين ابراز الشخصية الفلسطينية وتنظيم الشعب الفلسطينى وقد كان هذا الموضوع غير محدد منذ عام ١٩٥٩ ولكن الحمد لله قد تم التفاهم ليصبح الفلسطينيون هم العامل الأول لخدمة قضية فلسطين بمساندة الدول العربية وهذان هما موضوعا الساعة .

* * *

أما السيد أحمد الشقيرى ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية فقد أجاب عن سؤال حول احتمال انشاء حكومة فلسطينية بقوله :

* ان التنظيم لن يأخذ شكل حكومة وذلك يدعو الى انشاء جمهورية فلسطين لأنه على الرغم من الرسائل الكثيرة عن التجارب السابقة فى اسيا وافريقية فان التنظيم السياسى الفلسطينى يختلف .

ثم قال انه لن يكون لهذا التنظيم أى سيادة اقليمية على الضفة الغربية فى الأردن أو على قطاع غزة وسيكون بشكل لا يتعارض مع الكيان الأردنى فهو تنظيم قومى يعمل على المستوى النضالى والتحررى .

وسئل عن المدة التى يتم فيها انشاء التنظيم بقوله :

* نرجو ان يتم ذلك قبل شهر أغسطس المقبل .

وأجاب ان الشعب الفلسطينى هو الذى سيقيم التنظيم أما دور الدول العربية فهو الدعم والتأييد .

ثم سئل هل سيكون للتنظيم ممثلون فى البلاد العربية والأجنبية ؟

* فاجاب سوف تكون لنا مكاتب فلسطينية تعمل لقضية فلسطين ويديرها فلسطينيون وسيكون لفلسطين أيضا مكتب فى الأمم المتحدة

وأجاب عن سؤال حول مصادر تمويل التنظيم الفلسطينى فقال :

ان هذا التمويل سيكون من أبناء فلسطين أنفسهم ومن الشعوب العربية وكل الشعوب المحبة للحرية والعدل والسلام ونحن نقبل العون لقضية فلسطين من أية جهة لأن الفرض هو العمل على تحرير فلسطين .

ثم قال ردا عن سؤال آخر :

* ليس لقضية فلسطين حل سياسى ولا حل دبلوماسى ولا حل سلمى ان حلها هو الحل التحريرى هو النضال الصحيح بالنسبة للشعب الفلسطينى كما أنه يزيل كثيرا من المصاعب القائمة التى لحقتها احجاب الشخصية الفلسطينية عن العمل القومى فى الصعيدين العربى والدولى .

ولقد تقرر فى الاجتماع السعى لانشاء التنظيم الفلسطينى ولذلك ينبغى أن أوضح ان هذا التنظيم لابد أن يعبر عن ارادة الشعب الفلسطينى وان تنضوى تحت لوائه كل المنظمات والهيئات الفلسطينية وأن يكون مفتوحا أمام المواطنين جميعا ليهيىء لهم فرصة الكفاح لخدمة قضيتهم وتحرير وطنهم .ووأضح ان واجب الدول العربية بشأن التنظيم هو تيسير الأسباب قبل قيامه وتأييده بعد قيامه فهو فلسطينى فى وجوده ونشاطه ولكنه عربى بوسائله وامكانياته واننا لنأمل كذلك ان يجد هذا التنظيم العون المادى والسياسى من جميع الشعوب المحبة للسلام والعدل والحرية .

واختتم الشقيرى بيانه بقوله : ان الخطوة التالية أمامى هى زيارة بقية الدول العربية للتشاور مع المسئولين فيها ومع اخوانى الفلسطينيين بشأن اقامة التنظيم الفلسطينى وساظل كذلك على اتصال دائم مع القيادة العربية بشأن الدور التاريخى الذى يجب أن يهيأ له الشعب الفلسطينى للقيام بواجبه المقدس نحو تحرير وطنه .

وقد أجاب السيد المستشار على على منصور عن مدى نجاح مؤتمر القمة بقوله :

* أول ما حققه المؤتمر من نجاح أن جمع شمل الدول العربية بعد فرقه ووحد كلمتها فى السياسة الخارجية

الرئيس عبد النـاصر والرئيس عبد السلام عارف

بعد شتات وصل الى حد التنافر وامتشاق الحسـام فالحرب فى اليمن بين أكثر من دولة عربية وحرب فى الجزائر والمغرب . وتقاطع بين الجمهورية العربية المتحدة وبين السعودية والأردنية وسوريا وأبواق الاستعمار تنفخ فى هذه النار لكى لا يهدأ لهيبها . ولما انقطع الأمل فى صلاح الحال تدارك الله هذه الأمة فألهم زعيمـا من زعمائها الدعوة الى هذا المؤتمر والهم بقية الرؤسـاء والملوك الاستجابة وارتفع كل منهم الى مستوى الخطر الذى يحيـق بالأمة جمعاء مما تدبره الصـهيونية والاستعمار .

ولقد ذكرنى ذلك بموقف الأوس والخزرج بعد اسلامهم وبعد أن أعزهم الله بجهرة الرسول اليهم حيث لـعب الشيطان ببعض الرءوس واخذ واحد من احد القبيلتين يتغنى بأبيات قيلت فى حرب بعاث التى كانت بينهمـا قبل الاسلام . فرد عليه آخر من القبيلة الثانية ردا قبيحا فتناوشا وتداعيا لأهل البصرة . ووقف الفريقان والسيوف تلمع صحافها وسمع الرسول بالأمر فخرج اليهم ووقف بين الفريقين وقال :

« أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم فكان قوله بردا وسلاما فخذل الشيطان وأعيدت السيوف الى قربها . وأقبل القوم بعضهم على بعض وصفت النفوس .

أما النجاح الثانى فقد اجتمعت الكلمة وصح عزم الدول العربية على مقابلة المؤامرة الصهيونية الخاصة بتحويل مجرى نهر الأردن بما هى أهل له من قوة وحزم وبادرت فى أخذ مفتاح العمل فى يدها وقررت أن تبدأ فى حجز مياه النهر وتحـويلها الى أراضى الـدول العربية .

وهناك نجاح ثالث ولعله أهم الثلاثة وذلك أن الملوك والرؤساء لم يقصروا بحثهم على احباط مؤامرة تحويل مجرى نهر الأردن انما ارتفعوا لبحث مشكلة الصهيونية مشكلة وجود اسرائيل فى قلب العروبة . وأعدوا لمحوها العدة واتخذوا لذلك قرارات سرية تنم عنها أعمالهم .

* وسألت سيادته : ما هو الكيان الفلسطينى ؟

ـ فقال سيادته : فلسطين عربية لاشك فى ذلك . لما انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة ألمانيا وتركيـا وانتصار حلفاء الغرب هموا باقتسام البلاد العربية ميراثا

الرئيس عبد الناصر واللواء امين الحافظ

عن الدولة التركية واخلفوا وعدهم وعهدهم الذى قطعوه على أنفسهم للشريف حسين حاكم الجزيرة العربية من قبل تركيا ابان الحرب حيث كانوا حرضوه على الثورة ضد الاتراك ووعدوه باستقلال تام للجزيرة وبروا بوعد بلفور واخذوا يمهدون لاقتطاع فلسطين العربية من الدولة الأم واعطائها هدية لليهود والصهاينة . بل ان الاستعمار طمع فى امتلاك البلاد العربية والقضاء على الاسلام ولكنه فوجىء بان نادى الشريف حسين بنفسه ملكا على الحجاز وشبه الجزيرة العربية كما نادى ابنه الامير فيصل الاول ملكا على سوريا فى مارس سنة ١٩٢٠ واجتمع المؤتمـر السورى العام ووضع للدولة دستورا وسماها المملكـة العربية السورية واعلن استقلالها بحدودها الطبيعيـة وكانت تشمل سوريا ولبنان والاردن وفلسطين ولـكن الدول الاستعمارية مستعينة بعصبة الامم لجأت الى الحيلة وعمدت الى تفتيت المشرق العربى وعمدت العصـبة الى ابتداع فكرة الانتداب فانتدبت انجلترا على العـراق وفلسطين والاردن وانتدبت فرنسا على سوريا ولبنان ولم تجرؤ العصبة على انتداب دول غربية على الحجاز فتركته فى يد الشريف حسين الى ان استولى عليه الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٢٥ وكان القصد من الانتداب التمهيد لضم هذه البلاد الى الدول المنتدبة عدا فلسطين فتعد لتكون موطنا لليهود . ولكن وطنية العرب فى كل قطر حالت دون ذلك بما دعى الى رفض الانتداب عنها ولكن افلح الاستعمار فى تقطيع أوصال الامة العربية وتقسيمها الى دول صغيرة .

وافلحت دول الانتداب فى أن تجعل لنفسـها مركزا ممتازا فى الدول العربية بمعاهدات عقدت بين كل من الدولة المنتدبة وبين الاقليم الموضوع تحت الانتداب .. وحاصل ذلك أن فلسطين اعتبرت فى نظر القانون الدولى دولة بقرار من عصبة الامم . وكانت لها مقومات الدولة باركانها الثلاثة ارض عربية منذ القدم وشعب عربى أيضا أما السلطة الحاكمة فكانت شركة بين ابناء هذا الشعب وبين الدولة المنتدبة وهى انجلترا .. اى أن عصبة الامم أقرت زوال سيادة تركيا عن فلسطين واعترفت بها دولة ناقصة السيادة وانتدبت عليها دولة أخرى . وقد بلغت فلسطين سن الرشد وتقرر انتهاء الانتداب عليها فى ١٥

مايو سنة ١٩٤٨ • هذا هو حقيقة الكيان الفلسطيني من وجهة نظر القانون والواقع • وكان مقتضى ذلك ان يتولى الامر فى فلسطين حكومة مستقلة استقلالا تاما منذ ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ •

ولكن انجلترا خلال مدة الانتداب طوال ١٥ عاما بل ومنذ سنة ١٩١٧ حين وطئت اقدام الانجليز ارض فلسطين حيث بدأت تمهد لانفاذ وعدها لليهود . بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين . حيث عينت انجلترا السير صموئيل الصهيوني النزعة اول مندوب سامى لها فى فلسطين عام ١٩٢٠ فاخذ يسهل هجرة اليهود الى فلسطين ويضغط على العرب بكل الوسائل لترك املاكهم الى اليهود وعمل هو ومن بعده من حكام الانجليز المنتدبين على تسليح اليهود وتكوين جيش لهم وبدأت اعتداءاتها على العرب فى قراهم مما اشعل نار الثورة وايقن الانجليز ان العرب مصرون على طرد اليهود فلجأوا الى فكرة تقسيم فلسطين الى دولتين • دولة يهودية ودولة عربية •

وفى سنة ١٩٤٢ اجتمعت المنظمة الصهيونية فى نيويورك وطالب بن جوريون بانشاء دولة يهودية تملك فلسطين • وفتح باب الهجرة • واذا بالرئيس ترومان يطالب بادخال مائة ألف مهاجر يهودى من المانيا الى فلسطين •• وتثور ثائرة العرب وينعقد مجلس للملوك والرؤساء فى انشاص فى مايو سنة ١٩٤٦ ••

وفى ٢ ابريل سنة ١٩٤٧ طلبت انجلترا من هيئة الامم المتحدة عقد دورة خاصة للجمعية العامة لنظر مسألة فلسطين •• وفى ٢٩-١١-١٩٤٧ قررت الجمعية العامة الموافقة على مشروع تقسيم فلسطين وعلى انتهاء انتداب بريطانيا .

وشاعت الفوضى • وكانت هناك مذابح دير ياسين •• ارهابا للعرب وحملهم على الهجرة وترك بلادهم •• وتقرر الجامعة العربية رفض قرار الامم المتحدة •• وان تدخل جيوشها فلسطين فور خروج الانجليز منها • ثم تنهى انجلترا الانتداب فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ويعلن اليهود قيام الدولة اليهودية بفلسطين •• وتدخل الجيوش العربية فلسطين وتسيطر عليها فى خمسة ايام وتصبح على ابواب تل ابيب •

ووقع التخاذل فى سياسة بعض الدول العربية .

ثم كانت الهدنة الثانية التى فرضها مجلس الامن فى ١٨ يوليو سنة ١٩٤٨ فى ولم يحترمها اليهود .

وكان كثير من عرب فلسطين شردوا وفروا لاجئين الى الاردن وسوريا وجزء كبير يبلغ المليون يعيش فى خيام يقاسى امر انواع العيش تحت سمع وبصر هيئة الامم المتحدة •

معنى الهدنة فى القانون الدولى

الهدنة وقف عمليات الحرب مؤقتا • مع احتفاظ كل طرف بمواقعه • ومع بقاء المشكلة الاولى التى قامت من اجلها الحرب • معلقة على ماهى عليه الى ان يتم تسويتها ••

ومعنى ذلك ان اهل فلسطين والدول العربية جميعا لا يعترفون بوجود دولة اسرائيل المزعومة .. وأعلنت على القوات الصهيونية الحرب . ولا تزال الحرب قائمة رغم الهدنة •• ولذلك فان مصر لاتسمح بمرور البواخر الصهيونية فى قناة السويس وحاصل ذلك كله انفلسطين كدولة عربية لاتزال قائمة • ولا يزال كيانها معترفا به •

ولذلك اتفقت جامعة الدول العربية مع أهل فلسطين فى اغسطس سنة ١٩٤٨ بعد الهدنة الثانية على تشكيل حكومة عموم فلسطين ابرازا لهذا الكيان •

وبالفعل شكلت الحكومة برئاسة أحمد باشا حلمى •

وظلت تشترك هذه الحكومة فى دورات جامعة الدول العربية الى ان توفى احمد حلمى •

الكيان الفلسطيني فى شكله الجديد

ولما اجتمع الملوك والرؤساء فى الجامعة العربية بمؤتمر القمة فى يناير سنة ١٩٦٤ كان لابد من ايجاد هيئة اخرى تمثل فلسطين استمرارا لابراز كيان هذه الدولة العربية • الا ان مؤتمر القمة رأى أن تكون تلك الهيئة اكثر فاعلية • وقرر مدها بكل ماتحتاجه من مال وعتاد • وسيقوم السيد احمد الشقيرى بالاتصال بجميع الهيئات الفلسطينية فى مختلف البلاد العربية . لتكوين الهيئة الجديدة ممثلة للشعب الفلسطيني اصدق تمثيل وبهذا نكون رغم هذا التطويل اعطينا فكرة مختصرة مركزة عن الكيان الفلسطيني من ناحية الواقع ومن جهة نظر القانون الدولى العام •

- وقلت لسيادته : ماهو النشاط الذى يقوم به الكيان الفلسطيني ؟

* فاجاب سيادته قائلا : هو بالاجمال النشاط الذى تقوم به كل حكومة لدولة ما • حتى ولو أبعدت عن وطنها •• ومثال ذلك : ماحدث لفرنسا حين احتلتها الجيوش الالمانية فى الحرب الاخيرة • حيث انتقلت الحكومة الفرنسية برئاسة الجنرال ديجول الى انجلترا • وعملت مع الحلفاء على زوال هذا الاحتلال • وبعد زواله عادت الى وطنها ••

ويمكن ان يباشر الكيان الفلسطيني أعماله لاخراج الصهاينة المحتلين.بحرب العصابات . مثلا - كما حدث على يد جيش التحرير الجزائرى • حيث ظل يكافح الجيش الفرنسي حتى اجلاه عن بلاده •

- وسألت سيادته كيف يتصور معركة فلسطين على ضوء قرارات مؤتمر القمة ؟

* قال سيادته : اتصور هذه المعركة من شقين • احدهما هو النشاط الذى يقوم به الكيان الفلسطيني والشق الآخر هو : ان تبدأ الهيئة الفنية التى انشأها المؤتمر الخاصة بمياه نهر الاردن بحبس مياه روافد الاردن التى تغذيه والتى تمر فى بلاد عربية هى لبنان ، وسوريا وشرق الاردن • والروافد هى : الحصبانى ، وبنياس ، واليرموك والغرض من حجز هذه المياه توزيعها على اراضى الدول التى تمر بها ومنعها من الوصول الى نهر الاردن حتى لاتستفيد منها اسرائيل

فاذا تمكنت الهيئة الفنية من تحويل مياه روافد الاردن فتكون نصف المعركة انتهت بسلام ويبقى النصف الآخر على هيئةالكيان الفلسطيني • وقد يكون فيما قرره مؤتمر القمة من قرارات سرية مايعمل على محو تلك الدولة المزعومة •

- وقلت لسيادته : ماهى مكاسب مؤتمر القمة ؟

* فقال سيادته : المكاسب التى حققها مؤتمر القمة • هو ماتضمنته الاجابة على السؤال الاول يضاف اليها ابراز الكيان الفلسطيني بشكل فعال وايضا رصد الاموال الكافية واعداد الفنيين والعسكريين اللازمين لتنفيذ قرارات المؤتمر واخيرا وضع ملحق خاص الحق بميثاق الجامعة العربية جاء فيه (منذ نهاية الحرب العالمية الاولى سقطت على البلاد العربية •• ومنها فلسطين ولاية الدولة العثمانية • وأصبحت مستقلة بنفسها وأعلنت معاهدة لوزان نفسها ان امر تلك البلاد لاصحاب الشان فيها • ويجب ان تمثل فلسطين فى دورات الجامعة العربية) •

وقد اصبح هذا التمثيل بعد مؤتمر القمة عمليا بما لم يسبق له مثيل • وقرارات هذا المؤتمر يبدو عليها الجد وقد اصبح العرب يقدرون مالديهم من اسلحة حربية واقتصادية تمكنهم من كسب المعركة باذن الله •

- وسألت سيادته : ماهي واجبات كل من الشعب الفلسطيني والشعوب العربية تجاه تحرير فلسطين ؟

* فاجاب سيادته قائلا : كل ماذكره عن الاجابة عن الاسئلة السابقة فرض عين على الشعوب العربية . ومنها الشعب الفلسطيني . فالمعركة معركة حياة او موت . وفي سبيل ذلك يهون كل مرتخص وغال . ولا يبقى لمالك من مال . وهذا حكم الشريعة الاسلامية . اذ دفع الضرر الأعلى بالضرر الادنى فرض . وسلامة الدين والعروبة أولى من احتفاظ كل مالك بما يملك قال تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) فيا ايها العرب اجيبوا داعي الله والوطن والعزة والله معكم .

- واخيرا قلت لسيادته : مارأيكم في موقف امريكا من مؤتمر القمة ؟

* فقال سيادته : لقد اعلنت امريكا تصريحا كله سياسةولف ودوران . حيث تمنت ان يشمل الهدوء منطقة الشرق الاوسط . وان يحصل التفاهم بين العرب واليهود ثم بدات تهدد تهديدا خفيا بانها لن تسكت على أى اعتداء يقع على اى دولة في الشرق الاوسط .

فلما هبت البلاد العربية تستنكر هذه السيطرة التى تدعيها امريكا على هذه المنطقة . وتعلن في عزم تمسكها بقرارات مؤتمر القمة . تراجعت أمريكا وقالت : ان هذا البيان كان معدا من قبل انعقاد مؤتمر القمة .

ومع هذا فاني اؤكد ان امريكا وانجلترا وفرنسا وغيرهم سوف يترددون قبل التدخل لحماية اسرائيل لعلمهم ان الدول العربية عازمة على تنفيذ ماقررته . وبايدينا نحن العرب مانخيف الغرب كله . فيكفي ان نحبس بترول الشرق ونسحب اموالنا المستثمرة لديهم وتبلغ الف مليون جنيه لدولة واحدة وهي الكويت . في دولة واحدة هي انجلترا . وهذه الودائع تمثل ١٢٪ من الاموال المستثمرة في انجلترا . ويكفي ان تغلق قناة السويس في وجه الغرب . فتدور مراكبها حول القارة الافريقية وراس الرجاء الصالح .

وننقل فقرة مما قاله محرر شئون البترول بجريدة نيويورك تايمز قال : (ان مستقبل العالم الحر مرتبط بحقول النفط في الشرق الاوسط .

ان متوسط ماتنتجه آبار البترول في الشرق ٣٧٢٨ برميلا وفي امريكا ١١ برميلا فقط وان تكاليف الانتاج في امريكا ٢١ ضعفا لتكاليف الانتاج في الشرق الاوسط .

هذه بعض اسلحتنا القاتلة والله معنا . وما النصر الا من عند الله .

وبعد ذلك توجهت لمقابلة الاستاذ ناصر السعيد .. ووجهت الى سيادته السؤال الآتي :

مامدى نجاح مؤتمر القمة ؟

* اجاب سيادته : في رايي ان مؤتمر القمة سوف يكون له أثر قوي في موضوع تحرير فلسطين بالذات . لان الذين اجتمعوا لايختلفون اختلافا مبدئيا وجوهريا . وبين هؤلاء الملوك والرؤساء خلافات . ولابد اولا . وقبل كل شيء تصفية الجو العربي من كل الخلافات . وقد ادى المؤتمر ثمرات طيبة في هذا المجال .

وقد ابعد الانجليز الشريف حسين لانه رفض اعطاء فلسطين كوطن قومي لليهود ونفي الى قبرص . فلو ان كل الملوك العرب في ذلك الوقت وقفوا موقف الشريف حسين لما كان لاسرائيل وجود الآن .

مامعنى الكيان الفلسطيني ؟

* قال سيادته : معنى الكيان الفلسطيني هو تجنيس شعب فلسطين بالجنسية الفلسطينية وهذا لاينتج من قبل الجمهورية العربية المتحدة وحدها وانما من قبل الدول العربية كلها مجتمعة فشعب فلسطين مشتت في البلاد العربية ويوجد منه قسم كبير في الجمهورية العربية المتحدة . وكذلك في سائر البلاد العربية . فلابد اولا تجميعهم وتجنيسهم بالجنسية الفلسطينية .

- ثم قلت لسيادته : ماهي واجبات الشعب الفلسطيني تجاه تحرر بلده وماهي واجبات الشعوب العربية ؟

* اجاب سيادته قائلا : لابد من تحرير فلسطين وخاصة اذا قضي على الرجعية وحورب الاستعمار واعوانه في داخل البلاد العربية ويلزم لذلك ان تقوم حكومة وطنية قومية وجيش قوى لاينقصه الرجال ولا العتاد . لان اسرائيل ليست وحدها في المعركة . ولذلك يجب ان نوحد صفوفنا ونحارب الاستعمار واعوانه الموجودين داخل البلاد العربية وواجب الشعوب العربية الوقوف الى جوار فلسطين .

وانا انادي وحدة الهدف قبل وحدة الصف . فمثلا .. اذا قلنا اقطعوا أنابيب البترول قطعت الانابيب وهكذا .

- ثم قلت لسيادته : كيف تتصور معركة فلسطين على ضوء قرارات المؤتمر ؟

* قال سيادته : انا لااتصور ان يكون هناك حرب لفلسطين . الا بالوحدة العربية .. واسرائيل ليست دولة صغيرة . فالصهاينة هم الذين يسيطرون على بترول العالم . واليهود هم الذين قتلوا كنيدى .. والذى قتل القاتل يهودى ايضا .

- وسألت سيادته : عن رايه في موقف امريكا من مؤتمر القمة العربي ؟

* فاجاب سيادته : قائلا ان اسرائيل وراء امريكا . فامريكا تحكمها الصهاينة . ومعروف ان البنوك الامريكية يديرها يهود . ورؤوس الاموال الكبيرة لليهود . والحل في نظرى ان نسحق انصار اليهود . من العرب الذين يتكلمون العربية .

ولقد علمتنا الاحداث الا نتسرع دائما وألا نصفق . بل علينا ان ننتظر حتى اذا راينا شيئا يمكن ان نصفق له سارعنا الى الايمان به والعمل من اجله . وبذل الغالي والنفيس في سبيله ويجب علينا ان نكون في منتهى الحذر . لان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين .

وفق الله الامة العربية الى امنيتها الغالية في تحرير فلسطين الحبيبة ارض النور ومهبط الانبياء . في ظل رائد العروبة جمال عبد الناصر .

***

وبعد لقد تطورت الجامعة العربية بنتائج هذا الاجتماع الكبير وانتهت من عهد الى عهد جديد وتحولت اليوم الى تطوير نوع من الاتحاد العربي جعل منها حقيقة تمثل ارادة العرب التى كانوا يتمنونها منذ أمد بعيد ..

وكل قلوب وأفئدة المخلصين العاملين من الامة العربية أن يبارك هذه الخطوة الكريمة التى خطا بها ملوك ورؤساء الدول العربية وقبلوا الدعوة المخلصة التي وجهها اليهم الرئيس جمال عبد الناصر بطل التحرير والعودة الى فلسطين .. ان شاء الله .

الإسلام وعلماؤه .. بين الأنصار المؤيدين والأعداء الحاقدين

الأستاذ عبد المنعم حماده

كان الوحى يتنزل على النبى صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن الكريم . يتلوه عليه . ويعلمه اياه . ليقوم هو بابلاغه الى الناس ودعوتهم الى مافيه من خير ، والى مافيه من هدى ، والى مافيه من توجيه وارشاد بدليل قوله سبحانه : (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) وليقوم بتوجيههم الى مافى هذا القرآن العظيم من اسرار الكون ،وتنبيههم الى مايحتويه من مفاتيح العلوم . ودعوتهم الى التدبر فى آيات الله وماخلق ممايدفع طاقات الانسان دفعا فى معارج العلم والمعرفة .. والادلة على ذلك كثيرة مثل قوله سبحانه :

(الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا . والله انبتكم من الارض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا . والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) .

ومثل قوله عز من قائل :

(ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) .

ولقد كان اول خطاب الهى وجه الى النبى - عليه الصلاة والسلام - قول الله عز وجل : (اقرا باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

ونحن نستطيع من النظرة الاولى ودون الرجوع الى كتب التفسير والى غيرها من المراجع . ان ندرك من هذه الآيات التى افتتح بها خالق السموات والارض كتابه وجعلها أول رسالة منه سبحانه الى رسوله الكريم .. نستطيع ان ندرك بعض مسائل على جانب كبير من الاهمية .

اولها : ان الله - سبحانه وتعالى - امر رسوله الكريم بأن يقرا لينبهه بذلك الى خطر القراءة ، وبالتالى الى خطر الكتابة والعلم بشتى انواعه ، واهميتها جميعا بالنسبة للانسان فى حياته الخاصة والعامة ، بالنسبة له كفرد وبالنسبة له فى بيته ، وفى اسرته ، وفى بيئته بل وفى المجتمع كله .. ولينبهه بالتالى الى ان يدعو الناس الى القراءة والى الكتابة ، أى الى العلم ليسيروا قدما فى معارج الرقى ، وليحققوا ما اعده الله لهم فى علمه من أن يكونوا خير أمة اخرجت للناس .

وثانيها : ان الله سبحانه وتعالى ، وهو الرءوف الرحيم ، القوى الكريم ، خالق السموات والارض ومابينهما يضيف الى افضاله الكثيرة . وأنعمه المتعددة التى يغدقها على عباده . فضل تعليم هذا الانسان ليرتفع بعقله وتفكيره ، فيدرك عظمته ، ويلم باسرار الحياة ، ويبلغ مايريده له سبحانه من ان يكون خليفته فى الارض ، يقيم فيها الحياة ينشىء الحضارة .. وفى ذلك يقول المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل :

(هذا النظام الخلقى الذى نزل به القرآن للمدنية الفاضلة . لا يدعو الى حرمان النفس مما خلق الله من انعم . حتى لا يؤدى بها الحرمان الى مايؤدى اليه الامعان فى التقشف من انصراف عن التفكير فى الكون ، وزهد فى العلم ، وهو لايرضى ان يسلم الانسان نفسه للاستمتاع حتى لا يغرقها فى لجة الترف وينسيها كل ما سواه ، بل هو يجعل الناس أمة وسطا ، ويوجههم وجهة الفضيلة الخالصة ، ووجهة المعرفة للكون وكل مافيه) .

وثالثها : ان الله سبحانه وتعالى قد جعل القلم من وسائل هذا العلم ، فالعلم فى يد الانسان وبتفكيره وباذن الله وقدرته آلة لتعليم الانسان وتنبيهه الى ما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، ثم هو الى جانب ذلك وسيلة لنشر العلم وحمل كنوزه الى كل مكان والى كل الناس .

ورابعها : ان الانسان لم يكن عالما بكل شىء ، وان عقله وتفكيره كانا قاصرين على ادراك كل ما يحيط به ، وان قدرته على حل مشاكله ومشاكل المجتمع الذى يعيش فيه كانت محدودة ان لم تكن معدومة ، ثم اراد الله لهذا الانسان أن يقف على رجليه ، وان يشغل فكره وعقله ، ويستفيد من كل ما وهبه الله من قدرات فعلمه ما لم يعلم .. علمه القراءة ، وعلمه الكتابة ، وامره بذلك فى اول سورة نزلت من القرآن الكريم ليبين قيمة هذه القراءة . وقيمة هذه الكتابة .. يقول الاستاذ الامام محمد عبده فى تفسيره لسورة العلق :

(ثم انه لا يوجد بيان ابرع ولا دليل أنصع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحى بهذه الآيات الباهرات .

(هذه الآيات دلت على ان الله خلق العالم ، وعلى انه لا ينسب الخلق الى غيره - كما ترشد اليه الآية الاولى - وانه خلق الانسان الحى الناطق مما لا حياة فيه ، ولا نطق ولا شكل ولا صورة ، وعلمه افضل علم ، وهو الكتابة ، ووهبه العلم ولم يكن يعلم شيئا ، فكل شىء للانسان فهو منه ومن هباته) .

ولعل الله قد أراد بذلك أن يوجه نظر العرب الى ما كانوا عليه قبل أن يوحى الى محمد

بالدعوة الى الاسلام ، فان العيشة التى كانوا يعيشونها فى تلك البيئة الصحراوية القاحلة الخالية من كل مظهر من مظاهر الحياة البعيدة عن أى أثر لاعمال الفكر ، المنعزلة عن العالم الخارجى فيما عدا قيام القوافل برحلتى الشتاء والصيف الى اليمن والى الشام . هذه العيشة وهذه الحياة قد جعلتهم أبعد ما يكونون عن العلم الذى يدفع بهم الى التطور والتقدم .. ومن اعظم الادلة على مبلغ ماكانوا فيه من جهل قول الله - عز وجل - : (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) .

ولقد أدرك الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - الاهمية البالغة والاثر الكبير لما يأمره به ربه من القراءة ومن العلم بالقلم ، فأخذ يعلم الناس القرآن الذى يتنزل عليه .. يعلمهم بلسانه العربى الفصيح بقوة يستمدها من العلى القدير ، والله يقول فى ذلك : (والنجم اذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى) ثم أخذ يدعو المؤمنين الى تعلم القراءة والكتابة حتى يسجلوا القرآن ، وحتى يتعلموه ويعلموه للناس .. ومن أمثلة اهتمامه بهذا الامر وحرصه عليه أنه كان يجعل فدية بعض الاسرى الذين يكتبون ان يعلموا صبيان المدينة ، فقد كان على كل أسير أن يعلم عشرة من الصبية حتى يطلق سراحه . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى جانب هذا يطلب تعلم اللغات الاجنبية حتى يستطيع المسلمون مخاطبة غير العرب ليأمنوا جانبهم اذا ماجمعتهم المناقشة أو دارت بينهم الرسائل ، وكان يلح فى طلب العلم فيقول : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ، ويقول : (اطلبوا العلم ولو فى الصين) ، ويقول : (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة) .

ولم يكتف الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بالدعوة الى العلم ، ولكنه زاد على ذلك فكرم العلماء وقربهم اليه وأنزلهم من نفسه منزلة عالية تحقيقا لقوله سبحانه : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، وقوله : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) ..

وكان الرسول نفسه يقول : (ان مثل العلماء فى الارض كمثل النجوم يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، فاذا انطمست النجوم أوشك ان تضل الهداة) .. ويقول ابو ذر الغفارى : (ان الرسول كان يقول : حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة .. قيل يارسول الله . ومن قراءة القرآن . فقال عليه الصلاة والسلام : وهل ينفع القرآن الا بالعلم) ..

وسار الخلفاء الراشدون ومن تبعهم من امراء وملوكهم الذين كانوا يخشون الله فى أعمالهم ، سيرة النبى فى الدعوة الى طلب العلم وتكريم العلماء ، ولذلك نبغ كثير من المسلمين فى مختلف العلوم والفنون) . نبغوا فى الطب وكانوا أول من عرف علم الجراحة ، واشتهر منهم فى ذلك أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الذى ولد فى أواخر القرن الثامن الميلادى بالقرب من طهران .. وابو على الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا الذى حفظ القرآن وتفقه فى أحكامه ، ثم اتجه الى دراسة الطب ونبغ فيه ولما يتجاوز السادسة عشرة من عمره . وابو الوليد محمد بن رشد الذى برع ونبغ فى كل من الفلسفة والطب .. وهناك أعداد كثيرة تفوق كل واحد منها وبرع فى غير الطب كجابر بن حيان وعز الدين الجلدكى فى الكيمياء .. والحسن بن الحسين بن الهيثم ابو على ، والخازن فى الطبيعة .. وموفق الدين عبد اللطيف البغدادى فى علوم الزراعة والنبات .. ومحمد بن موسى الخوارزمى فى الرياضة والفلك .. وغير هؤلاء وهؤلاء ممن كانوا مثلا ناجحا على مافى الاسلام من قوة تصل بالمسلم الى اختراق آفاق العلم والمعرفة ، وغير هؤلاء وهؤلاء ممن رفعوا رءوس المسلمين عالية ، وجعلوا علماء المسلمين فى موضع التكريم والاجلال ، وكانوا سلاحا هاما من أسلحة الاسلام واقبال الناس عليه دون ما حاجة الى استعمال القوة والعنف .

ولقد شهد الكتاب والمؤرخون الاجانب انفسهم بعظمة الاسلام فى تهذيب نفوس معتنقيه ، وتثقيف عقولهم ، ورحابة صدورهم ، وسماحة أخلاقهم ، والامثلة على ماكتبه هؤلاء الكتاب والمؤرخون كثيرة نذكر منها قول العلامة دوش :

(ان المدنية الاوربية ، بل المدنية الغربية كلها مدينة للمسلمين ، ومن المدهش ان يصبحوا - وكانوا أول امرهم على الفطرة - عنصرا فاتحا وسادة لنصف العالم فى مائة عام ، ومن اشد العجب حماستهم العظيمة ، وسرعتهم البالغة فى تحصيل العلوم ، وتكوين الثقافة اللازمة لعظمتهم حتى وصلوا الى مستوى عال فى مائة سنة ، بينما نرى الجرمانيين كما فتحوا الامبراطورية الرومانية قضوا ألف عام قبل أن يقضوا على التوحش وينهضوا لاحياء العلوم) .

ومن بعد دوش كتب ميك فى كتابه قبائل نيجيريا الشمالية يقول :

(ان الاسلام لم يترك اثرا عميقا فى التركيب الجنسى لهذه الشعوب فحسب ، بل انه جاء بحضارة جديدة أتاحت للشعوب الزنجية طابعا حضاريا متميزا لا يزال حتى اليوم ، مؤثرا فى نظمهم السياسية والاجتماعية .. ذلك ان الاسلام حمل الحضارة الى القبائل المتبربرة ، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوبا ، وجعل تجارتها مع العالم الخارجى ميسورة ، فقد وسع آفاقهم ، ورفع مستوى الحياة بخلق مستوى اجتماعى ارقى ، وخلع على أتباعه الكرامة والعزة واحترام الذات واحترام الآخرين .. لقد ادخل الاسلام فن القراءة والكتابة ، وحرم الخمر وأكل لحوم البشر ، والاخذ بالثار ، وغير ذلك من العادات الوحشية ، وأتاح للزنجى السودانى الفرصة لان يصبح مواطنا حرا فى عالم حر) .

ولم تبلغ دعوة الاسلام نفوس الناس بهذه السرعة الفائقة ، وتؤثر فيهم هذا التأثير البالغ الا لانها دعوة الى الحق .. دعوة الى الفضيلة .. دعوة الى القوة والعزة .. دعوة الى تكريم الفرد ، والا لانها حض على طلب العلم .. العلم الذى يقوده الى الحق ، والى التمسك بالفضيلة والى طلب العزة والقوة ، والى التعرف على حقوقه وواجباته ومعرفة مكانه فى المجتمع الذى يعيش فيه .

ولقد أدرك أعداء الاسلام - منذ اليوم الاول الذى قام فيه النبى الكريم بتبليغ رسالته -ما سوف يفعله الاسلام فى أصحاب الديانات والمعتقدات الذين لا يستجيبون الى دعوة محمد - عليه الصلاة والسلام - وماسوف يبلغه علماء الاسلام ودعاته من شان عظيم يقضى على كيانهم ، ويزلزل مكانتهم ، ويأتى على سلطانهم ، فبدأوا يقفون له بالمرصاد ، وبدأت قريش بذلك خوفا على كيانها وعلى سلطانها ومكانتها فى شبه الجزيرة ، ومن بعدهم كان اليهود أشد أعداء الاسلام والداعين اليه والمبرزين من رجاله .. فقد بدأوا يدسون على النبى الكريم ماليس من كلامه ، ويدخلون على الاسلام ماليس منه ، ويذيعون

الاباطيل والمفتريات لتحويل المسلمين وغيرهم عن هذا الدين الجديد الذى تتسع دائرة أنواره يوما بعد يوم ، ولبلبلة عقول المفكرين من رجاله ومن غيرهم وتحـويل انظارهم الى مايوهن اليقين فى قلوبهم ، ويزلزل الايمان فى صدورهم .. ولا يزاولون حتى اليوم خلفا عن سلف ، ولا تزال كتاباتهم تمتلىء بالاضاليل ، وتزخر بالاكاذيب لحصر المسلمين فى دائرة ضيقة يدورون فيها حول انفسهم فلا يتقدمون .

وان ننس لا ننس مافعلـه محاكم التفتيش فى اسبانيا من تضييق الخناق على الاسلام . ومحاولة منع المسلمين ، الذين غلبوا على امرهم وزالت دولتهم ، عن تادية مايفرضه عليهم الدين من عبادات ، ومن تعليم ، ومن دعوة ومن جهاد فى سبيل الله .. ولقد بلـغ الامر حد تعقب المسلمين فى كل مكان ، وتقديمهم الى المشانق وحرق بيوتهم ، وتخريب آثارهم حتى كان البعض منهم يضطر الى التـظاهر بالرجوع عن الاسلام خوفا على نفسه وعياله وماله ومتاعه ثم يقوم باداء شعائر دينه بين جدران أربع بعيدا عن أعين الرقباء .

والامثلة غير ذلك كثيرة ، فان ما لقيه الاسلام ورجالـه من عنت وارهاق لا حصر لها ولا عد تملأ مئات الصفحات فى عشرات الكتب ، والحديث عنها يطول ، ولكننا نكتفى فى هذه العجالة ببعض الامثلة الاخرى التى تتبادر الى الذهن .. فهذه أوربا تقوم قومة واحدة لصد تيـار الاسلام الزاحف ، والوقوف فى وجه رجـاله . والحد من تيار الحضارة الاسلامية التى تكاد تقضى على ما لهذه القارة من مكانة ..

يقول الاستاذ محمد الدسوقى : (كان من المفروض أن تتلقى الكنيسة فى اوربا هذه الحضارة بصدر رحب ، وفهم سليم ، ولكن ألمها أن يكون لهـذه الحضارة أثرها فى النفوس ، ومكانتها فى القلوب - وكانت اذ ذاك صاحبة الحول والطول لها الكلمة الفاصلة . والمنـزلة العالية ، والارادة التى لا ترد ، والرأى الذى لا يرفض ، فرأت أن صمتها ازاء هذا الزحف الفكرى الوضاء سيقضى على سلطانها ويبدد تاثيرها ، ويلغى صكوك الغفران التى كانت تدر عليها المال ، وتضفى عليها هالة من القدسية والاكبار ، ووجدت ان النهى المباشر لن يؤتى ثمرته ، وانه لا بد من عمل ايجابى يوقف هذا الزحف ، او على الاقل يحد من اندفاعه وجاذبيته) .

وكان اول عمل لاوروبا لتحقيق هذه الغاية قيام الرهبان بدراسة الثقافة الاسلامية ، وكان هدفهم من ذلك تتبع العورات وتلمس السيئات ،ثم اذاعة الاكاذيب، ونشر الكتب عن هذا الدين وما جاء به من فضائل وآداب وعلوم .

وكان العمل الثانى القيام بالحرب السافرة التى عرفت بالحروب الصليبية ، والتى برهنت على الهمجية المطلقة ، والوحشية البالغة .. ففى عام ١٠٩٩ استولى الصليبيون على بيت المقدس الذى ارتكبوا فى ظل قبوه المقدس ابشع انواع القتل ، واقسى ألوان القسوة .

ومن قبل استشهد فى ارض الاردن (عروة بن عمرو الجذامى) عامل الروم على عمان لانه اعتنق الاسلام . ولانه ارسل الى النبى - صلوات الله وسلامه عليه - بعض الهدايا مما اغاظ الروم وجعلهم يشددون الخناق عليه ويقتلونه .

وتعرض الاسلام ورجاله فى الجزائر الى أنواع مختلفة من الظلم ، وأساليب متباينة من القسوة والاضطهاد ، فقد فقد استخدمت فرنسا ضـد المسلمين قانون (الانديجنا) الذى يعامل الجزائرى المسلم معاملة بربرية ولا يقرها شرع ولا دين ولا انسانية ، وقد استمر معمولا بهذا القانون منذ انتهاء ثورة المقدانى حتى عهد قريب .

وهـذا الملك كارل الاول احد ملوك اوربا الجنوبية فى الفترة مابين عامى ١٣١٠ ، ١٣٤٢ يصدر قانونا يمنع فيه الصيام او تناول الطعام على غير الطريقة المسيحية ، ويعاقب من يمتنع عن أكل لحم الخنزير ، أو يتوضأ قبل الصلاة ، وهـكذا لقى المسلمون فى هنغاريا زمن حكم ذلك الطاغية صنوفا من الاضطهاد تحرروا منها بعض الشىء بعد موته وان بقوا بعدها بين مد وجزر لفترة طويلة .

واما فى الاتحاد السوفيتى مثلا فقد وقف الاسلام كما يقول الدكتور جمال الدين الرمادى (بين تيارين متضادين من المؤرخين : تيار يتاثر بالمذهب الشيوعى فيشيد بحرية المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، وتيار يهاجم سياسة الاتحاد السوفيتى ازاء المسلمين ، والذى لا شك فيه أن الدين الاسلامى لاقى كثيرا من المحن فى عهود مختلفة من جانب السوفيت ، ولعل الاتحاد السـوفيتى غير سياسته تجاه الدين الاسلامى فى هذه الآونة لكسب الشعوب الشرقية فى مضمار السياسة الدولية) .

ولقى الاسلام ورجاله فى افغانستان محنة شديدة ايام حكم (أمان الله خان) ، فقد أصدر أمره بتعطيل المدارس ودور الحكومة يوم الخميس بدلا من يوم الجمعـة تعطيلا للشعائر الدينية فى ذلك اليوم ، ولقد ثار المسلمون ضده بزعامة (بير صاحب) شـيخ الطريقة المجددية وصاحب السلطان الروحى العام على جميع أفغانستان ، وقتـل أمان الله خان بير صـاحب وامر الجنود بمهاجمة داره غير أن الدائرة دارت عليه واضطر الى الفرار .

وجاء الاستعمار الحديث يغزو البلاد المتخلفة وخاصـة فى افريقيا ، وكان من أهم ماقام به للحد من انتشار دعوة الاسلام ، والحد من سيطرة رواده على عقول الناس . العمل على نشر الديانة المسيحية وتخصيص المبالغ الطائلة للصرف على البعثات التبشـيرية واقامة كثير من المعاهد فى اوربا وامريكا لتخـريج المبشرين بالدين المسيحى من العناصر الملـونة من ابنـاء تلك القارة ووضع البرامج التعليمية التى تتعلق بطبيعة الحياة فى تلك القارة من جميع نواحيها ... ولقـد شملت الدراسات التى قام بها الاستعمار ورجاله دراسة الدين الاسلامى . وأعدت الخطط لصد تقدمه ، والحيلولة دون انتشاره على نطاق واسع حتى لايقوى المسلمون بما يبثه فيهم من عزة وكرامة ، ومايأمرهم به من الاستعداد والعمل .

وبعد ..

فان الاسلام على الرغم مما يبيته له الحاقدون ، وما يثيره حوله المناهضون من شكوك ، ومايسوده الكتاب والمؤرخون الاجانب الذين يملأ الحقـد قلوبهم من صفحات تغمرها الاكاذيب .. وعلى الرغم من الاموال الطائلة التى تصرف لصد تيار زحفه وانتشاره ، فانه سوف ينتشر حتى يغمر العالم كله ، لانه الدين الذى ارتضاه الله للناس كافة ، ولانه الدين الخالد الذى أنزله رب الخلق جميعا حتى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

ودعاة الاسلام وعلماؤه الذين وهـبوا انفسهم طوال عصـور التاريخ الاسلامى لدعوة الحق والخير والتفقه فيما احتواه الكتاب الكريم ، والعمـل بما يوحى به ، وابلاغ أسراره وتعاليمه للناس ، لن يرهبهم مايوجه اليـهم من اضطهاد ، ولن يؤلمهم مايلاقـونه من تعذيب ، ولن يقفوا مكتوفى الايدى امام هذه التحديات مهما بلغت .

والمسلمون الاحرار فى جميع بقاع الارض يستنكرون ما يلاقونه من تحديات ، فالاسلام هو شعلة النور على طريق الانسانية ، ولن تنطفىء هـذه الشعلة أبدا لان الذين يحملونها أناس بررة ، ولان قلوبهم مطهرة ، ولان اعداء الاسلام مفضوح أمـرهم مهما لبـسوا من أقنعة ، واتخذوا من أساليب ..

والى الامام يارجال الحق ، فان الله ناصركم ، وان الله مؤيدكم ، وان الله مظهر دينه ولو كره الكافرون .

والله الموفق لما فيه الخير .

وحدة العروبة .. فى

مؤتمر القمة العربى

الشاعر موسى جلال موسى

فجر العروبة فى الكنانة أشرقا … وعلى ضفاف النيل زاد تألقا

نور تجمع كالخضم بوحدة … وعلى الصفاء الحر شعشع والتقى

قد سار فى أُفق العروبة بعد ما … زال الضباب عن الحمى وتمزقا

وهفا بكوكبة وهلل يافعاً … ودنا يصافح برجة متأنقا

وأطل بالصبح الجميل وبالمنى … ومشى على متن الفضاء موفقا

وأهل شلّال الضياء مبددا … ليل الدسائس والظلام المطبقا

أضفى شعاعًا من خلال مسيره … وبدار جامعة العروبة حلقا

قد طاف فى زهو يبارك وحدة … ودنا يهفهف بالضياء ترفقا

وأفاض من فوق وواح مكبرا … أمل العروبة فى الحياة تحققا

والناصر العملاق أذّن داعيا … للقمة الشمّاء شعبا مُعْرِقا

نادى العمالقة الكبار بقلبه … وأشار بالجمع الكبير فوفقا

وأجاب دعوته الجميع وأقبلوا … فى نورهم يتصافحون على التقى

جاءُوا لمؤتمر العروبة والهدى … وشعوبهم تهفوا إليه تعلقا

والعالم العربى يرقب جمعهم … بدعائه متطلعا متشوقا

و الكون أرهف سمعه متعجبا   من وحدة طلعت وسارت فيلقا
وأصاخ للعرب الكماة وهاله   أن الجميع تجاوبوا يوم اللقا
لا والذى جمع القلوب على الهدى   لن يستطيب الخلف مهما أبرقا
سنعيش إخوانا ونهتف دائما   بالحب فى صفو ولن نتفرقا
حتى نحقق للعروبة مجدها   ونجلى الحق السليب ونشرقا
ونميت أطماع الغريب وحقده   ونذيب ليل الغرب مهما شرْقا
العرب فى اهدافهم متوحدون   على الزمان وأُمه لن تسبقا
ستظل فى سمع الوجود عزيزة   وتسير فى فلك العلا لن تلحقا
هى أُمة كالشمس فى عليائها   لا يعتليها كوكب مهما ارتقى
لا تنثنى عن غاية بدعاية   أو تستجيب لخادع مهما سقى
وغدا سيزأر جمعها بصواعق   لتدك أوكار اليهود وتحرقا
وتبيد «اسرائيل» من فوق الثرى   وتحيلها خبرا ودما مهرقا
والنهر فى «الأُردن» نهر خالد   وعلى عروبته سيبقى ريقا
سيظل ماءُ النهر ملك عروبة   وتحوزه لبلادها متدفقا
مهما يكلفها فأمر هين   ومن المحال بأن يسيل مرنقا
إن كان قد ركب اليهود رؤُوسهم   فالعرب لن يرضوا نزيلا أحمقا
سنقول للدنيا مقالا صارما   ونهز أعصاب الوجود ليطرقا
النهر فى الأَردن غير محول   مهما تكلف فى الجهاد وأنفقا
سنحيله لهبا وسما قاتلا   ونحيله هولا وسمًّا محرقا
ونصبه فوق اليهود وغربهم   ونذيقهم ويلا وموتا مخنقا
ونعيد سكان الخيام لأَرضهم   ونعيد للأَوطان حقا مخفقا
وهنا سأهتف بالقصيد مرددا   ركب العروبة فى فلسطين التقى

صورة مائية على الجص من الحمام الفاطمى بجوار ابى السعود . محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة
(القرن العاشر الميلادى ، او الحادى عشر)

مصورون مسلمون في مصر الفاطمية

بنو المعلم ومدرستهم الفنية

الدكتور حسن الباشا

اهم مايعنينا فى هذا البحث ان نسلط الأضواء على أسرة مصرية عرفت ببنى المعلم اشتغلت بالتصوير فى بداية العصر الفاطمى ، ونبغت فيه ، وكشفت بعض جوانب هذا الفن ، وانجزت فيه أعمالا اعتبرها المصورون فى عصرهم من العجائب ، كما تتلمذ عليهم مشاهير المصورين الذين نقلوا عنهم اسلوبهم ، وساروا على نهجهم ، بحيث يمكن ان نقول انهم أسسوا مدرسة فنية اسلامية فى مصر الفاطمية كان لها فضلها فى ازدهار التصوير فى هذا العصر .

وقد جاء ذكر بنى المعلم فى خطط المقريزى عند الكلام عن جامع القرافة الذى بنته السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز وأم العزيز فى الطرف الجنوبى الغربى من القرافة اى فى جنوبى شرقى القاهرة القديمة ، والذى صار يعرف فيما بعد باسم جامع الأولياء ثم صار يطلق على بعض بقاياه فى عهد على مبارك اسم حوش الأولياء أو حوش ابو على

واشار المقريزى الى ماكان يزوق سقوف هذا الجامع كلها وحناياه وعقوده من زخارف وصور ملونة اسهم فى عملها بنو المعلم المصريون .

ووصلنا وصف احدى روائع بنى المعلم فى هذا الجامع وهى أنهم رسموا فى قنطرة قوس صورة وستارة مدرجة بدرج وذات عمد مختلفة الالوان ، وقد أبدعوا فى هذا الرسم بحيث كانت أجزاء الستارة تبدو للناظر اليها اذا وقف فى احدى المواضع كأنها بارزة على هيئة مقرنص ، واذا نظر اليها من موضع آخر كأنها مسطحة لانتوء فيها .

وقد اذهل هذا العمل كثيرا من المصورين الذين حاولوا استكناه سره ، وبذلوا الجهد فى تقليده ، ولكن دون جدوى .

ويتضح من وصف الصورة أن بنى المعلم توصلوا الى معرفة بعض حيل المنظور والتلوين ، وانهم استغلوا هذه الحيل فى التمويه وخداع النظر ، وفى التعبير عن العمق والبروز ، أو مايسمى فى المصطلح الفنى بالبعد الثالث .

ومن المحتمل أن بنى المعلم قد تعلموا التصوير على يد أبيهم الذى يرجح أنه اشتهر بلقبه « المعلم » ، والذى ظل أبناؤه ينسبون اليه .

ومن المعروف أن « المعلم » لقب كان يطلق على مهرة الفنانين والصناع ، وقد اطلق فى كتابة أثرية على صانع شمعدان كبير من البرونز صنع فى سنة ٧٣٠ هـ ـ ١٣٣٠م للامير قوصون فى عصر الملك الناصر محمد ونقل الى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من مدرسة السلطان حسن .

ونظرا الى ان بنى المعلم كانوا فى أوج مجدهم الفنى عند بناء جامع القرافة فى أواخر القرن الرابع الهجرى « ١٠ م » فاننا نستطيع أن نرجعهم الى بداية العصر الفاطمى اى الى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى «١٠م» ، ومن ثم يمكن اعتبارهم من أهم من وضعوا أسس التصوير الفاطمى .

وقد خلف بنو المعلم مدرسة فنية كان على راسها تلميذان لهم يعدان من أعظم المصورين المصريين فى العصر الفاطمى : هما الكتامى والنازوك ، ولم نعثر حتى الان على اشارة الى اى عمل من أعمال النازوك ، غير أننا اسعد حظا بالنسبة الى زميله الكتامى .

ويستدل من اسم « الكتامى » انه من جماعة الكتاميين الذين قدموا من المغرب مع الفاطميين ، وكانوا عماد دولتهم وعصب جيشهم ، وكان زعيمهم أمين الدولة ابن عمار أول من أسندت اليه الوساطة فى عهد الحاكم بأمر الله ...

واذا لاحظنا ان الكتامى قد تتلمذ على بنى المعلم الذين ذاع صيتهم فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى «١٠م» ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ، جاز لنا أن نقرر انه من المرجح أن الكتامى قد عاش فى أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل القرن الخامس «١٠ ـ ١١م »

وليس من شك فى أن الكتامى قد ورث عن بنى المعلم خبرتهم باسرار الالوان ، واستخدامها فى خداع النظر ، والتعبير عن العمق والبروز . وقد وصلنا انه رسم فى دار النعمان بالقرافة صورة تمثل يوسف الصديق عاريا فى الجب ، وجاء انه رسم هذه الصورة بحيث كان يخيل لمن ينظر اليها كان يوسف فى داخل الجب فعلا .

وقد استطاع الكتامى ان يحقق هذا الهدف وان يموه على المشاهدين بواسطة الالوان : ذلك أنه رسم يوسف باللون الأبيض والجب باللون الاسود ، وربما استخدم أيضا لتحقيق ذلك بعض حيل المنظور .

وبالاضافة الى مايقدمه وصف هذه الصورة من دليل على التقدم الذى أحرزه الكتامى فى فن التصوير ، فانها تشير فى الوقت نفسه الى الحرية التى كان يتمتع بها المصورون فى ذلك العصر ولاسيما من حيث السماح لهم بتصوير العراة .

وربما كانت هذه الحرية هى التى مهدت لازدهار التصوير فى حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى « ١١م » حين ولى الوزارة ابومحمد الحسن اليازورى من سنة ٤٤٢ هـ الى سنة ٤٥٠ « ١٠٥٠ ـ ١٠٥٨ م »

وكان اليازورى من رعاة الفنون ، وبخاصة فن التصوير وكان ذواقة للصور ، حريصا على اقتنائها واتخاذها على أثاثه وأدواته ، وكان يجالس المصورين ، ويشترك فى مناقشاتهم ، ويجزل لهم العطاء .

وكان اليازورى ينفق المبالغ الطائلة على التحف المزوقة بالصور ، ذكر المقريزى انه انفق ٣٠,٠٠٠ دينار ليصنع له خيمة كبيرة سميت بالمدورة الكبرى ، وقد اشتغل فى صنعها ١٥٠ صانعا وفنانا طيلة تسع سنين . وكانت هذه الخيمة تتكون من ٦٤ قطعة قماش ، ويبلغ محيطها ٥٠٠ ذراع ، وكانت تزخرفها صور الحيوانات والطيور وغيرها من الرسوم والزخارف .

وتذكرنا هذه الخيمة الكبيرة المزخرفة بالصور بفسطاط سيف الدولة بن حمدان الذى كان يزدان بصور كثيرة من بينها صور مناظر طبيعية وحيوانات وطيور ، وكذلك صورة تمثل الامبراطور البيزنطى ورجاله اسرى بين يدى الحاكم العربى . وقد وصف المتنبى هذه الصور فى بعض قصائده بقوله :

عليها رياض لم تحكها سحابة
واغصان دوح لم تغن حمائمه

وفوق حواشى كل ثوب موجه
من الدر سمط لم يثقبه ناظمه

ترى حيوان البر مصطلحا به
يحارب ضد ضده ويسالمه

اذا ضربته الريح ماج كأنه
تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه

وفى صورة الرومى ذى التاج ذلة
لأبلخ لا تيجان الا عمائمه
تقبل أفواه الملوك بساطة
ويكبر عنها كمه وبراجمه
قياما لمن يشفى من الداء كيه
ومن بين أذنى كل فرم مواسمه
قبائعها تحت المرافق هيبة
وانفذ مما فى الجفون عزائمه

وفى عصر اليازورى انتقلت زعامة فن التصوير الى مصور مصرى يسمى « القصير » ، وكان فنانا قديرا ، بارعا فى فنه ، خبيرا بأسراره وأصوله .

وكان من الطبيعى أن يحظى القصير برعاية اليازورى وأن يقوم بأداء بعض الصور له ، غير أن القصير كان فنانا معتدا بفنه ومهارته ، بحيث خيل الى اليازورى أنه صار يتغالى فى تقدير أعماله ، ويشتط فى أجرها ، مما أسخطه عليه ، ودفعه الى البحث عن وسيلة تساعده على التخفيف من غلوائه ، وهدا اليازورى تفكيره الى دعوة ابن عزيز المصور العراقى الى مصر ، وكان أعظم مصورى العراق فى ذلك الوقت حتى أن المقريزى جعل مكانته فى التصوير فى مستوى مكانة ابن البواب فى الخط كما شبه القصير بابن مقلة .

وبقدوم ابن عزيز الى مصر احتدمت المنافسة بين المصورين العظيمين . وكان اليازورى كثيرا ما يجمع بينهما فى مجلسه ويحرضهما على التبارى ، وحدث فى أحد مجالس اليازورى أن أعلن ابن عزيز - متحديا القصير - أنه يستطيع أن يرسم راقصة على حنية ، بحيث تبدو لمن ينظر اليها كأنها خارجة منها . فأجابه القصير بأنه يستطيع بدوره أن يرسمها كأنها داخلة فيها .. وازاء تعجب الحاضرين ورغبة اليازورى اشترك المصوران فى المباراة . وحقق فعلا كلا المصورين ماوعد به : اذ صور القصير راقصة داخلة فى الحنية ، فى حين صور ابن عزيز راقصة خارجة من الحنية . ويتضح من وصف الصورتين أن المصورين قد اعتمدا على الألوان فى تحقيق غرضهما : ذلك أن القصير قد رسم راقصة بثياب بيضاء على أرضية سوداء فبدت كأنها غائرة ، أما ابن عزيز فصور راقصة بثياب حمراء على أرضية صفراء فبدت كأنها بارزة ، ومن المحتمل أنهما قد استخدما أيضا بعض قواعد المنظور .

ويستدل من الطريقة التى استخدمها القصير المصرى أنه استعمل نفس اللونين اللذين استخدمهما الكتامى من قبله فى صورة يوسف فى الجب وهما الأبيض والأسود مما يثبت استمرار مدرسة بنى المعلم وتقاليدهم التى تعلمها منهم الكتامى والنازوك ثم ورثها القصير من بعدهما
والحق أن اعتماد كل من القصير المصرى وابن عزيز العراقى على الألوان فى سبيل التعبير عن العمق والبروز يدل بوضوح على وحدة التقاليد الفنية فى العالم العربى مصره وعراقه ، كما أن استدعاء الوزير المصرى لمصور عراقى وترحيب المصريين به فى بلدهم يدل على قوة الصلة بين الشعب العربى مهما اختلفت الأقطار والمذاهب .

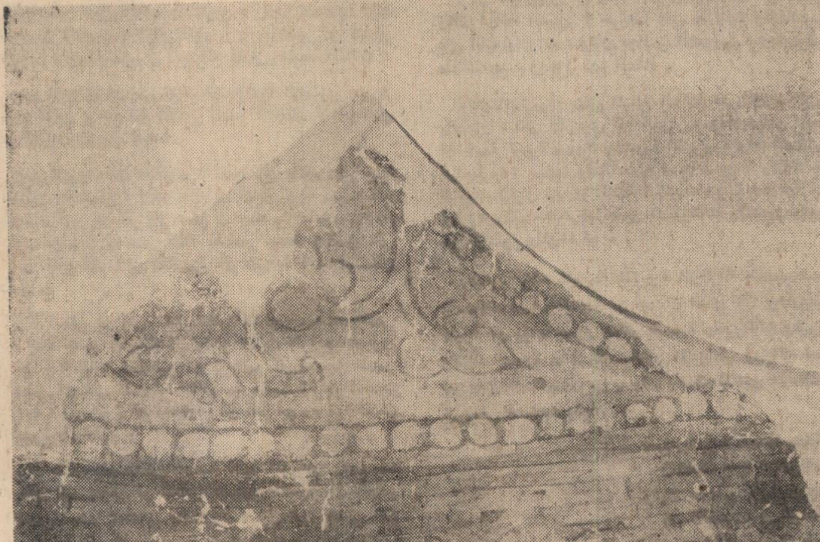

صورة مرسومة بالالوان المائية على الجص . عثر عليها بحمام فاطمى بجوار ابى السعود جنوب القاهرة
(القرن العاشر الميلادى ، او الحادى عشر)

اما موقف القصير المصور المصرى من الوزير اليازورى من حيث مبالغته فى تقدير قيمة اعماله له فيدل على أن المصورين المصريين فى ذلك العصر صاروا يعتدون بأنفسهم ويفخرون بانتاجهم الفنى ، وهذا من علامات النهضـــة الفنية فى مجال التصوير فى هذا العصر .

وليس من شك فى أن كل هذه الظروف قد ادت الى ازدهار التصوير ازدهارا ظهر اثره فيما وصلنا من تحف فنية فاطمية لاسيما من الخزف والخشب .

ولسوء الحظ لم يحتفظ الزمن لنا بأى عمل فى مجال التصوير الحائطى يمكننا نسبته الى بنى المعلم أو تلاميذهم من المصورين الذين وردت نتف من أخبارهم فى المؤلفات الأدبية ، والذين تخصصوا فى زخرفة الجدران وتزويقها وان كان قد وصلنا صور جدارية قليلة مجهولة الصانع

والواقع أن ندرة الصور الجدارية ظاهرة عامة فى الفن الاسلامى سواء فى العصر الفاطمى أو فى غيره من العصور ..ولكن لايجوز تفسير ذلك بأن المسلمين لم يعرفوا هذا النوع من الصور أو لم يقبلوا عليها ، وانما يرجع السر فى ذلك الى أنهم اتخذوا هذه الصور فى مبان كـانت بحكم طبيعتها معرضة للاندثار بمرور الزمن : ذلك أنه من المعروف أن التصوير قد حظر من دخول المساجد وغيرها من العمائر الدينية الاسلامية ، وذلك لما وقر فى نفوس المسلمين من وجوب ابعاده عن معتقداتهم الدينية خشية الانحراف الى الوثنية ، وذلك على عكس الحال فى الـديانات الأخرى التى كان أهلها يرحبون باتخاذ الصور فى عمائرهم الدينية بحيث صارت هذه العمائر الدينية كالمعابد البوذية والكنائس المسيحية مثلا أشبه بمتاحف لكثرة مايزخرفها من صور ، ترجع الى عصور مختلفة .

اما المسلمون فقد اقتصروا على زخرفة العمائر غير الدينية كالقصور والحمامات ، وهذه ـ على عـكس المبانى الدينية ـ أكثر عرضة للتغيير على مدى الزمن ؛ بحيث تفقد معالمها القديمة أو تزول تماما من الوجود ، ويحل محلها غيرها فى المدن التى يقدر لها أن تظـــل مأهولة فترة طويلة من الزمن .

ومن هنا كان من الطبيعى الا يتبقى لدينا الا القليل النادر من الصور الجدارية الاسلامية ، ولم يصلنا هذا القليل النادر بفضل الرغبة فى المحافظة على المبـانى التى يزخرفها ، بل على العكس بفضل اهمالهـــا وخرابها .

وتنطبق هذه الحالة تماما على الصور الجدارية التى وصلتنا من هذا العصر ، وهى الوحيدة التى بقيت لنا من العصور المصرية الاسلامية كلها .

وقد عثر على هذه الصور فى سنة ١٩٣٢ أثناء حفائر أثرية أجريت بجوار ابى السعود جنوبى القاهرة ، اذ كشف عن أنقـاض حمام فاطمية يشتمل بعض حنايا جدرانها على صور تطرق التلف اليها مرسومة باللون الأحمر والأسود . ويتفق علماء الآثار والفنون على ارجاعها الى القرن الرابع أو الخامس الهجرى « ١٠ـ١١م » . وقد تم نقل هذه الصور الى متحف الفن الاســـلامى بالقاهرة .

واكمل هذه الصور واحسنها حفظا صورة تمثل شابا يقعد متربعا وقد امسك بيده اليمنى كأسا ، وهويلبس رداء تزينه حليات من زخرفة نباتية حمراء اللون ..

صورة مرسومة بالالوان المائية على الجص عثر عليها بالحمام الفاطمى بجوار أبى السعود جنوبى القاهرة (القرن العاشر الميلادى ، او الحادى عشر)

وحول كل من عضديه شريط ، وعلى رأسه عمامة ذات طيات ، وحول الرأس هالة مستديرة ، ويضع الشاب حول ظهره وشاحا يخرج طرفاه من تحت الابطين وينثنيان الى أسفل مع التعلق فى الهواء ، ويتدلى من رأس الشاب خصلتان من الشعر احداهما فى الخلف والاخـرى فى الأمام ، وجسم الشاب فى وضعة ثلاثية الأرباع . ويحف بالحنية كلها شريط من الكور على هيئة عقد .

والى جانب هذه الصورة استطاع العلماء استخلاص بعض صور أخرى محطمة من المبنى المتهدم نفسه :منها جزء من صورة يمثل رأس شاب يلتفت الى اليسار .. وآخر يمثل سيدة تتدلى عصابة رأسها الى اليمين ... وصورة فى حنية صغيرة تمثل طائرين متقابلين يـكاد منقاراهما أن يتماسا ، وبينهما زخرفة تتألف من أوراق نباتية .

ومن المسلم به ان هذه الصور الجدارية التى عثر عليها فى احدى الحمامات الشعبية لايمكن أن تتخذ وحدها مقياسا صحيحا لما بلغه فن التصوير الحائطى فى ذلك العصر من تقدم ، ولكنها على كل حال مثال منعـــدم النظير من هذا النوع من التصوير الفاطمى الذى أسهم فى ارساء قواعده بنو المعلم وتلاميذهم .

من

أعلام الإسلام ..

ذات النطاقين

أسماء بنت أبي بكر

الأستاذ عبد العزيز الإسلامبولي

حسب هذه الصحابيه الجليله ، تعديما لها بين يدى فالق الحب والنوى ، تكريم النبى - صلوات الله وسلامه اياها بتسميتهـا « ذات النطاقـين » ولذلك خبر عظيم يضرب الى الاعماق ، دلالة على شجاعة « اسماء » رضى الله عنها وبرهنة على خطير شأنها فى الدعوة المحمدية ، وجلالة مساهمتها فى التمكين لنجاحها بالنفس والنفيس. ذلك بأن الرسول الكريم ، حين اعتزم أن يهاجر من مكة الى المدينة ، أفضى بسره الى الصديق أبى بكر ، فى داره على مشهد ومسمع من ابنتيه : أسماء وعائشة ، رضى الله عنهما وعنه .

فأسرعت أسماء تعد للنبى سفرة ، وهى الطعام الذى يتخذ للسفر ، وتجهز له سقاء اللبن والماء ، وهو يشبه القربة ، التى تتخذ للماء خاصة . فلما انتهت من اعداد السفرة والسقاء ، ورغبت فى ربطهمـا ، لم تجد مايصلح لذلك سوى نطاقها ، وهو ازار تلبسه أو حبل تشد به وسطها ، فعمدت اليه فشقته اثنين ، وربطت بأحدهما السفرة وبثانيهما السقاء .

وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - ، قد اصطحب معه الصديق ، رضى الله عنه ، الى غار ثور ، فكانت أسماء تحمل اليهما الزاد ، دون أن يعرف أحـد من المشركين ما تصنع ، أو يقف على سر المكان الذى تنتهى اليه ، ولا الطريق الذى تسلكه ولا الزمان الذى ترحل فيه .

وحار المشركون فى امر النبى وصاحبه . فذهب ابوجهل على رأس نفر من هؤلاء ، الى دار أبيها ابى بكر ، يدقون الباب ، فخرجت اليهم ، فقـالوا : أين أبوك ؟؟ قالت : لا أدرى أين هو ؟ وحاولوا أن يظفروا منها بما يدلهم على مكانه ، فذهبت محاولتهم أدراج الرياح ، ولم يستطع أبو جهل أن يكظم غيظه ، فلطمها على خدها لطمة شديدة ، خر منها قرطها الى الارض ، ثم انصرف هو ومن معه ، فى حال من اليأس والحنق ، يأخذ بعضهما برقاب بعض .

وقد خلفت هذه اللطمة لاسماء صداعا يتناوب رأسها بين الحين والحين ، فكانت تضع يدها على رأسها ، وتتجه الى الله وتقول : « بذنبى ، وما يغفره الله أكثر » .

وهى تحرص اشد الحرص ، على ألا يبدو منها ، ما يشى بما تصنع أو تحمل أو تربط به الذى شقته اثنين ، والذى ما ان رآه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، حتى أكبر صنيعها ، وقال لها : « سوف يعوضك الله نطاقك هذا نطاقين فى الجنة » . فسميت بعد ذلك « ذات النطاقين »

وحمل ابو بكر - رضى الله عنه - جميع ماله معه ، وجاء والده أبو قحـافة - رضى الله عنه - وقد عمى فقال لحفيدته أسماء : ان هذا ، أى أبا بكر ، قد فجعكم بماله ونفسه . فلم تجد أسماء سبيلا الى تسكين نفس جدها الشيخ الهرم ، قبل أن تلوب أسى ولوعة على مصير حفدته ، الا أن تلوذ بالحيلة ، فعمدت الى أحجار فجعلتهن فى كوة البيت وغطت عليها بثوب ، بعد أن قالت لجدها : كلا ، انه « أبا بكر » قد ترك لنا خيرا كثيرا . ثم أخذت بيده ووضعتها على الثوب ، وقالت : هذا تركه لنا ، فقال أبو قحافة ، أما اذا ترك لكم هذا ، فنعم .

وواضح من سيرة اسماء أنها كانت تحمل أكثر العبء ، فى دار أبى بكر ، ولعل مرد ذلك الى أنها أسن من أختها لأبيها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، فالاجماع على أنها أكبـر منها بعشر سنين ، وهما بنتا ابى بكر ، وكلاهما من أم .

وأم أسماء ، هى قتيلة بنت عبد العزى العامرية ، جاءتها بهدايا ، فلم تقبلها ، وذهبت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، تسأله فى هذا ، وتقول : يا رسول الله ، ان أمى قدمت وهى راغبة ، أفأصلها ؟ قال : نعم ، صـلى أمك .

يقول ابن الزبير : نزلت هذه الآية فى أسـماء ، حين سألت النبى - صلى الله عليه وسلم - ، وهى « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين » .

تزوجهـا الصحابى الشجاع ، أول من سل سيفه فى سبيل الاسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ابن عمة رسول الله ، الزبير بن العوام . وأنجبت منه عبدالله بن الزبير ، الذى آلت اليه الخلافة سنة ٦٤ للهجرة بعدموت يزيد بن معاوية ، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام ، وجعل قاعدة ملكه المدينة . وكانت له مع الامويين وقائع حافلة ، ومعارك شديدة ، مما اضطرهم فى النهاية الى ارسال الحجاج على رأس جيش لجب اليه ، ونشبت بينهما حروب طاحنة ، انتهت بمقتل ابن الزبير فى مكة غدرا ، بعد أن خذله أصحابه ، وهو يقاتل قتال الابطال ، وقد اشرف على الثمانين من عمره .

وأنجبت منه أيضا عروة بن الزبير ، وكان صالحا كريما ، عالما بالدين ، لم يدخل فى شىء من الفتن ، وبلغ من تضلعه فى الفقه ، أن كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ولقد قدم مصر وأقام بها سبع سنين ، وعاد الى المدينة فتوفى فيها ، واليه تنسب « بئر عروة » بالمدينة .

وضربت أسماء المثل الأعلى ، فى نبالة المرأة العربية ، وشجاعتها الفذة ، وهى تدفع أبناءها الى المجد ، وتحفزهم الى التضحية بالمال ، والفداء بالروح ، فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام ، ورفع راية التوحيد .

وكانت الى ذلك كله ، والى جلالة شأنها ، وعظيـم مكانتها ، ومجادة بيتها ، وسيادة أبيها وعلو منزلته ، تقوم بخدمة زوجها ، وتعرف له حقه ، وترعى شـئونه حق الرعاية ، فى امانة بالغة ، ووفاء عميق ، واخلاص نقى .

ويبدو من تعدد الروايات ، أن الزبير بن العوام ، حين تزوجها ، كان فقيرا ، وربما كان قبل الزواج من الاغنياء المعدودين ، وربما كان بعد وفاته .

وقد صح أنه تزوجته فقيرا ، وما له من شىء غيـر فرسه ، فكانت تسوسه وتعلفه وتدق له النوى الناضحة أى الرطبة المبتلة ، وتسقيه ، وكانت بعد ذلك أو قبـله

تعجن ، وتقوم بجميع شئون دارها ، حتى لقد روى عنها ، انها قالت :

« كنت أنقل النوى من أرض الزبير ، التى أقطعه اياها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، على رأسى ـ وهى على ثلثى فرسخ ـ فجئت يوما ، والنوى على رأسى ، فلقيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومعه نفر ، فدعانى ، فقال : اخ ، اخ ليحملنى خلفه ، فاستحييت ، وذكرت الزبير وغيرته • فمضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أتيت أخبرت الزبير ، فقال : والله ، لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه ! قالت : حتى أرسل الى أبو بكر بعد بخادم ، فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقنى »

هذه هى العظمة الأصيلة المخلدة ، وذلك هو المجد الباقى على الزمن • أسماء بنت أبى بكر خليفة رسول الله ، وأم عبدالله بن الزبير أمير المؤمنين ، وحفيدة أبى قحافة الصحابى الشيخ ، وأخت أم المؤمنين عائشة ، وزوج الزبير بن العوام المبشر بالجنة ، وجميعهم صحابيون •

اسماء وهذا شانها ، هى التى كانت تقوم بجميع شئون زوجها وشئون دارهما بنفسها من غير خادم أو معين ، رعاية لحقوق زوجها ورفقا به وبحاله • دون أن تعلم اباها بما تلقى من متاعب وأثقال •

ويصفها زوجها فيقول : « ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسماء ، وجودهما مختلف ، أما عائشة فكانت تجمع الشىء الى الشىء ، حتى اذا اجتمع عندها وضعته مواضعه ، وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئا لغد » وهذا الذى يقوله زوجها ، هو مصداق قول أسامة بن زيد ، وقد نقله الامام الذهبى ، فى سير النبلاء ، وهو يقطع بشهرة أسماء بانها « كانت سخية النفس » فلا عجب حين تروى فاطمة بنت المنذر ، « ان اسماء كانت تمرض المرضة ، فتعتق كل مملوك لها » •

اما شجاعتها ، فهى مضرب المثل ، من ذلك انها كانت تقول لابنها عبدالله ، فى حروبه : عش كريما ومت كريما ، لا ياخذك القوم أسيرا • وشهدت اليرموك مع زوجها الزبير ، وقد حملت خنجرا ، وتحض المسلمين على القتال ، وتسد الطريق على الفارين أو المتخاذلين ، ومن ثم يعودون الى المعركة أشد قوة وأصلب عودا • وهى تقود النساء ، وتشرف على الصغير والكبير •

دخل عليها ولداها عبد الله وعروه • قبل مقتل عبد الله بعشر ليال ، وكانت مريضة ، وقد بلغت سنها مائة سنة ، فقال لها عبدالله : كيف تجدينك ؟ قالت : وجعة ، فقال عبدالله : ان فى الموت لعافية • قالت • لعلك تشتهى موتى ، فلا تفعل ، وضحكت • ثم قالت : والله ما أشتهى أن أموت ، حتى تأتى على أحد طرفيك • اما أن تقتل فاحتسبك ، واما أن تظفر فتقر عينى • وختمت قولها بتحذيره من قبول خطة ، لا ترتضى ، ولكنه قد يقبلها كراهية الموت •

قال عروة شقيق عبدالله ، وانما منى أخى أن يقتل فيحزننا ذلك •

ولقد كانت أسماء شديدة الحب لابنها عبدالله ، فقد هاجرت حاملا به ، فى وقت كان شديد المحنة على المسلمين ، حتى لقد عيروا بان نساءهم حل بهن العقم ، فلما أخبر رسول الله بحمل أسماء ، فرح بذلك فرحا شديدا ، وتيامن المسلمون بذلك كثيرا ، وقيل ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، هو الذى سماه « عبدالله » • وكان بذلك أول من هاجر محمولا فى بطن أمه •

وقتل الحجاج ابن الزبير ، بعد حديثه مع أمه بعشر ليال ، وجاء الحجاج الى أسماء يقول : « يا أمه ، ان أمير المؤمنين « عبد الملك بن مروان » وصانى بك ، فهل من حاجة؟ قالت : لست لك بأم ، ولكنى أم المصلوب على رأس الثنية ، وما لى من حاجة ، ولكن أحدثك : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : يخرج فى ثقيف كذاب ومبير » ، والمبير هو الرجل المفسد الذى لا خير فيه ، أو المهلك •

قالت أسماء : « أما الكذاب ، فقد رأيناه (تقصد المختار الثقفى ، وقد ادعى ان الوحى يأتيه وانه يعلم الغيب) ، قالت • « وأما المبير ، فانت ، فقال لها : مبير المنافقين » •

وجاء اليها ابن عمر ، وقد سمع أنها فى ناحية من المسجد ـ منذ صلب ابنها ـ فمال اليها وقال : ان هذه الجثث ليست بشىء ، وانما الارواح عند الله ، فاتقى الله واصبرى • فقالت • وما يمنعنى ، وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايا بنى اسرائيل • وكأنى بها تذكر ما قالته لعبدالله ، وهى تدفعه الى ملاقاة الأعداء فى شجاعة ، وقد خشيت أن يكون فى خوف من أن يقتلوه ويمثلوا بجثته ، فقالت قولتها المدوية :

« يا بنى ! ان الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها »

ويطوف رأس عبدالله من الحجاز الى الشام ، ثم يعود الرأس فيصلب على مقربة من دار أسماء ، فتقول للحجاج ، وهى عجوز عمياء : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال : المنافق ؟ قالت : والله ما كان منافقا : كان صواما قواما برا ، قال انصرفى ياعجوز ، فقد خرفت ، قالت • لا ـ والله ـ ما خرفت منذ سمعت رسول الله يقول : فى ثقيف كذاب ومبير •

واخذت تدعو الله فتقول • اللهم لا تمتنى حتى أوتى به فاحنطه وأكفنه • وقد استجاب الله سبحانه وتعالى ، لدعائها ، فأوتيت به ، فجعلت تحنطه بيدها ، وتكفنه ، وصلت عليه ، وما اتت عليه جمعة الا ماتت • وكان قتله لسبع عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين للهجرة •

وكانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات وفاة • روى عنها كثيرون ، واتفق لها البخارى ومسلم على ثلاثة عشر حديثا ، وانفرد البخارى بخمسة ومسلم باربعة •

وما أعظم قولها وهى ترد على جماعة من اخوان ابنها ، قد جاءوا يعزونها ، فتقول :

« رحم الله أخاكم ، لقد كان صواما قواما ما علمت ، وكان ابن أبيه الزبير أول رجل سل سيفه فى الله ، وكان أشبه الناس بأبى بكر • يا بنى ! والله لقد حملته على عسرة ، والمسلمون يومئذ قليل مستضعفون فى الارض يخافون أن يتخطفهم الناس ، ولقد سعيت به جنينا بين بيت أبى بكر وغار ثور فى هجرة الرسول وصاحبه ، آتيهما تحت جنح الليل بما يصلحهما من الطعام ويسكن الطلب عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واعوذ بعبد الله يرتكض فى أحشائى ، قد احتسبت نطاقى فى سبيل الله •• فرالله ما أجدنى احتسبت ابنى عبدالله الا كما احتسبت نطاقى ذاكم ••

« يا بنى انى اخر المهاجرين والمهاجرات ، لم يبق على ظهرها بعد عبدالله منهم غيرى ، فلا والله ، ما حسن أن يجزع من هاجر ـ وان شان الهجرة لشديد ـ وما حسن ان يجزع من شهد المشاهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكيف وقد اربيت على المائة ؟ »

مع حرم سفير اليمن بالقاهرة

إعداد الآنسة نجاة أحمد الزنبري

المراة فى اليمن لها تاريخ طويل .. بداته ملكة من اشهر ملكات التاريخ (ملكة سبا) .. وانتهت الى حلقة مغلقة من الجهل والظلم والظلام ..

كانت حاكمة مثقفة لها راى فى السياسه والحكم والعلم فى الوقت الذى حرمت فيه المراة الاوروبية من ابسط قواعد الانسانية .. ثم اصبحت لا راى لها سجينة بيتها نهارا وليلا . واذا خرجت فمن وراء حجاب اسود ثقيل ..

كانت كل شىء واصبحت لا شىء ..

ثم كانت الثورة .. فكان النور والامل .. وبدات المراة اليمنية تسترد مجدها القديم فى دنيا الرقى والتطور والثقافة .. عندما اعترفت الثورة بحق المراة فى العلم والتقدم ..

وكنت أريد ان اعرف تفكير المراة اليمنية وموقفها من الحاضر المشرق ونظرتها الى الحياة .

***

وفى منزل سفير اليمن بالقاهره السيد (حمود الجائفى) التقيت بالسيدة حرمه ورأيت فى وجهها الجميل السمح .. وفى عينيها الصريحة .. وفى صوتها الهادىء وكلماتها الثائرة .. تاريخ المراة اليمنية ..

والسيدة حرم السفير ام لطفلة فى السابعة (نفيسة) وطفل فى عامه الاول (محمد) وهى على درجة كبيرة جدا من التقوى والورع .. تمتلىء روحها بالصفاء .. وسريرتها بالنقاء .. وقلبها بنور الايمان واليقين ..

موقف المراة اليمنية من الحاضر المشرق :

تكلمت حرم سفير اليمن عن موقف المراة اليمنية من الحاضر . قالت :

- هناك امل كبير فى أن تتطور المراة بسرعة فائقة .. فان شدة الكبت خلال قرون اليمن المظلمة ولدت عند الفتاة حماسة وثورة .. فعندما فتحت حكومة الثورة مدارس التمريض والتعليم الابتدائى تقدمت اليها عشرات البنات وكلهن اصرار على التقدم والمساهمة فى بناء المجتمع الجديد مساهمة ايجابية فعالة .

اما الحجاب فما زالت المراة مبقية عليه متمسكة به .

وسالتها : سبق أن حدثنى سيادة السفير فى عدد سابق للمجلة عن مراحل كفاحه فى العهد الماضى وما لاقاه من تعذيب وسجن .. فماذا كان موقفك فى هذه الظروف ؟

وارتسمت على وجهها آلام الماضى المظلم وقالت :

كان موقفى هو المشاركة والصبر والحكمة .. ففى هذه الظروف القاسية لم اكن أملك الا الايمان بالله والرجوع الى الله دائما .. وذلك لايمانى بان مايفعله زوجى وزملائه الاحرار انما هو عمل فى سبيل الله والوطن .. فقد سجن ثمانى سنوات .. عشتها انا مع اسرتى .. وكنت على اتصال دائم به فى السجن .. ارسل له النقود والملابس .

لم يكن هناك أحد يدرك قيمة هذا العمل الذى يقوم به الاحرار .. وعكفت على دراسة القرآن وحفظه فى المنزل .. وكلما اجتمعت بمجلس الاحاديث الدينية الذى ينعقد فى منازل الاقارب كنت أحاول ان اشرح لهم وأقنعهم ان هذا العمل الذى يقوم به الاحرار انما هو فى سبيل الله والوطن من أجل القضاء على الظلم والظلام والخرافة .

كان صبرى وايمانى يعطيانى القوة طوال هذه الاعوام الثمانية التى امضاها فى سجن ((حجة)) ثم اطلق الامام سراحه بشرط ان لا يبقى فى تعز ولا فى صنعاء ٠٠ حتى لا يلتقى بنا ٠٠

ثم سمح له بالعلاج فى مستشفى الحديدة ٠٠ ولما قامت ثورة الحاج عبد الله اخرجه الامام من المستشفى لادارة الامن العام فى الحديدة - وكان هذا للاستفادة منه فقط -

كيثرا ما فقدت الامل فى ان اراه مرة اخرى ٠٠ ولكنى لم أفقد الايمان ابدا فى أن مايفعله هو ضد الظلم والطغيان ٠ وان لابد لكفاح الاحرار أن ينجح يوما ما ٠٠ مادام فى سبيل الله والوطن ٠

ظل فى الحديدية اربع سنوات ٠ مرن الضباط على الاسلحة الروسية الحديثة فى مدارس الحربية والبوليس حتى اتقن الضباط استعمال هذه الاسلحة تماما ٠٠ ولما لاحظ اعوان الامام ذلك ٠٠ اخطروا الامام بمخاوفهم من هؤلاء الضباط ٠٠ فامر الامام بايقافهم واخراجهم من المدرسة ٠

ثم كان يوما ٠٠ وفى الساعة الثانية عشرة مساء جاء رسول يستدعى زوجى لمقابلة الامام وصارحه بخوفه أن يسجنه وعرض عليه استعداده للهرب معه الى اى مكان ٠٠ لكن زوجى ذهب لمقابلة الامام ٠٠ فكان مصيره السجن ٠٠ كنت أنا فى المنزل انتظر عودته ٠٠ ولما لم يعد تأكدت من انه قد سجن ٠ ولكن لانه سجن من قبل ثمانى سنوات ٠٠ ولانى مؤمنة بعمله ومبدئه ولانى مع القرآن الكريم دائما فقد كنت قوية ٠٠ وتحملت سجنه ٠٠

وبعد اربعة اشهر قضاها فى السجن ضرب الامام احمد ٠٠ أطلق عليه الرصاص ٠٠ وقالوا ان الذى قتل الامام هم اعضاء حزب كبير ٠٠ فقرر زوجى الهرب من السجن خوفا من الاعدام ٠٠

وكنت أنا على علم بخطة الهرب وموعدها والذين عاونوه وأعلنوا لى استعدادهم أن يقدموا أرواحهم فداء له ٠٠ ووقفت وحدى فى نافذة منزلى والوقت مساء ٠٠ والمطرشديد اترقب لحظة الهروب حتى رايت الاشارات التى فهمت منها أن الهرب قد تم ٠٠

ثم اخبرت الاسرة بعد ذلك بما حدث ٠٠ وبعد اربعة أيام علمنا بسلامة وصولهم الى يافا ٠٠

كانت تاتينى نساء من اسرة حميد الدين محاولات استدراجى ليفهمن منى ظروف هروبه وكيف تم ٠٠ وكنت اقول لهن : لقد هرب من الظلم ٠٠ كنت لا ابالى ٠٠ فلم أعد خائفة بعد كل الذى حدث ٠٠ قلن لى : ان الذى يهرب تؤخذ أمواله ويخرب بيته ٠٠ ولم اهتم لشيء من هذا القبيل ٠٠

قلت لهن : (ماذنب الضباط الاحرار الذين اعدمهم الامام ٠٠ ماذنب الذين ماتوا فى السجون ٠٠)

الحقيقة ان هذا الظلم والطغيان قد علمنى الجراة ٠٠ علمنى أن اعلن حقدى وكرهى للامام جهرا دون أن ابالى فليفعل بنا مايفعل ٠ لم اعد أستطيع ان اكتم ثورتى ٠٠

كانت تصلنى اخبار وجوده فى عدن ٠٠ ثم فى روما ٠٠ ثم عاد الى اليمن ليعمل فى ميناء الحديدة ٠٠ لقد قاسى الكثير من التجارب المريرة ٠٠ ومن قبله والده الذى سجن ثلاث سنوات فى (بئر السنارة) أبشع انواع السجون ٠٠ عندما اطلق الرصاص على الامام يحيى والد الامام احمد فى دار السعادة ٠٠

وكذلك سجن عمه ٠٠ وعرفت الاسرة كلها ظلام السجون فى كفاح قاس من أجل القضاء على الطغيان والعبودية ٠٠ حتى كانت هذه الثورة المباركة التى كانت مفاجاة لنا لاننا كنانتوقع حدوثها بعد خمسة ايام ٠٠ ونجحت بحمد الله بعد الكثير من الجهد والعذاب ٠

اهم العادات والتقاليد اليمنية :

وسالت حرم سفير اليمن التى جاهدت وكافحت من داخل بيتها جهادا فى سبيل الله والوطن عن العادات والتقاليد التى تميز الشعب اليمنى ٠٠ قالت :

- يعتبر شهر رمضان بداية عام جديد عندنا ٠٠ نتجنب فيه مساوىء العام الماضى ٠٠ ونتبع حسنات العام الجديد وفى هذا الشهر الكريم تقوم الاسر من جميع الطبقات بتبادل الدعوات للزيارة وتوزع على الاسر الفقيرة الملابس والنقود ٠٠ فشهر رمضان كله يعتبر عيد عندنا ٠٠

والعيد الثانى هو عيد الاضحى ٠٠ حيث تذبح الذبائح وتوزع كلها على الفقراء وكل اسرة تذبح الضحية تحتفظ بنصيب يومها فقط وتوزع الباقى كله على الاسر الفقيرة ٠٠

وفى يوم المولد النبوى تقام الاحتفالات الشعبية فى كل مكان ٠٠ ويصوم الناس هذا اليوم ٠٠ وتؤدى فيه أيضا زيارة الارحام ٠٠

والاطعمة عندنا شهية جدا ٠٠ انواعها كثيرة ٠٠ الفطائر فقط لها عشرون نوعا ٠٠ منها مايسمى (بناصحون) و (مسبايا) ٠٠ والمحشى عندكم نسميه (الضلمة) ٠٠

وفى كل بيت يوجد (فرن) يوقد بالنار ٠٠ لطهى الماكولات ٠٠

اما عن عادات الزواج : فمنذ أن يخطب الرجل الفتاة يظل ينفق عليها ويشترى لها ملابسها ولا يزور أسرتها الا ومعه الهدايا لها وللاسرة حتى يتم الزواج ٠٠ وهو المكلف باعداد منزل الزوجية الجديد كله ومكلف بكساء عروسه ٠٠ وفى يوم عقد القران ٠٠ عندما يوضع المنديل الابيض فوق يد ولى امر العريس والعروس يجتمع الاهل حولهما .. ويلقى الملبس على المنديل ويسارع كل واحد من الحاضرين باخذ مايقع من الملبس على المنديل ليتبرك بـه ٠٠

واليوم السابق للزواج يسمى (يوم النقش) حيث تتزين العروس ٠٠

وفى يوم الزواج ٠٠ ياتى من يسمون (المخرجين) وهم الذين يتولون اخراج الزوجة من منزل أسرتها والذهاب بها الى منزل الزوج ٠٠ حيث تقام الافراح سبعة ليالى ٠٠

وفى يوم الاربعين ويسمى (يوم الشكما) هو اول يوم تخرج فيه العروس من منزل الزوجية الى منزل اسرتها ويقام حفل فى هذا اليوم يجمع اهل العريس والعروس وتقام الولائم الشهية ٠٠

وبعد ٠٠٠

اعتقد أن دور المراة المصرية المكافحة يبدا هناك فى اليمن حيث مجالات الخدمة الاجتماعية واسعة ٠٠

يمكنها أن تقوم بتدريب اطفال اليمن على الشخصية العربية الجديدة لتاخذ دورها فى المجتمع ٠ يمكنها أن تقوم بتوعية الفتاة اليمنية بدورها فى الحياة الجديدة التى بدأت تفتح ذراعيها لها ٠

يمكنها أن تقوم بتعليم الام اليمنية الطرق المثالية فى تربية ابناء اليمن على المفاهيم الجديدة التى خرجت بهم من عهد الظلم والاستعباد ٠٠

أنت تسأل ؟ .. والمفتى يجيب !

فضيلة الشيخ حسن مأمون

يقول السائل ع - ه - د - ه - ا من عدن

توفى شخص عن زوجة وخمسة أطفال ذكـــور وكانت والدته قد تـــــوفيت قبله بعشر سنوات ووالده توفى قبل أمه بسنتين وله جدة هى أم والدته ما زالت عـلى قيد الحياة فهل ترثه أم لا وكم سترث أرجو الاجابة

الجـــواب

ان لجدة المتوفى لامه السدس فرضا لعدم وجـود من يحجبها وزوجة المتوفى الثمن فرضا لوجـــود الفـــرع الوارث ولأولاده الذكور الخمسة الباقى تعصيبا بعـــد فرض الجدة « السدس » وفرض الزوجة « الثمـــن » بالسوية بينهم والله أعلم .

السؤال الثانى

يقول السائل عبد الله محمود رشوان من بنى مزار

تناولت مادة مخدرة واخذ عقلى يذهب ويعـــود وفى لحظة من لحظات عودته قلت على الطلاق « لا أتناول مرة اخرى » وبعد ذلك تناولته مرة ثانية فهل يقع الطلاق

ما صدر من السائل صدر بغير عيغة تنجيز الطلاق وهو فى معنى التعليق أى تعليق الطلاق على تناول المخدر مرة ثانية ويخضع لحكم المادة الثانية من القانون رقـم ٢٥ سنة ١٩٢٩ م الذى تطبقه محاكم الأحوال الشخصية وهو انه ان قصد المتكلم من الحلف حمل نفسه على عدم فعل شىء فقط وليس له رغبة فى الطلاق لم يقع طلاق اذا تحقق المحلـــــوف عليه معاملة للحالف بقصده ولأنـه يكون فى هذه الحالة فى معنى اليمين واليمين فى الطلاق لاغ أخذا برأى من يقول بذلك من كبار الصحابة والتابعين أما اذا قصد من الحلف بصيغة التعليق وقوع الطـلاق اذا حصل المعلق عليه فان الطلاق يقع ولا يكون الحلف فى هذه الحالة فى معنى اليمين والحالف هو الذى يعرف ما قصد اليه من حلفه الطلاق بصيغة التعليـــق والله اعلم .

يقول السائل عبد الله محمود رشوان من بنى مزار
حدثت مشادة بينى وبين زوجتى بسبب زيارة أهلهـا اذ أنها كانت تريد الذهاب لزيارة أحد أهلها وأنا لا أريد الذهاب ولما ضايقتنى فى الالحاح وتكرر ذلك منهــا ففى لحظة من لحظات النقاش قلت لأختها الجالسة معنا وفى حضور الزوجة « على الطلاق ان لم تكن هيه عاوزه تروح لزيارتهم لازم انا احملها على الذهاب » ولكنى لم اجعلها تذهب الى الان

الصيغة التى صدرت من السائل صدرت بغير صيغة التنجيز وهى فى معنى تعليق الطلاق عـلى عدم حملهاعلى الذهاب الى أهلها ولم يحدد الحالف وقتا لحملها عـلى الذهاب فيسعه الان ان يبر فى يمينه ويذهب بها لزيارة أهلها ولا يقع الطلاق اما اذا أصر على عدم الذهاب بهـا لأهلها فان حكم وقوع الطلاق او عدمـــه يخضع لحكم المادة الثانية من القانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ م وهو انه اذا قصد من الحلف حمل نفسه على فعل شىء فقط ولم يقصد الطلاق فان الطلاق لا يقع معاملة له بقصده ولأنه يكون فى معنى اليمين فى هذه الحالة واليمين فى الطـلاق لاغ .

السؤال الثالث

يقول السائل : عبد البار محمود رشوان من بنى مزار
أردت ان اشترى من تاجر صديق وتغالى فى الثمـن وكنت قد احضرت ذلك الشىء من مكان آخربمبلغ١٦ قرشا واعتقدت انى أحضرته بمبلغ ١٥ قرشا ولما اشتد بيننـا النزاع فى الثمن قلت له « عل ىالطلاق انا جايبـــــه ومشتريه هذا الاسبوع بمبلغ ١٥ قرشا حسب اعتقادى ولكن بعد أيام وانا أقلب فى بعض الاوراق وجدت مكتوبا فيها أننى اشتريتها فى ذلك اليوم بمبلغ ١٦ قرشا فهل يقع الطلاق او لا يقع .

الجواب ان هذا اليمين لغو لا يقع به الطلاق لنفس الاسباب المبينة فى الاجابة على سؤاله الخاص بيمينـــه الذى صدر منه بقوله على الطلاق انا فعلته ثم تذكر بعد ذلك انه لم يفعل والله اعلم .

السؤال الرابع

يقول السائل عبد البار محمود رشوان من بنى مزار

يقول السائل كنت مع زملائى بالسكن وكلفنى احـــد الزملاء بعمل شىء ما وتوجهت الى المكان الذى به ذلك الشىء لأفعل ما كلفت به ولما وصلت الى ذلك المـكان شغلنى شاغل فنسيت ذلك الشىء وعدت الى مكانى وانا معتقد انى فعلت ما امرت به وبعد ذلك حضر الزميـل ووجد الشىء كما هو ودارت بيننا مناقشة انا اقول له اننى فعلت وهو يخالفنى لانه وجد الشىء فى مكانه كمـا هو ولاعتقادى اننى فعلته وظنى بان احد الزملاء الاخرين قد رده الى مكانه الاول قلت « على الطلاق انا فعلته » وبعد الحلف تذكرت اننى لم أفعله واننى ذهبت لمكانه وشغلت بغيره فلم افعله فهل يقع الطلاق او لا يقع

الجـواب

ان هذا اليمين لغو لا يقع به الطلاق لانه صدر من الحالف بناء على ظنه حين الحلـف واعتقاده انه فعل المحلوف عليه فاذا تبين له بعد ذلك انه أخطأ فى ظنه غير عامد فانه لا يقع الطلاق المحلوف عليه وهو الى جانب ذلك ايقاع للطلاق فى صيغة اليمين واليمين فى الطلاق وما فى معناه لاغ لمقتضى احكام القانون رقم ٢٥ سـنة ١٩٢٩ م والله اعلم

السؤال الخامس

يسأل ابراهيم عبد الفتاح مجاهد الحاوى من المعصرة مركز بلقاس دقهلية سؤالين ويطلب الاجابة عنهما احدهما عن خطيب يقول فى دعاء الخطبة « اللهم أرضى عن صاحب هذا المقام وشفعه فينا يوم الزحام فما حكم الشريعة فى ذلك وهل للاولياء شفاعة وقد ثبت ان أجبنا عن حـكم الشفاعة فى الاسلام ونشرت الاجابة فى أحد اعداد مجلة منبر الاسلام السابقة بما فيه الكفاية ولا نرى داعيـة للاعادة فى الكلام فى هذا الموضوع .

والسؤال الثانى من هذا السائل عما اعتادته طائفة من رجال الصوفية التابعين لبعض الاولياء كالسيد احمد البدوى وابراهيم الدسوقى من قراءة اوراد خاصة بكل طريقة ويرجو البحث فى هذا الموضوع والاسهاب فيه لكى ترد حججهم بالكتاب والسنة وتنطفىء شمعة البـاطـل وتنير شمعة الحق ونظرا لانه يبدو من عبارات السـائل انه متحامل على رجال الطرق الصوفية ويريد أن تساعده مجلة منبر الاسلام على هذا فى حين ان رجال الطرق الصوفية بعض الامة الاسلامية ويقومون بواجب ارشاد العامـة وجمعهم على العبادة بقراءة اوراد لا تزيد عن ان تكون دعاء لله سـبحانه وتعالى بعضه بالمأثور وبعضه بغير المأثور وليس للدعاء صيغة معينة فلكل مسلم ان يدعـو الله بما يشاء ما دام الدعاء خالصا لله سبحانه وتعالى وبعيدا عن أى عبارة تؤدى الى الشرك بالله أو الى الزيغ عن الحق الذى جاءت به الشريعة الاسلامية وفتح هـذا الباب يحدث فتنة يكون ضررها أكثر من نفعها ولذلـك أفضل عدم الاجابة عليه .

السؤال السادس

يقول السائل محمد احمد عجور

ان ابن أخيه يريد الزواج من ابنته مع العلم بأن ابنه رضع من والدة ابن أخيه المذكور مرة واحدة وان ابن أخيه الذى يريد الزواج من ابنته لم يرضع هو وأخوته مـن زوجة السائل مطلقا فهل يحل لابن أخيه الزواج من ابنته أم لا

الجواب

ان ابن أخ السائل الذى لم يرضع من زوجته والدة بنته الذى يريد الزواج منها لا يحرم عليه زواجه منها لأنه لا يعتبر أخا لها من الرضاعة - ورضاع ابن السائل من والدة ابن أخيه يحرم عليه هو التزوج من احـدى بنات أخيه ولا يحرم على أخوته ذكورا وأناثا الزواج من أولاد أخيه - السائل - ما داموا لم يرضعوا من زوجة السائل والدة أولاده . والله أعلم .

السؤال السابع

يقول السائل - محمود محمد بيومى

انه حصل خلاف بينه وبين زوجته وطلقها ثلاث مرات على يد الشرطة وارسل اليها ورقة الطلاق وكان معه أربعة أولاد منها وفى أثناء الطلاق الأخير كانت حاملة ورزقت بولد بعد الطلاق وانه فوجىء بأنها تزوجت لتعمل محـللا وتطلق بعد أيام وفعلا طلقت بعد أربعة أيام معدودة لتعود اليه بعد ذلك وانا فى حيرة . من أمرى ارجو أن تفيدونى هل يجوز لى الزواج منها بعد ذلك ام لا ولكم عظيـم الشكر .

الجـواب

ان المطلقة ثلاثا لا تحل لمطلقها الا بعد أن تتزوج غيره ويدخل بها ويعاشرها معاشرة الازواج فاذا طلقها وانقضت عدتها منه حل لمطلقها الأول أن يعيدها الى عصمته بعقد زواج جديد . لقول الله تعالى « الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما أتيتموهن شيئا الا أن يخافا ان لا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حـدود الله فاولئك هم الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهمـا أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حـدود الله يبينها لقوم يعلمون - ٢٢٩ - ٢٣٠ - من سورة البقرة

وقد انعقد الاجماع على عدم حل المطلقة طلقة ثالثة لمطلقها قبل ان تتزوج غيره ويدخل بها ثم يطلقها وتنقضى عدتها وقد اختلف العلماء فيمن تزوج امرأة بقصـد تحليلها لمطلقها هل يكون زواجه صحيحا يحل له معاشرتها أم لا - وذهب علماء الحنفية الى انه يكره تحريمـا الزواج من المطلقة ، طلقة ثالثة بشرط تحليلها لمطلقها - كأن - يقول تزوجتك على أن أحللك لمطلقك

وعلة الكراهية الحديث الصحيح الذى ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ونصه « لعن الله المحلل والمحلل له » والزواج بشرط التحليل زواج صحيح عندهم لأنـه عقد مقترن بشرط ينافى مقاصد العقد فيصح العقـد ويلغى الشرط بناء على قاعدتهم فى ذلك ولذلك تحل للاول بذلك العقد ولا يجبر الزوج الثانى على تطليقهـا فاذا طلقها وانقضت عدتها جاز لها أن تعود الى زوجها الأول بعقد زواج جديد وهذا هو رأى الامام أبى حنيفة وذهب أبو يوسف من أصحاب ابى حنيفة الى انه زواج غير صحيح لكنه لا يحلها للزوج الأول لأنه استعجل ما أخره الشرع . اما اذا اضمرت المطلقة ثلاثا وزوجها الثانى هذا الشرط فى أنفسهما ولم يصرحا به فى العقد فانه يصـح الزواج بدون كراهة ويكون الرجل ماجورا اذا اضـمر فى نفسه قصد الاصلاح وعودة المطلقة الى زوجهـا الأول وعودتها الى أولادها ويحل لمطلقها الأول ان يتزوج بهـا بعد ذلك فى هذه الحالة بناء على رأى فقهاء الحنفيـة جميعا اما من تزوج لا بقصد الاصلاح بل لمجرد قضـاء الشهوة وهو من ينصب نفسه لذلك ويشتهر به فانـه يكون ملعونا وينطبق عليه الحديث الصحيح السـابق والظاهر من كتاب السائل انه مهتم من زواج مطلقته ، ومكثها معه اربعة ايام بعد الزواج انها فعلت ذلك لتعود اليه من غير ان تشترط فى الزواج ان يحلها الزوج لغيره وقد يكون مخطئا فى انها قصدت من زواجها بغيـره العودة اليه وحلها له وبناء على ما رآه علماء الحنفية يحل لهذه المطلقة ان تعود لمطلقها بدون كراهة واللـه أعـلم .

مع القراء

يحرره حسين السكرى

عزيزى القارى : أبشر فقد تجاوبت قلوب الامة العربية وتشابكت الايدى الفتية وتضافرت الجهود القوية فالتقت الآمال المشرقة عند رغبة حرة صادقة تجيش بها القلوب ، وتطلعت النفوس الظامئة الى الهدف الاسمى ونحن فى انتظار الغد البسام .

المرآة الصادقة :

السيد/محمود عبد التواب حواس

مدرسة البدرشين الاعدادية الثانوية :

أرجو أن تكون مرآتك صادقة كما تقول فتعكس لك الحقائق مجردة . أنت متأثر الى حد كبير « بأفلام المغامرات السينمائية » .. كن واقعيا فيما تكتبه وانفعل بالاحداث المحيطة بك ، ولا تسرف فى الخيال الروائى وعندئذ تستطيع أن تعرف الطريق .

محاولة :

السيد غالب عوض

مدينة البعوث الاسلامية بالقاهرة

هذه محاولة وليست أفكارا ناضجة أو أبياتا من الشعر الموزون كما تظن .. ولكن لا تيأس فكل هؤلاء العظماء الذين تربعوا على عرش الادب بدأوا كما بدأت فعليك بكثرة الاطلاع والمثابرة والاصرار .

دعاء

السيد عنتر عبد السلام مخيمر

اخصائى اجتماعى

أنا لا أنكر أن قصتك « دعاء » فيها كل خصائص القصة المصرية لأنها ترسم صورة واضحة من تلك الصور العديدة التى نحسها فى مجتمعنا العربى ، ولكن هناك بعض المآخذ الخفيفة التى يمكنك تلافيها . لا تكثر من اللغة الدارجة فى أسلوبك ولا تتعمد عنصر المبالغة والافتعال .

الصوم ارادة :

السيد كمال على

المدرس الاول بالتعليم الثانوى

يسر المجلة أن تلتقى بك .. على صفحاتها وهذه كلمتك الحضور الكبير لمكانة الارادة فى نفسية الصائم

يسود اعتقاد الكثيرين ، فكر خاطىء ، وهو أن حياة المرء ، وثيقة الارتباط بمختلف الأحاسيس والنزعات والعواطف الانسانية ، ونتيجة لهذا الاعتقاد البعيد عن الصواب .. بات الاهتمام النفسى - كلية - متجها الى الانفعالات والاحاسيس النفسية ، ومن ثم صارت الحياة الروحية تتارجح بين السمو والانحطاط ، والتعزية الفائضة أحيانا ، والقلق تارة أخرى ، ذلك لان المشاعر البشرية ، متغيرة ومتقلبة ، لا تستقر على حال .. ويبدو - فى كثير من الاحيان - ان العاطفة هى القوة المتسلطة على الطبيعة الانسانية ، ولكننا نعتقد اننا جميعا وبطريقة اختيارية محسوسة ، ندرك انه يوجد فى داخلنا ذات مستقلة من وراء الشعور والعواطف الاخرى ، وان هذه الذات أو القوة المستقلة ، هى التى تقرر - اخيرا - مصير السلوك الانسانى !

.. ويحدث كثيرا أن ماتقرره العاطفة أو الشعور ، وسائر أنواع النوازع النفسية ، يكون متعارضا - تماما - مع ما تقرره الارادة الخير ، لدرجة اننا اذا كنا قد اعتدنا اعتبار شعورنا كمقياس لتصرفاتنا ، فاننا نكون عرضة لاعتبار انفسنا مرائين اذا قرنا أن شيئا ما .. حقيقى ، لمجرد أن ارادتنا وحدها قد اقرته ، ولكننا فى اللحظة التى ندرك فيها أن الارادة هى السبب الحقيقى والفعال .. فانه ينبغى أن نتغاضى عن كل مايتعارض معها ، أى مع الارادة ، ونعتبر أن ما تقرره الارادة الانسانية هو الحق والصواب ، دون تقدير للمشاعر والاحاسيس الشتى .. وملاك الامر ، هو أن ارادة النفس الانسانية ، ليست تحت امرة الخطية أو الذات ، بل هى العامل الايجابى لكل تصرفات وسلوك الانسان . والارادة ليست مجرد رغبة نفسية ، بل هى الاختيار الحازم بعد ترو ، وأعمال فكر ، وهى - أيضا - القوة القادرة على اتخاذ قرار حاسم فى شىء معين .. وهنا سوف تجد نفسك مرتبطة بمقتضى ماتقرره ارادتك ، وليس مايحكم به شعورك !!

والانسان ، بما ينطبع عليه من العادات ، والمؤثرات البيئية ، انما يكرر نفسه ، وهذا هو الذى يسمح لنا بمعرفة الناس وطبائع نفوسهم من جمود اساليبهم فى طرائق الحياة ، غير أن هذا التكرار ، اذا تأصل فى النفس ، جعل من الانسان شيئا آليا .. فينعدم تفكيره ، بل ينعدم فيه مجرد الشعور بما يحيطه من المحسوسات

وارادة الصوم ، هى التعبير المثالى عن فلسفة الاسلام الخلقية ، فقد نهضت مبادىء الاخلاق الاسلامية على قاعدة الصبر ، ومنها تشتق سائر الفضائل الأخرى .. سر البقاء ، وأبرز سمات الامة العربية الاسلامية ..

ونجاح الانسان - بارادته - فى تحمل مشاق الصوم ، انما يمنحه الاحساس بقدرته على تحمل التبعات ، وتقدير الامور .. وهذا يؤدى الى زيادة ثقة الانسان بنفسه وبقدراته .. والصوم يعمل على تخفيف حدة التوتر النفسى الناشىء عن شدة الحاح الغرائز ، ويعين على توجيه الطاقة النفسية الى وجهات روحية ومنطقية ، ليستعلى المرء حينا من الزمن على هذه الغرائز القوية المستبدة !!

.. نحن فى حاجة ماسة الى مقاييس جديدة لحياتنا الراهنة ، تتخلص فيها النفس البشرية ، وتنفض عنها قيود المادة ، لتعيش فى الوجود المطلق ، وتتقرب فيها من عالم المعانى والروحانيات ، وتخرج فى نهايتها ظافرة بشخصية جديدة ، وحياة جديدة .. وأيام الصوم هذه هى أنسب الظروف المواتية ، لتهيئة هذا الجو ، فقد شاء الله ، أن يحيط شهر الصوم المبارك ، بانواع من التكريم ، تفيض منها ينابيع الفضل ، والرحمة ، والمغفرة والتوبة .

والمسلم الصائم ، يجد فى قيامه بواجب فريضة الصوم فرصة سانحة للتوبة عما اقترف من ذنوب ، والتكفير عن سائر الآثام وهذا يشعره بالتقرب الى الله ، ويدنيه من مسابح الملائكة الأطهار .. وفى هذا سكينة نفسية .. وأى سكينة وأى راحة نفسية لأولئك الذين يعانون من آلام الشعور بالخطيئة !!

ما أكثر ما نحتاج الى التذرع بسلاح الارادة الصلبة ، والعزيمة الغلابة .. ضد نوازع الشر التى تحاول أن تتألب علينا ، وما أقوى ما نحتاج الى ذلك الشعور بما يضفيه الصوم على ممارسيه من خلق وفضائل ، تقود الى طريق الله ومعرفته !

مواقيت الصلاة

الأيام	شوال	فبراير	فجر ق	فجر س	شروق ق	شروق س	ظهر ق	ظهر س	عصر ق	عصر س	مغرب ق	مغرب س	عشاء ق	عشاء س
السبت	١	١٥	٨	٥	٣٥	٦	٩	١٢	١٩	٣	٤٤	٥	١	٧
الاحد	٢	١٦	٧	٥	٣٥	٦	٩	١٢	١٩	٣	٤٤	٥	٢	٧
الاثنين	٣	١٧	٦	٥	٣٣	٦	٩	١٢	٢٠	٣	٤٥	٥	٢	٧
الثلاثاء	٤	١٨	٦	٥	٣٣	٦	٩	١٢	٢٠	٣	٤٦	٥	٣	٧
الاربعاء	٥	١٩	٥	٥	٣٢	٦	٩	١٢	٢١	٣	٤٦	٥	٣	٧
الخميس	٦	٢٠	٤	٥	٣٢	٦	٩	١٢	٢١	٣	٤٧	٥	٤	٧
الجمعة	٧	٢١	٣	٥	٣١	٦	٩	١٢	٢٢	٣	٤٨	٥	٥	٧
السبت	٨	٢٢	٢	٥	٣٠	٦	٩	١٢	٢٢	٣	٤٩	٥	٦	٧
الاحد	٩	٢٣	١	٥	٢٧	٦	٩	١٢	٢٣	٣	٤٩	٥	٦	٧
الاثنين	١٠	٢٤	٠	٥	٢٧	٦	٩	١٢	٢٤	٣	٥٠	٥	٧	٧
الثلاثاء	١١	٢٥	٥٩	٤	٢٧	٦	٨	١٢	٢٣	٣	٥١	٥	٧	٧
الاربعاء	١٢	٢٦	٥٨	٤	٢٦	٦	٨	١٢	٢٤	٣	٥١	٥	٨	٧
الخميس	١٣	٢٧	٥٧	٤	٢٥	٦	٩	١٢	٢٤	٣	٥٢	٥	٩	٧
الجمعة	١٤	٢٨	٥٦	٤	٢٥	٦	٩	١٢	٢٤	٣	٥٣	٥	١٠	٧
السبت	١٥	٢٩	٥٦	٤	٢٣	٦	٩	١٢	٢٤	٣	٥٣	٥	١٠	٧
الاحد	١٦	١ مايس	٥٥	٤	٢٣	٦	٨	١٢	٢٥	٣	٥٤	٥	١١	٧
الاثنين	١٧	٢	٥٤	٤	٢١	٦	٨	١٢	٢٥	٣	٥٤	٥	١١	٧
الثلاثاء	١٨	٣	٥٣	٤	٢٠	٦	٧	١٢	٢٥	٣	٥٥	٥	١٢	٧
الاربعاء	١٩	٤	٥٢	٤	١٩	٦	٧	١٢	٢٦	٣	٥٦	٥	١٣	٧
الخميس	٢٠	٥	٥١	٤	١٨	٦	٦	١٢	٢٦	٣	٥٦	٥	١٣	٧
الجمعة	٢١	٦	٥٠	٤	١٧	٦	٦	١٢	٢٦	٣	٥٧	٥	١٤	٧
السبت	٢٢	٧	٤٩	٤	١٦	٦	٦	١٢	٢٧	٣	٥٨	٥	١٥	٧
الاحد	٢٣	٨	٤٩	٤	١٥	٦	٦	١٢	٢٧	٣	٥٨	٥	١٥	٧
الاثنين	٢٤	٩	٤٦	٤	١٤	٦	٦	١٢	٢٧	٣	٥٩	٥	١٦	٧
الثلاثاء	٢٥	١٠	٤٥	٤	١٣	٦	٦	١٢	٢٨	٣	٥٩	٥	١٦	٧
الاربعاء	٢٦	١١	٤٤	٤	١٢	٦	٥	١٢	٢٨	٣	٠٠	٦	١٧	٧
الخميس	٢٧	١٢	٤٣	٤	١١	٦	٥	١٢	٢٨	٣	١	٦	١٨	٧
الجمعة	٢٨	١٣	٤٢	٤	٩	٦	٥	١٢	٢٩	٣	١	٦	١٨	٧
السبت	٢٩	١٤	٤٠	٤	٧	٦	٤	١٢	٢٩	٣	٢	٦	١٩	٧

روض الفرج ساكره كرليشه

النيل مدخل ٢ شقة ٢

سيد عبد الحليم البوزيد

بريد التعارف

الاسم : عبد المحسن حسن عبد القادر
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بتجارة عين شمس
الهواية : مراسلة الشباب وقراءة الكتب الدينية
العنوان : القاهرة شبرا مصر ـ شارع طوسون

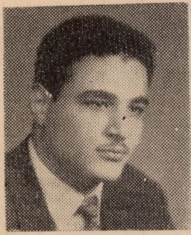

الاسم : بشير اسماعيل يحيى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بمدرسة الخديوية الثانوية
الهواية : قراءة الكتب والمجلات الدينية والمراسلة
العنوان : ١٠٧ شارع الشيخ ريحان ـ عابدين القاهرة

الاسم : يسرى عبد الفتاح عبد الهادى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : عامل بالمؤسسة العامة للادوية فرع الزيتون
الهواية : القراءة والرحلات والمراسلة
العنوان : شارع المبرة رقم٥٢ المؤسسة العامة للادوية

الاسم : نبيل عبد المالك محمد الاشمونى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب بمدرسة ملوى الثانوية
الهواية : الادب وكتابة البحوث الدينية والمراسلة
العنوان : مدرسة ملوى الثانوية القسم التجارى

الاسم : محمد حسن ابو الحسن
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٥ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : المراسلة ـ السباحة
العنوان : قوص ـ الحمر والجعافرة

الاسم : حامد شاكر السنهورى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٣٠
المهنة : طالب بكلية الدراسات العربية
الهواية : الرحلات والمراسلة
العنوان : دسوق . المندرة

اقرأ في هذا العدد :

معالم الطـــريق		٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة		٦
حديث مع سفير مالى		١٠
الحرية أساس الديمقراطية	السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرياسة	١٣
الامام المسلم	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	١٧
حديث القرآن	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٢٣
اشتراكيون مسلمون	الدكتور أحمد الحوفى	٢٧
مظاهر غريبة من التحقيق القضائى	الدكتور على عبد الواحد وافى	٣٠
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٣٣
نحن بين الخير والشر	الاستاذ البهى الخولى	٣٦
نفوذ الصهيونية	الدكتور عثمان امين	٤٢
تعريف التصوف	الدكتور عبد الحليم محمود	٤٧
عناصر الحيوية فى الدين الاسلامى	فضيلة الشيخ عبد الله المشد	٤٩
نحو ميثاق للتوعية القومية	الدكتور أحمد الخشاب	٥١
طبيعة السيادة فى المفهوم العربى	الدكتور عز الدين فودة	٥٤
الاعياد الاسلامية	الاستاذ أبو الوفا المراغى	٥٦
مشكلة اللاجئين العرب	الدكتور محمود دياب	٥٨
الحقيقة الاسلامية فى ميدان البحث الفقهى الحديث	فضيلة الشيخ عبد اللهمصطفى المراغى	٦٤
حول القرآن وانقسام الذرة	الدكتور محمد وصفى	٦٦
محبة الله لعبده	الشيخ عبد الرحيم فرغل البلينى	٦٩
اشتراكيتنا الاسلامية هى الاشتراكية الام	الاستاذ عبد الغنى عوض الراجحى	٧١
من معانى العيد فى الاسلام	**الدكتور مصطفى زيد**	**٧٥**
فرحة العيـد	الدكتور حسين نصار	٧٧
فلسفة العيد	الدكتور على صافى حسين	٧٩
الانسان فى القرآن	الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى	٨١
ابن تعزى بردى وكتابه النجوم الزاهرة	الدكتور عبد اللطيف ابراهيم	٨٥
من اعجاز القرآن البيانى	الدكتور حفنى شرف	٩٠
القرآن والعلم الحديث	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	٩٥
حقوق الانسان وكيف كفلها الاسلام	الاستاذ محمد عطية الابراشى	٩٧
هل حدثت معجزة فى قرية بنى صالح	الاستاذ على الجندى	١٠٠
الاسلام فى معركته الكبرى	الاستاذ انور الجندى	١٠٣
دراسات فى التاريخ الاسلامى	الاستاذ أحمد ابراهيم الشريف	١٠٦
فى ذكرى سيد الشهداء	الاستاذ على الجمبلاطى	١٠٨
دول اسلامية فى افريقية	الاستاذ عبده بدوى	١١١
عبد الناصر ... صانع السلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	١١٣
قصة يوسف الصديق	الاستاذ بهاء الدين القبانى	١١٦
كتاب عن حجة الاسلام	الدكتور جمال الدين الرمادى	١١٩
حياة القلقشندى وعصره	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى	١٢١
للمرأة المسلمة قضية	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٢٢
العيد والزكوات	الاستاذ حسن الشيخة	١٢٥
الجهاد فى الاسلام	الاستاذ السيد عثمان الشرقاوى	١٢٧
رحلتى الى تونس	الاستاذ منصور رجب	١٢٩
دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام	الاستاذ حسنى عبد المجيد	١٣٩
الاسلام والحرية الانسانية	الاستاذ محمد ابراهيم الجيوشى	١٤٢
مظاهر الاعياد عند المسلمين فى العالم	تحقيق قام به : الاستاذ حامد المرسى تقى الدين	١٤٥
دراسات فى الميثاق	عرض وتلخيص الاستاذ محمد بهى الدين سالم	١٥٢
الحارث بن مسكين	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٥٤
أضواء على المسلمين فى العالم	اعداد الاستاذ رياض الدسوقى خليفة	١٥٦
أخوة العرب « شعر »	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٦٢
ندوة الشهر	يقدمها الاستاذ عبد الرحمن الشربينى	١٦٤
حضرة المفتش « قصة العدد »	الاستاذ حسن الطوخى	١٦٦
نهر الحياة « شعر »	الشاعر محمد حليم حامد غالى	١٦٨
مؤتمر القمة العربى « شعر »	تحقيـق قام به : عبد العظيم ملوك محمد عبد الموجود	١٧٠
الاسلام وعلماؤه بين المؤيدين والحاقدين	الاستاذ عبد المنعم حماده	١٧٩
مؤتمر القمة العربى « شعر »	الشاعر موسى جلال أحمد موسى	١٨٢
بنو المعلم ومدرستهم الفنية	الدكتور حسن الباشا	١٨٤
من أعلام الاسلام	الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى	١٨٨
المرأة المسلمة	اعداد الانسة نجاة أحمد الزنبرى	١٩٠
أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الشيخ حسن مأمون	١٩٢
مع القراء	اعداد الاستاذ حسين السكرى	١٩٤
بريد التعارف		١٩٥

المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية
يقدم للعالم ..

دراسات في الميثاق

- اشترك في تحريره أعلام الأدب والفكر ..
- يتناول الجوانب المختلفة من الميثاق ..
- كتاب يهم كل مواطن ولا يستغنى عنه عربي ..

يطلب من :
مقر البيع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٧٦ شارع الجمهورية بالقاهرة
دار القلم والمكتبات الشهيرة

مطابع شركة الاعلانات الشرقية